

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر (2) - أبو القاسم سعد الله

الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني
دراسة أثرية معمارية فنية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار العثمانية

من إعداد الطالب/

سعيد بوزرينة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر (2) - أبو القاسم سعد الله

الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني دراسة أثرية معمارية فنية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار العثمانية

من إعداد الطالب/

سعيد بوزرينة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. محمد الكريم عزوق..... رئيسا

أ.د./ة. خيرة بن بلة..... مقروبا

أ.د. عز الدين بويحيوي..... محضوا

د.ة. عائشة حنفي..... محضوا

د. نور الدين بن محمد الله..... محضوا

السنة الجامعية 2015/2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى روح أمي الحنون رحمها الله وحشرها

مع زمرة المتقين

إلى أبي أطال الله في عمره

إلى أخي وأخواتي، وابن أخي إلياس

إلى كل الأصدقاء والزلاء والأحباب

إلى هؤلاء جميعاً، أهدي ثمرة عملي

شكر و عرفان

أشكر الله تعالى على توفيقى لإتمام هذا العمل

وأقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة

بن بلة خيرة حفظها الله بتوجيهاتها ونصائحها القيمة فكنى نعم المشرفة

والمعلمة والأستاذة والشكر للأستاذ تطولك طارق، وخالد إحدادن،

ورافع، وعاشور، وإلى كل من كان معنا ومساندا لنا.

مقدمة

مقدمة:

سجلت الجزائر حضورها في التاريخ الحضاري للإنسانية، ويتجلى ذلك في حضارتها وثقافتها عمراناً، وعمارة وفناً، أتت عوامل الزمن على الكثير منها، وبقي ما هو قائم إلى اليوم شاهداً على تفاعل الإنسان الجزائري عبر العصور مع محيطه وبيئته خاصة في الفترة العثمانية.

لقد استفادت الجزائر من هذا التنوع في الكم من المنشآت الدينية المتمثلة في المساجد والجوامع والأضرحة والزوايا أثناء الحكم العثماني الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، حيث لبست الجزائر حلة معمارية جديدة تتمثل في الزوايا التي كانت تحظى باهتمام الحكام وكبار التجار والطبقة الغنية فخصصوا أموالاً طائلة لإنشائها.

ويعود انتشار الزوايا في الفضاء الإسلامي إلى العهود الأولى، لانتشار الإسلام والملاحظ أنها أصبحت أكثر انتشاراً في العهد العثماني وذلك راجع إلى طبيعة الحكم العثماني حيث إنّ سياسة العثمانيين كانت تشجع ظهور الزوايا ما لكم تكن ضد سياستها.

- أسباب اختيار الموضوع:

يرتكز السبب الرئيسي في اختيار هذا الموضوع من الدراسات، هو اهتمامنا في دراسة العمارة الدينية العثمانية والتي تتمثل في الزوايا لإبراز مكانتها ودورها في المجال التاريخي والأثري، وكذا فك الكثير من العبارات المستعملة منها عبارة "الزاوية والضريح" حيث إن الزوايا قد تشتمل أحياناً على ضريح كزاوية سيدي محمد شريف الزهار أو زاوية سيدي الجودي، أو زاوية سيدي أحمد بن يوسف، وقد لا تشتمل عليه كزاوية القشاش أو زاوية سيدي القاضي، ووجدنا في بعض الأحيان عبارة "ضريح" والمنشأ الديني زاوية ممّا يدل على وجود خلط في ذكر المصطلحات.

ومن الأسباب الدافعة لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

- قلة الدراسات الأكاديمية حول الزوايا شاملة كل القطر الوطني إن لم تكن شبه منعدمة، ممّا دفعني إلى إلقاء الضوء عليها والتعريف بها لدى الأوساط المختصة والمهتمة سواء كانوا أثريين أو معماريين أو علماء اجتماع.
- النقص الذي تعانيه المكتبة بالجزائر في مجال دراسة الزوايا الذي وجهني لطريقة دراستي للمنشآت الدينية.
- بعض الزوايا تعاني من الإهمال في بعض المدن من طرف الباحثين وكذا المحافظين، رغم التفاتة بعض الجهات المختصة إليها في الآونة الأخيرة.
- لهذه الأسباب مجتمعة تحدد اختياري لهذا الموضوع في محاولة مني إضافة جديدة إلى رصيد فن العمارة الدينية في الجزائر.
- والهدف الأساسي من هذه الدراسة هو الإسهام من أجل الحفاظ على هذا التراث الحضاري والتعريف به وإخراجه من طي النسيان والإهمال في بعض الأحيان.

- إشكالية البحث:

- وقد بنينا بحثنا على مجموعة من التساؤلات التي يحصر مجملها إشكالية البحث والمتمثلة فيما يلي:
- هل تعكس المنشآت المعمارية العثمانية " الزوايا " بالجزائر حقيقة الدور الحضاري الذي لعبته، والمكانة التي احتلتها طيلة ثلاثة قرون من الزمن ؟.
- إلى أي فترة زمنية محددة أو تاريخ معين يمكن نسبة هذه الزوايا ؟ وإلى أي أسلوب أو طراز من المنشآت يمكن تصنيفها ؟.
- كيف اشتهرت بعض الزوايا دون الأخرى، وهل حافظت المنشآت المعمارية العثمانية " الزوايا " والتي ما زالت قائمة، على تصاميمها كاملة، وعلى عناصرها المعمارية والزخرفية ؟
- هل حافظ العثمانيون على الطراز التقليدي المغربي، وأنها استعملت طرازها العثماني المسمّى بالطراز الوافد، وماهي خصائص هذا الطراز ؟ .

- هل ساهم الوقف على الزوايا في صيانتها والحفاظ عليها، وهل كانت للزوايا موارد مالية من غير أملاك الوقف؟ وماهي الزوايا التي نالت حظها من الوقف، وفئات المجتمع التي أوقفت على الزوايا؟.

يتناول موضوع البحث دراسة زوايا الجزائر خلال العهد العثماني من الجانب التاريخي والأثري والمعماري والفني، مع تشخيص المظاهر المختلفة لجوانبه، ويقوم البحث على دراسة النماذج المختلفة في الزمان والمكان، ففي الزمان نقوم بدراسة تاريخ يمتد من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري/السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، أما في المكان فإنّ الدراسة تمس المناطق الشمالية منها زوايا مدينة الجزائر، وهي زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد شريف، وزاوية سيدي محمد، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، وزاوية باش تارزي بقسنطينة وفي المناطق الجنوبية للوطن، نجد زوايان ببسكرة، زاوية الشيخ أحمد المختار المعروفة بالزاوية المختارية بأولاد جلال، وزاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة المعروفة بالزاوية العثمانية، وزاوية عين ماضي بالأغواط، وزاوية تماسين بتقرت، وزاويتان بوادي سوف وهما: زاوية قمار وزاوية سيدي سالم، وزاوية بوسمغون بالبيض.

إن اهتمام الباحثين بالمباني الدينية في الجزائر هو اهتمام حديث النشأة حيث لم تكن بالدراسة والبحث بنفس العناية والاهتمام اللذين حظيت بهما في بقية البلدان العربية والإسلامية وخاصة في أقطار المشرق الإسلامي.

رغم هذا، فقد سال قلم بعض المستشرقين الفرنسيين تجاه ما يسمى بالفن الإسلامي والعمارة في بلادنا، حيث تحوّل اهتمام بعضهم إلى هذه المواضيع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وهذا من خلال بعض الإشارات الخفيفة في معرض دراستهم لبعض التحف الأثرية والمباني المعمارية.

ونلاحظ أنّ نظرة الغربيين لظاهرة الأولياء والزوايا لم تخرج عن نطاق نظرتهم للجزائر، حيث عادة ما نجدهم يستهزئون بهؤلاء الأولياء الذين كانوا يطلقون عليهم اسم المرابطين Marabout، وينعتونهم بأقبح الصفات، وعلى الرغم من النظرة الضيقة لهاته المصادر

والمراجع إلا أننا استفدنا منها كثيرا لأنها كتابات اعتمدت على المشاهدة نظرا لأن أصحابها عاشوا بعض الوقت في الجزائر.

وعلى الرغم من أنها كتبت من طرف هواة من عسكريين وإداريين إلا أن ما كتبوه له أهمية كبيرة لوقوع الكثير من الوثائق العثمانية بين أيديهم جعل من كتاباتهم مصدرا لا غنى عنه في كتابة التاريخ الجزائري في العهد العثماني.

ومن أهم من كتب عن الجزائر في العهد العثماني، ومن الباحثين الذين تطرقوا لهذا الموضوع، الأستاذ الباحث السيد دوفو Albert Devoulx الذي اهتم بنشر مجموعة الكتابات العربية والعثمانية الموجودة بمتحف الآثار في المجلة الإفريقية في سلسلة مقالات عنوانها *Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger* وله مؤلف حول المباني الدينية بمدينة الجزائر في العهد العثماني *Les édifices religieux de l'ancien Alger* إنطلاقا من الوثائق، فهي دراسة متكاملة، حيث حاول إحصاء كل المؤسسات الدينية من مساجد وأضرحة وزوايا، كما حاول إعطاء تاريخ بنائها أو على الأقل ظهورها وهو العمل الذي اعتمد عليه الأستاذ أوميرا Aumerat في كتابه « *La propriété urbaine à Alger* » وكلاين Klein في كتابه " *ورقات الجزائر* " « *Les feuillets Del-djazair* » ويأتي الجنرال دوماس Daumas في كتابه *صحراء الجزائر*، ليتكلم عن القصور الصحراوية كتجمع سكاني وما تحتويها من عمارة دينية ولكن دون الغوص في التفاصيل، كما تخصصت بعض الكتب في تناول ظاهرة الأولياء والمرابطين عموما والزوايا مثل كتاب لويس رين Louis Rinn وعنوانه *Marabouts et Khouans* بالإضافة إلى كتاب درمنغهام Dermenghem في كتابه *Le culte des saints l'islam maghrébin* ، وكذلك الأستاذان ديبون أوكتاف وكبولاني كزافيي Depont Octave et Coppolani Xavier في كتاب *Les Confrérie religieuses musulmanes* في سنة 1897م، وهناك مستشرقون آخرون تناولوا هذا الموضوع من زاوية أخرى وذلك بالاعتماد على المباني العثمانية، من أبرز هؤلاء الأستاذ جورج مارسيه George Marçais حيث قدّم خدمات جليلة للآثار في بلادنا تعكسه المؤلفات

الضخمة والعديدة لهذا المستشرق، تطرق من خلالها إلى نواحي عديدة من الفن والعمارة الإسلامية، ومن مؤلفاته كتاب بعنوان *L'architecture musulmane d'Occident* الذي ألفه سنة 1954.

وعلى كثرة أعمال المستشرقين الذين ذكرنا بعضهم، نذكر الدراسات الجزائرية لكتاب نور الدين عبد القادر الذي له أهمية كبيرة فيما يخص الموضوع لاعتماده على مخطوط مفقود لابن المفتي، كما خصص أبو القاسم سعد الله حيزا هاما للأضرحة والزوايا في مدينة الجزائر في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، ومختار فيلالي في نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأشهرها في الجزائر خلال العهد العثماني، وعبد القادر مفتاح في كتابه " أضواء على الشيخ أحمد التيجاني"، ومحمد نسيب الذي أحصى عدد الزوايا في كتابه " زوايا العلم والقرآن في الجزائر"، وناصر الدين سعيدوني، وعائشة غطاس، ومصطفى بن حموش في كتابه " مساجد مدينة الجزائر، زواياها وأضرحتها في العهد العثماني"، ويجب ذكر رسالة الدكتوراه دولة للأستاذة الدكتورة " بن بلة خيرة " عنوانها " المنشآت الدينية بالجزائر في العهد العثماني"، والتي اعتمدت على المساجد والجوامع بدراسة متكاملة وشاملة، كما خصصت بعض العنابر الدينية بالدراسة، منها زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي محمد. والدراسة التي قام بها ياسين بودريعة في الماجستير تخصص تاريخ حديث حول " أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال وثائق المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك".

وقد اعتمدنا في الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي وذلك من حيث عرض المعلومات التاريخية المتعلقة بالتصوف والطرق الصوفية، والوصف المعماري للزوايا، مع التشخيص الدقيق للمظاهر المعمارية والفنية للزوايا الموجودة في المناطق الشمالية والزوايا الموجودة في المناطق الجنوبية الصحراوية. كما اعتمدنا في البحث على جانبين مهمين:

- الجانب النظري:

جمع كل المعارف العلمية والتاريخية من أوعيتها المختلفة، المرتبطة بموضوع الدراسة من خلال المصادر والمراجع والتي تنطرق للفترة التي تعود إليها موضع الزاوية دون أن ننسى الاطلاع على الدراسات الحديثة والمحاضرات والمقالات التي تطرقت إلى الموضوع من قريب أو من بعيد إلى جانب الرسائل الجامعية .

- الجانب التطبيقي:

قمنا بزيارة ميدانية لجملة من العماير والمتمثلة في اثنا عشرة زاوية من مساجد وأضرحة وصحون وساحات عامة وما تحتويه من عناصر معمارية وزخرفة فنية، قمنا برفع المقاسات والصور الفوتوغرافية الرقمية الملونة وتسجيل الملاحظات مع أخذ المخططات وحمل التفريغات.

- خطة البحث:

قسمنا البحث إلى دراسة تمهيدية وخمسة فصول، تناولت في الدراسة التمهيدية الإطار الجغرافي والتاريخي للموضوع، من حيث أصل الدولة العثمانية، وكيفية تواجد العثمانيين بالجزائر، مع إعطاء فكرة عن موقع وتاريخ والنسيج العمراني للمدن موضوع الدراسة منها: مدينة الجزائر، مدينة مليانة، مدينة قسنطينة، مدينة طولقة ومدينة أولاد جلال، مدينة عين ماضي، مدينة تماسين، مدينة قمار ومدينة وادي سوف، ومدينة بوسمغون.

والفصل الأول قسمناه إلى محورين:

1. المحور الأول تحدثنا فيه عن الحركة الصوفية من حيث مفهومها، وعوامل نشأتها وتطورها في المشرق والمغرب الإسلاميين، والحضور الصوفي في الجزائر خلال العهد العثماني.

2. بينما المحور الثاني فقد تحدثنا فيه عن الطرق الصوفية من حيث مفهومها أيضا والظروف والعوامل التي ساعدت على نشأتها وانتشارها في الجزائر، والتعريف بأهم الطرق الصوفية في الجزائر منها: الطريقة الرحمانية والتيجانية والزروقية واليوسفية.

تتاولنا في الفصل الثاني مفهوم الزاوية ونشأتها وتطورها وأنواعها ومهامها وهيكلها التنظيمي السياسي الديني والتعليمي، مع بيان أوقافها.

أمّا الفصل الثالث، فقد خصص للدراسة التاريخية لكل زاوية، من جهة موقعها وتاريخ بنائها، وصاحب البناء، وأوقافها من خلال وثائق التحيس المحفوظة في سلسلة المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك.

وخصّص الفصل الرابع، للنظام المعماري للزوايا، وبه محوران:

المحور الأول تتاولنا فيه تحليل معماري لزوايا الجزائر خلال العهد العثماني، وهي دراسة تحليلية لهذه المخططات.

بينما المحور الثاني من الفصل الرابع، فقد بيّنا فيه الوحدات والعناصر المعمارية من حيث التعريف والأصل والأنواع، ثمّ التطرق إلى الدراسة الوصفية للعنصر بذاته في الزوايا موضوع الدراسة، هذه العناصر متمثلة في المداخل، والأروقة، والصحون، والمحاريب والمآذن، والأعمدة والعقود، والقباب.

وفي الفصل الخامس تطرقنا إلى الدراسة التقنية والفنية، وقسمناه إلى محورين:

1. المحور الأول، خصّص للدراسة التقنية من خلال مواد البناء كالحجارة، والطين والملاط، والآجر، والقرميد، وجذوع النخيل، وكذلك تقنيات استعمالها، ومدى تماشيها مع الإمكانيات المتاحة.

2. أمّا المحور الثاني، فخصّص للصناعات الفنية المستعملة في زخرفة الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، وهي: صناعة الجص، والرّخام، والخشب، والمعادن، وصناعة الخزف خاصة البلاطات الخزفية، مع إدراج المجالات التي استخدمت فيها كل صناعة بمجموعة الزوايا. كما تطرقنا في نفس المحور للدراسة التحليلية للعناصر الزخرفية، وتناولنا فيه العناصر الزخرفية من نباتية، وهندسية، وكتابية، ورمزية.

واختتمنا الرسالة بخاتمة حوصلنا فيها كل نتائج الدراسة، كما تمّ تدعيم هذا البحث بمجموعة من الخرائط والوثائق الأرشيفية والمخططات والأشكال والصور التوضيحية.

الدراسة التمهيدية

الإطار الجغرافي والتاريخي

1. أصل الدولة العثمانية.
2. التواجد العثماني بالجزائر.
3. تاريخ وعمران مدن موضوع الدراسة.

1. أصل الدولة العثمانية :

ينسب العثمانيون إلى قبيلة تركمانية¹ كانت عند بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تعيش في كردستان، وتزاول حرفة الرعي، ونتيجة للغزو المغولي بقيادة جنكيزخان على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى، فإنّ سليمان جد عثمان هاجر في عام 617هـ/1220م مع قبيلته من كردستان إلى بلاد الأناطول واستقر في مدينة أخلاط²، ثمّ بعد وفاته في عام 628هـ/1230م خلفه ابنه الأوسط أرطغرل، والذي واصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناطول، وكان معه قرابة مائة أسرة وأكثر من أربعمئة فارس، وحين كان والد عثمان فارا بعشيرته من ويلات الهجمة المغولية، فإذا به يسمع عن بعد ضوضاء، فلما دنا منها وجد قتالا حاميا بين المسلمين والنصارى وكانت كفة الغلبة للجيش البيزنطي، فما كان من أرطغرول إلاّ أن تقدم بكل حماس وثبات لنجدة إخوانه في الدين والعقيدة، فكان ذلك التقدم سببا في انتصار المسلمين على النصارى، وبعد انتهاء المعركة قدر قائد الجيش الإسلامي السلجوقي هذا الموقف لأرطغرول ومجموعته، فأقطعهم أرضا في الحدود الغربية للأناطول بجوار الثغور في الروم، وأتاحوا لهم بذلك فرصة توسيعها على حساب الروم³.

وحقق السلاجقة بذلك حليفا قويا ومشاركا في الجهاد ضد الروم، وقد قامت بين هذه الدولة الناشئة وبين سلاجقة الروم علاقة حميمة نتيجة وجود عدو مشترك لهم في العقيدة والدين.

¹ في منطقة ما وراء النهر والتي نساميها اليوم تركستان، والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقا إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غربا، ومن السهول السيبيرية شمالا إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوبا، استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك أو الأتراك.

² أخلاط مدينة في شرق تركيا الحالية قريبة من بحيرة آن في أرمينيا.

³ محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، شركة أبناء شريف الأنصاري بيروت، 2007، ص 28.

وقد استمرت هذه العلاقة طيلة حياة أرطغول، فلمّا توفي سنة 699هـ/1299م، خلفه من بعده في الحكم ابنه عثمان¹ الذي سار على سياسة أبيه السابقة في التّوسع في أراضي الرّوم².

وفي عام 700هـ/1300م أغار المغول على بلاد آسيا الصغرى، فانتهاز عثمان الفرصة ولقّب نفسه (باديشاه آل عثمان) وجعل مقر ملكه مدينة يكي شهر، ثمّ أخذ في توسيع رقعة ملكه، بعد أن تمكن من إخضاع باقي القبائل التركية الأخرى، الموجودة في آسيا الصغرى، وعلى هذا يمكن اعتبار عام 1300م عام تأسيس دولة بني عثمان، هذه الدولة التي اتخذت من مدينة بروسة عاصمة لها في عام 729هـ/1329م.

وقد خلف أوخان أباه عثمان في الحكم، وحارب البيزنطيين عبر الدردنيل في أوروبا واستولى سنة 1355م على مدينة أدرنة وجعلها عاصمة ملكه³.

وعلى الرغم من الحياة الحافلة بالمغامرات التي عاشها السلطان بايزيد الأول العثماني، الملقب بالصاعقة، فقد وقع أسيرا في يد تيمورلنك في موقعة أنقرة سنة 1402م كما فقدت الدولة العثمانية كثيرا من أملاكها، ولكن ابنه محمد الأول، الملقب بالفاتح استطاع أن يسترجع أملاك العثمانيين وأن يحرز كثيرا من الانتصارات، وفي سنة 1453 تمكن من الاستلاء على القسطنطينية وبذلك سقطت جميع أملاك الدولة البيزنطية التي ظلت قائمة

¹ في عام 656هـ/1258م ولد لأرطغول ابنه عثمان الذي تنتسب إليه الدولة العثمانية، وهي السنة التي غزا فيها المغول بقيادة هلاكو عاصمة الخلافة، وكانت الأحداث عظيمة، والمصائب جسيمة.

² أسس السلاجقة دولة تركية كبرى ظهرت في القرن الخامس للهجرة الحادي عشر الميلادي، لتشمل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى، وكانت الري في إيران ثمّ بغداد في العراق مقر السلطنة السلجوقية، بينما قامت دويلات سلجوقية في خراسان وما وراء النهر (كرمان)، وبلاد الشام (سلاجقة الشام) وآسيا الصغرى سلاجقة الروم، وكانت تتبع السلطان السلجوقي في إيران والعراق.

وقد ساند السلاجقة الخلافة العباسية في بغداد ونصروا مذهبها السنّي بعد أن أوشكت على الانهيار بين النفوذ البويهي الشيعي في إيران والعراق، والنفوذ العبيدي (الفاطمي) في مصر والشام، فقضى السلاجقة على النفوذ البويهي تماما وتصدوا للخلافة العبيدية (الفاطمية). وانظر أيضا: محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 44.

³ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 44.

قرونا من الزمان، فأصبحت اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية، التي امتدت نفوذها في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي من جنوب شرق أوروبا إلى الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط¹.

2. التواجد العثماني بالجزائر:

شهد القرن 10هـ/16م صراعا مريرا بين الدولة العثمانية والغرب المسيحي، هدد العثمانيون فيها أوروبا الشرقية ووصلوا إلى أبواب فيينا، وإذا كان الإسلام قد ربح مواقع جديدة في شرق أوروبا، فإنه بالمقابل خسر موقعه في الأندلس بسقوط دولة بني النصر سنة 898هـ/1492م أمام ضربات النصارى الإسبان وحرب الاسترداد التي امتدوا معها للاستيلاء على سواحل بلاد المغرب الإسلامي فاستولوا على مدينة هنين ووهران في الغرب الجزائري، وحصن البنيون بالجزائر، وبجاية وجيجل بالشرق الجزائري، وهو ما أذكى روح الجهاد بين مسلمي المغرب، وخاصة سكان الجزائر، وعندما أحسوا بعجزهم عن مواجهة الإسبان، طلبوا الانضواء تحت راية الدولة العثمانية رغبة في مساعدتها العسكرية والمالية، فتم ذلك وتلقوا تلك المساعدة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الدولة الزيانية قد أصابها وهن سياسي وضعف اقتصادي نتيجة الصراعات السياسية والعسكرية الداخلية والخارجية، أما الصراعات الخارجية فتتمثل في صراعها مع الدولة المرينية بالمغرب الأقصى التي احتلت تلمسان والمغرب الأوسط مرات عديدة قبل نهاية القرن 8هـ/14م². وأما الصراعات الداخلية فتتمثل في الصراع على الحكم واهتمامهم وانشغالهم بأنفسهم ومصالحهم الخاصة على حساب العمل الحضاري ومصالح الأمة، ولتأمين مداخيل خزينتهم فرضوا ضرائب غير شرعية، مما أدى

¹ سعاد ماهر محمد، الخزف التركي، القاهرة، 1977، ص 6 ، 7.

² شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص 324.

إلى نقمة السكان وحقدهم عليهم، والعمل على مواجهتهم، فكثرت الفتن الداخلية وانعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، وقلت موارد الدولة، واكتفى الناس بالضروريات¹. من أجل هذا كله، قام أهالي البلاد في جيجل وبجاية ومختلف المدن الجزائرية بالاستجداد بالدولة العثمانية، والممثلة في الأخوين عروج وخير الدين، وكانا يعملان في مواجهة القرصنة المسيحية الأوربية في البحر الأبيض المتوسط، وكانت شهرة الأخوين قد بلغت أسماع المغاربة، وترددت انتصاراتهم على الأساطيل المسيحية بينهم، فأقبلا إلى المغرب الأوسط، وتمكنا بفضل اجتماع الناس حولهما وتطوعهم إلى الجهاد إلى جانبهما من مواجهة الإسبان ودحرهم في معارك عديدة، وحروب طاحنة وتضحيات كبيرة بالأرواح والأموال، قتل فيها كثير من الجزائريين مع كثير من مرافقي عروج وخير الدين وفي مقدمتهم عروج وأخيه إلياس².

وقد اعترضت خير الدين بعد مقتل أخيه عروج مشاكل سياسية كثيرة، لم يكن يملك معها من القوة والقدرة والكفاءة ما يواجهها به، خصوصا أن بعض أصدقاء الأمس تحولوا إلى أعداء كسليم التومي حاكم جزائر بني مزغنة، ولم يستطع خير الدين الانسحاب من الميدان أمام رغبة الشعب في الجهاد، وإلحاح العلماء والفقهاء على ضرورة البقاء وجمع الصفوف لمداغة الإسبان ومساعدة مسلمي الأندلس لا على مواجهة الإسبان وحربهم فقط، فتم إلحاق الجزائر بركب الدولة العثمانية رغبة وطواعية، والتخلص نهائيا من الإسبان وبقايا حكام الدولة الزيانية، وبالتالي إلحاق الجزائر بالباب العالي في حدود سنة 925هـ/1519م، وتلقت الجزائر بالفعل معونات عسكرية ومالية، وظلت تتلاقها مدة طويلة باعتبارها المركز

¹ مولاي بلحميسي، "نهاية الدولة الزيانية"، مجلة الأصاله، العدد 26، الجزائر، 1975، ص 127.

² عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 35، 36.

الإسلامي الذي يجسد ثغر المغرب الإسلامي وحد الدولة العثمانية في مواجهة أوربا المسيحية غرباً¹.

3. تاريخ وعمران مدن موضوع الدراسة:

1.3. مدينة الجزائر:

▪ الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة الجزائر:

تقع مدينة الجزائر على خط عرض 36.47° شمالاً وخط طول 3.03° إلى الشرق من خط غرينيتش².

يمتد إقليم مدينة الجزائر من دلس شرقاً إلى شرشال غرباً، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الأطلس البلدي جنوباً، ومن الشرق وادي الحراش، ومن الغرب وادي زعفران، وتحتل المدينة النهاية الشرقية لجبل بوزريعة وهو جبل ينتهي بعدة نتوءات منها ثلاث رئيسية، فالنتوء الأول يقع على ارتفاع 240م على مستوى سطح البحر ويحمل حي الأبيار، والبروز الثاني يرتفع إلى 216م بني عليه حصن الإمبراطور، والنتوء الثالث يعلو 120م ويبدو كمدرج المنحدر نحو الحي البحري أسست عليه القصب³، كما تضم المدينة سهل متيجة الذي يعتبر مصدر الثروة الزراعية والحيوانية، وتتمتع مدينة الجزائر بمناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل، ونظراً لهذا الموقع الطبيعي الحصين والمناخ المعتدل، ظهرت المدينة منذ أقدم العصور⁴.

¹ مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص28.

² Shaw(T.), Voyage dans la régence d'Alger, Paris, p.288

³ عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، الجزائر، 1972، ص91.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ط2، الجزائر، 1985، ص29.

■ لمحة تاريخية عن مدينة الجزائر:

يرجع تأسيس مدينة الجزائر إلى الفينيقيين، حيث أطلقوا عليها اسم "إيكوسيم"¹ "Icosim" والأدلة الجغرافية تبين أنّ مدينة الجزائر تقع على نقطة الوسط للمسافة البحرية الفاصلة بين تامنفوست وتيبازة (محطتان فينيقيتان) باتفاق الأثريين، وهي حوالي ثمانين كيلومترا، لذلك اختار الفينيقيون موقعا مسطحا يقع بين المحطتين السابقتين تتوفر فيه الشروط الطبيعية لتأسيس محطة تجارية ملائمة لإرساء مراكبهم البحرية، وهو موضع توجد به أربعة جزر في شكل حرف ألف الممدودة، تحمي السفن من حركات الأمواج والميناء يلاعم الرّسو²، أمّا الأدلة الأثرية، فقد أجريت أبحاث كثيرة عن آثار مدينة الجزائر القديمة، وهي أبحاث نشّطت في فترة الاحتلال الفرنسي، حيث خرج منهم الباحثين بنتائج تؤكد أنّ مدينة الجزائر بنيت في العهد الفينيقي بها آثارا فينيقية، منها التماثيل والأضرحة والأواني الفخارية والنقود، حيث اكتشف سنة 1940م كنز نقدي فنيقي في حي البحرية، وهو عبارة عن 158 قطعة نقدية معدنية، جلّها من الرّصاص وأقلّها من البرونز سكّت بين القرن الثاني والأول قبل الميلاد³، وكان استقرار الفينيقيين في المدينة في الفترة التي تشكّلت فيها الممالك النوميدية، قبل حكم يوبا الثاني⁴، وذلك حسب الحروف التي نقشّت على النقود⁵.

¹ هي كلمة بونية الأصل، أي فينيقية، وتتألف من كلمتين هما، "ا" ومعناها جزيرة، و "Cosim" ومعناها الشوك وقيل الطيور التي تعيش في الأطلال مثل البوم، ويرى البعض أنّ كلمة كوسيم معناها دجاج البحر، وعلى هذا يكون معنى الكلمة الفينيقية إيكوسيم: جزيرة دجاج البحر، وهو الأقرب إلى الصواب.

² عبد القادر حليمي، "أصول النشأة لمدينة الجزائر"، مجلة الأصالّة، العدد 8، الجزائر، 1972م، ص14.

³ Le Glay (M.) « A la recherche d'Icosium », IN. *Antiquités Africaines*, T.2, Alger, 1968, p.08

⁴ هو ملك أمازيغي، ابن يوبا الأول، ولد حوالي 52 ق.م، حكم من عاصمته شرشال (إيول القيصرية) مملكة موريطانية القيصرية، التي تبدأ من المغرب الأقصى الحالي مرورا بكل شمال الجزائر إلى تونس، وما يلاحظ على شخصية يوبا الثاني أنّها شخصية متميزة بموسوعيتها الفكرية والثقافية، وذات خبرة في مجال السياسة والتدبير الإداري.

⁵ عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص184.

واحتلت المدينة من طرف الرومان، وأطلقوا عليها اسم " ايكوزيوم"¹ "Icosium فكانت مدينة لاتينية أيام الإمبراطور الروماني فيسباسيان² (69ق.م/79م)، وقد وقعت تحت وصاية يوبا الثاني ملك موريطانيا الذي كان يقطن مدينة شرشال (25ق.م/23م)، ثم خضعت للأمير المحلي فيرموس سنة (371م-372م)، بعد أن ثار على روما. ثم استعادها القائد تيودوز³ سنة 373م واستولى على كل الغنائم التي جمعها فيرموس⁴. كما تجدر بنا الإشارة إلى أنّ أهم مصدر موثّق تاريخي تحدث عن وجود مدينة رومانية هو الرحالة العربي أبي عبيد البكري، الذي وصف بقايا كنيسة عظيمة ومسرح مزخرف بمكان المسجد الكبير، فيقول: "...وكانت بمدينة بني مزغنة كنيسة عظيمة بقي منها سوى جدار مدير من الشرق إلى الغرب...."⁵.

بينما اعتمد " دوفو" على الحفريات التي أقيمت في الفترة الاستعمارية واعتبرها كدليل للوجود الروماني في المدينة، وتتمثل في أعمدة وتيجان وأطلال لمباني مندثرة تحت الرّكام ولوحات وأواني للاستعمال اليومي وقطع نقدية⁶.

¹ هي كلمة يونانية مركبة من ايكوسي ومعناها عشرون، أي الذين أسسوها كانوا عشرون نفرا من اليونانيين

² هو حاكم روماني، حكم الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول بعد الميلاد، من 69 و 79. وهو الذي أمر ببناء المدرج الكولوسيوم Le Colisee الذي يعد أهم المعالم الأثرية في إيطاليا.

³ تيودوز Theodose هو قائد روماني، قام بإنزال قواته بميناء جيجل لمواجهة التمرد والانتفاضة الشعبية بقيادة فيرموس.

⁴ ولد فيرموس الأمازيغي في شمال إفريقيا وبالضبط في نوميديا (الجزائر)، وهو ابن رجل موري أفريقي مسيحي اسمه نوبيل، كان قائدا شجاعا، احتك كثيرا بالجيش الروماني، أعلن الحرب ضد الرومان سنة 372م، فكانت ثورة اجتماعية قوية تحررية، إذ كانت زعامتها وقاعدتها أمازغية. وتعني كلمة فيرموس بالابطالية القوي الشجاع.

⁵ عبيد الله البكري، كتاب المغرب في نكر بلاد إفريقيا والمغرب، المأخوذ من كتاب المسالك والممالك، عمان، ص99.

⁶ Devoulx (A), « Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger », IN. *Revue Africaine*, 1867, Alger, p.289.

من خلال التنقيبات والآثار، كانت مدينة ايكوزيوم تمتد نحو الشمال إلى غاية باب الوادي وجنوبا إلى الأرض الممتدة على شارع باب عزون (بورسعيد حاليا)¹.

احتلت المدينة في القرن الخامس الميلادي، في سنة 429م من طرف الوندال بعدما تمكنوا من الاستلاء على روما، ومهاجمة أرض المغرب بقيادة الملك " جنسريق "، لكن حكم الوندال لم يدم إلا قرنا واحدا من الزمن، وبعدها استرجع البيزنطيون المنطقة وكان ذلك في القرن السادس الميلادي، حتى دخلها المسلمون².

ظل تاريخ مدينة الجزائر منذ الفتح الإسلامي غامضا، ولا تتوفر لدينا أية معلومات خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، حين زارها اليعقوبي سنة 265 هـ / 878 م وكانت الرحلة تشمل بلاد الأدارسة و العلويين والرستميين أي فترة استقلال المغرب عن الخلافة، وذكر جل المغرب تقريبا ضمن كتابه: وصف إفريقيا الشمالية المأخوذ من كتاب البلدان، حيث وصفها وذكر مسالكها التي تؤدي إلى السودان، فكان كتابه تقريرا سياسيا وتجاريا أكثر منه تاريخيا، ذكر متيجة كأحدى الإمارات العلوية التي تخضع لبني محمد بن جعفر بن الحسن بن الحسين العلوي فرع من الأدارسة الذين حكموا المغرب ما بين 149-297هـ/800 - 909م، حيث قال " أنها بلد واسع، به سهول كثيرة وعدة مدن، تعرف بقزرونة³ وقبائله من صنهاجة من البرانس مستقرين في معظم هذه المدن وأنهم أصحاب عمارة وزرع وضرع وتحت نفوذ إمارة عربية " ⁴.

1 Devoulx (A), Op.Cit, p.385.

2 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص14.

3 مدينة تقع في ولاية البليدة، وتسمى حاليا بـ " خزرونة ".

4 أحمد بن يعقوب بن واضح يعقوب ي، وصف إفريقيا الشمالية من كتاب البلدان، ط 2، لندن، 1892، ص14.

وذكرها ابن الخطيب كذلك سنة 327هـ/938م فقال: " قدمت رسل العدو الغربية من زناتة والأدارسة والقيروان وجزائر بني مزغنة وملك القسطنطينية العظمى إلى الناصر الأموي الأندلسي راغبين منه في إيقاع المؤالفة " ¹.

ويعتبر هذا النص أول وثيقة تذكر بني مزغنة، ولما تأسست الدولة الفاطمية في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي 296هـ/868م، بدأ التفكير في تأسيس المدن وتجديدها، وكان عاملهم آنذاك على الجبهة الغربية هو زيري بن مناد الصنهاجي فأسس مدينة أشير في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ثم أذن لولده وولي عهده بلكين² بن زيري بن مناد الصنهاجي أن يؤسس المدن الثلاث، الجزائر، المدية ومليانة، وأسس مدينة الجزائر سنة 339هـ/948م³، كما يذكر ابن خلدون مدينة الجزائر بقوله: " ثم اختط ابنه (أي ابن زيري بن مناد)، بلكين وعلى عهد مدينة الجزائر المنسوبة إلى بني مزغنة في ساحل البحر " ⁴.

وفي سنة 378 هـ/985م زارها المقدسي ووصفها في كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " واصفا نقله عن ابن الحوقل مضيفا فقط، أن المدينة أصبحت مسلكا إلى الأندلس في قوله: " ... يعبر منها الى الأندلس ... " ⁵.

¹ لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا أو كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفسال، بيروت، 1956 ص37.

² بلكين هو بن زيري بن مناد من أشهر أمراء صنهاجة في خدمة الفاطميين، قضى حياته كلها في محاربة زناتة بالمغرب الأوسط، إستولى على المسيلة والزاب كما استولى على فاس وسجلماسة وهزم برغواتة، توفي سنة 373هـ/984م. أنظر: مولاي بلحميسي، " مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية "، مجلة الأصالة، العدد8، 1972، الجزائر، ص76.

³ رابح بونار، " مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية "، مجلة الأصالة، العدد8، الجزائر، 1972، ص106.

⁴ عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عاصرتهم من نوي السلطان الأكبر، ج6، بيروت، 1992، ص181.

⁵ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، لندن، 1906، ص228.

أما آثار الدولة الزييرية في مدينة الجزائر، فتتمثل في جامع سيدي رمضان الواقع في أعلى القسبة.

وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، أصبحت مدينة الجزائر تابعة لبني حماد بعد تأسيس دولتهم سنة 408هـ/1017م، حيث يصفها البكري سنة 461هـ/1068م في كتابه " المغرب في ذكر إفريقيا و المغرب و هو جزء من كتاب المعروف المسالك والممالك " إضافة إلى ملاحظاته عن التقارير السياسية التي كتبت عن طريق ملاحظات وأقوال المسافرين والتجار الذين زاروا المغرب سنة 461 هـ/1068م، فيقول " مدينة قديمة البنيان بها أزاج محكمة ولها دار ملعب وأسواق ومسجد جامع وكنيسة بقي منها جدار، مرساها مأمون له عين عذبة، يقصد إليه أهل السفن من إفريقية والأندلس وغيرها " ¹. أصبحت مدينة الجزائر في نفس القرن، تحت إمارة المرابطين، بقيادة يوسف بن تاشفين فاستولى عليها سنة 474هـ/1082م، وأسس المسجد الكبير، الواقع عند باب حي البحرية. وفي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وبالضبط في سنة 547هـ/1152م تمكن عبد المؤمن بن علي من تأسيس الدولة الموحدية، فأخذ يسير في فتح المغرب الأقصى والأوسط، حتى تمكن من الاستلاء على مدن عديدة منها قلعة بني حماد، قسنطينة، بجاية، ومدينة الجزائر، وبهذا تم القضاء على الدولة المرابطية سنة 551هـ/1156م، ثم أصبح كل المغرب الأوسط بسلطة الموحدين ².

أما ابن الأبار فقد ذكر مدينة الجزائر في هذا القرن، في كتابه " كتاب التكملة لكتاب الصلة " حين يذكر ابن خميس الأزدي البلنسي الشاعر والفقير، الذي توفي بمدينة الجزائر وذكر أيضا عنصرا عمرانيا في تكوين المدينة وأحد أبوابها الذي يسمى باب الفخارين، حيث قال: " الشاعر البلنسي والكاتب والأديب والفقير أحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية ابن

¹ عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 66.

² عبد الحميد حاجيات، تاريخ الجزائر السياسي في العهد الموحد، ضمن مجموعة الجزائر في التاريخ، ج3، الجزائر 1984، ص305-307.

نصرون من أهل بلنسية ويكنى بأبي جعفر أنه توفي بمدينة الجزائر (عمالة الجزائر) سنة 548هـ/1154م ودفن بباب الفخارين على ساحل البحر"¹.

وزارها الإدريسي في نفس القرن وهو جغرافي ورحالة مغربي عاش في الأندلس بل نشأ في بلاط روجي الصقلي، فاشتهر في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " بما قاله البكري في قوله " جزائر بني مزغنة عامرة أهلة وتجارها مربحة وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة و لهم من العسل والسمن في بلادهم كثير و ربما يتجهز بهما إلى سائر البلاد و الأقطار المجاورة و المتباعدة عنهم "².

وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي زارها العبدري سنة 688هـ/ 1289م وهو رحالة وجغرافي مغربي ويذكر في كتابه المشهور " الرحلة المغربية " مزاياها الطبيعية التي تتسم بها لتصبح مدينة مهمة وعظيمة، واصفا إياها بقوله " تستوقف بحسنا ناظر الناظر ويقف على جمالها خاطر الخاطر، قد حازت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق وسور معجز وثيق وأبواب محكمة العمل، يسرح فيها الطرف حتى يمل "³.

¹ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار ، كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: ابن شنب، ط2، الجزائر 1919، ص72.

² أبو عبد الله شريف الإدريسي ، وصف افريقية الشمالية و الصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المطبوعة الرسمية، الجزائر، 1957، ص12.

³ البلنسي محمد العبدري ، الرحلة المغربية، تحقيق: أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث الجزائر 1974، ص23.

وبعد سقوط الدولة الموحدية، ظهر في المغرب الإسلامي ثلاثة دول، وهي بنو حفص في تونس، وبنو عبد الواد (بنو زيان) في تلمسان وبنو مرين في المغرب الأقصى ودخلت هذه الدول في صراع بينهما لمد حدودها، فخضعت مدينة الجزائر للزيانيين تارة وللحفصيين تارة أخرى¹.

ومن أعمال الزيانيين بمدينة الجزائر أنهم أضافوا المئذنة للجامع الكبير في الجزائر سنة 723هـ/1323 م بأمر من السلطان أبي تاشفين.

ويذكر لنا صاحب المعيار الونشريسي من أخبار اقتصادية في القرن الثامن الهجري الرابع / عشر الميلادي، تتمثل في تصدير الزيت عن طريق وكلاء من مدينة الجزائر إلى المرية الأسبانية في قوله " أهل سبتة كانوا يبيعون الزيت في المدينة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وكان أحدهم يودعها في خوابي ويكتب اسمه عليها ثم يشتري بثمنها سلعا و رقيقا و يبعث بذلك، إلى مرية و سبتة و لما سافر إلى سبتة ترك رجلا (وكيلا) يبيع له باقي الزيت ولما عاد إلى الجزائر أخذ ثمنها"².

وكان لوجود الثعالبية دور كبير في استقلال المدينة عن التبعية، وكان ذلك في وجود العالم الجليل الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، وبعد وفاته سنة 845هـ /1441م، عاشت المدينة تحت نفوذ الثعالبية وتولى حكمها الشيخ سليم التومي، ويبقى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي الصورة الكاملة التي يعطيها لنا حسن الوزان عن المدينة، عندما زارها سنة 921 هـ /1515م في رحلة بدأها من فاس إلى افريقية، واصفا ذلك في كتابه " وصف إفريقيا"، حيث يذكر: "مدينة الجزائر كبيرة جدا تضم نحو 4000 كانون، أسوارها رائعة ومتينة جدا، مبنية بالحجر الضخم، فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب، لكل حرفة مكانها الخاص وفيها عدد كثير من الفنادق والحمامات ويشاهد من جملة بناياتها،

1 رايح بونار، المرجع السابق، ص12.

2 أحمد الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية و الأندلس و المغرب، ج1، ط1، 1981، ص75، 76.

جامع ممتاز، في غاية الكبر، على شاطئ البحر، أمامه ساحة جميلة جدا اتخذت على سور المدينة ذاته الذي تتلاطم عند أسفله أمواج قرب المدينة من الجهة الشرقية، نهر نصبت عليه طاحونات ويزود السكان بالماء للشرب ولأغراض أخرى، وفي الضواحي، سهول جميلة جدا"¹.

وبعد ما أصاب الدولة الزيانية من وهن سياسي وضعف اقتصادي نتيجة الصراعات السياسية والعسكرية الداخلية والخارجية وخاصة صراعاها مع الدولة المرينية، وانشغال الحكام بأنفسهم ومصالحهم على حساب مصالح الأمة، وبعد الإستلاء على صخرة المرسي بخليج الجزائر، وبنائهم عليها حصنهم الشهير (البنيون) سنة 916هـ/1510م فبإقامة هذا الحصن أصبح الإسبان يهددون المدينة، وعملوا على منع السكان من ممارسة نشاطاتهم المختلفة وخاصة النشاط التجاري، مكبدا الأهالي خسائر في الأموال، ناهيك عن الذل والإهانة التي مارسه إسبانيا عليهم، فاستجد أهالي المدينة بالأخوين بربروس في مواجهة الإسبان وطردهم، فأول ما قام به عروج طرد الإسبان من الحصن، لكنّه لم يوفق في ذلك هذا ما أدى إلى إثارة أعيان البلد ضده فاستطاع بعدها أن يسيطر على الوضع وذلك بقتل سليم التومي، بتهمة الخيانة وتنصيب نفسه حاكما على المدينة .

أخذ عروج يتوسع في البلاد حيث استولى على متيجة ومليانة، التي نصّب عليها أخاه خير الدين، حتى سيطر على جميع المنطقة، فاقتمت إدارة البلاد مع أخيه، فأخذ غربها ومقره الجزائر وأعطاه الشرق ومقره دلس²، وبعد مقتل عروج، أراد أخوه خير الدين أن يفرض الاستقرار ولا يكون ذلك إلا بضم أو إلحاق مدينة الجزائر بالسلطة العثمانية فأصبحت المدينة منذ سنة 924هـ/1518م ولاية عثمانية، بعد موافقة السلطان العثماني سليم الأول على ضم الجزائر تحت راية الدولة العثمانية وجعل خير الدين حاكما عليها ولقبه "باي لارباي" أي

¹ الشريف حسن الوزان ، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد دحي و محمد الأخضر، ج1، ط2 ، بيروت 1983 ص37.

² عبد الرحمان الجبالي ، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط6، دار الثقافة، 1984، ص38-42.

أمير الأمراء وتلقت الجزائر بالفعل مساعدات عسكرية ومالية وظلت تتلقاها مدة طويلة باعتبارها المركز الإسلامي الذي يجسد ثغر المغرب الإسلامي في مواجهة أوروبا المسيحية غرباً¹.

■ النسيج العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

بعد طرد الإسبان من مدينة الجزائر، ودخولها تحت راية الدولة العثمانية، عاشت الجزائر عهداً جديداً في سياستها التي ستعكس على المجال الاقتصادي والاجتماعي والعمراني.

استمرت فترة الحكم العثماني في الجزائر أكثر من ثلاثة قرون، ويمكن تقسيمها إلى مراحل مختلفة، مرحلة البايات² (964-997هـ/1518-1588م)، ومرحلة الباشوات (997-1080هـ/1588-1659م)، ومرحلة الأغوات (1080-1083هـ/1659-1671م)، ومرحلة الدايات (1083-1246هـ/1671-1830م)، ومن مميزات الإدارة العثمانية بالجزائر اعتمادها على المراكز الحضرية، فقد أصبحت المدن أركان هذا النظام حيث تركز فيها السلطة³، وقسم القطر الجزائري إلى أربع باليكات:

1. بايكة الجزائر وهو ما كان يدعى دار السلطان فكان المنطقة الحرة تحت نظر حاكم الجزائر مباشر.

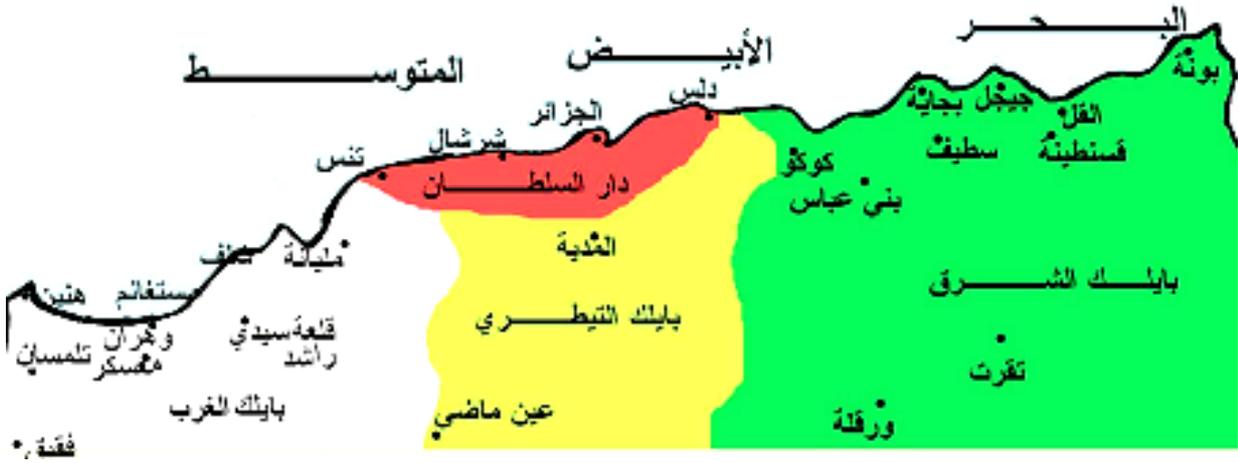
1 عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق، ص44-46.

2 الباي: كان النظام الإداري في البايكة يحكمه قائد يلقب بالباي ويقوم بأعمال الإقليم الذي يشرف عليه نيابة عن رئيس الدولة، وكان الباي يعتبر من كبار موظفي الدولة، ولذلك كان يختار من قبل رئيس الدولة من بين الشخصيات المرموقة في المجتمع الجزائري، وكان يتصرف في البايكة بحرية مطلقة في تسيير ولايته بعيداً عن المراقبة، وكان المطلوب منه هو إظهار الولاء للسلطة المركزية، وإرسال الضرائب السنوية مع نائبه الباي وهو الخليفة. لمزيد من المعلومات، أنظر:

Shaw(T.),Op.Cit., 192.

3 مصطفى بن حموش، المدينة و السلطة في الإسلام، ط1 ، دبي، 1999، ص101.

2. بايلك التيطري¹ ومركزه المدينة.
3. بايلك الغرب ومركزه بلدة مازونة² ، ثم نقل المركز إلى معسكر ثم وهران.
4. بايلك الشرق ومركزه قسنطينة³. (خريطة 1).



خريطة 1 / التقسيم الإداري للجزائر في الفترة العثمانية

عن: عبد الرحمان الجيلالي - بتصرف

أما الوضع الاقتصادي، فكان متطورا خاصة في مجال الزراعة والتجارة، فتجمع لدى حكام الجزائر وكبار التجار ثروة ضخمة ينفقون منها على مختلف شؤون البلاد الاجتماعية والعسكرية وكانت هذه الثروة تستمد من مصادر مختلفة، إذ كان على الدول الأوروبية أن تقدم مبالغ سنوية كبيرة على شكل هدايا من استبدال قناصل أو عقد معاهدات واتفاقات، كما تأتي

¹ التيطري: وهو بايلك الوسط، يحده من الشمال الأطلس البليدي، ومن الجنوب الأطلس الصحراوي، ومن الغرب شلف، في عهد حسن باشا لقب بالتيطري، كان الباي مقره في برج ساباو تارة ليستقر بشكل نهائي في المدينة. لمزيد من المعلومات، أنظر:

Mahfoud Kaddache, *L'Algérie durant la période Ottomane*, O.P.U, Alger, 1991, p.127.

² تقع في جبال الظهرة بين تنس ومستغانم.

³ نورالدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ط2، الجزائر، 2007، ص104.

على شكل إتاوات وضرائب سنوية تدفعها الدول الأوروبية مقابل حماية سفنها وعدم التعرض لها، فضلا عن غنائم البحر التي كان يكسبها الأسطول الجزائري من وراء الحروب البحرية ضد الدول والسفن المعادية أطلقوا على المدينة في بعض الأحيان اسم المحروسة ودار الجهاد، وكان لهذا الاسم معنى في تطور عمران المدينة نحو الدفاع والتحصين ضد الغارات المسيحية التي ما فتئت تهاجم من حين لآخر مدينة الجزائر، فلذلك كثرت الأبراج وزيد في تشديد أسوارها، وتمتد قوتها الدفاعية بصفة عامة، إلى أن أصبحت قلعة منيعة ترتعد لها العصبية المسيحية ومن تابعها¹ وكانت تظهر هذه المدينة من بعيد على شكل مثلث وخاصة من جهة البحر كأنه ثوب أبيض منشور على سفح جبل². (صورة 1)



صورة 1 / منظر لمدينة الجزائر

عن: إيسكار

وكانت المباني متنوعة تزدهم داخل أسوار المدينة منها الحمامات الجميلة المبنية بالرخام الأبيض والمزدانة بالفسيفساء، أقدمها حمام سيدنا والديار ذات الشكل الهندسي، أغلبها كانت تتألف من طابقين وسطح أفقي وهي خالية من الشبائيك الواسعة وإن وجدت فهي ضيقة وغالبا ما تفتح نحو الساحة وجدرانها مبنية بالأجر أو الحجارة، ومخططة كلها

1 عبد القادر حليمي ، مدينة الجزائر.....، ص 21 .

2 نورالدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 132.

على نفس الطراز وقد ذكر هذا "وليام شالر" في مذكرته بعد أن وصف المنزل الذي كان يسكنه هو شخصيا، وقال بأنه سيعطي فكرة عن جميع منازل مدينة الجزائر، والتي لا تختلف إلا في الحجم وقيمة المواد التي بنيت بها¹.

وكان عدد الديار داخل أسوار المدينة نحو الخمسة آلاف دار سنة 1789/هـ 1204 م كما قدرها "فانتيري دي برادي"² وقدرت قبل الحملة الفرنسية بحوالي 8000 دار وهي مطلية بالجير الأبيض أو الجبس وبلغ عدد الأحياء في المدينة ثلاث وعشرين حيا أو "حومة"، يوجد معظمها في القصبة العليا³.

أما عن عدد السكان، فإنّ السجين الإسباني هايدو الذي قضى سنوات في المدينة في بداية العهد العثماني، قدره ب 70 ألف نسمة سنة 979/هـ 1571م، ويتكون هذا العدد من 25 ألف من البلديين الذين يرجع أصلهم إلى البربر والعرب المحليين والموريسكيين⁴، و10 آلاف من الأتراك و5000 من اليهود جاء عدد كبير منهم من الأندلس إثر سقوطها سنة 898 هـ / 1492م وقد بلغ في بعض الأحيان نحو 100 ألف نسمة⁵.

1 وليام شالر ، مذكرات وليام شالر، فنصل أمريكا في الجزائر (1816 - 1824م) ، تعريب وتقديم: إسماعيل العربي الجزائر، 1982، ص 94 .

2 *Venture de Paradis , Alger au 18 siècle, Topographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898* p. 03 .

3 مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص 157.

4 هم الأندلسيون المسلمون الذين ظلوا في الأندلس بعد سقوطها، أما الهجرة المورسكية هي الهجرة التي أعقبت صدور قرارات التنصير الإبراري سنة 1494م، كما تدفقت سيول من المهاجرين المورسكيين عقب صدور قرارات الطرد الجماعي 1609 - 1614 في عهد الملك فليب الثالث. لمزيد من المعلومات، أنظر: ناصر الدين سعيدوني " الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر أثناء القرنين (16 - 17) " ، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، الجزائر 1993، ص 107 - 129 .

5 Haedo(D.), « Topographie et histoire générale d'Alger », IN. *Revue Africaine*, 1870, Alger, p.413.

وحسب نفس المصدر فإنّ المدينة كانت تعج بالعبيد والمساجين الذين أسروا في الحروب التي خاضها بربروس، فقد بلغ عددهم 25 ألف شخصا وكذلك جماعة البرانية¹ الذين يعود أصلهم إلى بني ميزاب والبساكرة والجيجليين وقد قدرهم Lespers بحوالي 3000 شخصا². كانت الجهة العليا للقصب مشحونة بالسكان من عامة الشعب، أمّا الجهة السفلى المواجهة للبحر فقد كانت مركز سكنى للباشا أو الداى ورؤساء البحر وأصحاب الثروة، وقناصل الدول الأجنبية وكان يحيط بالمدينة سور ينحدر من القصب إلى البحر ما بين باب الوادي حيث موقع ثانوية الأمير عبد القادر وما بين المسرح البلدي الذي يحاذي باب عزون، ويكتسي الإسكان في المدينة طابعه الخاص فالمدينة تتكون من أحياء مستقلة، فكل حي سوقه ومسجده وعيونه الجارية وقصوره الصغيرة الأصيلة بمدخلها المنعرج وفنائه المنسجم مع مناخ البحر الأبيض المتوسط وعادات وتقاليد البلاد³.

¹ هي المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدينة للإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الاجتماعي ونوعية النشاط الاقتصادي تنظيمًا حسب أصوله الجهوية، فهناك البساكرة والجيجليون والأغواطيون والميزابيون، والقبائل وغيرهم. وقد اقتصت كل مجموعة بمهام وأعمال تقوم بها تحت إشراف أمين. للمزيد من المعلومات، أنظر: ناصر الدين الدين سعيدوني ومهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، الجزائر، 1984، ص.99. وعائشة غطاس الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مقارنة اجتماعية - اقتصادية، أطروحة شهادة الدكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2001، ص.20.

² Lespes (R), « Variations de la population d'Alger avant 1830 », IN. Armeé d'Afrique N : 11, Alger, 1925, p.26-30.

³ نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.127.

وتتخلل معظم هذه الأحياء أسواق متنوعة، وحسب أندري ريمون كانت شبكة الأسواق تغطي إحدى عشرة هكتارا، محصورة بين الشوارع الثلاثة الكبيرة و هي باب الوادي، باب عزون والبحرية كمنطقة مركزية تمتد بالشارع الطويل الذي يبدأ من باب عزون حيث تتمركز على امتداده نشاطات وحرف تقل أهميتها كلما ابتعدنا عن مركز المدينة، وخضع هذا التوزيع لاعتبارات تقنية وعرقية وجغرافية وبيئية¹... الخ.

أما المساجد والأضرحة، فكانت للعبادة ومركزا للثقافة والعلم، تبنى بتبرعات السكان والرياس والباشوات، ويذكر دوفو " أنه كان في مدينة الجزائر قبل 1246هـ/1830م 13مسجدا جامعا ومسجدا، و12زاوية و10بيعات لليهود"، ويذكر فانثيري دي بارادي " أنه كان في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر، اثنا عشرة مسجدا جامعا، والعديد من المساجد، وأهم هذه الجوامع كان مخصصا للمذهب المالكي، وهو الجامع الكبير " ² وكان سكان المدينة يمارسون الشعائر المالكية التي تميزهم عن العثمانيين الأحناف³، كذلك الأمر بالنسبة للعدالة التي يسيّرها اثنان من القضاة، أحدهما حنفي بالنسبة للأتراك والثاني مالكي⁴. وبجانب هذه المساجد شهدت المدينة اهتماما كبيرا بتشبيد العيون العمومية وقناطر المياه والقصور، حيث كانت تقدر بخمسة عشر قصرا، كما بنيت بالضواحي والأحراش قصور خاصة بالحكام وكبار الشخصيات باستثناء قصر الجينية، وأهم القصور التي مازلت

1 Raymond (A.), *grandes villes arabes à l'époque Ottomane*, Paris, 1985, p.37

لمزيد من التفاصيل أنظر:

- زهية بن كردرة، " أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني"، أطروحة الماجستير الجزائر، 2000، ص(100 - 130).

- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700- 1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، الجزائر، 2007، ص199- 216.

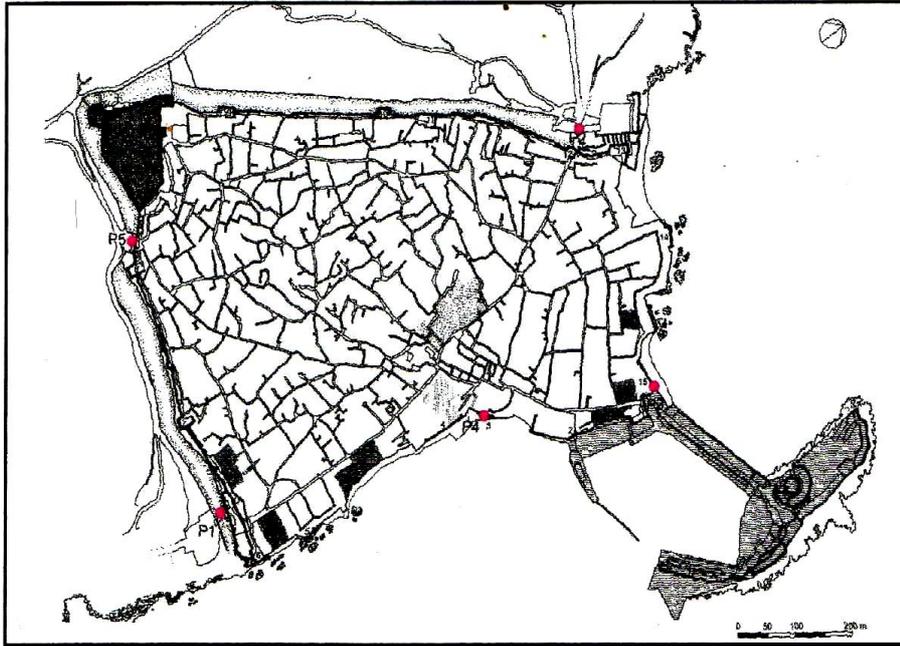
2 Venture de Paradis , Op.Cit, p.159.

3 Devoulx (A.), « Notes historiques sur les mosquées et autres édifices d'Alger », IN. *Revue Africaine*, 1861, Alger, p.389.

4 نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص128.

باقية حتى الآن قصر مصطفى باشا، ودار عزيزة بنت الباي، وقصر حسن باشا، ودار الحمراء، ودار عبد الطيف¹.

تتخلل أسوار المدينة أبواب تخضع لقوانين خاصة تتمثل في أوقات الاستعمال والضرائب المفروضة على البضائع، كما وضع حارس على كل منها يسهر على حمايتها². (مخطط 1).



P1 : باب عزون

P2 : باب الوادي

P3 : باب الذيرة

P4 : باب الديوانة

P5 : باب الجديد.

مخطط 1: أبواب مدينة الجزائر

عن: ميسوم

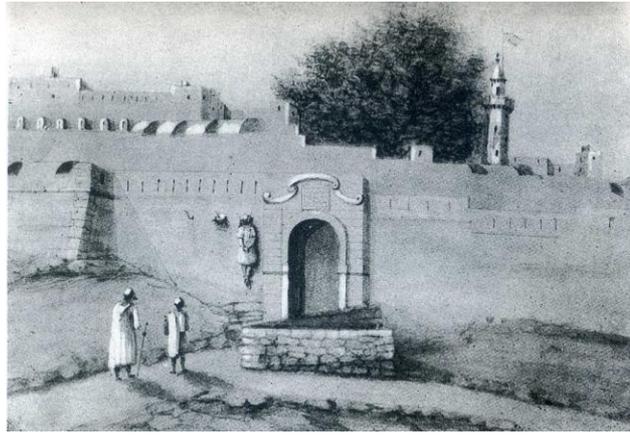
1 نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 130.

Missoum (S.), *Alger à l'époque Ottomane – La madina et la maison traditionnelle*, 2
Alger, 2003, p.73.

هذه الأبواب كبيرة الحجم، متقنة الصنع ومرصّعة بالحديد، تغلق قبل غروب الشمس وتفتح بعد طلوعها، من بينها:

1. باب عزون:

الواقع في الجنوب الشرقي ويعتبر العصب الحيوي بالنسبة للمدينة، والقناة الرئيسية للمبادلات الاقتصادية والاجتماعية، تنسب إلى شهيد من أهل البلد اسمه عزون توفي على مقربة منها، وهو إحدى أشهر أبواب القصبّة، ويبدو أنّها قديمة قدم المدينة نفسها لأنّها كانت موجودة على الأقل سنة 948هـ/1541 م أثناء حملة شارلكان الصليبية على البلاد. (صورة 2).



صورة 2 / باب عزون

عن: إيسكار.

2. باب الوادي:

يقع في اتجاه الشمال الغربي، وكان يسمى أيضا " باب الموت " كما يقال، لأنّه كان يطل ليس فقط على واد بل أيضا على المقابر الواسعة والمتعددة الخاصة بالديانات التوحيدية الثلاثة الإسلام المسيحية، واليهودية، وفي سنة 1257هـ/1841م تم توسيعها قبل أن تمحى نهائيا من الوجود عند انطلاق بناء ثانوية الأمير عبد القادر (Lycée Bugeaud)

حوالي سنة 1279هـ/1862م، وميلاد حي باب الوادي الأوربي المعروف حاليا¹. (صورة 3).



صورة 3 / باب الوادي من خارج المدينة

عن: إيسكار.

3. باب الدزيرة :

وسمّيت أيضا بباب الجهاد ، الذي اختفى كتسمية لحي البحرية مند السبعينات فقط، وكان بابا للبحرية الجزائرية الشهيرة التي كانت تخرج منه، سماها الفرنسيون بعد احتلالهم للمدينة " باب فرنسا " ثمّ " باب البحر " ، وظل سكان مدينة الجزائر يطلقون عليه إلى يومنا هذا " باب الدزيرة " أي " باب الجزيرة " لأنّ كان يؤدي إلى الجزر القديمة الأربعة، في سنة 1120هـ/1708 تم نزيين هذا الباب بنواقيس مدينة وهران بعد تحريرها من الأسبان، وفي 1287هـ/1870م هدمها الاستعمار الفرنسي لبناء شارع الأميرال بيار (L'Amiral Pierre) الرابط بين شارع جيش التحرير وحي البحرية وباب الوادي، لقد كان باب دزيرة أيضا باب الحمّالين والسلع الأوربية والأسرى الأوربيين، وغنائم البحر التي كان يأتي بها رياس البحر².

¹ حلّمي عبد القادر، المرجع السابق، ص234.

² نفسه، ص232 - 234. وانظر أيضا: فوزي سعد الله، قصبة الجزائر، الذاكرة الحاضر والخاطر، الجزائر، 2007، ص24، 25.

4. باب الديوانة:

يقع بالضبط أسفل الجامع الجديد، ويسمى أيضا باب السردين لأن جميع " الحواتين " كانوا يمرون عبره من الطريق المتدرج المعروف ب بابا عروج، المحاذي للجامع، والشهير حاليا بمطاعمه المختصة في الأسماك، كان هذا الباب يؤدي أيضا إلى سوق السمك وأنفاق مالاكوف حيث كانت تخزن المعدات البحرية والأشعة وحتى السلاح، المسماة آنذاك ب: الترسانة أو " دار الصناعة " وكان هذا الباب ممرا كذلك إلى مسجد صغير خاص بمحترفي الصيد البحري وهو جامع الرابطة الذي أزاله الاستعمار من الباب عند بناء شارع شي غيفارا على يد المهندس شاصيرييو (Chasseriau) في بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي¹. (صورة 4).



صورة 4/باب الديوانة تحت الجامع الجديد

عن: إيسكار.

¹ حلّمي عبد القادر، المرجع السابق، ص 236.

5. باب الجديد:

وهو من أحدث أبواب القصبة ، وإن كان قد شهد النور في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، فقد كان باب الطمأنينة والأمان عكس بابي عزون وديزيرة حتى دخله الجيش الفرنسي فجأة سنة 1246هـ/1830م بعد سقوط حصن الإمبراطور ب: " الثغرة " (Tagarins)، ثم أصبح هذا الاسم " باب الجديد " أحد أكبر وأهم شوارع المدينة العتيقة (Rue porte neuve) الممتد حتى سفحها كان قبل الاحتلال يصل حتى شاطئ البحر، ولا يضاويه في الأهمية سوى شارع القصبة لكنه لم يعمر أكثر من غيره من الأبواب، لأن الاستعمار أزاله لبناء شارع النصر (Boulevard de la Victoire) في سنة 1866م حسب الباحث المستشرق هنري كلاين¹ .

1.3. مدينة مليانة:

■ الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة مليانة:

تقع هذه المدينة على خطي طول 0 درجة 07 دقائق غربا وعرض 36 درجة 18 دقيقة شرقا، تبعد عن غرب عاصمة الجزائر بـ 130 كلم، تحدّها سلسلة جبال الظهرة من الشمال، ومدينة المدية شرقا، و مدينة الشلف غربا، وجبال الونشريس من ناحية الجنوب، ولها مناخ بارد شتاء وحار صيفا، وهي كثيرة المياه، ممّا جعلها دائمة الاخضرار¹.

■ لمحة تاريخية عن مدينة مليانة²:

في منطقة تقع شمال مدينة مليانة، تسمّى " بوتشتون " أو " بوتكتون " عثر في سنة 1961م على أدوات حجرية في الحضارتين العاترية والقفصية، توحى بأنّ مليانة كانت منطقة لتواجد الإنسان القديم (مليانة فيما قبل التاريخ)³.

أجمع معظم المؤرخين على أنّ مدينة مليانة مدينة قديمة أزلية، حسب ابن الحقول " ...رومية فيها آبار وأنهار تطحن عليها الرحي..."⁴، وذكر كورتوا Courtois نقلا عن بلحميسي أنّها من أكبر مدن موريطانية القيصرية على هضبة تطل على وادي شلف

¹ مولاي بلحميسي، " مدينة مليانة عبر العصور "، مجلة الأصالة، العدد، 8، الجزائر، 1972، ص 140.

² اختلف المؤرخون والجغرافيون من مسلمين وغربيين في تسمية المدينة، فقد سماها المؤرخ الإسباني مارمول Marmoul " مليون " Miliane وقال أنّها كانت تسمى قديما " منيانة Magnana ، وأمّا الإنجليزي شاو Shaw فإنّه يقول منيانة Maniana ومليانة Maliana وذلك بناء على النطق المحلي، وجاء أيضا في معجم البلدان لياقوت الحموي مايلي: " مليانة (بالكسر ثم السكون وباء تحتها نقطتان خفيفة وبعد الألف والنون) هي مدينة في آخر إفريقية بينها وبين تنس أربعة أيام " ، لمزيد من المعلومات، أنظر: مارمول، وصف إفريقية، ج، 2، ترجمة: محمد حجي والآخرين، مطابع المعارف الجديدة، المملكة المغربية، 1989، ص 396، 397. و مولاي بلحمبسي، " مدينة مليانة عبر العصور "، المرجع السابق، ص 140.

³ Bloch (A.), « Etude sur le nom de Miliana », IN. Bulletin d'Archéologie Algériennes, T.6, Alger, 1980, p. 171.

⁴ أبو القاسم ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض، ج 1، 1938، ص 90.

وتحتل أخصب أراضي الناحية ، ويضيف أنها شيدت على أنقاض المدينة الرومانية بزوكابار Zuchabar¹.

ومن خلال الآثار الرومانية الموجودة بالمدينة، تثبت مكانة مليانة في هذا العهد وتؤكد ذلك من خلال الأسوار المحيطة بها، بقي جزء منها في الناحية الجنوبية، إضافة إلى الكتابة التي وجدت على النصب التذكاري الذي أشار إليه الدكتور "شاو" بقوله: "..... وشاهدت على بعض أسوارها الحديثة نصبا تذكاريًا عليه كتابات تلقي أضواء جديدة ترجح أن حفيد القائد العظيم " بومبي " وحفيده مدفونان بمليانة"².

برزت أهمية المدينة في العهد الإسلامي، عندما اختطها بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، ولهذا قال البكري " رومية فيها آثار وأشجار وأنهار تطحن عليها الأرحاء جدها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلجين (كذا) وهي عامرة.... لها نهر وآبار سائغة وسوق نافع....."³.

وتواصل المدينة ازدهارها، وهذا ما تردد عليها الرحالون، فأجمعوا على محاسن الموقع وكثرة المياه ورخاء العيش، حسب قول صاحب الإستبصار " ..هي مدينة حصينة في جبل يسمى زكار وشعر هذا الجبل كله ريحان وينبعث من هذا الجبل عين خرازة عظيمة... ولمدينة مليانة مياه سائحة وانهار وبساتين فيها جميع الفواكهو هي من أخصب بلاد افريقية وأرخصها أسعارا، ومدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة ومزارع واسعة وحولها قبائل كثيرة من البربر ويشق ذلك الفحوص نهر شلف وهو نهر كبير مشهور"⁴.

¹ مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 141.

² Bloch (A.), Op.cit, p.171.

³ عبيد الله البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المرجع السابق، ص76. وانظر أيضا: محمد حاج

صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964، ص 22، 23.

⁴ مؤلف مجهول، صاحب الإستبصار، ص59.

ثم خضعت مدينة مليانة للحكم الموحدى بقيادة علي بن إسحاق صاحب الجزر الشرقية، وبعدها أصبحت المدينة طيلة قرنين كاملين موضوع نزاع وسبب حروب بين الحفصيين والزيبانيين وبنى مرين.

ففي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تولى أبو محمد عبد الله الحفصي قيادة الناحية الشرقية واستقر في تونس ومنها واصل الحرب ضد يحيى بن غانية في منتصف سنة 624هـ/1227م ثم انتقل إلى مليانة وطرده منها، فاضطر يحيى إلى الفرار بعيدا إلى أن وصل إلى سجلماسة غير أنه عاد إلى مليانة سنة 633هـ/1237م فتوفي في ضواحيها¹.

في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي دخلت مليانة تحت الحكم العثماني، وكانت تابعة لبابليك الغرب وعاصمته مازونة، ثم عندما أعيد تنظيم الإيالة إداريا أصبحت مليانة تابعة لدار السلطان وتحت حكم الباشا مباشرة.

وأدرك الأتراك أهمية مليانة استراتيجيا بما أنها تشرف على الطريق الواصل بين الجزائر ومدن بابليك الغرب مثل تلمسان، ومستغانم².

وفي النصف من القرن العاشر الهجري التاسع عشر الميلادي مرّ بمليانة الحسن ابن محمد الوزان الفاسي المعروف بالأسد الإفريقي فقال في شأنها: " مليانة تقع على قمة جبل وهو على أربعين ميلا (64كلم) من البحر أي من شرشال، والجبل الذي بنيت فيه المدينة تتفجر منه عيون كثيرة وتكسوه غابات من شجر الجوز بحيث أنّ سكان الناحية لا يشتركون هذه الفاكهة بل ولا يقطفونها. وتحيط بالمدينة أسوار عتيقة، من جهة تطل صخرة على واد في غاية العمق ومن جهة أخرى يوجد منحدر ينطلق من الهضبة إلى وادي شلف يذكرنا بمدينة نارني بقرب روما"³.

¹ مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 146.

² نفسه، ص 147.

³ الشريف حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد دحي و محمد الأخضر، ج1، ط2، بيروت 1983 ص55.

ولم يكن استقرار الأتراك بمليانة بالأمر الهين، فقد وجهوا بثورات من قبل السكان المحليين، وخاصة شيوخ الأعراب، من بينهم شيوخ الثعالبية. وقد بقيت الثورات متتالية، ومن بين التي اشتهرت ثورة ريغة وثورة بوطريق، والفترة التي استقر فيها الأتراك بمليانة، هي محطة حساسة في تاريخ المدينة، فقد ازدهرت في هذا العهد في الجانب الإقتصادي والثقافي والعمراني¹.

■ النسيج العمراني لمدينة مليانة :

النسيج العمراني لمدينة مليانة خضع لنفس النمط المدن الإسلامية المعروفة، فنجد أنّ أول ما بني فيها هو المسجد الجامع الذي يسمى بجامع البطحاء في مركز المدينة، ثمّ مساجد وزوايا وأضرحة منتشرة بشكل مميز كمسجد سي محمد بن صالحن ومسجد وضريح (زاوية سيدي احمد بن يوسف) في الرحبة، وضريح سيدي محمد الفاروزي في حومة سيدي الفاروزي، وضريح سيدي أبي زكريا وضريح سيدي عيسى في وسط المدينة. كما أوجبت الضرورة الوظيفية مجاورة دار الإمارة المسجد الجامع، وهذا ما نشاهده في مليانة حيث نجد دار الإمارة المسماة حالياً دار الأمير عبد القادر بالقرب من المسجد الجامع.

¹ محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص31، 32.

وعند الإنتهاء من بناء هذين العنصرين يتم بعد ذلك بناء المنازل والدور والحمامات والفنادق والأسواق وغيرها من المباني المدنية المخصصة للرعية وفق شروط حضارية تدعو إلى المحافظة والتزام الحشمة، فبنيت منازل المدينة كأنها كتلة واحدة تتخللها التواءات الشوارع وضيقها وتشعبها إلى تفرعات، وهي عامة ذات طابق أو طابقين يتوسطها فناء مركزي كبير، كما تحتوي مدينة مليانة على ساحتين عموميتين، ساحة باب وهران في الغرب التي كانت سوقا وبها فندقا، وساحة في مركز المدينة¹.

وعكست نشأة المدينة أهمية التحصين لحمايتها من الأعداء وتنمية عمرانها وتجاريتها، ورغم الموقع الطبيعي المحصن لمدينة مليانة الموجود فوق هضبة عالية بين جبال زكار وإشرافها على واد قي غاية العمق، ورغم ذلك فقد كانت المدينة محاطة بأسوار عالية من كل الجوانب، منها ما يعود للفترة الرومانية، ومنها ما يعود للفترة العثمانية. كما كان للمدينة ثلاثة أبواب رئيسية، الباب الغربي المسمى "باب وهران"، والباب الشرقي المسمى "باب الجزائر" والباب الشمالي المسمى "باب زكار"². (مخطط 2).

وهذه شهادات بعض الفرنسيين كانت لهم الفرصة لمشاهدتها، عند مغادرة الأتراك لها، ولعل أدق الدراسات كانت للدكتور "لبران أكيلاس" Lebrun Aquilas نشرها في مقالات ثلاثة في جريدة Le moniteur Algérien، العدد 14 ديسمبر 1841م، وهو تعليق حول تحصينات المدينة عموما، وقد جاء في وصفه للمدينة "إنها في ارتفاع 900م ولها من جهتي الشمال والشرق سور من حجر وملاط أصفر إلى حد ما سمكه متران ونصف وعلوه سبعة أمتار، وفي الزاوية الشرقية الشمالية حجرة منحوتة أصلها من المدينة وبقايا لأبراج مربعة نائئة.....".

¹ ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدينة ومليانة في العهد العثماني، ط1، الجزائر، 2009، ص 193، 194. وانظر أيضا: عبد القادر قرمان، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 - 2009، ص 59 - 64.

² محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ط 1، دار الآفاق العربية، لقاها، 1999، ص 135.

ثم ينتقل ليصف المدينة نفسها ومنشأتها بالقول "وأما الديار ففي أدراب وأزقة ملتوية ضيقة، وللديار طابق أرضي وطابق أول، وقد أحرقت عام 1840، وكان السكان فيما كان يبدو في الستر والرّخاء، ولكل دار باحتها الداخلية وأروقتهوفي كل باحة داخلية عين وأشجار من تين أو برتقالوللمدينة عدة مساجد أعظمها المسجد الكبير الذي حوّله الجيش الفرنسي إلى مخزن للمؤونة ومسجد الأتراك الذي صار قاعة تمثيلوأضرحة عديدة ".

ويقول الدكتور شاو: " من يرى المدينة من بعيد يظن أنّ بها منازل ضخمة وجميلة وآثارها قديمة وعديدة، حتى إذا وصل إليها الزائر خاب ظنّه، فهي تربة لا مدين.. وأحسن شيء من المنظر الرائع المطل على أراضي جندل ومطماطة، وغيرها من القبائل "1.

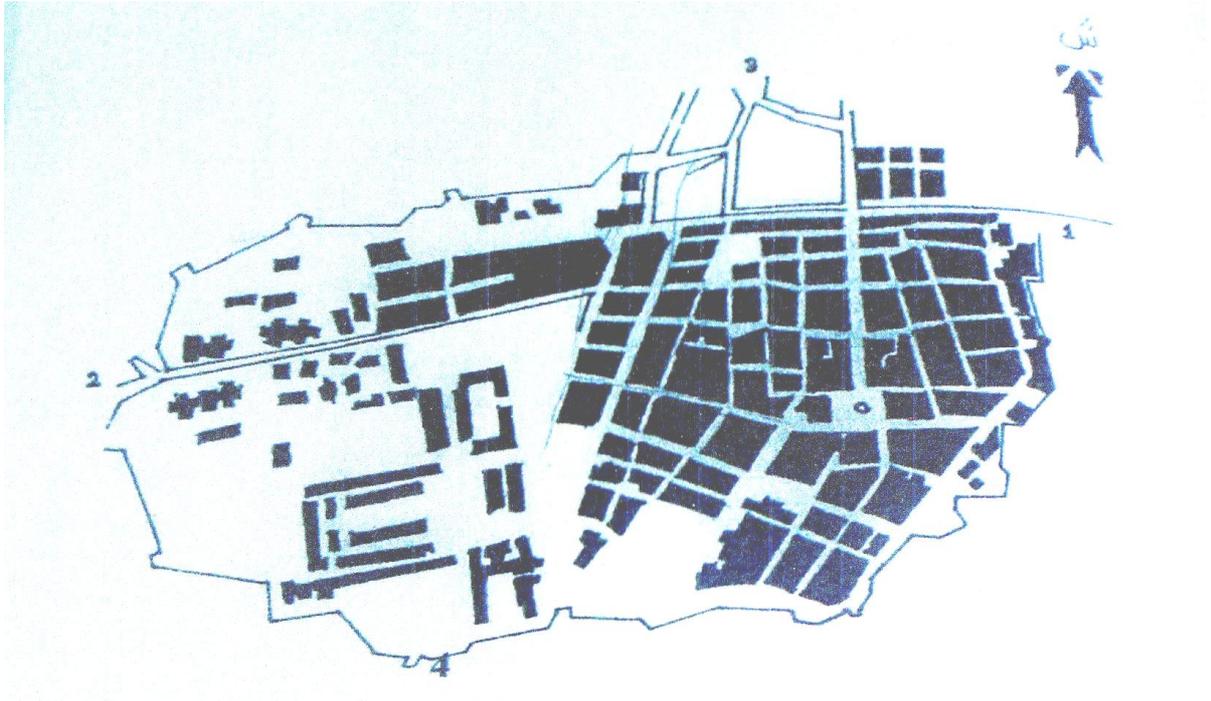
ولقد وصفت المدينة في مؤلفات عدد من الرّحالة العرب مثل الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم الإفريقي الذي مرّ على مليانة في النصف القرن السادس عشر وقال بشأنها " مليانة تقع على قمة جبل....تتفجر فيه عيون كثيرة وتكسوه غابات من شجر الجوز، بحيث أنّ أهل هذه المدينة لا يحتاجون هذه الفاكهة"2.

أمّا حمدان بن عثمان خوجة فيذكر في كتابه " المرأة "، فيقول "أرضهم خصبة للغاية، فلاحون - أي أهل المدينة - ثمارهم ممتازة، لا يمارسون أي نوع من الصناعة.... مناخهم صحي"3. (مخطط 3).

1 Shaw(T.), Op. cit,p.101.

2 حسن الوزان، المصدر السابق، ص34.

3 حمدان خوجة، المرأة، وزارة الثقافة، 2007، ص120.



1. باب الجزائر (الباب الشرقي)

2. باب وهران (الباب الغربي)

3. باب زكار

4. الأسوار

مخطط 2 / أسوار وأبواب مدينة مليانة

عن: محفوظات متحف الأمير عبد القادر



1. القسبة في العهد العثماني.
2. حدود المدينة قبل العهد العثماني.
3. توسيع المدينة في العهد الفرنسي.

مخطط 3/ مخطط تطور مدينة مليانة من بداية العهد العثماني إلى الفترة الفرنسية
 عن: محفوظات متحف الأمير عبد القادر.

3.3. مدينة قسنطينة:

■ الموقع الفلكي والجغرافي للمدينة:

تحتل مدينة قسنطينة موقعا جغرافيا مميزا بالنسبة للشرق الجزائري، تقع على خطي عرض 23 و 36 درجة شمالا، وخطي طول 35 و 7 درجة، فهي مبنية على هضبة ذات شكل منحرف، يحيط بها وادي الرّمال من أغلب جهاتها، وتعتبر من المدن الداخلية، حيث تبعد عن البحر بـ 86 كلم، وعن الجزائر العاصمة بـ 437 كلم، تحدها من الشمال ولاية سكيكدة وجيجل، ومن الغرب ولاية ميلة، ومن الشرق ولاية قالمة، ومن الجنوب ولاية أمّ البواقي¹.

■ لمحة تاريخية عن مدينة قسنطينة:

ظهرت قسنطينة كمنطقة استقرار بشري مند القدم، جذورها ضاربة في أعماق التاريخ، تفيد بعض المعلومات أن الإنسان سكن بهذه المنطقة منذ فجر التاريخ، حيث عثر على أدوات بدائية تعتبر من أقدم الأدوات التي استخدمها الإنسان الأول، وتم الكشف عن عدد من مواقع ما قبل التاريخ في قسنطينة وضواحيها، فنجدها في هضبة المنصورة التي ثبت أنّها أهلة بالسكان خلال بداية الزمن الجيولوجي الرابع، تدل عليه بقايا لفرس البحر والحصى المنحوتة².

اتخذها سيفاكس عاصمة للمملكة البربرية وبنى فيها قصرا عظيما، وبعد هزيمة سيفاكس على يد ماسينيسا تحسنت أحوال المدينة وازداد عدد سكانها حتى أصبحت تضاهي مدينة قرطاجنة.

ولمّا توفي ماسينيسا سنة 148 ق.م قسمت مملكته بين ابنه ميسينا وغولوسا، تولى الأول رئاسة الإدارة بالمدينة، أمّا الثاني فتولى قيادة الجيش، فازدهرت أحوال المدينة في عهدهم، وهكذا كان الصراع سجالا بين أفراد العائلة، حتى خضعت المدينة إلى السيطرة

¹ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، المطبعة العربية، الجزائر، 1984، ص 84.

² نفسه، ص 86.

الرومانية، حيث أصبحت مستعمرة ومركز كونفدرالية ضمت تحت لوائها ميلف (ميلة)، وشولو (القل)، روسيكاد (سكيدة)، ثم عادت قسنطينة إلى أوج قوتها في عهد قسطنطين سنة 313م، وظلت على ذلك الحال، حتى سقطت في يد الوندال إلى غاية 534م، لكن هذا الإحتلال لم يستقر بها طويلا، فاسترجعت مجدها أثناء العهد البيزنطي وأصبحت عاصمة مقاطعة من جديد أثناء الفتح الإسلامي¹.

كانت قسنطينة تابعة للقيروان في عهد الولاة من سنة 50هـ/670م إلى سنة 182هـ/798م، ثم دخلت تحت النفوذ الفاطمي أثناء إقامتهم ببلاد المغرب، بحيث كانت ميدانا بين الأغالبة والفاطميين، ثم دخلت تحت حكم بنو دزيري وامتد استقرارهم بها طويلا حتى سنة 542هـ/1147م، ثم تحت أيدي الحماديين حتى سقوط بجاية تحت سيطرة الموحيدين، ثم تابعة للدولة الحفصية بعد سيطرتها على المغرب الأدنى وبسط سيطرتها على الجهة الشرقية للمغرب الأوسط، حيث أصبحت قسنطينة أهم المدن بعد تونس وبجاية، احتلها الأمير الحفصي الأول أبو زكريا يوم 20 جويلية سنة 627هـ/1229م².

- دخول الأتراك إلى قسنطينة وإنشاء بايلك الشرق:

هناك اختلاف كبير بين المؤرخين في تحديد تاريخ دخول العثمانيين مدينة قسنطينة، فمحمد صالح بن العنثري يعتبر سنتي 1050هـ/1640م و1051هـ/1641م م هما التاريخ الحقيقي للاستقرار التركي بالمدينة³، أمّا رشيد بورويبة فيعتبر سنة 945هـ/1538م هي الأرجح بعد سقوط تونس مباشرة.

ومرّ الحكم العثماني بقسنطينة بعدة مراحل، وهي:

¹ عبد الرحمان الجيلالي المرجع السابق، ص 85.

² أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تعليق: عبد القادر نور الدين، الجزائر، 1952، ص 18، 19.

³ محمد الصالح بن العنثري، تاريخ قسنطينة، تقديم: يحي بوعزيز، الجزائر، 1991، ص 06.

- محاولة الأتراك توطيد أقدامهم بواسطة جذب الناس إليهم وإدماجهم تحت الحكم التركي.
- ابتداء من سنة 975هـ/1567م إلى غاية سنة 1206هـ/1791م تم فيه إنشاء البايلك ومحاولة استقرارهم بالمنطقة.
- من سنة 1206هـ/1791م حتى سنة 1245هـ/1830م ، بدأ الضعف والتدهور يغلب على البايلك بسبب معاملة الناس ومصادرة أراضيهم واحتكار أموالهم.
- فهي المرحلة التي عرف فيها البايلك آخر أيامه وشهدت دخول الاستعمار الفرنسي لبلادنا ومقاومة أخرى لبايات قسنطينة، وهي مقاومة أحمد باي¹.

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في العهد العثماني، الجزائر، 1967، ص142.

■ وهذا الجدول لأهم بايات قسنطينة خلال العهد العثماني بشكل تسلسلي¹:

اسم الباى	فترة حكمه	اسم الباى	فترة حكمه
رمضان تشولاق	1567 - 1574م	الباى أحمد بن علي المدعو القلي	1756 - 1771م
الباى محمد بن جعفر	1574 - 1588م	الباى ابراهيم بوسبعة	1792م
الباى محمد بن فرحات	1588 - 1608م	الباى حسين بوحنك	1792م - 1795م
الباى حسان	1608 - 1622م	الباى مصطفى المدعو الوزناجى	1795 - 1798م
الباى مراد	1622 - 1647م	الباى حسين بن صالح باى	1806 - 1817م
الباى فرحات	1647 - 1653م	الباى علي بن بابا علي	1807 - 1808م
الباى بن فرحات محمد	1653 - 1666م	الباى محمد المملوك	1818م
الباى رجب بن فرحات	1666 - 1674م	الباى ابراهيم الخوجة الغربى	1819 - 1820م
الباى خير الدين	1674 - 1676م	الباى ابراهيم الكرتلى	1822 - 1824م
الباى حمودة	1707م	الباى الحاج أحمد بن محمد الشريف	1826 - 1830م
الباى حسين الشاوش	1708 - 1709م	الباى الحاج أحمد	1830 - 1848م

¹ محمد الصالح بن العنتري، المرجع السابق، ص 15 - 50.

■ النسيج العمراني لمدينة قسنطينة :

احتفظت مدينة قسنطينة بالمخطط الروماني، مع إدخال بعض التغييرات التي تتطلبها الحياة الإسلامية، وأهم معالم النواة المركزية بالمدينة المساجد والجوامع، فتعددت وتتنوع وظائفها، فاشتمل تخطيط المدينة على نحو خمس وثلاثين مسجداً أو جامعاً، أقدمها الجامع الكبير العتيق الذي شيد أثناء العهد الحمادي سنة 530هـ، بالمدينة القديمة، فمن أشهر الجوامع بالمدينة جامع سوق الغزال والجامع الأخضر ومسجد سيدي الكتاني، إلى بعض الأضرحة والزوايا المنتشرة، كزاوية عبد المومن، وزاوية حنصالة، أما البيوت بقسنطينة بنيت على طول الطرق والشوارع على شكل تجمع طولي أو خطي يشكل خلية سكنية في تخطيطها العام شكل مربع أو مستطيل، تفتح نحو الخارج على ساحة مركزية. تتوزع الوحدات السكنية في الأحياء وفقاً للأحكام الإسلامية، وعلى هذا الأساس فإن البيت القسنطيني نجده لا يختلف عن البيت الجزائري بصفة عامة في شكله العام أو في تكويناته الداخلية، كما نجد في المدينة قصر أحمد باي والذي يعتبر من أفخم القصور في الجزائر من حيث مساحته الشاسعة وكذا جماليته الخلابة¹. (صورة 5،6).



صورة 5/ مدينة قسنطينة - الحي القديم.

¹ عبد الرحمان الجيلالي المرجع السابق، ص 88.

ومن الملامح الرئيسية للمدينة أنها ذات طابع تجاري، حيث اشتملت على عدد كبير من الأسواق بلغ ستة أسواق رئيسية، وهي سوق الجمعة، وسوق العصر، ورحبة الصوف، وسوق التجار، وسوق الغزل، ورحبة الجمال، ووجدت عدة سويقات اختصت في تلبية الحاجيات اليومية¹.



صورة 6 / مدينة قسنطينة - سوق رحبة الصوف

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزائر، 1985، ص 224، وانظر أيضا: عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2010/2009، ص 130 - 220.

4.3. مدينة طولقة:

■ الموقع الجغرافي لمدينة طولقة:

هي واحة كبيرة، متزامية الأطراف، ذات نخيل كبير، تقع في الشمال الغربي من مدينة بسكرة على بعد 35 كلم، و363 كلم من الجزائر العاصمة، وعلى مائتي وعشرين مترا من على مستوى سطح البحر.

وبطولقة بلاد الآبار الإرتوازية الفنية، حيث يوجد بها بئر عين الطرشة، وهو يفور على حساب 5400 لترا في الثانية، وبئر سعد بن الطيب، وتدفعه 13000 لتر في الثانية، وبئر بوشير 10000 لتر في الثانية¹.

■ لمحة تاريخية عن مدينة طولقة:

مرّت مدينة طولقة عبر تاريخها بمراحل متعددة، منها الفترة الرومانية البيزنطية وآثارها المتبقية تدل على ذلك.

كما تعتبر من الأسواق الهامة خلال الفترة الوسيطة، وكمركز عبور الذي يربط بين القيروان والزاب حيث يمكن التوجه الى طبنة من بسكرة مباشرة وكذلك تهودة، ومن هذه الأخيرة يمكن الانتقال إلى مدينة باغاية بمدينة خنشلة².

وصفها البكري بقوله: ".....وبجوفي بنطيوس طولقة وهي ثلاث مدن كلها عليها أسوار طوب وخنادق وحولها أنهار، وهي كثيرة البساتين بالزيتون والأعناب والنّخيل وجميع الثمار، إحداها يسكنها المولّدون والثانية يسكنها اليمن والثالثة يسكنها قيس...."³.

¹ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1963، ص207.

² مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص169.

³ عبيد الله البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، المأخوذ من كتاب المسالك والممالك، ج2، حققه: أدريان فان ليفن وأندري فيري، دار العربية للكتاب، تونس، 1992، ص740.

وبعد القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، نجد طولقة من بين المدن التي تعرضت إلى الهجرة الهيلالية، فقد انتقل إلى ضواحيها يعقوب بن علي من شيوخ رياح فاخطت بها قرية فرفار قرب طولقة، كما استقر بها أولاد السباع بن يحيى¹.

5.3. مدينة أولاد جلال:

▪ الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة أولاد جلال:

تقع مدينة أولاد جلال فلكيا بين خطي العرض 34 و35 وبين خطي 5 و6 درجات طولاً من خط غرينيتش. وعلى بعد 100 كلم من غرب مدينة بسكرة، تتربع على مساحة تقدر بـ 32090 كلم²، ولها حدود مشتركة مع بلدية سيدي خالد غرباً، وولاية الوادي من جهة الشرق، وولاية المسيلة من جهة الشمال، وبلدية الشعبية من جهة الشمال الغربي وبلديتا ليوة ولغروس من جهة الشمال الشرقي، وبلدية البساس من ناحية الجنوب الشرقي².

وهي تنتشر على هضبة تكاد تكون منبسطة، تقع في معظمها على الضفة الشمالية الغربية لوادي جدي، وهي محصورة بين رافدين مهمين للوادي الشهير وهما وادي العسل غرباً ووادي ديفل شرقاً.

فهي بالتالي مدينة شبه صحراوية تحيط بها سهول وهضاب تكاد تكون جرداء إلا من بعض النباتات الطبيعية المتمثلة في شجيرات الرّمث والقتاد والحرمل³.

▪ لمحة تاريخية عن مدينة أولاد جلال:

تعود مدينة أولاد جلال إلى فترة ما قبل التاريخ، حسب عالم آثار يدعى الدكتور هنري مارشان H.Marchand الذي يستند إلى دراسة ميدانية قام بها الطبيب الملازم J.C.Sallier الذي مكث طويلاً بالمنطقة، فوجد أن مدينة أولاد جلال تزخر بآثار وأدوات وقطع تعود إلى

¹ مختار حساني، المرجع السابق، ص 170.

² محمد العربي حرز الله، أولاد جلال أصالة، حضارة وتاريخ، الجزائر، 2012، ص 22.

³ نفسه، ص 23.

عصور ما قبل التاريخ يكون هذا الأخير قد جمع الكثير منها خاصة على حافتي وادي العسل¹.

ومما يؤكد قدم المدينة ما جاء في كتاب جنات أوماسيب Ginette Aumassip " أسافل الصحراء في عصر ما قبل التاريخ " أنّ القس المسيحي براي L'Abbé Breuil وهو باحث آثار شهير، انتقل شخصيا إلى أولاد جلال سنة 1892م ليعاين البحث الذي قام به كليرجو² Clerjeau وتوصل معه من خلال نتائج البحث أن منطقة أولاد جلال أقدم مما يتصور³.

ويؤكد براي أن المنطقة المحصورة بين امسناج ووادي العسل إلى غاية بطمة امعمر (موجودة الآن غرب سيدي خالد) هي منطقة ملاء بالآثار القديمة. وأنّ المنطقة في الفترة الرومانية كانت ملاذا للمسيحيين الهاربين أو المنفيين من قمع الإمبراطور الروماني، حيث كانوا يمارسون طقوسهم الدينية المسيحية بكل حرية إلى أن جاء الإسلام .

أمّا مدينة أولاد جلال في تاريخها الوسيط، فكانت ضمن حظيرة مدن إمارة الأغلبية التي نشأت في بعض مناطق الشرق الجزائري الحالي، ولا سيما مدن الزاب وعلى رأسها بسكرة وطولقة وسطيف وبرج بوعريريج و نقاوس وغيرها⁴.

ولم تتأثر أولاد جلال طوال تواجدها بالتغيرات الظرفية الكبيرة التي كانت تقع شرقا أو غربا على الحدود.

¹ Marchand (H.), *Bulletin de la société préhistorique Française*, Volume 36, N6, 1936, p.313- 317

² كليرجو Clerjeau : يعاز إليه بناء معبد العسل البروتستيني، فهو رجل دين، وعالما في الآثار، وطبينا، مارس مهنة الطب بالمدينة في منتصف الثلاثينات.

³ Ginette Aumassif, *Le Bas – Sahara dans la préhistoire*, 1986, p.141.

⁴ محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص 45.

وعرفت المنطقة عدة تهديدات من المرينيين غربا ومن الحفصيين شرقا بسبب الضعف السياسي الذي عرفته الدولة الزيانية في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي¹.

وفي أواخر أيام الزيانيين، خضعت أولاد جلال على غرار مدن الزاب، إلى حكم إمارة العرب التي كان على رأسها الأمير علي بن السحري الذواوي المشهور ببوعكاز (لحملة العكاز دون الاتكاء عليها)، وعند بداية العهد العثماني حوّل الأتراك نظام الإمارة إلى نظام المشيخة دون أن ينزعوا السلطة من أبناء علي بن السحري الذواوي وذلك إلى غاية دخول محمد بن علي بن سليمان المعروف بتالحاج بن قانة المنافسة على سلطة الذواودة ابتداء من سنة 1177هـ/1763م، بعد أن استأثر آل بوعكاز بالسلطة المطلقة لوحدهم لما يقارب الثلاثة قرون، ممّا يفسر الصراع المرير بين العائلتين بوعكاز وبن قانة، ذلك الصراع الذي كان أشده إلى أن جاء الغزو والاحتلال الفرنسي للمنطقة².

■ النسيج العمراني لمدينة أولاد جلال:

تتصف النّواة الأولى لمدينة أولاد جلال بالطابع العربي الإسلامي لهندسة المدن، وهي لا تختلف في شيء مع مدينة سيدي خالد القريبة منها، فالأحياء السكنية العائلية تكاد تحيط بالنّواة من جميع جهاتها، غير أن أولاد جلال يقسمون البلدة إلى قسمين الشرق والغرب، فالشرق هو كل ما يقع في الجهة الشرقية من الرّحبة وهو رمز الأصالة والفلاحة والتقاليد، والغرب هو كل ما يقع في الجهة المقابلة أي الجهة الغربية وهو عنوان للتقدم والعصرنة والتجارة.

¹ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1975، ص 123 - 125.

² محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب، قرن من المقاومة، مطبعة السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2008، ص 145، وانظر أيضا: محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص 50 - 65.

والمتمتعن في وضعية الرحبة الحالية يلاحظ أنّها محفوظة من كل جوانبها بمساجد عديدة ضاربة جذورها في القدم، قدم المدينة نفسها، ويصنّف أهالي المدينة سبعة مساجد على أنّها من أقدم ما بني من بيوت الله قرب نواة المدينة، وهي:

المسجد العتيق الكائن بالرحبة، ومسجد الحسنية ويعرف اليوم بمسجد الحاج عمر السنوسي، وجامع سيدي بركات، وجامع الدشيثة المعروف بمسجد سيدي محمد بن سالم، وجامع الخندق المعروف بمسجد ابن رحمون، الذي وقف عند محرابه العلامة محمد بن عزوز البرجي شيخ الرّحمانية في منطقة الزاب بأكمله، وجامع لمعمرة بالصّحن وهو من بقايا صرح الزاوية، وجامع العرصة¹.

وعدة زوايا منها:

زاوية الشرفة، وزاوية الصحن، والزاوية القادرية، والزاوية المختارية (وهي محل دراستنا).

ومن المعالم الأخرى في المدينة، نجد الحصن الروماني وهو حصن ما زال قائما في المكان المسمّى " قرياع القزمير " ، ويدخل هذا الحصن في إطار السلسلة الكبيرة من البنايات التي أمر بها أندريان للفصل بين الروم والقبائل البربرية في المشروع المعروف بليماس Limes.

كما نجد الدّير المسيحي البروتستنتي الذي يوجد على حافة وادي العسل الغربية عند مصبّه في وادي الجدي، وهو دير تعلوه صومعة مبنية من المواد المحلية بشكل هندسي مسيحي، وتوجد بجانب الدير دار سكنها الراهب كليرجو² Clergeau.

وهناك أيضا الكنيسة الكاثوليكية وهي معلم ديني يعبر عن جزء من التاريخ مرّت به

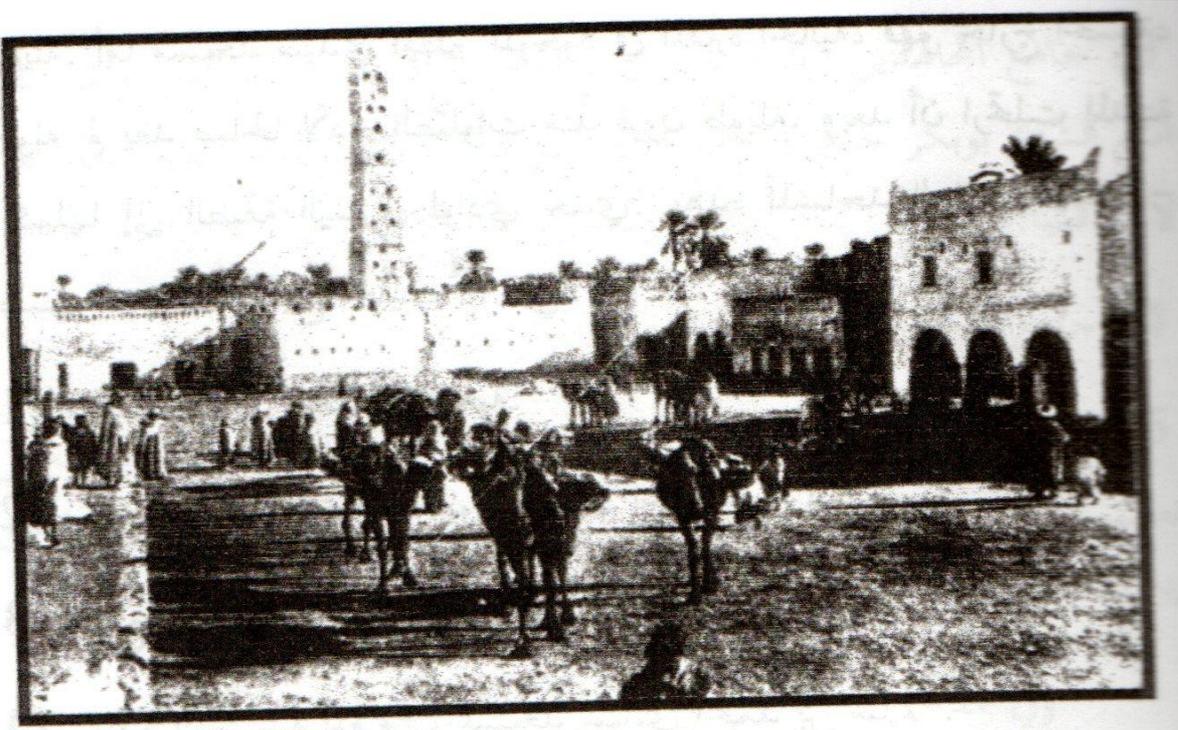
المدينة. (صورة 8،7)

¹ محمد العربي حرز الله، أولاد جلال أصله، حضارة وتاريخ، ص 182 - 197.

² نفسه، ص 209 ، 210.



صورة 7 / الزاوية المختارية - رحبة السوق في اتجاهها الغربي قبل أن يطرأ عليها تغيير
عن: حساين



صورة 8/ صورة قديمة للرحبة

6.3. مدينة عين ماضي:

تقع مدينة عين ماضي غرب مدينة الأغواط¹ بحوالي 75 كلم، وتبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 485 كلم، يحدها شمالا مدينة آفلو، ومن الشرق مدينة تاجموت، وغربا مدينة الغيشة، ومن الجنوب مدينة الحويطة، أراضيها سهلة لا تحوي جبالا ولا تلالا، مليئة بالبساتين.

■ لمحة تاريخية عن مدينة عين ماضي:

إن تاريخ مدينة عين ماضي مرتبط بتاريخ قصر عين ماضي ومرتبب أيضا بتسميته المركبة من كلمتين هما: الأولى عين يعتقد هؤلاء أنها تعود إلى العين الواقعة شمال المدينة على سفح جبل المركب، والتي كانت تمثل المورد الرئيسي والوحيد للسكان آنذاك، وتضيف الروايات الشفوية ان هذه العين تم اكتشافها من قبل أحد الرعاة، فأخبر قبيلته بذلك، ومن هنا بدأ التفكير في تشييد القصر، أما ماضي فيعتقد أنها نسبة إلى ماضي بن مقرب أحد أعيان قبيلة قره وهي من القبائل العربية التي وفدت إلى المنطقة قادمة إليها من طرابلس وقابس وشرقي إفريقيا، وتروي الرواية الشفوية، أنها تنسب إلى شخص يمتاز بحدته وصرامته في فصح القضايا الشائكة والعالقة فلقب بالماضي (أي الحاد)، في حين يعتقد أحد الباحثين، نقلا عن المصادر الشفوية، أن موقع القصر هو ملك لقبيلة عربية تسمى " زغارة " كانت تجوب طوال السنة بحثا عن الكأ والماء لماشيته².

¹ تقع مدينة الأغواط جنوب الجزائر العاصمة بحوالي 448 كلم، يحدها من الشمال ولاية تيارت، ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية البيض ومن الشرق والشمال الشرقي ولاية الجلفة ومن الجنوب ولاية غرداية. بنيت على السفح الجنوبي لجبال عمور، التي تمثل حاجزا منيعا أمام الرياح المحملة بالرمال الصحراوية وتمنع تسربها بالمناطق الشمالية .

وبنيت أيضا بمحاذاة ممرات ومسالك والقوافل التجارية، وفي أماكن محصنة تحصينا طبيعيا، لمزيد من المعلومات أنظر: علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 67 - 78.

² علي حملاوي، المرجع السابق، ص 97، 98.

ويبقى تاريخ تأسيس القصر غامضاً، ولم يبرز على مسرح الأحداث إلا منذ ظهور أحد الشخصيات المدينة التي غيرت مساره، وعليه يعود الفضل في النهوض بسمعته، وهو أبو العباس أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية.

مرّ قصر عين ماضي منذ نهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي بعدة حملات زعزعت استقراره، ومن هذه الحملات غارة السلطان السعودي أبي مروان عبد الملك بن محمد المهدي (تولى حكم سنة 983هـ/1575م)، ثمّ تلتها حملة مولاي إسماعيل (1083 - 1140هـ/1672-1727م) لإحباط عزائمهم، غير أنّه لم يتمكن بسبب قوة المدفعية التركية¹، وتلتها حملة مولاي يزيد الذي أضاف الغرامة المالية على كل بيت كامتياز يقدم لجنوده، ومن أشهر الهجمات التي تعرض لها القصر، كانت حملة باي الغرب محمد الكبير سنة 1200هـ/1785م، حيث طلب منهم دفع ضريبة خاصة تؤدي له تلك السنة، فوافقوا جميعاً، لكن سرعان ما تخلوا عن دفعها لعدم قدرتهم، وهذا ما جعل محمد الكبير يكرّر العودة إليهم قادماً من الأغواط².

■ النسيج العمراني للمدينة :

النسيج العمراني لمدينة عين ماضي يتمثل في قصرها العتيق، فهو تحفة معمارية مميزة، تحيط به مجموعة من البساتين فهو كما قال عنه أحد المؤرخين " قصر عين ماضي هو جوهرة ملفوفة في قطن " . فهو مصمم بدقة وفخامة تجعله مقصداً للسياح.

هندسته شبيهة بقرى الجنوب حيث الأزقة ضيقة لكنها بخلاف هاته القرى، فإنها تسمح للحيوانات كالجمال والبغال بالسير فيها، أمتاز بتحصينات قوية ومتينة أذهلت البعض منهم،

¹ أندري جوليان، المرجع السابق، ص 298.

² علي حملاوي، المرجع السابق، ص 100، 101.

كالرحالة الألماني مالتيس حيث يقول: " كانت عين ماضي أحسن حصن في الجزائر كلها، على الأقل أحسن حصنا بناه العرب "1.

كان للقصر ثلاثة أبواب:

باب الساقية، وباب الكبير، وباب الشرقي، كلها كانت تغلق في المساء وتحت حراسة مشددة ، وكانت في القصر حوالي 12 قلعة محصنة غير أن أغلبها طمس و لم يبق منها إلا ثلاثة، كان ارتفاع السور الحصين يتراوح ما بين 06 إلى 10 أمتار علوا.

ووصفه ليون روش سنة 1838م: " للمدينة واحات دائرية الشكل يحيط بها سور يبلغ ارتفاعه حوالي خمسة عشر قدما وسمكه حوالي قدمين ونصف، فتحت به مزاغل وتتخلله أبراج مربعة الشكل يبلغ عددها سبعة وثلاثين برجاً، تبدو المدينة صغيرة ولكنها مبنية بطريقة جيدة، تتكون من حوالي أربعمئة بيت، تتخذ شكلا دائريا، يحيط بها جدار يتراوح ارتفاعه ما بين عشرين وثلاثين قدما، وعرضه حوالي إثنا عشرة قدما...."2.

تتمثل المرافق العامة في هذا القصر في الساحات العامة أو ما تعرف لدى العامة بالرحبات، فهي من الناحية العمرانية تعتبر نقطة التقاء الأزقة والفضاء الذي من خلاله تتنفس الشوارع والدروب والأحياء المتراسة، وبها تفرغ حملتها ليتم توزيعها، كما تسهل حركة المرور وتنظيمها. (صورة 9).

¹ فون مالتاس، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج،3، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر

والإشهار،الجزائر، ص 253.

² Roches (L.), *Trente deux ans à travers Islam (1832-1864)*, Librairie de Firmin Diodot, Paris, 1884, p.301

ويحتوي هذا القصر على المسجد والجامع العتيق¹، وكذا المدرسة القرآنية أو ما يطلق عليها محليا بالمحضرات، وأيضا الزاوية التجانية ذات الشهرة العالمية.



صورة 9/ المدينة القديمة - عين ماضي

¹ يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للقصر، وعلى مقربة من الباب الشرقي الحديث الإنجاز، بني الجامع فوق ربوة يحده من الشمال والجنوب وشارعان رئيسيان، ومن الجهة الشرقية يحده ممر مغطى بسقف محمول بواسطة عقود مدببة، أما من الناحية الغربية فتتصل به الوحدات السكنية، وترى الروايات الشفوية أن تاريخ بنائه يعود إلى تسعة قرون خلت، أي خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. لمزيد من المعلومات، أنظر: علي حملاوي، المرجع السابق، ص 183، 184.

7.3 مدينة تماسين:

■ الموقع الجغرافي لمدينة تماسين:

تعد تماسين إحدى دوائر ولاية ورقلة، تبعد عن مقر الولاية بـ 160 كلم، وعن دائرة تقرت بـ 10 كلم، وعن الجزائر العاصمة بـ 650 كلم، أصبحت دائرة بعد التقسيم الإداري لسنة 1984م.

يحد تماسين من الشمال بلدية النزلة (دائرة تقرت)، ومن الشرق بلدية منقر (بلدية طبيبات)، ومن الغرب بلدية العليا (دائرة الحجيرة)، ومن الجنوب بلدية بلدة عمر (دائرة تماسين)، تتربع على مساحة تقدر بـ 300 كلم².

■ لمحة تاريخية عن مدينة تماسين:

أمّا عن مدينة تماسين تاريخيا فهي أحد أهم المدن المكونة لإقليم وادي ريغ بالمنطقة الصحراوية، ويرتبط تاريخها بتاريخ هذا الوادي الذي هو مرجع توافد وتواجد الإنسان في هذه المنطقة، ويمثل إقليم وادي ريغ رواق طبيعي يلعب دور الربط بين الشمال والجنوب باعتباره همزة وصل تجارية بين الشمال والجنوب.

تعود المنطقة إلى عصور ما قبل التاريخ، وذلك حسب الدراسات التي تشير إلى أن قاعدة التعمير بالمنطقة تعود من مهاجري زوج العصر الحجري المتوافدين من نواحي مصر يشتغلون بحرفة الرعي، حيث تعد هذه الفئة السكانية أول من ساهم في التكوين والتغيرات الجيومورفولوجية والتحويل المناخي والفيزيائي لمنطقة الصحراء بصفة عامة، ثمّ تتبع بتوافد الإنسان من الجنس الإيتوبي ذو البشرة السمراء من منطقة وادي الجدي بسكرة حاليا¹.

¹ كمال بن عزيزة، "المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لمنطقة تماسين"، مكتب الدراسات والإنجازات في التعمير، باتنة، 2008، ص 26.

ويرجع تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة إلى القرن الرابع والخامس الهجري العاشر /الحادي عشر الميلادي، وتعدلا سلالة بني جلاب آخر سلالة تعمر بالمنطقة بعد السلالة الإدريسية.

بينما تعود نشأة المدينة إلى سنة 200هـ/815م فترة الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا¹.

8.3. مدينة قمار:

■ الموقع الجغرافي للمدينة:

تقع بلدة قمار على بعد 15 كلم من مقر الولاية وادي سوف في الجهة الشمالية الغربية، تحدها الشمال شط ملغيغ وبلدية الحمراية، ومن شرق بلديتا الزقم وسيدي عون، ومن الغرب بلدية الرقيبة، كما تحدها من الجنوب بلدية تاغزوت².

■ لمحة تاريخية عن مدينة قمار:

في سنة 1180م هاجم بنو جلاب (وهم حكام مدينة تقرت) وادي سوف ومنها قمار، لإخضاعهم لدفع الضرائب، كما ارتبط أهل قمار ومنطقة سوف عامة باسم الطريقة التجانية، واستطاع الحاج علي تماسيني بأخذ المشعل وينشر الطريقة التيجانية في قمار وكل ربوع وادي سوف، بعدما اختطها أول مقدم للطريقة التيجانية بمنطقة وادي سوف الشيخ محمد الساسي القماري طبعاً بإيعاز من الشيخ أحمد التجاني³.

وبدأت بعد ذلك رحلة الشتاء والصيف بين تماسين وقمار، فكانت عائلة الحاج علي تأتي باستمرار لقضاء فصل الصيف بقمار، هرباً من الأمراض التي كانت تنتشر في تلك الأثناء بوادي ريغ وتماسين التي يعودون إليها في فصل الشتاء⁴.

¹ محمد لبسيس، " ومضات تاريخية من تماسين " ، مجلة النسيم الثقافي التماسيني، العدد التجريبي، مطبعة تقرت، ورقلة، 1998، ص 1، 2.

² عبد العزيز حسونة، النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص16.

³ محمد لبسيس، المرجع السابق، ص25.

⁴ ابن سالم بن الطيب بالهادف، سوف تاريخ وثقافة، مطبعة الوليد، الوادي، 2008، ص 86.

9.3. مدينة وادي سوف:

■ الموقع الجغرافي للمدينة:

تقع سوف على العرق الجنوبي الشرقي للجزائر على الحدود التونسية فوق بحر لحي من الرمال الذهبية، وهي بين خطي طول 6،8 وخطي عرض 33،34 وهي تمتد من سطيل إلى غدامس. تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 620 كلم¹.

■ لمحة تاريخية عن مدينة وادي سوف:

وادي سوف (مدينة الألف قبة) : أصل كلمة وادي سوف، أي التعرّف الإيتيمولوجي Etymologie لهذا المصطلح، هناك من يقول أن كلمة سوف مشتقة من الاسم الأمازيغي القديم " سوف " أو " أسوف " أو بالقبائلية العصرية " أسيف " وتعني الأراضي المنخفضة ، أو ضفاف النهر (مثل وادي النيل)، فأدغمت كلمة وادي مع كلمة سوف وأصبحت وادي سوف، ويمكن تقسيم تاريخ وادي سوف إلى أربعة أزمنة أساسية: فترة ما قبل التاريخ، التاريخ القديم، العصر الإسلامي، وحقبة الإحتلال الفرنسي.

ومن خلال تحليلات كتابات هيرودوت وسالوست وهانون نتعرف على أنّ هذه الجهات الصحراوية قد سكنها الليبيون والإثيوبيون، والجيتوليون، وكانوا يرعون بمواشيهم بحثا عن الكأ والماء².

وخلال عهد الجزائر العثمانية لم تخضع وادي سوف إلى الحكم المركزي المتمثل في بايلك الشرق تحت سلطة الباي وعاصمته قسنطينة، فإنّ وادي سوف كانت مستقلة في أغلب الأحيان، لكنّها تتعرض من حين لآخر إلى ضغوط ونفوذ سلطان تقرت من أجل جمع الضرائب والإتاوات وغير ذلك، وهذا في الفترة ما بين 1700 و1844م.

¹ بن سالم بلهادف، رشيد سالم، زاوية سيدي سالم الرّحمانية قلعة القرآن الكريم في ربوع سوف، من إصدارات زاوية سيدي سالم، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ص 3.

² إبراهيم مياسي، "أضواء على تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة"، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، مديرية التراث الثقافي، تندوف من 19 إلى 24 أفريل، 1996، الجزائر، ص 102 - 116.

لم تخضع المنطقة للإحتلال الفرنسي، إلا في شهر ديسمبر سنة 1854م حينما اكتسحه العقيد " دوفو " Desvaux على رأس قوة هائلة ثم رجع إلى تقرت ليقوم بتنظيم وضبط لشؤونها الإدارية بضم منطقة وادي سوف إليها. حيث بادر هذا الأخير بتعيين " علي باي " بن " فرحات بن سعيد " قايد على تقرت وسوف باسم فرنسا منذ 26 - 132 - 1854م.

لم تترك القوات الفرنسية في سوف أي أثر من القوات العسكرية لتحافظ على احتلالها، غير أنها رجعت إليها بعد سنة وذلك بتاريخ 06 - 12 - 1855م لمدة محددة عندما تأثرت المنطقة بتحركات المقاومين¹.

عثر الفرنسيون على بطاقات صادرة عن زاوية نفطة للمقدم إبراهيم بن عبد الله يحث فيها الناس على جمع الأسلحة ومحاربة الفرنسيين ووصلت هذه البطاقات الى تقرت ووادي سوف.

كانت الظروف الاجتماعية قاسية جدا على السكان نتيجة لواقع الإحتلال وبالإضافة للآفات الطبيعية².

¹ يحي بوعزيز، " تهريب الأسلحة عبر حدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الإحتلال " محاضرة قدمت في الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة أول نوفمبر 1954 بالوادي من 19 - 20 مارس 1999 من الجزائر، ص2، وانظر أيضا: رشيد سالم، منارة سيدي سالم بوادي سوف معلم وتراث، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2009، ص6-7.

² رشيد سالم، المرجع السابق، ص8 - 9.

10.3. مدينة بوسمغون:

■ الموقع الفلكي والجغرافي للمدينة:

تقع مدينة بوسمغون في الجنوب الغربي من مدينة البيض¹، حيث تبعد عن مقر الولاية بـ 160 كلم، وهي على خطي عرض 22 و 33 درجة قريب من خط " قرينتس "، يحدها من الشمال مدينة الشلالة، ومن الشرق الأبيض سدي شيخ، ومن الغرب بلدية عسلة، ومن الجنوب بلدية البنود.

ترتفع على مستوى سطح البحر بـ 1148م، وتقع بالتحديد بين سلسلتين جبليتين هما " تمدة " شرقا ويبلغ علوها 1998م، و " تانوت " غربا ويبلغ علوها 1932م².

¹ ولاية البيض جزء لا يتجزأ من منطقة السهوب، والسهوب المرتفعة في جنوب غرب الجزائر، تبعد عن العاصمة بحوالي 520 كلم، يحدها من الشمال كل من سعيدة، تيارت وسيدي بلعباس، ومن الشرق والجنوب الشرقي كل من الأغواط، وأدرار، وغرداية، ومن الغرب والجنوب الغربي كل من النعامة وبيشار.

وأصل التسمية لمدينة البيض يعود إلى أن كلمة البيض مأخوذة من صفة البياض نسبة إلى المكان ذي التربة البيضاء الذي شيدت عليه المدينة، وتروي رواية أخرى أن تسمية " البيض " مأخوذة من شهرة المنطقة بالتلوج كل شتاء. وعند تشييد مباني الأوربيين الأولى سميت المدينة بـ " ليني فيل " Lignyville، بعد ذلك جاء الكولونيل " جيرري " لأول مرة على رأس قوات فرنسية سنة 1845م، حيث أنشأ في سنة 1852م مركزا عسكريا بالبيض، وعند تأسيس المدينة أخذت اسمه وأصبحت تعرف " جيرري فيل "، وهي على ارتفاع 1320م من البحر.

تنتمي البيض ومنطقتها إلى سلسلة جبال عمور، التي يحتضنها جبل كسال الذي يعلو بـ 2006م، وهي تتميز بمناخ بارد في الشتاء ويصقيع قارس يتخلله تلوج تستمر عدة أسابيع مع رياح باردة. لمزيد من المعلومات، أنظر:

- منى دحمون، قصر بوسمغون بولاية البيض، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005/2004، ص 13 - 21.

² RogerDuvollet, / Villages d'Algérie et oasis du Sahara, Tome7, 1987, p.12. :

Roger Duvollet, D'Alger à Tamanrasset, Tome3, 1983, p.62 وانظر أيضا:

■ لمحة تاريخية عن مدينة بوسمغون:

يعود تعمير مدينة بوسمغون إلى عصور ما قبل التاريخ من خلال ما تزخر به المنطقة من الرسومات المختلفة على الحجارة والتي تحمل في طياتها الكثير من تاريخ الإنسان القديم.

كانت مدينة بوسمغون ممرا للقوافل التجارية والحجيج، ويطلق على هذا المعبر في الجغرافيا التاريخية طريق القصور، لذا فقد كانت بوسمغون معبرا للقوافل من الشمال وبالضبط من تلمسان في اتجاه الجنوب نحو بلاد السودان وهذا قصد جلب الذهب وبيعه. أما الطريق الثاني لمدينة بوسمغون فهو حسب الرحالة المغربي " العياشي " المتوفي عام 1090هـ/1679م خاص بقوافل الحجيج، فهو يذكر أن هذا الطريق يمتد من مراكش مرورا بمنطقة فقيق وابن ونيف ثم بوسمغون فالأغواط¹.

وتعود تسمية بوسمغون إلى شخصية بربرية مشهورة، ساهمت بعملها الجليل في تقديم العديد من الخدمات للمنطقة، وعادة ما يخلد السكان هذا الشخص وبعد تشريفه بواسطة إطلاق اسمه على البلدة.

ونال قصر بوسمغون شهرته على أثر قدوم الولي الصالح " سيدي أحمد التجاني " ومكوته فيه طويلا على إثر ما لقيه هناك من تقدير وتبجيل من لدن سكان القصر، وأيضا بوجود الزاوية التجانية². (صورة 10).

¹ أبي سالم العياشي، الرحلة العياشية، ماء الموائد، ج،1، ط،1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977. ص43.

² منى دحمون، المرجع السابق، ص 23 - 25.



صورة 10 / قصر بوسمغون

الفصل الأول

التصوّف والطرق الصوفية

أولا. أصول التصوف الإسلامي.

1. تعريف التصوف لغة واصطلاحا.
2. التصوف في المشرق والمغرب الإسلاميين.
3. الحضور الصوفي في الجزائر خلال العهد العثماني.

ثانيا. الطرق الصوفية.

1. تعريف الطريقة الصوفية لغة واصطلاحا.
2. الظروف والعوامل التي ساعدت على انتشار الطرق الصوفية بالجزائر.
3. أهم الطرق الصوفية بالجزائر.

أولاً. أصول التصوف الإسلامي

يعتبر التصوف من المواضيع الهامة التي أثارت جدلاً كبيراً بين العلماء والباحثين في علوم الدين والحياة الروحية، واختلف آرائهم من حيث حقيقته وتوجهاته وبيان أصوله وفروعه.

1. تعريف التصوف لغة واصطلاحاً

■ تعريف التصوف لغة:

التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من " الصف " للدلالة على لبس " الصوف " ، يقال : تصوف الرجل يتصوف تصوفاً، إذا تكلف فعل لبس الصوف¹.

وعن سبب هذه التسمية قال الكلاباذي: " قالت طائفة إنّما سمّيت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها " ، وقال بشر بن الحارث: الصوفيّ من صفا قلبه لله. وقال بعضهم: الصوفي من صفت الله معاملته، فصفت له من الله عزّ وجلّ كرامته. وقال قوم إنّما سمّوا صوفية لأنّهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعزّ بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه، ووقوفهم بسرائهم بين يديه².

وقد لخص معنى الصوفي كما يلي: " قالت جماعة إن الصوفي سمي بهذا الاسم لأنّه يلبس ثياب الصوف، وقال آخرون إنّهم سموا صوفية لأنّهم في الصف الأول، وقال طائفة إنّهم سموا كذلك يتولون أصحاب الصفة، وقال آخرون إن هذا الاسم مشتق من الصفاء " ³.

¹ محمد عبد الكريم، التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران، د.ت، ص 14.

² الكلاباذي، أبو بكر محمد بن اسحق، التعرف لمذهب أهل التصوف، نشر وتصحيح آرثر جون أوبري، مصر، مكتبة الخانجي، سنة 1352 هـ / 1933 م، ص 05.

³ أنا ماري شيميل، كتاب الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية، ترجمة: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، بغداد، 2006، ص 19.

وهذا ما ذهب إليه الشيخ بن تيمية رحمه الله : " هؤلاء - الصوفية - نسبوا إلى ظاهرة اللبسة وهي لباس الصوف، فقد قيل في أحدهم صوفي وليس طريقة مقيدا بلباس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ولكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال" ¹.

إنّ الصوفية كما يلاحظ من هذه التعريفات يولون الاهتمام الرئيس للنفس وصفائها ولا يتوقّفون كثيرا أمام المظهر واللباس لأنّه لا يحمل مدلولاً عن التقوى، وقد ذكر القشيري في رسالته أنّ سهل بن عبد الله سئل عن التصوف فقال: " الفتوة والشجاعة والصدق " ².

■ تعريف التصوف اصطلاحاً :

- إنّ التصوف هو منهج سلوكي يقوم على ركائز روحية ووجدانية تؤدي إلى صفاء القلب ونقاء السريرة، وليس منهجا ماديا أو قائما على حالة عقلية فقط، بل يسعى المتصوف بعد أدائه الفرائض إلى تحقيق حالة روحية لا تكون لغيره، ولا يشاركه فيها أي إنسان آخر ³.
- وقيل: إنّ التصوف: الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق ⁴.
- وهو العكوف على العبادة والانقطاع لله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ⁵.

¹ الإمام ابن تيمية، موسوعة فقه السنة (فقه التصوف)، ج3، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شقيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت، ص24.

² القشيري، عبد الكريم بن هوازن، الرسائل القشيرية، حققها وعلق عليها وترجمها: فير محمد حسن، باكستان، المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية، د.ت، ص 60

³ أسعد السحمراني، التصوف، منشؤه ومصطلحاته، دار النقاش، ط2، بيروت، 2000، ص 30

⁴ نفسه، ص 32

⁵ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، د.ت، ص517.

- وهو عمليا، تصوف تأملي وعاطفي وتنمية للخبرة أو التجربة الدينية، فهو ليس نظاما فلسفيا ولا فرقة دينية، وإنما طريقة للعيش في صفاء كامل، دون إيديولوجية ولا قواعد ولا عقلانية، وجوده يكمن في الإحساس والحدس والانطباع....¹.
- و".....الصوفية هم المجتمع على الله همهم، المتعلقة بعظمته وحكمته ألبابهم، الذين لا يشهد سوى الله أسرارهم، وليس إلا إليه غدوهم ورواحهم، فهم أحكم الناس وأعقلهم"².
- وقد بني مذهب التصوف على ثمان خصال، إقتداء بثمانية أنبياء عليهم السلام: فيقتدى في السخاء بإبراهيم، لأنه بلغ أن ضحى بولده، وفي الرضى بإسماعيل، لأنه سلم لأمر الله، فقام بتترك روحه الغالية، وفي الصبر بأيوب لأنه صبر على بلائه بالدود، وفي الكلام بكلام زكريا للناس رمزا، عندما أمره الله: ﴿أَلَا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾³ والذي قيل عنه كذلك في القرآن: " إذ نادى ربّه نداء خفيا " ⁴، وفي الغربة بيحي الذي كان غريبا في وطنه وغريبا في أهله، وفي السياحة بعيسى لأنه كان في سياحته من التجرد حيث لم يكن يملك إلا وعاء ومشطا ألقاهما بعد أن رأى رجلا يشرب بحنفيته ورجلا آخر يخلل شعره بأصابعه، وفي لبس الصوف بموسى، وفي فقر محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسل الله إليه مفتاح كنوز الأرض.⁵

¹ Louis Rinn, *Marabouts et Khouans étude sur L'islam en Algérie*, Alger, Adolphe Jourdan, 1988, p.68.

² محمود أبو الفيض المنوفي، المدخل إلى التصوف، القاهرة، الدار القومية، د.ت، ص 09.

³ سورة آل عمران، الآية، 36.

⁴ سورة مريم، الآية، 2.

⁵ أنا ماري شيمل، المرجع السابق، ص 20.

■ أنواع التصوف:

التصوف نوعان، تصوف سني وتصوف فلسفي، غير أننا سنركز في هذا الجانب على التصوف السني لمرجعياته الأساسية.

■ **التصوف السني:** مرجعيته الأساسية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولهذا التزم المسلمون في القرن الأول والثاني الهجريين/السادس والسابع الميلاديين بأوامر الله ونواهيه والافتداء بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، عبادة وتزهدا في الدنيا وإعراض عن مباحها ومغرياتها، وعلى هذا الأساس تلخصت وجهتهم الصوفية في مظهرين:

- مظهر ظاهري يتمثل في ترك مظاهر الدنيا (مال وجاه وعيشة رغدة) انطلاقاً في قوله تعالى " قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً " ¹ وفي قوله أيضاً " والآخرة خير وأبقى " ²، ومثال على ذلك الإمام أحمد بن حنبل اكتفى بدخل قليل ولمّا أرسل إليه الخليفة المتوكل بعشرة آلاف درهم فرّقها على المحتاجين وقال بعض الزهاد يا ابن آدم بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعاً ³.

- مظهر باطني يتمثل في مراقبة أفعال القلب وسمّيت بمرحلة مجاهدة التقوى. وقد تطور التصوف السني في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، حيث سعى فيه الصوفية للوصول إلى نفس لا يصدر عنها سوى أفعال الخير مؤدبة بآداب القرآن والسنة عن طريق الإرادة والرياضة ⁴.

¹ سورة النساء، الآية، 77.

² سورة الأعلى، الآية، 17.

³ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص327.

⁴ الرياضة: هي تدريب النفس على رفض زينة الحياة الدنيا من مال وجاه وشهوات ومقاومتها عن طريق الصيام المتواصل وقيام الليل والتهجد للوصول إلى مراتب الأنبياء والشهداء وأطلق على هذا النوع مجاهدة الإستقامة. لمزيد من المعلومات، أنظر: الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجري الموافق 12 و13م، دار الهدى عين المليلة، الجزائر، 2004، ص39.

■ **التصوف الفلسفي:** هو الذي يتجه بالقول بنظرية الحلول ووحدة الوجود والفناء وتزعم هذا الإتجاه الحسن بن المنصور الحلاج¹، وقد رفضها الكثير من المتصوفة والفلاسفة، وقد ظهر هذا الإتجاه في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

وقد ثار الفقهاء ضد المتصوفين وحكموا على بعضهم بالكفر أو القتل وجعلوا الحكم الظاهر هو المنهج القويم لحكم المسلم لأنه المنهج الذي سار عليه الأولون وهو وحدة طريق النجاة، ويرى بعض المعاصرين أن التصوّف والمبالغة في الزهد نزعة رجعية قديمة ليس من الإسلام في شيء.

¹ هو الحسن بن منصور الحلاج، المكنى بأبي المغيث، وقيل بأبي عبد الله، وكان جده فارسيًا مجوسيًا، نشأ الحلاج بواسط، وقدم بغداد وهو في الثامنة من عمره، حيث خالط الصوفية، وصحب من مشيختهم الجنيد بن محمد، وأبا الحسن النووي، وعمرو المكي، وقيل سمي الحلاج بهذا الإسم لأنه كان حلاج أسرار المريدين، ويخبر عنها. للحلاج مؤلفات كثيرة، ولم يتبق منها إلا القليل، منها كتاب " الطواميس "، وكتاب " سر العالم والمبعوث "، وكتاب " نور النور "، وكتاب " البد والمأبود "، وكتاب " الصهبور في نقض الدهور "، وكتاب " تفسير قل هو الله أحد "، وكتاب " العدل والتوحيد "، وكتاب " السياسة والخلفاء " وكتاب " علم الفناء والبقاء ".

ويصف ابن الجوزي الحلاج بأنه مشعوذ، جاهل بأمور الدين، وأنه ذهب إلى الهند ليتعلم السحر والطلسمات، وفي السادس والعشرين من ذي القعدة سنة 309هـ/ تم قتل الحلاج وصلبه، وشهد قتله جميع سكان بغداد.

وانظر أيضا: عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية، وموقف أهل السنة منهم، ط1، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006، ص 27، 28.

2. التصوّف في المشرق والمغرب الإسلاميين:

مرّ التصوف الإسلامي بمراحل مختلفة بدايتها مظهر الزهد والتقشف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين¹ إلى مظهر ترك الحياة الدنيا، والتفرغ للعبادة الفردية في عصر الأمويين وهو مظهر زاد من حدته فساد الأوضاع السياسية والاجتماعية نتيجة كثرة الصراعات حول الخلافة، واشتد هذا التيار قوة في عهد العباسيين، وبدأت ظاهرة التعدد والتنظيم الجماعي لفئات المتصوفة، ودخلت الدولة في صراع تحت تحريض الفقهاء، غير أنّ ذلك قوى من عزم هذه الفئات، وساعد على تبلور نظامها، وانتشار أفكارها، واستقرار قواعدها ومناهجها².

وقد ظهرت فئة الزهاد محدودة العدد منذ الفتح الإسلامي بسائر أنحاء الشمال الإفريقي، وفي إقليم إفريقية (المغرب الأدنى) ظهر الصلحاء الأولون في عصر الأغالبة في القرن 2هـ/8م ومعظمهم من طبقة العلماء المثقفين³، وفي المغرب الأقصى شهد العصر المرابطي أول ظهور للتصوف الذي انتشر في أواخر دولتهم في المغرب والأندلس، لا سيما بعد دخول كتاب " إحياء علوم الدين " للغزالي لهذه الديار، على الرغم من عقاب من يوجد عنده، وإفتاء فقهاء المالكية في كل من المغرب والأندلس بإحراقه، وتحريم قراءته⁴، وفي عهد الموحدين صار للمتصوفة قوة اجتماعية يحسب حسابها بعد أن تجاوزت إطار التصوف الفردي إلى تصوف جماعي منظم، وأخذت تظهر في كتب مناقب الأولياء والمتصوفة ككتاب " التشوّف " الذي فرغ من تأليفه سنة (617هـ/1220م) وبه مصطلحات خاصة بالتصوف الجماعي، كمصطلح " الإخوان " و " الزوار " و " المريدين " و " الفتوح "، ومع ظهور المرينيين اشتد نفوذ المتصوفة غير أنّ نشاطهم اقتصر على الجانب الديني في البداية ثمّ في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر

¹ محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ج2، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، 1999، ص119 - 121.

² محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، القاهرة، ص 242 ، 243.

³ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع، القاهرة، ص224.

⁴ عبد الله التليدي، المطرب في مشاهير أولياء المغرب، الطبعة الثانية، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، 1987، ص31 - 33.

الميلادي شرع في الميدان الجهادي من غير تدخل في الشؤون السياسية، وفي القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي شهد المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأوسط امتداداً واسعاً لنشاط المتصوفة ليشمل المجال الديني والاجتماعي والسياسي¹.

3. الحضور الصوفي في الجزائر خلال العهد العثماني:

إتسم العهد العثماني في الجزائر بانتشار ظاهرة التصوف، وسيطرتها على توجيه مسار الحياة السياسية والاجتماعية والروحية، رغم أنه كان منتشراً قبل وبعد هذه الفترة.

ولذلك لا يبدو عجباً أن تتميز بداية هذه الفترة بنهاية حياة متصوف جزائري شهير، هو عبد الرحمن الثعالبي، وتنتهي بعد مرور زهاء ثلاثة قرون، ببداية حياة مجاهد ومتصوف جزائري آخر شهير أيضاً هو الأمير عبد القادر الجزائري، الذي قضى من عمره أربعاً وعشرين سنة في العهد العثماني، وبقية العمر في عهد الاحتلال الفرنسي. وكأن اليد التي صاغت العثمانيين، ومهدت لدخولهم إلى الجزائر، هي نفسها اليد التي ودعتهم عند خروجهم منها، وهي اليد الصوفية².

كانت الأوضاع السياسية للبلاد مضطربة، وخريطتها السياسية لم تكن واضحة المعالم والحدود، فمثل الجزائر بمشيخة الثعالبة كان لها ما يماثلها من المشيخات والإمارات في مناطق أخرى من الوطن، وظلت الذهنية الشعبية مرتبطة بالسلطة الروحية المتمثلة في "مشايخ الصوفية" أكثر مما كانت مرتبطة بسلطة زمنية معينة تجمع شتات القبائل المتنافرة، فقد كان لكل مدينة رمزها الروحي، الذي يؤلف بين القلوب. فالثعالبي ظلّ حياً - ثم ميتاً - يمثل رمز السلطة الروحية في مدينة الجزائر وأحواض متيجة، وكان القطب الصوفي محمد الهواري يمثل تلك السلطة في وهران، وكانت وما زالت قسنطينة "مدينة سيدي راشد"، وتلمسان "مدينة سيدي بومدين الغوث"، وفي معسكر كانت "الطريقة القادرية" التي أسسها سلف الأمير عبد القادر هي التي تمثل تلك السلطة، وفي أحواض شلف وتنس كان يمثلها آل أبهلؤل المجاجي، وفي عنابة كانت المشيخة في

¹ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 335.

² الأمير عبد القادر، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، جمع وتحقيق: زكريا صيام، الجزائر، 1988، ص 55.

عائلة "ساسي البوني" وفي غيرها من المدن والجبال والسهول كان غيرهم من الرموز الروحيين، الذين مازالت آثارهم المتمثلة في الأضرحة والقبب تدل عليهم، وتدل على ما كان لهم من سلطة روحانية على الأهالي¹.

ولكي نعرف دور الصوفية السياسي وموقفهم من الوجود العثماني كسلطة بديلة، لابد من الإشارة إلى أن الحركة الصوفية بالجزائر كانت قد انتشرت بكامل القطر قبل مجيء العثمانيين وحسها الروحي هو الذي كان يجمع شتات القبائل والإمارات تحت مظلته، وبه كانوا يشعرون أن مصيرهم واحد إزاء الغزو الصليبي لهم، فرغم تفرقهم وتناحرهم أحياناً، من أجل توسيع نفوذهم واكتسابهم لمزيد من الإقطاعات، إلا أنهم سرعان ما توحدتهم كلمة "الجهاد" في سبيل الذود عن حرمة الإسلام، وأن الصوفية في الغالب هم الذين كانوا يغذون تلك الوطنية الدينية" أو ما يمكن أن نطلق عليه "سلطة الصوفية"².

ففي تلمسان مثلاً عاصمة الغرب الجزائري الثقافية، كان يغذي تلك السلطة الروحية كثيرون من أشهرهم عائلة ابن مرزوق، وتلاميذها، وكان "قطب زمانه" الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الدار والنسب، دفين مليانة، يروج للطريقة الشاذلية في كامل القطر، وقد اشتهر "بالقطبانية" و"الولاية" في عهده، وذاع صيته في الناس، ونزل إلى العامة يستميلهم إليه، فلقدنهم "الذكر"، فتبعه خلق كبير، حتى النساء، وقيل له في ذلك: "أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامة حتى النساء، فقال: قد دعونا الخلق إلى الله فأبوا: ففنعنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر"³.

وكان من نتيجة نشاط الشيخ ابن يوسف، أن انتشرت الطريقة الشاذلية في كامل القطر الجزائري، فضلاً عن انتشارها في المغرب والمشرق قبله بواسطة مؤسسها أبو الحسن الشاذلي، وأتباعه، ونذكر من أتباع ابن يوسف الملياني في الجنوب الغربي من الجزائر: الشيخ ابن سليمان، المعروف باسم: سيدي الشيخ، صاحب "الياقوتة"، وقد اتصل العثمانيون بممثلها، واستمالوه

¹ قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الجزائر، د.ت، ص 25.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، بيروت، 1999، ص 464.

³ محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص 106.

لجهتهم، فما كان منه إلا أن بارك وجودهم، وتحالف معهم على محاربة العدو المشترك: الإسبان من جهة، وسلطة الزيانيين بتلمسان المتحالفة مع الإسبان على العثمانيين من جهة أخرى¹.
 وأمّا في قسنطينة التي كانت تابعة للسلطة الحفصية بتونس، قبل الوجود العثماني بالجزائر، كان أمر "السلطة الروحية" فيها بيد أكثر من عائلة: أهمها عائلة الباديس، وعائلة آل عبد المؤمن، وعائلة الفكون، التي اتصل العثمانيون بها، فرحبت بهم، وتحالفت معهم، فأل إليها مصير قسنطينة "الروحي"، أما عائلة آل عبد المؤمن التي كان بيدها الحل والربط والتي انتصرت للحفصيين، فكان مآلها الخسران مع العثمانيين².

وفي الجزائر كانت المشيخة للثعالبة الذين تحالفوا مع العثمانيين وعقدوا مع بابا عروج العثماني معاهدة لصد الإسبان الذين كانوا متمركزين بصخرة "بنيون" على مقربة من شاطئ المدينة، وقد عين العثمانيون أبا عبد الله محمد بن علي الخروبي سفيراً لهم مرتين على الأقل يمثلهم لدى سلاطين المغرب الأقصى، وكان الخروبي تلميذاً لأحمد زروق، قدم إلى الجزائر من طرابلس، فاستوطنها وتوفي بها سنة 961 هجرية³.

أمّا في عنابة، فقد قصد العثمانيون عائلة ساسي البوني، التي كانت تمثل السلطة الروحية هناك، فلم تخيب العائلة قصدهم، ونشأت بينهم علاقة حميمة مع مر الزمان، وتتجلى هذه العلاقة من خلال الرسائل المتبادلة بين محمد ساسي البوني، ويوسف باشا (الجزائر) من جهة، وبين أحمد بن قاسم البوني (الحفيد) ومحمد بكداش من جهة أخرى⁴.

وفي الداخل اقتفى كثير من مشايخ الصوفية أثر من سبقهم في تحالفهم مع العثمانيين فأتباع الملياني وتلاميذه اقتنوا في أغلبهم صنيع شيخهم، نذكر منهم محمد بن شاعة الذي أعفاه العثمانيون من الضرائب لموقفه الإيجابي منهم، ومن غير المستبعد أن يكون تلميذ الملياني: محمد

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 470.

² نفسه، ص 471.

³ محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 490.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 471.

بن عبد الجبار الفيحجي المتوفى سنة 950 هجرية قد تعاون مع العثمانيين اقتداءً بشيخه فقد كانت له زاوية بمنطقة تاسالة، جعلها وقفاً على المريدين الذاكرين¹.

وفي ضواحي شلف كان يربط الشيخ ابن المغوفل، وهو من صلحائها الروحانيين، وكان له في قومه نفوذ، لذلك كان أول من قصده العثمانيون في هذه الجهة، وطلبوا منهم مبايعتهم ومناصرتهم على الزيانيين، ومباركة حملتهم عليهم، فكان لهم منه ما أرادوا.

وفي مجاجة قرب مدينة تنس، كانت ترابط عائلة أبهلول المجاجي، وقد أسست هذه العائلة زاوية بمجاجة، وكان من بين أهداف مؤسسيها: الجهاد في سبيل حماية الإسلام والأرض من الغزو الصليبي. وقد تعاونت هذه العائلة لذلك مع العثمانيين، وقد ظلت هذه الزاوية تؤدي دورها في الجهاد في العهد العثماني، ولم ينقطع هذا الدور بذهاب العثمانيين، إذ برز أحفاد الشيخ كمجاهدين مع الأمير عبد القادر الجزائري، الذي تصدى للغزو الفرنسي².

ولقد شجع العثمانيون رجال التصوف، وأهل الطرق الصوفية، بعد استمالتهم إليهم، كما شاركوا مشاركة فعلية في بناء القبب والأضرحة والمزارات، وفي "دار السجل" الوطني عدد كبير من الوثائق التي تدل على تلك المشاركة السخية. وقد تولت (المجلة الإفريقية) بنشر بعضها، ويصادف المتصفح لها كثيراً من العبارات مثل "أما بعد فهذا ضريح الولي الصالح الزاهد الورع سيدي عبد الله بن منصور".

كما ساعدوا "الصالحين" ببناء الزوايا والرباطات، وأنفقوا في سبيل ذلك أموالاً طائلة فرتبوا لبعضها أوقافاً خاصة وأغفوا المقربين منهم من الضرائب ومنحوهم حرمة وحصانة، فالمستجد بحماهم لا يلحقه أذى ما دام في حمى "الشيخ" ولو كان المستجير مجرماً!

وبذلك وجد التصوف المجال خصباً للنماء والانتشار والشيوع بين العامة والخاصة، وتطعم بالمعتقدات الشعبية المحلية، وعمت الطريقة، فلا نكاد نجد علماً من الأعلام المشهورين بعلم

¹ ابن مريم التلمساني، البستان في نكر أولياء العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 288.

² نفسه، ص 198.

الظاهر أو الباطن غير منتسب لطريقة معينة أو لشيخ معين، وكيف لا، وحكمة أبي يزيد البسطامي القائلة: "من لا شيخ له فشيخه الشيطان"¹، كانت رائجة على كل لسان، لذلك كان الناس يفخرون بانتسابهم إلى هذه الطريقة أو تلك، وإلى هذا الشيخ أو ذاك، وكثيراً ما نجد في تراجم الأعلام لهذه الفترة عبارة مثل: فلان "أخذ" عن الشيخ الفلاني "علم الظاهر" أو "علم الباطن" أو هما معاً، وأما العامة من الناس، وبخاصة منهم النساء، فيكتفون غالباً بالاعتقاد الراسخ في "الشيخ" أو "الضريح" القريب منهم، ويلجؤون إليه كلما أصابهم ضرر أو ألمت بهم مصيبة، وما تزال آثار هذه الاعتقادات سارية إلى اليوم في بعض الأوساط الشعبية².

ولقد أعطى ذلك التجاوب بين الصوفية والسلطة العثمانية، نتاجاً ثقافياً غزيراً، مشوباً في أغلبه بالتصوف، والتفكير الباطني، المعتمد على المجاهدة وتصفية النفس بالترك والزهد والتخلي للتحلي، ذلك لأن أغلب الشيوخ المتصدين للإفتاء والتدريس كانوا يجمعون بين علمي الظاهر والباطن، كما أن المؤسسة التعليمية المفضلة كانت غالباً هي "الزاوية" وكانت المواد المقترحة في أغلبها دينية مشبعة بروح صوفية، وكان التصوف من أهم المواد المدروسة من خلال بعض الكتب المشهورة: كالرسالة القشيرية، وحكم ابن عطاء الله، وإحياء علوم الدين للغزالي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وغيرها من أمهات الكتب والتراجم³.

¹ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، ط، 3، دار المعارف بمصر، 1986، ص42.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص183.

³ نفسه، ص 184.

ثانيا. الطرق الصوفية:

1. تعريف الطريقة الصوفية لغة واصطلاحا/

▪ تعريف الطريقة لغة:

هي الممر والسبيل، وهي حسية¹، وقد تأتي للدلالة على الحال².

▪ تعريف الطريقة اصطلاحا:

الطريقة هي المذهب أو الملة الدينية التي يسير عليها المؤمنون وفق منهج شرعي، وتكون معنوية، والسير في هذا الطريق المعنوي الديني قد يكون مختلف الشاكلة، وعليه فإن الطريقة في الإسلام هي ذلك المنهج الذي وضعه الله جل جلاله لخلق من الناس للتعايش فيه.

أمّا الطريقة وفق المنظور الصوفي فنشأت منذ العهد النبوي حيث يترقى فيها المسلم عبر معارج التقوى والمعرفة بمقاماتها الثلاث (الإسلام، والإيمان، والإحسان)، وعليه فإن الطريقة هي السلوك في هذه المعارج والتعمق فيها ومعرفتها، أو هي مجموعة من المبادئ التي يسطرها شيخ الطريقة لأتباعه ومريديه كطريق يسرون عليه للوصول إلى معرفة الله ونيل رضاه، وتجد مبرر وجودها في الفلسفة الصوفية التي تقسم العقيدة الإسلامية إلى ظاهر وباطن، أي شريعة وحقيقة، فالأولى هي الباب الذي يدخل منه الجميع والثانية هي التي لا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار، وكثيرا ما يشبّهون الشريعة والحقيقة بالدائرة ومركزها، فالطريقة إذا هي الخط الذاهب من محيط الدائرة إلى المركز وكل نقطة على محيط الدائرة هي مبدأ الخط وهذه الخطوط تنتهي كلها إلى المركز ومهما اختلفت فالهدف واحد لأنّه لا وجود إلا لمركز واحد وحقيقة واحدة³.

¹ حسن العكريمي، حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام، دار الهدى، عين مليلة، 2008، ص21.

² إسماعيل بن عباد، المحيط في اللّغة، ج5، ط1، تحقيق: حسن آل ياسين، دار الكتب، بيروت، 1991، ص319.

³ التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد الفرنسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992، ص35.

وتتضمن الطريقة مجموعة من الآداب والأخلاق والسلوك والعقائد التي تتمسك بها طائفة من الصوفية¹.

وباختصار الطريقة هي أسلوب عملي لرعاية سلوك المرید وتوجيهه عن طريق اقتفاء أثر طريقة معينة في التفكير والتصور والذكر والتعلم والعمل².

2. الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأة وانتشار الطرق الصوفية في الجزائر:

1.1. انتشار البذخ والترف:

وهذا ما نجده في بعض طبقات المجتمع نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية، حيث أهمل العامة والخاصة الكثير من المبادئ الدينية فجاءت الصوفية لتحارب هذا الانحراف مستنكرة انحلال الأخلاق وفساد السلوك³.

2.2. رحلات أقطاب التصوف:

من أهم العوامل التي أدت إلى انتشار التصوف والطرق الصوفية، حركة هجرة الأعلام والمتصوفة بين أطراف القطر الجزائري وخارجه، وفي الوقت ذاته، أثرت ظاهرة الهجرة والسفر في الحياة المتصوفة أنفسهم، من حيث تكوينهم العلمي والسلوكي، والنفسي، وأدت إلى تفاعل التصوف الجزائري مع التصوف في الأقطار الإسلامية الأخرى⁴.

إنّ قوة الطريقة وسعة انتشارها يتوقف على حركة الشيخ، وتفاعله مع مختلف الأطراف الفاعلة في المجتمع، وتنوع معارفه، وإدراكه لحقيقة المجتمع الذي يعيش بين عناصره، وهذا ما أدى إلى ظهور ما يعرف بالتصوف الشعبي وما رتب بعد ذلك من أدب وشعر ورقص

¹ عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية.....، ص 85.

² سبتسر ترمجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص 26.

³ الفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 378.

⁴ حوتية محمد، توات والأزواد خلال القرنين 12 و13 الهجريين، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 7.

وغناء.....، وأصبح التصوف مقترنا بكل مناحي حياة المجتمع الجزائري، حيث نجحت الطرق الصوفية في إحداث التواصل مع المجتمع، وأصبحت قادرة على تعبئته وتجنيدته للمواجهات الحاسمة مثل الثورات التي قادتها ضد حكم دايات الأتراك المتأخر في الجزائر، وضد الاستعمار الفرنسي.¹

وكذلك مؤثرا المشرق العربي عن طريق الحج وتتلذذ هؤلاء الرواد على يد مشايخ التصوف والإطلاع على مذاهبهم والتزويد بالكتب والمؤلفات المهمة في هذا الشكل كرسالة القشيري، وقوت القلوب للمكي، وإحياء علوم الدين للغزالي وغيرها، وكان العائدون منهم يدرسونها في المساجد والزوايا ووصل بعضهم إلى منصب الإفتاء والمشيخة العلمية والصوفية نالوا احترام العامة والخاصة.²

3.2. وجود الشيخ المربي ودوره:

إنّ مسألة وجود الشيخ المربي والمرشد في مختلف الأمكنة والأزمنة، تعتبر من القواعد الأولى والأساسية لدى أهل التصوف وأتباع الطرق، ودونها لا تتحقق الغاية من سلوك طريق التصوف، بل إنّ الطاعة المطلقة للشيخ هي السبيل الوحيد للخلاص، وتحقيق العبادة الحقيقية لله تعالى عند أهل الطرق، ولذلك كان هدف كل من يسعى للوصول إلى مرتبة الولاية الكبرى وملازمة شيخ من الشيوخ الذين خاضوا وتذوقوا تجربة التصوف والسير إلى الله³.

إنّ الشيوخ المربين أو ما يعرف عند المتصوفة بالأقطاب والأوتاد، كان عددهم قليلا جدا ولا يكادون يعرفون سوى عند قلة من الناس، كما أنّهم كانوا يفضلون الإقامة في الأماكن البعيدة والنائية، ولا يعلنون عن أنفسهم إلا في حالات نادرة جدا.

¹ حوتية محمد، المرجع السابق، ص 8.

² مختار فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن للطباعة، باتنة، الجزائر، 1976، ص 17.

³ بن السائح العربي محمد، بغية المستفيد لشرح منية المرید، تصحيح: عبد الوارث محمد علي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 158. وانظر أيضا: الشنقيطي محمد الخضر الجكني، مشتهى الخارق الجاني، في رد زلقات التيجاني الجاني، ط1، دار البشير، عمان، 1985، ص 505.

4.2. حاجة المجتمع إلى الاستقرار والتنظيم:

رغم أن القطر الجزائري كان خاضعا للحكم العثماني خلال ظهور الطرق الصوفية، أي ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر الميلاديين، فإن الأجزاء الجنوبية منه ظلت منفصلة من السلطة التركية في معظم الأحيان، مع العلم أن السلطة العثمانية شجعت ظاهرة الطرق الصوفية واعتمدت عليها لتوطيد أركان سلطتها في الأقطار التابعة لها، هذا الفراغ السياسي ساهم في حرية الحركة والسفر وتنشيط مختلف المبادلات الاقتصادية والعلمية والثقافية، ومن جانب آخر اضطراب الأحوال بين الحين والآخر بسبب النزاعات القبلية، وظاهرة قطع الطريق، فأصبح المجتمع الصحراوي عامة يشعر بحاجته إلى مؤسسة دينية تحل محل السلطة السياسية وتخلق التوازن داخل المجتمع، لذلك التقت بعض القبائل حول الطرق الصوفية لتحقيق تلك الغاية. كما أنّ الأزمات التي كانت تنتشب في الجزائر العثمانية، أو في المغرب السعدي والعلوي، جعلت الكثير من أعيان التصوف، يفضلون الإقامة في الأماكن البعيدة بالصحراء كما حدث مع الشيخ أحمد التيجاني، الذي كان مطرودا من طرف الأتراك العثمانيين في الجزائر فاختر قصر بوسمغون بالجنوب الغربي الأعلى (البيض) للإقامة به ما بين 1191-1213هـ/1781 - 1798م، أين أسس طريقته التيجانية المشهورة¹.

5.2. أثر البيئة الصحراوية:

لقد ساعد الوسط الطبيعي الصحراوي، على التوافد المتصوفة إليه، لما يتميز به من هدوء وقلة الاضطرابات الجوية والكوارث الطبيعية، وهذا الجو يساعد المتصوفة أكثر على ممارسة ركن أساسي من أركان طريق التصوف وهو الخلوة والتجرد للعبادة ومجاهدة النفس لبلوغ مقام القطبانية والولاية الكبرى، لقد ساعد الوسط الصحراوي الهادئ على التفرغ للتأليف والتعليم والتربية².

¹ محمد الكبير فريقي، " تأسيس الطرق الصوفية في إقليم الساورة "، دار علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، ملتقى بشار، العدد 2، سلسلة الفواصل العلمية، 2010، ص50، 51.

² نفسه، ص52.

6.2. التواصل بين شيوخ الإقليم:

إنّ التقارب الجغرافي بين مواطن إقامة شيوخ التصوف من جهة وتزامن حياة بعض الشيوخ من جهة أخرى، ساعد على تحقيق التواصل والتفاعل بين الشيوخ والطرق الصوفية خاصة وأنّ هذه الطرق تشترك في عدة خصائص، من حيث الأهداف والوسائل، باعتبارها تنتمي إلى أصل واحد في السند والطريقة الصوفية¹.

3. أهم الطرق الصوفية بالجزائر:

كانت الجزائر قبل مجيء العثمانيين من الناحية الصوفية تحت نفوذ الطريقة القادرية والشاذلية، ثمّ بدأت تظهر طرق صوفية أخرى مع دخول العثمانيين أي عند بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ثمّ أخذت تنمو وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والرابع الأول من القرن التاسع عشر².

ومعظمها فروع لطرق أخرى خارج الجزائر وبعضها أصلي محلي، اتخذت لنفسها فروعاً كثيرة، ولقد احتضن المجتمع الجزائري الكثير من الطرق الصوفية، ومن أهم هذه الطرق التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني:

▪ الطريقة القادرية:

وهي أول طريقة صوفية ظهرت في المغرب الإسلامي وأقدمها وجوداً في الجزائر تنتسب إلى مؤسسها العارف الزباني القطب الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي موسى الحسني، وهو من كبار الزهاد والمتصوفين³، برزت هذه الطريقة في القرن السادس الهجري الثاني

¹ محمد الكبير فريقي، المرجع السابق، ص53.

² مختار فيلالي، المرجع السابق، ص34.

³ عبد القادر الجيلاني: هو أبو محمد عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن أبي طالب - رضي الله عنه-، ولد سنة 470هـ/1077م، ببلدة جيلان أو كيلان الموجودة حالياً بالأراضي الإيرانية قرب مدينة طبرستان، ثم رحل إلى بغداد مجمع العلماء والفلاسفة والفقهاء والشعراء، قضى بها سبعين سنة، عاصر خمس خلفاء عباسيين، برع في أساليب الوعظ والفقہ والأدب، له عدة مؤلفات: الفتح الزباني والفيض الرّحمانى، الغنية لطالبي طريق الحق، وسير الأسرار، توفي سنة 561هـ/1176م، وانظر أيضاً: يوسف محمد طه زيدان، عبد القادر الجيلاني، دار الجيل، بيروت، 1991، ص14-16.

عشر الميلادي، وتعد أول طريقة في الإسلام انتشارا ، حيث انتشرت في العراق واليمن والصومال والهند والصين وتركيا ومصر وبلاد المغرب وغربي إفريقيا ووسطها، ذكرها حسن بن باديس صاحب " السينية" في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، كما تحدث عنها محمد الزواوي الفراوسني صاحب " المرئي الصوفية " في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي¹.

وتعتمد تعاليم القادرية على العلم والأخلاق والصبر والإتقان والصدق، وذكر الله والخوف منه، وحبّ النَّاس، وهي القاعدة لمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها .
وأول من أدخل الطريقة القادرية إلى الجزائر الشيخ أبو مدين شعيب الذي تتلمذ على يد شيخها وأخذ عنه التصوف وألبسه الخرقة في لقائهما بالحج، كما كان لقدوم إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى ثمّ انتقاله إلى الجزائر واستقراره بالأوراس² وتأسيسه الزاوية القادرية ببلدة منعة³.

وكان انتشار الطريقة القادرية في الجزائر والمغرب بصفة عامة حسب الأستاذ رين Rinn كان على طريقتين، طريق مصر وطريق الأندلس، حيث استقر بمصر أحد أبناء الشيخ عبد القادر وهو الشيخ عيسى مؤلف كتاب " لطائف الأنوار " في التصوف وكان اتصاله بالمهاجرين والتّجار الذين اتخذوا من إقليم توات مركزا لهم سببا في دخول الطريقة إلى المنطقة، ومنها إلى إفريقيا الغربية، وأمّا عن طريق الأندلس، فقد لعبت ذرية ولديه إبراهيم وعبد العزيز دورا كبيرا في نشر تعاليم القادرية في المغرب العربي بعد هجرتهم من الأندلس إلى فاس⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 187.

² تقع قرية منعة في قلب الأوراس وتعتبر حاضرة القبائل الجبلية، شكّلت حافظة إقليمية، استمدت أهميتها من كونها مقر الزوايا القادرية التي عرفت الكثير من رجال الدين، وكانت قرية منعة حصنا قديما لا يتجاوز عدد المنازل فيه 150 منزلا سنة 1844 وسكانها 1200 نسمة. لمزيد من المعلومات أنظر: عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار، الجزائر، د.ت، ص 77.

³ صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002، ص 146.

⁴ Louis Rinn, *Marabouts et Khouans étude*,.....p.171

ومن الملاحظ كذلك أنّ بعض الحجاج الجزائريين من العلماء والصالحين كانوا يتوجهون بعد أداء فريضة الحج إلى بغداد لزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني وكانت تلك الزيارة جزءا مكملا للحج¹.

وكانت مقر الطريقة القادرية في بغداد، ويزور بعض مقدميها من بغداد الجزائر لتثبيت المقادير وعزلهم وتوجيههم ويتركون لهم تعليمات روحية ويرتحلون².

ونجد الزوايا القادرية منتشرة في كل من توات أدرار جنوبا، والغزوات، ووهران ومعسكر غربا، والميلية والأوراس شرقا، وحسب إحصائية 1882م بلغ عدد زوايا القادرية 29 زاوية و268 مقما وأتباعها 14574³.

وفي سنة 1897م ظهرت إحصائيات أخرى في كتاب (الطرق الدينية الإسلامية) لأوكتاف ديبون وإكزافيه تذكر: الإخوان 25578، منهم 2695 امرأة و558 مقما، و33 زاوية، و521 طالبة، و04 شيوخ⁴، ومن أهم الزوايا القادرية في الجزائر بمنطقة الغرب وادي الخير بمستغانم وتلمسان، وندرومة، والرمشي، وبلعباس، ومعسكر، أمّا في الشرق فقد بلغت 15 زاوية في كل من قسنطينة، وتبسة، وقالمة، وسوق أهراس، وسكيكدة، والميلية، ومسكيانة، وأم البواقي والقالمة، ومنعة...وفي الجنوب نجد وادي سوف ورويسات بورقلة⁵.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص520.

Louis Rinn, Op.cit,p.171.

Ibid,p.200.

Depont (O.) et Coppolani(X.), Les Confréries religieuses musulmanes, Adolphe Jourdan,1897, p.384.

⁵ عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص313،314.

■ الطريقة الشاذلية:

تعود الطريقة الشاذلية إلى أبي الحسن علي الشاذلي¹، الذي ترك ملذات الدنيا، وانعزل بزواية من الناس، بل قام بتدريب النفس على فعل الخير وإعادتها بالتدرّج إلى أحكام الشرع عن طريق الذكر جماعياً أو فردياً، فالشاذلية إن لم تسع للمال فهي لا ترفضه، والإحساس بالفقر عندها أهم من الفقر في حد ذاته².

كانت طريقة أبي الحسن الشاذلي بسيطة تنطلق من "الإعراض عن الخلق واحتقار الدنيا وما فيها" وهذا لا يعني المبالغة في الزهد والانعزال في الجبال والخلوات والعكوف في المنازل، وقد تأثر الشاذلي بتعاليم شيخه عبد السلام بن مشيش³ التي لخصها قائلاً: "عبادة الصديقين عشرون: كلوا واشربوا وانكحوا واسكنوا وضعوا كل شيء حيث أمركم الله ولا تسرفوا وعبدوا الله ولا تشركوا به واشكروه، وعليكم بكف الأذى وبذل الندى فإنّها نصف العقل، ونصفه الثاني أداء الفرائض واجتتاب المحارم.... وأنّ عبادة الله التفكير في أمر الله والتفقه في الدين الله⁴.

وتقوم الشاذلية على الرحلة الفكرية، والتأمل المستمر في وجدانية الله وعلى الهيمن في أرض الله بحثاً عن التطهر والتسامح وعلى إهمال الذات وقمعها في سبيل الله، وعلى القيام

¹ هو الشيخ أبو الحسن علي ابن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المولود في المغرب الأقصى ببلدة غمارة قرب مدينة سبتة عام 593هـ/1196م، كان تلميذاً لأحد أتباع أبي مدين شعيب، وأحد كبار أولياء المنطقة، مولاي عبد السلام مشيش، ثم اتجه إلى تونس واستقر ببلدة شاذلة التي نسب إليها وعرف بها فيما بعد، كان تصوفه يميل إلى الورع، كما توخى الزهد في كل شيء، ودخل الأسكندرية وفي طريقه إلى بيت الحرام توفي ودفن بالصعيد المصري سنة 656هـ/1258م، وقد كان عالماً عارفاً بالعلوم الظاهرة جامعاً لدقائق فنونها وعيونها من حديث وتفسير وأصول ونحو وصرف ولغة وحكمة وآداب، له آثار منها: الحزب المشهور ورسالة الأمين في آداب التصوف، وأنظر أيضاً: ممدوح الزوي، الطرق الصوفية، ظروف النشأة وطبيعة الدور، ط1، الأهالي للتوزيع، دمشق، 2004، ص111، 112.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص463.

³ عبد السلام بن مشيش: هو ابن أبي بكر الحسيني، ولد في جبل بني عروس شمال المغرب الأقصى، تتلمذ على يد أبي مدين بجاية وعنه أخذ التصوف، يمتاز تصوفه بالإعتدال، ارتفع بمبدأ النهي عن المنكر والأمر بالمعروف إلى درجة الجهاد، توفي سنة 625هـ/1227م، من آثاره: صلوات ابن مشيش.

⁴ محمد بغوغ، الزاوية الدرقاوية بحاضرة أسفي ومريدها من العلماء، تقديم: محمد الطريف، ط1، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، 2006، ص12.

بالصلوات، والواجبات الشرعية في كل وقت، وفي كل مكان، وفي كل الظروف، لكي يعيش المرید في وحدة دائمة مع الله، وتهتم الشاذلية بالعلم الروحاني الذي يقود المرید إلى العيش الدائم في ذات الله¹.

وتقوم الشاذلية على خمسة أصول وهي:

- تقوى الله في السر والعلانية
- اتباع السنة في الأقوال والأفعال.
- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار
- الرضا عن الله في القليل والكثير
- الرجوع إلى الله في السراء والضراء

وتعد الشاذلية من أهم الطرق التي ظهرت بالمغرب الإسلامي، حيث تفرعت إلى عدة طرق في المناطق الممتدة بين الحجاز شرقاً وإسبانيا غرباً، ففي مصر تفرعت عن الشاذلية ثمانية فروع، لكل فرع سلسلته وقطبه، أهمها الطريقة الوافية، وفي المغرب الأقصى تفرعت إلى نحو عشرين فرعاً أهمها الطريقة الدرقاوية، وفي ليبيا تفرعت عنها الطريقة المدنية، أمّا في الجزائر فقد تفرعت عن الشاذلية الطريقة الزروقية، نسبة إلى أبي العباس زروق البرنسي الفاسي المتوفي سنة 899هـ/1494م².

وفي القرن التاسع عشر كان يمثل الشاذلية في الجزائر الشيخ محمد الموسوم بن محمد بن رقية، المولود سنة 1236هـ/1820م، وهو من بلدة جندل الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية لمدينة خميس مليانة، ثم تفرغ الشيخ الموسوم للوعظ والإرشاد في زاوية بقصر البخاري، يعلم مبادئ الدين والتصوف، وكان ذلك وسيلة من وسائل الجهاد ضد المحتل الفرنسي³.

¹ عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007، ص 107.

² ممدوح الزوبي، المرجع السابق، ص 153.

³ عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 108.

▪ الطريقة الزروقية واليوسفية:

هي إحدى فروع الشاذلية، وتنسب إلى الشيخ زروق البرنسي الفاسي، دفين مصراتة، والمتوفى عام 1493م/899هـ.

وكان أحمد زروق قد أقام في الجزائر، وبجاية، وقسنطينة، في أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وهو من علماء المتصوفة، وكان معلما وفتيا. وكانت الزروقية منتشرة في تلمسان وبجاية، وقسنطينة، وكان من أنصارها عبد الرحمن الأخضرى، وعبد الكريم الفكون¹. أما في القرن التاسع عشر، فكان من أنصار الزروقية، الشيخ الطيب بن الحاج البشير، في ضاحية أولاد ظريف بضواحي البرواقية، والشيخ ابن جدو في مسكيانة (بين عين البيضاء وتبسة)، ودل إحصاء سنة 1897م، أنّ عدد أتباع الزروقية 2734 إخوانيا، موزعين في مناطق محدودة، كالبرواقية، وتابلط، وسور الغزلان.

ومن تلاميذ الشيخ أحمد زروق، أحمد بن يوسف الملياني، وهو من قلعة بني راشد، توفي في مليانة، ودفن بها، عام 1524م/931هـ، وهو من خريجي مدرسة تلمسان الفكرية، وقد كان الشيخ الملياني حليفا للنظام العثماني، واستمر أحفاده كذلك، فتعرضوا للاغتيالات، بتشجيع من الفرنسيين الذين ينسبون ذلك إلى خصومهم، ويدل إحصاء 1897م، أنّه ليس لليوسفية كثير من الأتباع، ويرتكز معظمهم في الناحية الغربية من البلاد، ولها في الجزائر زاوية واحدة في مليانة، بها خمسة مقدمين، و1446 من الإخوان².

¹ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القسنطيني، أديب لغوي محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن، وكان عالم الأوساط في عهده، ولد في قسنطينة عام 988هـ/1580م، وتوفي بها عام 1073هـ/1662م. وانظر: عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص112.

² عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص114.

■ الطريقة العيساوية:

هي فرع من الشاذلية، تنتسب إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عيسى، ولد في مكناس من قبيلة سفيان في المغرب الأقصى سنة 872هـ/1467م وهي إحدى القبائل المعروفة بالجزيرة العربية، وتوفي عام 978هـ/1570م، أسس الزاوية العيساوية بباب البرادين بمكناس. وللشيخ ابن عيسى شيخ الطريقة الصوفية ألقاب أخرى عرف بها مثل أحمر العين، وشايب الذراع، وفحل الفحول، وابن عيسى العربي¹.

وفي عام 978هـ/1570م، جاء من المغرب الأقصى شخص يدعى علال أحد أحفاد محمد بن عيسى مؤسس الطريقة إلى بلدة وزرة، قرب مدينة المدينة، وأسّس بها الزاوية العيساوية عام 1203هـ/1788م، على يد أحد أحفاد علال المغربي.

وقد اتخذت العيساوية طابعا يختلط فيه بين الجد والهزل، والدين والشعوذة، وذلك تنفيسا على الروح المكبوتة، وتفجيرا لما في داخل الإنسان من غم وهم، باستخدام وسائل العنف ضد الجسد، وتبسيط الدين إلى درجة القيام بأعمال السحر والخرافة².

ورغم انتشار العيساوية في وسط الجزائر وشرقها وغربها، فإنّ أتباعها من ذلك قليلون، ففي سنة 1897 كان لها 13 زاوية، و45 مقدا و3589 إخوانيا، من بينهم 33 امرأة، وفي سنة 1906، بلغ عددهم 4000 إخوانيا³.

كما نشير الى أن فرقا عديدة انتسبت الى هذه الطريقة لتمارس نشاطات بعيدة كل البعد عن تعاليم الطريقة العيساوية الإسلامية الأصيلة التي نشرها شيوخ هذه الطريقة في الكثير من البلدان، ولكننا نجد في الوقت نفسه فرقا أخرى لا تزال تحافظ على مبادئ الطريقة وتعاليمها⁴.

¹ صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص 256.

² عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 115.

³ نفسه، ص 116.

⁴ صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص 257.

■ الطريقة الدرقاوية:

وهي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الشاذلية، وسميت الدرقاوية نسبة إلى مؤسسها الشيخ بن أحمد الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بـ " أبو الدرقاوي شريف الإدريسي "، ولد في قبيلة بني زروال بضواحي مراكش 1150هـ/1737م، ينتسب إلى الإمام أبي عبد الله الملقب بأبي درقة حيث كانت له درقة كبيرة يحتمي بها في الحروب، واشتغل مدرسا في فاس، وكان يتردد دروس الصوفي علي بن عبد الرحمن الفاسي¹، توفي الشيخ سنة 1239هـ/1823م، ودفن بزواوية بويريح وترك ثلاثة أبناء هم: سيدي محمد، ومولاي علي، ومولاي الطيب.

وتعتبر هذه الزاوية من أهم فروع الدرقاوية الأخرى، كالمدينة التي أسسها الشيخ محمد بن حمزة المدني عام 1236هـ/1820م في مصراتة بليبيا، والهبيرية التي تنسب إلى الحاج محمد الهبري، المتوفي عام 1901م في بني سناسن بالغرب الجزائري، والعلوية المنتسبة إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة، المتوفي عام 1934م بزوايته في مستغانم². يتميز أتباع هذه الطريقة باللحية وحمل العصا، وكان الواحد منهم يكنى بـ " بودربالة"³ وكان يوصي مريديه بذكر الله، والصبر على الجوع وكنم الشهوات والصوم، وقد بلغ عدد زوايا طريقة درقاوة بالجزائر حسب إحصاء 1882م 32 زاوية، 268 مقدا، و14574 مرید، ومن تعاليمهم، فرض الطاعة والاحترام الكامل والانتقاد لشيخ الطريقة، ومن أقوالهم " من لا شيخ له فالشيطان شيخه"⁴.

Louis Rinn, Op.cit,p.232.

1

2 عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 151

3 المقصود بالدرباله في بلاد المغرب العربي، الثياب الزرّة البالية والمرقعة.

4 مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص 57.

وتذكر لأتباع الدرقاوية مواقف مختلفة، منها أنّهم كانوا لا يخالطون إلاّ الصالحين، ويتفادون أصحاب السلطة، ويصدقون في أقوالهم، ويكثرّون الصدقات، ويقبلون الوظائف الدينية كالإمامة والقضاء، ويرفضون الوظائف الإدارية الأخرى.¹

ومن الشخصيات الدرقاوية البارزة في الدين والعلم، وذات وزن كبير، عدة بن الموسوم بن غلام، الذي ولد 1202هـ/1787م في الشلف، وكان له تلاميذ، استقلوا بزواياهم، منهم: محمد الموسوم بقصر البخاري، وابن عبد الله بن عبد القادر بمعسكر، ومحمد الشرقي بالعطاف.²

▪ الطريقة السنوسية:

تعود الطريقة السنوسية إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسن الإدريسي، ولد سنة 1202هـ/1787م ببلدة يبل قرب مستغانم، وسبب اشتهاره بالسنوسي يعود إلى جدهم الذي لقّب نفسه بذلك تبركا بالشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي صاحب التآليف المعروفة وعالم تلمسان، حفظ القرآن وتلقى دراسته على يد علماء المنطقة مثل محمد بوراس ومحي الدين بن شهلة ومحمد بن عبد القادر والشيخ بن قندوز، وأخذ الصوفية في فاس على يد العربي بن أحمد الدرقاوي، وعاد إلى الجزائر وجال عدة مناطق مثل الأغواط والجلفة ومسعد وعين ماضي وبوسعادة ثمّ توجه نحو تونس وطرابلس والقاهرة ومكة المكرمة، أسس في مشارف مكة أول زاوية له سنة 1837م في جبل أبي قبيس³، وفي عام 1843، غادر السنوسي مكة إلى ليبيا، حيث بني عدة زوايا، وازدهرت طريقته بسرعة، وأول زاوية بناها، كانت البيضاء بالجبل الأخضر، ثمّ تكاثرت الزوايا، منها في ناحية برقة، وبنغازي، وبعضها في تونس والجزائر، لا سيما نواحي توات والصحراء عموما، توفي في ليبيا سنة 1859م⁴.

¹ عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص152

² نفسه، ص153، 154.

³ صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص 182، 183.

⁴ عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص135.

■ الطريقة الطيبية:

أسسها مولاي عبد الله إبراهيم سنة 1089هـ/1678م، ولد في قبيلة برج عروس ودرس في تيطوان وفاس، انتشرت هذه الطريقة في الجنوب الغربي لوهراّن ومعسكر وقسنطينة، وطريقته نسبت إلى ابنه مولاي الطيب، كانت له علاقة طيبة مع الأتراك، مع الأتراك، إذ نجد أحد بايات الغرب الباي حسين قام بشراء دار بساتين بمتقال من الذهب وجعلها وقفا على الزاوية الطيبية بتلمسان سنة 1173هـ/1759م، أمّا في الشرق فقد مثل الطريقة محمد بن بكر مقدم الطريقة في قسنطينة في 1314هـ/1896م¹.

■ الطريقة الرّحمانية الخلوتية:

مؤسس الطريقة الخلوتية هو محمد الخلوتي الإيراني، عاش في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وقام بنشر تعاليمها تلاميذه وخلفائهم، فكان من أشهرهم، عمر الخلوتي المتوفى سنة 800هـ/1397م²، وقد تغلغت الطريقة أولا في آسيا الصغرى وأوروبا الشرقية والجنوبية والحجاز والهند ثمّ انتقلت إلى مصر وإفريقيا الشمالية وتفرعت إلى فروع. أمّا حامل لواء الطريقة بالجزائر فهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري الأزهري، سميت باسمه الطريقة الرّحمانية³.

وفي حدود عام 1259هـ/1844م، تولى شؤون الزاوية الرّحمانية الحاج عمر، وهدمت الزاوية في عهده على يد الجنرال " ديفو " واضطر الحاج عمر إلى الهجرة إلى تونس ثمّ إلى الحجاز⁴. وكان الشيخ محمد بن عزوز مقدا للرحمانية، بنواحي بسكرة، فاشتهر، وكثر أتباعه وفروعه في الجنوب، وقد عيّن قبل وفاته مقدمين من تلاميذه، هم: علي بن عمر في طولقة، والمختار بن خليفة في أولاد جلال، ومبارك بن حويدم، والصادق بن الحاج في الأوراس، ثمّ أضيف فرع الهامل، بقرب بوسعادة، والذي تولاه محمد بن القاسم، بعدما أخذ من الشيخ المختار من خليفة الجيلالي، وفرع وادي سوف الذي تولاه الشيخ سالم بن محمد الأعرج، بعدما أخذ من

¹ صلاح مؤيد، الطرق الصوفية، المرجع السابق، ص 22.

² Depont (O.) et Coppolani(X.), Op.Cit,p.382.

³ عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، ص 15

⁴ عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 127.

الشيخ علي بن عمر¹. وكان الحسين بن محمد بن عزوز خليفة للأمير عبد القادر على الزيبان، قبل اعتقاله ونفيه، وبعد احتلال بسكرة عام 1844م، هاجر الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز، وهو الذي خلف والده، إلى نقطة بتونس، وأسس بها زاوية رحمانية، أصبحت ذات شهرة واسعة في العلم والتصوّف، وملجأً للهاربين من ظلم الإستعمار الفرنسي، سيما قبل احتلال تونس عام 1881م².

ويستعمل الرّحمانيون الذكر في حلقات ويرددون اسم الله بالتدرج إلى أن يصلوا إلى حالة " الحال " وهو درجة من الانجذاب يمارسها المتعلقون بصوت جماعي بقيادة الشيخ أو المقدم. ويتمثل إعطاء الورد عند الرّحمانيين في التعوذ من الشيطان الرّجيم والاستغفار والتشهد وقراءة الفاتحة وبعض الأدعية، وتكرير الشهادة من عصر يوم الجمعة الى عصر يوم الخميس³.

¹ عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص130.

² نفسه، ص129.

³ أبو القاسم سعد، المرجع السابق، ص508.

▪ جدول يبين إحصائيات عامة لمختلف الطرق، وللرحمانية في أواخر القرن التاسع عشر¹:

إحصاءات لويس رين عام 1884	إحصاءات ديرن كوبولاني عام 1897	
16	23	عدد الطرق
355	349	الزوايا
169000	295189	الأتباع
20	56	عدد الشيوخ
2842000		عدد السكان
96161	160000	عدد أتباع الرحمانية
754		عدد المقدمين للطريقة الرحمانية
220		عدد الزوايا الرحمانية

▪ الطريقة التيجانية:

تعود نشأة الطريقة التيجانية بحسب العديد من المؤرخين إلى مؤسسها التيجاني. وانتشرت هذه الطريقة في المغرب الأقصى وإفريقيا والسودان وحتى في تركيا، وفي السنغال ونيجريا والغابون والكونغو ومصر وبلاد العرب وبعض أجزاء آسيا².

- النظام الداخلي للطريقة:

تقوم الطريقة على شروط وأذكار وأوراد، حيث تعرض الشروط على كل من أراد الانضمام إلى الطريقة التيجانية:

- **شروط الطريقة:** وهي أربعون شرطا مستتبطة من الكتاب والسنة وكتب السادة الصوفية، وتنقسم هذه الشروط إلى قسمين، شروط تتعلق بالفرد وأخرى بآداب تلاوة الورد، وهذه بعض الشروط الأساسية المتعلقة بالشخص:

¹ عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، ص 18.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 519.

أن يتلقى الأذكار على يد الشيخ أو المقدم المأذون له بالتلقين، أن يتخلى عن طريقته السابقة وينسلخ عنها نهائياً، وأن لا يترك الطريقة التيجانية مرة أخرى، دوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات وكذا خليفة الشيخ، مداومة الورد إلى الممات، وأن يقرأ البسمة في جميع الصلوات، أن يحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها وفي الجماعة، إن أمكن وعلى أوامر الشرع، وأن يكون صباراً على البلاوي، كفيلاً بجميع المسلمين، يساعد الضعفاء.

- أما الأوراد اللازمة:

وهي الوظيفة - الهيئلة - الورد المعلوم¹.

ومن أشهر أتباع الطريقة التيجانية: علي بن حرازم، محمد بن المشري، وأحمد سكيرج². والملاحظ أنّ الطريقة التيجانية لم يكن انتشارها واسعاً في الجزائر فقد تركزت معظم زواياها في الصحراء، ولعل ذلك يرجع إلى "تطرف مؤسس الطريقة التيجانية الشيخ أحمد التيجاني بإعلانه أنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلى عن كافة الطرق وأن من رآه يدخل

¹ الوظيفة: تتم بعد صلاة كل صبح أو بعد صلاة كل عصر حسب اختيار المريء، وحسب ظروف عمله، وتتضمن ما يلي: قراءة فاتحة الكتاب، ثم صلاة الفاتح، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم.

الهيئلة: وتذكر مرة واحدة في الأسبوع من يوم كل جمعة، ما بين العصر والمغرب، وهي كما يلي: " لا إله إلا الله " من ألف إلى ألف وستمائة، ثم تختم بصلاة الفاتح، ويقول في شأنها الشيخ أحمد التيجاني " من فاته ذكر الهيئلة فاته خير كثير " الورد المعلوم: عبارة عن كلمات مصوغة من بعض الأحاديث النبوية وتذكر على انفراد في فاتحة الكتاب، يشرع في ذكر الورد على النحو التالي:

استغفر الله (مائة مرة) ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله (مائة مرة)، ويختم بالآية " إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً (الآية 65، سورة الأحزاب). وأنظر: بن يوسف عبد الرحمان، الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية، تحقيق وتصحيح: إسماعيل الأنصاري، 1404هـ، ص22.

² علي بن حرازم: وهو أكبر المقربين إلى التيجاني في حياته، وخلفائه بعد وفاته، ومن مؤلفاته كتاب " جوهر المعاني في فيض أبي العباس أحمد التيجاني".

محمد بن المشري: إنلقى بالتيجاني لأول مرة عام 1188هـ/1706م بتلمسان، فتلقى عنه، وتوفي بعين ماضي سنة 1224هـ/1809م، ومن مؤلفاته كتاب " الجامع "، وكتاب " نصره الشرفاء ".

أحمد سكيرج: ولد سنة 1295هـ/1878م بمدينة فاس في المغرب، وبعد من كبار أعيان الطريقة التيجانية، توفي بمراكش سنة 1363هـ/1943م، وترك مؤلفات عديدة: منها " كشف الحجاب عن التقى مع التيجاني من الأصحاب "، وكتاب

" تنبيه الإخوان إلى أن الطريقة التيجانية لا يلقنها من له إذن صحيح طوال الزمان "، وانظر أيضاً: عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، ط1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006.

الجنة بغير حساب " بالإضافة إلى بروز نشاط النهضة الفكرية ومضايقه الأتراك لدرجة إعلان الثورة.

وانتشرت الطريقة التيجانية في التل والصحراء والسودان الغربيين وذلك عن طريق القوافل التجارية التي كانت تنتقل بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب، لا سيما تلمسان، وتوات والهقار والسنغال وتمبكتو، وكانت الزاوية التيجانية هي المحرك لهذه الشبكة من القوافل التي تحمل الذهب ومختلف البضائع المتبادلة في ذلك العهد، فكثر الأتباع والمقدمون والزوايا التيجانية¹.

وقد بلغ عدد زوايا هذه الطريقة سنة 1882م 17 زاوية، 100 مقدا، و11082 مریدا، ومن أهم زوايا هذه الطريقة عين ماضي بها 15000 مریدا، وزاوية تماسين قرب تقرت 40000 مریدا². (خريطة2).

¹ عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 141.



خريطة 2/ المدن والأقاليم المنتشرة فيها الطريقة التيجانية

عن: مكتبة زاوية تماسين - بتصرف

- جدول لأهم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي/ نقلا عن: عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه.

اسم الطريقة	نسبتها	تاريخ الوفاة	أهم أماكن الانتشار
القادرية	عبد القادر الجيلاني	561هـ/1166م	العراق، مصر، شمال وشرق إفريقيا
الرفاعية	أحمد بن علي الرفاعي	578هـ/1182م	العراق، مصر، غرب إفريقيا
الشاذلية	أبي الحسن الشاذلي	656هـ/1257م	مصر، المغرب العربي، اليمن، سوريا، والأردن
النقشبندية	بهاء الدين محمد بن شاه نقشبند	791هـ/1391م	آسيا الصغرى، سوريا
الجازولية	أبي عبد الله محمد الجازولي	869هـ/1465م	المغرب، الجزائر، تونس، وليبيا
الزروقية	أبو الفضل شهاب الدين أحمد زروق	899هـ/1527م	المغرب، الجزائر
العیساوية	محمد بن عيسى	933هـ/1527م	المغرب، الجزائر
التيجانية	أبو العباس أحمد التيجاني	1230هـ/1815م	الجزائر، المغرب، مصر، السنغال، الغرب إفريقيا، فلسطين والسودان.
الإدريسية	أحمد بن إدريس	1253هـ/1838م	الصومال، السودان، أريتيريا
العلوية	أحمدة مصطفى العلوي	1353هـ/1939م	الجزائر، تونس

الفصل الثاني

الزاوية في العمارة الإسلامية

1. تعريف الزاوية لغة واصطلاحاً.
2. نشأة الزوايا وتطورها.
3. أقسام الزاوية.
4. أنواع الزوايا ومهامها.
5. الهيكل التنظيمي للزوايا.
6. أوقاف الزوايا.

1. تعريف الزاوية لغة واصطلاحاً/

▪ تعريف الزاوية لغة :

زاوية جمعها زوايا مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل، وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين، اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه وبحثا عن الهدوء والسكون، لأنهما يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة¹.

وتولدت لها معان كثيرة، نحاول أن نتوقف عند بعض منها:

- بمعنى الجمع والقبض: قال ابن منظور في اللسان : (زويت الشيء جمعته وقبضته) وهو المعنى الذي نص عليه الرازي أيضا في مختاره ومثل له بقوله (وزوى الشيء يزويه زيا: جمعه وقبضه)².
- بمعنى الحيازة: قال الزمخشري في أساسه (ومن المجاز زوى المال وغيره: احتازه وزوى الرجل الميراث عن ورثته، عدل به عنهم)³.
- بمعنى التهيئة: يقولون في هذا الشأن (زوى الكلام : هياؤه في نفسه).
- بمعنى التضامن: مثلوا له بقولهم (زوى القوم بعضهم إلى بعض تضاموا)⁴، وأيضا يقال (انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا)⁵.

¹ ابن منظور، محمد أبو الفضل، لسان العرب، ج7، ط1 دار صادر، بيروت، 2000، ص184.

² الرازي، الإمام فخر الدين الرازي، مختار الصحاح، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى البغا، ط4، دار الهدى للطباعة، الجزائر، 1990، ص184.

³ الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص198.

⁴ لويس معلوف، المرجع السابق، ص312.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص85.

- بمعنى المنع والصرف والردّ : فيقولون في هذا الشأن (زوى عنه الشّر طواه وصرفه ومنعه إياه)¹.

- بمعنى ركن البيت: وقد نصت على هذا جل المعاجم العربية، وهو المعنى المستعمل في كتب الرياضيات والحساب، فقد أشار الى هذا المعنى ابن المنظور بقوله (وزاوية البيت: ركنه والجمع الزوايا)².

▪ تعريف الزاوية اصطلاحاً/

هي عبارة عن مؤسسات دينية ومراكز ثقافية ونوات اجتماعية، وخلايا سياسية يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم، وتعاليم شريعتهم، وفيها يتلقون مختلف العلوم، والمعارف و يقيمون العلاقات الاجتماعية، والعسكرية، والسياسية³.

وتعرف بالمشرق بالرُّبُط أو الخنقاوات، وهي منشآت مخصصة لإقامة المنقطعين للعبادة والمتصوفين. أمّا في العهد العثماني فيطلق عليها اسم التكايا⁴.

وأطلقت كلمة الزاوية على حلقة التدريس بالمساجد، ومن ذلك ما ذكره المقرئزي " من أنّه كان بمسجد عمرو العتيق زوايا يدرس فيها الفقه، منها زاوية الإمام الشافعي (رضي الله عنه)⁵. وكذا ما أورده ابن جبير في رحلته من أنّه كان بالجامع المكرم (الجامع الأموي بدمشق) عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس وهي من جملة مرافق الطلبة⁶.

¹ ابن منظور، المرجع السابق، ص 86.

² نفسه، ص 84.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 إلى 1930، ج 2، بيروت، 1969، ص 64.

⁴ نجيب محمد مصطفى، العمارة في العصر العثماني، القاهرة، تاريخها، فنونها، وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970، ص 264.

⁵ المقرئزي تقي الدين أبو العباس، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ب.ت، ص 223.

⁶ ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، الرحلة، سلسلة الأنيس، الجزائر، 1988، ص 238.

ويقصد بالزاويا في المغرب الإسلامي تلك الأماكن المعدة خصيصا لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين¹، فهي مجموعة من البنايات ذات طابع ديني، مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل والمسافرين، ولذلك فهي تضم غرفا لإيواء المسافرين والطلبة، بالإضافة الى مسجد تقام به الصلاة و تشمل ضريح صاحب الطريقة أو مجموعة الأضرحة تضم رفات أفراد عائلته²، وليس شرطا أساسيا أن تتميز الزاوية ببساطة بنائها وإعدام زخرفتها مثل ما وصفها بعض الأجانب، بل هناك من الزوايا ما تبهر الناظر من حيث جمال عمارتها وتنوعها و ثراء زخرفتها وأناقته³.

أمّا دونوفو فيقول: " الزاوية هي عبارة عن مكان تجمع من حولها بين عشرين وثلاثين مسكناوأحيانا تشمل مدينة بكاملها، (كما هي منتشرة في الصحراء الجزائرية)، وهي بناية مربعة الشكل تعلوها قبة تبني تكريما للمرابط، وقد تكون مأوى للمتصوفين والفقراء⁴.

¹ أبو عبد الله ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعباد، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981، ص431.

² محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق/الجزائر، د.ت، ص 27، 28.

³ Devoulx A., Les édifices religieux de l'ancien Alger, Typographie Bastide, Alger, S.D, p.11.

⁴ ايدوارد دونوفو، الإخوان دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة: كمال فيلالي، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003، ص26، وانظر أيضا: خنقوق إسماعيل، " دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1844-1931) "، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر ببانتة، 2010، 2011، ص78.

وإذا رجعنا إلى معنى الزاوية في الجزائر في العهد العثماني فنجد نور الدين عبد القادر يعرفها بأنها أحيانا تدل على محل تلقى فيه دروس للطلبة الكبار وقد تكون الزاوية ملجأ للطلبة أو العلماء الغرباء حيث يجدون فيها المأوى مجانا وما يحتاجون إليه¹، وقد اقترب يحي بوعزيز من تعريف نور الدين عبد القادر حيث قال: "....الزوايا عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام وتشمل على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية، وأخرى لسكن الطلبة والطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية، والعلف للحيوانات..."².

وقد وصفها دوفو Devoulx بأنها عبارة عن محلات فقيرة وقصيرة أبعادها غير منتظمة (أي شكلها الهندسي غير منتظم)، تبيض بالجير وعادة ما تحمل اسم مؤسسها أو اسم الحومة التي تقع فيها، أو اسم الولي الصالح الدفين فيها أو اسم الجماعة التي تنتمي إليها مثل زاوية الأندلس وزاوية الأشراف³.

¹ نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص161.

² يحي بوعزيز، " أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين "، مجلة الثقافة، العدد، 63، الجزائر، 1981، ص16.

³ Devoulx (A.), « Les édifices religieux de l'ancien Alger », IN. Revue Africaine, Tome 6, 1898 ;p.380.

وانظر أيضا: ياسين بودريعة، " أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك "، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2006-2007.

2.نشأة الزوايا وتطورها:

لقد ارتبط بذكر الأولياء والمتصوفة في المصادر التاريخية، وبخاصة كتب المناقب عدة منشآت تمثلت في الرباط¹ والرابطة والزاوية مع أن الزاوية لم تظهر في تاريخ التصوف كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرابطة².

دعت الضرورة بالعرب الفاتحين بعد أن أشرفوا على سواحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي بمجرد فتح بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، قبل أن يكون لهم أسطول بحري وقبل أن يتمكنوا من إنشاء وسائل دفاع فوق الماء إلى أن يحموا سواحلهم من البر فقط وأن يركزوا كل دفاعهم الساحلي على الأرض اليابسة، لذا فقد بنيت المناظر والمحارس والربط على طول السواحل التي أشرفوا عليها، حيث تقوم المناظر بمراقبة السفن المعادية قبل اقترابها من الساحل، وتعطي إشارة إيذانا بقدوم العدو وحلول الخطر، وعن طريقها توجه أجناد الربط حركتها، إذ كانت الربط بمثابة مراكز دفاع قوية³.

¹ الرباط مصدر رباط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان، وجمعها ربط، ويعني الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها، ويعني أيضا المكان الذي يرابط فيه الجيش، وأصل الرباط أن يرابط الفريقان في ثغر كل منهما معد لصاحبه، ثم سمي المقام في الثغور رباطا، والمرابط والرابط الزاهد الذي نزه نفسه عن الدنيا، والرباط من حيث المدلول المعماري الإسلامي هو بناء حربي يمثل حصنا من الحصون، يقام عند الساحل أو شاطئ نهر أو حد الصحاري، قصد الدفاع عن الثغور أو الحدود عن طريق المطوعة والمجاهدين من المرابطين والمثاغرين، وقد انتشرت هذه الربط منذ الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي من المحيط الأطلسي غربا إلى تونس شرقا، انظر: محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، القاهرة، د.ت، ص100.

² محمد حجي، المرجع السابق، ص100، وانظر أيضا: ابن حوقل (أبو القاسم محمد)، صورة الأرض، المرجع السابق، ص74 - 85.

³ محمد السيد محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر أشرف السعديين، ط1، دار القاهرة، 2008، ص156.

فقد كان للرباط دور بارز في تاريخ المنطقة، فهو لم يكن فقط للدفاع عن الحدود وملازمة الجهاد، وإنما كان مأوى للمتعبدين والزهاد، ومركز إشعاع ديني يتعلم فيه المقيمون أصول دينهم وأحكام الإسلام¹.

وعلى أية حال، فإن هذه الربط قد ضعف شأنها في العصر المريني، وبدأت تترك مكانها للزوايا التي انقطع أغلبها للجهاد الروحي، وأصبح مصطلح الرباط في إشارات مؤرخي ذلك العصر يلتبس أحياناً بالزوايا، وبالمقبرة الجماعية أحياناً أخرى، إذ نجد صاحب " اختصار الأخبار " قد جمع بين الربط والزوايا في إحصاء واحد دون تمييز² كما نعت ابن أبي زرع شالة المقبرة الملكية لبني مرين بالرباط، كذلك أطلق ابن خلدون مصطلح " ربط " على المقبرة التي شيدها أبو يعقوب يوسف المريني بتافرطست لتضم رفات أسلافه³.

أمّا الزوايا، فتعتبر تطورا للربط من حيث أن كليهما مأوى لإقامة الزهاد والمتعبدين وإطعام الفقراء، ولكن بتوزيع جغرافي مغاير، لما كان عليه نظام الربط التي كان أغلبها على الحدود والمراكز الساحلية، بينما انتشرت الزوايا داخل المدن، كما أنّ الزوايا أصبحت تحتضن خلايا اجتماعية دينية لها نفس الأهداف، ولكن لكل منهما طقوسها وطريقتها في الذكر، فضلا عن تنوع أصولها⁴.

¹ حسن علي حسن، *الحياة الدينية في المغرب*، دار النهضة العربية، 1985، القاهرة، ص 87.

² محمد بن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1969، ص 33، 34.

³ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص 249.

⁴ جورج مارسية، الفن الإسلامي، ترجمة: عفيفي بهنسي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1968، ص 213.

فإن أقدم المنشآت التي أطلق عليها مصطلح " الزاوية " في المغرب الإسلامي، كانت بالمغرب الأقصى التي ظهرت على عهد الشيخ أبي محمد صالح بن ينصارن الماجري المتوفى سنة (631هـ/1234م)، وانتشرت على طول الطريق البري الموصل إلى الشرق فيما بين المغرب ومصر التي يسلكها ركب الحجاج، ليأووا في مراحل سفرهم الطويل¹. ومما سبق يمكن القول إن الزاوية قبل أن تكون منشأة خاصة بالتصوف مرت بعدة وظائف تغير خلالها - إلى حد ما - توزيعها الجغرافي داخل المدن تبعاً لكل وظيفة، فبدأت بإيواء الحجاج المسافرين عبر الطريق البري المؤدي للشرق الإسلامي، لذا فقد انتشرت على طول هذا الطريق².

وفي بداية العصر المريني أقيمت الزوايا خارج أسوار المدن وبالقرب من أبوابها وعلى الطرق المؤدية بين المدن، لاستقبال وإيواء عابري السبيل والمسافرين الواردين عليها الذين يباغتهم الليل، وقد جرت العادة أن تغلق فيه أبواب المدن، كما أن وجودها على الطرق المؤدية بين المدن جعلها بمثابة استراحات يقضي فيها المسافرون ليلتهم قبل متابعة طريقهم³. فالغرض الأول من بنائها كان أبعد ما يكون عن الهدف الصوفي الذي اتجهت إليه فيما بعد، حيث أصبحت المكان المفضل لرجال التصوف الذين كانوا ينقطعون فيها للعبادة⁴ ثم تحولت لاستقبال المريدين والأتباع الذين ينفادون لطريقة معينة، وصارت لا تبنى إلا لهذا الغرض، وكان السلطان أبو عنان قد خصص للفقراء الوافدين على الزوايا طعاماً يومياً⁵.

¹ محمد حجي، المرجع السابق، ص 24.

² محمد السيد محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 158.

³ عبد العزيز الدولتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، ترجمة: محمد الشابي وعبد العزيز الدولتلي دار سراس للنشر، تونس، 1978، ص 141، 142.

⁴ أبو عبد الله ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، ص 20

⁵ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع.....، ص 7.

وفي العهد المملوكي، استخدم لفظ الخنقاة بعكس معناها المعماري ووظيفتها الصوفية المشار إليها¹ حيث أصبحت تشمل على المدرسة والضريح في آن واحد، وهو ما يلاحظ في خنقاة ببيرس الجاشنكيز في القرن الثامن الهجري/التاسع عشر الميلادي²، وفي العهد العثماني ظهر مصطلح التكية في المناطق الشرقية من الدولة، وهي نوع من العماائر الإسلامية لا تختلف كثيرا عن الخنقاة، من حيث الهدف والغاية وإن اختلفت عنها بعض الشيء في التخطيط والعناصر المعمارية³.

وفي نهاية القرن التاسع الهجري/الحادي عشر الميلادي بدأت الزوايا تمارس أنشطة دينية وتعليمية ثم سياسية، وتختلف فيما بينها من حيث الشكل المعماري، فبعضها بسيط في بيت أو مسجد صغير للصلاة والذكر واجتماع المريدين أو في المكان الذي يسلكه أحد الصلحاء أو موقع خلوته، وبعضها نشأ حول ضريح أحد الصلحاء ويجتمع فيه اتباع طريقته، للزيارة والإقامة، وتتوفر الزاوية على مقبرتها الخاصة وعادة يدفن فيها أفراد عائلة شيخ الطريقة والمريدون وغيرهم، وتشمل الزاوية فضلا عن ذلك على مساكن لشيخ الزاوية بالإضافة إلى حجرات وغرف لاستقبال الغرباء والوافدين⁴.

¹ محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 94.

² حسن باشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، مصر، 1979، ص 173.

³ محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص 57، 58.

⁴ Marçais, G., L'Architecture Musulmane d'Occident, p.386-387

3. أقسام الزاوية:

ظل مصطلح الزاوية محتفظاً في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولاً، إذ يطلق على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني، أو تلك التجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام، المقسمة من الداخل على بيوت للصلاة (المسجد)، وقاعة الضريح وغرف لتخفيف القرآن الكريم، وتعليم العلوم العربية الإسلامية، وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام (المطبخ)، وتخزين المواد الغذائية والعلف (المخزن)، ووسقائف وأفنية وصحون ومقابر¹.

وقد ارتبطت أنماطها المعمارية بالطابع المحلي التقليدي الريفي والصحراوي وبالطراز الوافذ، من تخطيطها ومواد بنائها، مما جعل الفرق بين زوايا المدن وزوايا الأرياف وزوايا الجنوب في المناطق الصحراوية².

■ التكوينات المعمارية للزاوية:

1. المسجد:

- تعريف المسجد لغة:

إنّ التحديد اللغوي للكلمة هو من فعل سجد خضع وانحنى إلى الأرض، وسجد يسجد سجوداً أي وضع جبهته على الأرض³، والمسجد بكسر الميم هي الحصير الصغير⁴.
أمّا ابن المنظور، فيقول، بأن فعل سجد بمعنى خضع، ومنه سجود الصلاة، ولا خضوع أعظم منه⁵.

¹ محمد نسيب، المرجع السابق، ص30.

² نفسه، ص31. لمزيد من المعلومات، أنظر: طويل العيادي، الزوايا الريفية بمنطقة سطيف، مذكرة التخرج لشهادة الماجستير في الآثار الريفية الصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011/2010، ص 85.

³ محب الدين مرتضي الزبيدي، تاج العروس، تحقيق علي يسري، دار الفكر، بيروت، 1994، ص165-167.

⁴ أبو الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه، ج1، القاهرة، 1808 ص137.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ط18، بولاق، 1900، ص187، 188.

- تعريف المسجد شرعا:

هو كل موضع من الأرض، لقوله صلى الله عليه وسلم " جعلت لي الأرض مسجداً ".
ولمّا كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، لقوله صلى الله عليه وسلم " فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد " ¹ اشتق اسم المكان منه فقيل " مسجد " ولم يقولوا "مرقع" ².

والمسجد جمعه مساجد وهو عموماً كل مكان يسجد ويتعبد فيه الإنسان، واحداً تقام فيه الصلوات الخمسة فقط ويدعى بالمسجد، بينما الآخر تقام فيه الصلوات الخمس و صلاة الجمعة والأعياد ويسمى بالمسجد الجامع أو الجامع ³.

يعتبر المسجد وحدة معمارية مميّزة، فهو يمتلك خاصية هيكلية النسيج العمراني، خاصة في البيئة الصحراوية، وهذا نظراً لقيّمته المعمارية المستمدة من قيمته العقائدية التي نلمسها في فضل البيوت والمساكن القريبة منه.

تمتاز بيوت الصلاة في زوايا الجزائر خلال العهد العثماني، الجمع بين وظيفتي التدريس وأداء الصلاة. أمّا من حيث تخطيطها المعماري فيتميز بشكلها المستطيل والمربع وبعناصرها المعمارية كالمحراب والعقود والأعمدة والدعامات والمئذنة، والقباب.

¹ محي الدين النووي، شرح مسلم، ج3، بيروت، 2000، ص293.

² الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة، 1995، ص13.

³ عبد الرّحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت، 1988، ص381. لمزيد من المعلومات، انظر: خيرة بن بلة المنشآت الدينية بالجزائر، ص32،33.

2. الضريح:

■ تعريف الضريح لغة:

هي كلمة مشتقة من فعل ضرح، وهو بمعنى القبر حفره أو شقّه، أي حفروا له ضريحا¹ وسمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقًا أو لأنه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسطه².

■ تعريف الضريح اصطلاحًا:

أمّا في المصطلح الأثري فهو الحجرة المشتملة على قبر أو تربة تعلوها قبة، وقد ميّز البعض بين القبر الذي هو حفرة الميت وبين التربة التي هي بناء مقام فوق القبر الذي أخذ في العصر الإسلامي أشكالاً عديدة كان منها البسيط الذي يتألف من كومة من الحصى أو التراب، ومنها المبنى المرتفع الذي تقنّن المعمارون فيه حتى القصور³.

وهو مدفن لسلطان، أو أمير، أو رجل (ولي) صالح أو إنسان آخر له مكانة اجتماعية مرموقة تدعو إلى تخليد ذكره⁴.

وعرفت هذه الكلمة عدة اصطلاحات في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، كاصطلاح " التربة " وهذا في العهد العثماني وبالأخص في تونس، وكذلك " مشهد " وهذا للدلالة على مدفن تذكاري لدفن الشهداء وأهل البيت، وهذا الخبر متداول خاصة في مصر، كما نجد مصطلح " مزار " ويطلق على ما يزار من الأماكن من قبور الأنبياء والأولياء عند بعض المسلمين وقبور القديسين عند النصارى، إلى كل هذا نجد كلمة " مقام " لها نفس معنى تلك الأخيرة، ثمّ نجد كذلك مصطلح " القبة " وهو المتداول بكثرة في العالم الإسلامي⁵.

¹ ابن المنظور، لسان العرب، ج11، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص526.

² محمد حمزة إسماعيل حداد، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993 ص18، 19.

³ عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2000، ص 125.

⁴ عبد الجواد توفيق، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج3، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1972، ص74.

⁵ صالح مصطفى لمعي، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت، ص23.

تعددت أساليب بناء القبور منذ فترة ما قبل التاريخ، حيث وجدت مدافن على شكل مسكن، وهي عبارة عن مناخذ حجرية تتكون من عدة غرف، وأشكال أخرى عبارة عن مغارات في الصخور، وفي العمارة المصرية ظهرت عمارة الأهرامات والمصاطب، ونفس الفكرة ظهرت في حضارة وادي الرافدين، وفي العصر الإغريقي ظهرت عمارة المعابد، وفي العصر الروماني ظهرت بعض الأنواع من الأضرحة عبارة عن أقبية تحت الأرض، ثم المقابر التذكارية المستديرة ثم الأضرحة الهرمية¹.

أما في العصر الإسلامي، فإنّ أقدم ضريح أقيمت عليه قبة يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وذلك في قبة الصليبية في سامراء بالعراق على الضفة الغربية لنهر الدجلة، ثم يأتي ضريح إسماعيل السمانى المبنى عام 296هـ/970م في مدينة بخارى، ثم ضريح الإمام علي بالنجف الذي بناه الحمدانيون سنة 317هـ/929م ثم ضريح محمد بن موسى في مدينة " قم " الإيرانية عام 366هـ/976م، ثم ضريح سبع بنات في الفسطاط بمصر سنة 400هـ/1009م².

ويكون ضريح الولي عادة مرتفعا ومغطى بتابوت خشبي عليه أقمشة مذهبة وملونة حريرية وغيرها ومحاط بشباك مغلق، وتكون الأعلام والرايات التي ترجع إلى الطريقة التي ينتمي إليها إن كان من أصحاب الطرق.

¹ عبد الكريم عزوق، " الأضرحة ببجاية - دراسة انموذجية - "، مجلة دراسة تراثية، العدد، 1، يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2007، ص137. وانظر أيضا: عبد الجواد توفيق، المرجع السابق، ص32.

² سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحين، ج1، القاهرة، ص40.

الشكل العام للضريح عبارة عن حجرة مغطاة بقبة، وبتحويل المسقط من المربع إلى دائرة عرفت منطقة الانتقال تطورات خلال العصور الإسلامية، أمّا عن القبة فتتعدد أشكالها من المشرق إلى المغرب، بتنوع الأضرحة، فمنها البسيط المنفرد والبناء المتكون من غرفة واحدة مقببة ومنها الملحقة بالمدرسة أو الجامع، وقد يكن للضريح محراباً أو مصلى¹.

إذ يلاحظ أنّ الأضرحة تأخذ أشكالاً مختلفة من منطقة إلى أخرى .

ولقد أعطى لنا الأستاذ الباحث كوفي Cauvet أشكالاً وأنواعاً مختلفة من الأضرحة

تتمثل في:

- أضرحة تعلوها قبة نصف كروية: وهي أضرحة مغطاة بقبة نصف دائرية مدببة قليلاً في المركز، أخذ هذا التأثير من خيم المغول والتركمان، فكلما اتجهنا نحو الجنوب نلاحظ بعد التعديلات طرأت على هذا الشكل من القباب، ويلاحظ هذا النوع في كل من طرابلس، تونس، الجزائر، والمغرب.

- أضرحة على شكل كوخ بسقف عادي أو منحدر ومزدوج: توجد بكثرة في المناطق الجبلية بحيث يكون على هيئة كوخ بسيط غالباً ما يبنى بالحجارة الجافة، والسقف من القرميد ويتوفر هذا خاصة في منطقة القبائل الكبرى، وكذا منطقة الأوراس.

- أضرحة ذات قباب محمية بسطح من القرميد: هذا النوع خاص بالمناطق الساحلية (كثيرة الأمطار والثلوج) وقد عثر عليه في الجزائر في منطقة المدية و سيدي عيسى وبسكرة مجسداً في زاوية وضريح سيدي خالد.

- أضرحة ذات قباب أو مخروطية: له قمة حادة على الجانب، إذ تتخذ شكلاً متساوي الأضلاع مشكلة بذلك قوس تام منكسر، أو نصف دائري كما هو عليه مزار فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، أمّا في الجزائر فنجد في أضرحة بسكرة.

¹ طه الولي، المساجد في الإسلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1988، ص126.

- أضرحة ذات قبة كمثرية بشرفات حادة مهذبة: سميت كذلك لاتخاذها الشكل الإجاصي المقسم في الوسط بالعرض، حيث تتوج مؤخرتها بشرفات أسطوانة حادة.
- أضرحة ذات قباب مركزية ضيقة: غرار الأنواع السابقة، فإن هذه الأضرحة تعلوه أسطح الغرفة المشكلة للهيكل الضريح وقبة ضيقة متوسطة الإرتفاع، أحيانا ما تحيط بها أربعة قباب صغيرة في الزوايا.
- أضرحة هرمية أو مخروطية بدون منارة: وهي عبارة عن مبنى هرمي، أو مربع، أو مخروطي تتعدم فيه الشرفات ويكون على أرضية من الأجر المجفف ويطلى بالجبس أو الملاط الأبيض (وهو ذو تأثير مغربي أندلسي بدأ انتشاره مند بداية القرن 6هـ / 12م¹).

3.الصحن:

الصحن هو المساحة المكشوفة أو المغطاة تتصل بها من الناحية الجنوبية برواق القبلة، ومن النواحي الثلاث الباقية بالأروقة الثلاثة الأخرى، حيث يعتبر المجال المركزي والعصب الحيوي في المسكن الأصيل².

ويعرف صحن الدار على أنه وسطها ومركزها ويطلق عليه أحيانا باحة أو ساحة، ويسمى محليا بوسط الدار أو الحوش، وهو أهم فضاء في المنزل ولم يقتصر تصميمه على الدور السكنية فقط، وإنما اتخذ " كنواة للخان والفندق والقيسارية والوكالة والمارستان والقصر والدار والزوايا"³، يعتبر من العوامل الأساسية التي لها دور في التكوين المعماري لكل مبنى. فالمساجد المبكرة لم تستغن عنها، بل كانت جزءا لا يتجزأ من المساجد التقليدية التي اتخذت منه وسيلة للتقليل من الحرارة القاسية، حيث تطل على بيت الصلاة وتستمد منه

¹ Cauvet (C.), « Les marabouts, petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique », IN. *Revue Africaine*, Paris ,1923,p.274-361.

وانظر أيضا: وهيببة خليل، أطلس المعالم الدينية لمدينة الجزائر خلال العهد الإسلامي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2008/2009، ص152،153.

² محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص48.

³ جمعة أحمد قاجة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط1، لبنان، 2000، ص327.

الإضاءة والتهوية وغالبا ما تجد وسطه نافورة تزيد من لطافة الجو، فضلا عن وظيفتها الرئيسية التي هي الوضوء للصلاة .

كما يضيف إيلي لومبيز بقوله: " أن المناخ اللطيف في حوض المتوسط والحرارة المعتدلة يسمحان إقليميا بإعطاء حيز الفسيحات المكشوفة أهمية قصوى في هندستها وعدم الإستغناء عنها"¹.

أما سكينه ميسوم، فتراه عاملا مهما في " الإقلال من نسبة الغبار المتصاعد من الطرقات المحيطة بالمبنى وهو المجال المناسب للعب الأطفال وإقامة الحفلات التي تعتبر الوقت الاستثنائي لقبول الرجال الأجانب عن العائلة"².

والواقع أن مواضيع الصحن في هذه الزوايا لم يكن نابعا من تقليد معماري معين وإنما فرضته طبيعة المكان والموضع والمساحة المخصصة للبناء، فهذه الزوايا بهذه المدن كانت تعيش خلال العهد العثماني في اكتضاض وتكدس عمراني لم تشهده من قبل، وأيضا هو نقص الساحات والرحاب داخل هذه المدن.

كما يعتبر الصحن أهم وحدة معمارية في العمارة الصحراوية، في البيئة القاسية خاصة في مناطق المناخ الحار، وهو يقوم بدور المنظم الحراري للمسكن، حيث يعمل على تلطيف درجة الحرارة داخل المبنى مستفيدا من الفرق الكبير في درجة الحرارة ما بين الليل والنهار، وتكوين أماكن ضغط متباينة ما بين الشوارع الضيقة المظللة والصحن المفتوح، من خلال دورة التبريد التي تتكون أثناء الليل والنهار، والتي تبدأ من ترسيب الهواء البارد في الصحن والغرف المحيطة به ليلا إلى ظهيرة اليوم التالي عندما تسخن الأسطح المعرضة للشمس³.

¹ إيلي لومبيز، تطور العمارة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا، دار آسيا، بيروت، 1985، ص29.

² Missoum (S.), Op.Cit, p.215.

³ وليد شلنتوت، الأنماط المعمارية في العمران الصحراوي، المؤتمر الهندسي الثاني، كلية الهندسة، جامعة عدن، اليمن، 30، 31، مارس، 2009، ص121، لمزيد من المعلومات، وانظر أيضا: مرد حديبي، المرجع السابق، ص130، 132.

4. الغرف:

الغرفة جمعها غرف بضم الغاء وفتح الراء، وهي الحجرة في الطابق الثاني من الدار وما فوقها، أمّا معماريا فهي حجرة صغيرة بالأدوار العلوية¹.

حدد التصميم الداخلي للغرفة حسب الوظيفة التي تؤدي فيها، وكلها تقريبا تشترك في خاصية واحدة تتمثل في الشكل المستطيل والمربع، كما يتم توزيعها حول الصحن من جهاته الأربع في بعض الزوايا، وأنّ مقاساتها تختلف من زاوية للأخرى، فنجد أنّ غرف الإقامة تمتاز بالبساطة، وهي دلالة واضحة على الزهد والتقشف الذي ميّز الحياة في الزاوية، جدران الغرف مزودة بمشكاوات على شكل مثلث متساوي الساقين، كما تتوفر في الداخل على مدفئة تستعمل شتاء، وفي أعلى الجدار رفوف من الخشب لوضع قارورات العطر ومواد الزينة، وأحيانا تكون هذه الغرف مكونة من قسمين، قسم للجلوس، وقسم مخصص للنوم.

كما توجد غرف للاستقبال في معظم بيوت الجنوب الجزائرية وفي الزوايا الكبيرة وهي عادة ما تفتح مباشرة على السقيفة، إلا في بعض الاستثناءات في الزاوية، إذ نجد بابا مخصصا لدخول الضيوف دون إزعاج من بداخل الدار، كما يفتح بها باب ثاني خاص بأهل البيت ليسهل عليهم عملية تنظيفها، ونقل الطعام إلى الضيوف وتزويدهم بما يحتاجونه.

¹ عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص211.

5. المطبخ:

يعتبر من بين المرافق التي يحتويها كل مبنى، وجعل البناء يهتم بطريقة بنائه واختيار المكان المناسب، نجده في الزوايا والمباني بالطابق الأرضي، بعيدا عن هبوب الرياح لمنع تصاعد الدخان إلى الفضاءات الأخرى في المبنى. وتسهيل تزويده بالمواد الأولية كالحطب والماء وغيرها، ووضع فتحات تكون مفتوحة على الخارج، وبنوافذ مفتوحة نحو الداخل وذلك لتوفير الإنارة والتهوية اللازمة¹.

وتعلو المطبخ رفوف وأوتاد وبعض الكوات التي تستعمل لوضع لوازم المطبخ والأواني المستعملة لها، ويرجع اختيار المطبخ في وسط الدار حتى تكون المرآة قريبة من غرفة الاستقبال، كما يسهل عليها عملية مراقبة دخول وخروج الأشخاص من وإلى المنزل.

6. المخزن:

يعتبر المخزن من مكونات القارة للزاوية، كونه يرتبط بمستقبلها وتأمين المواد الغذائية الإستراتيجية، فهي غرف ضيقة، تحتل موقعا من الزاوية بعيدا عن الأنظار، ويكون أبرد مكان فيها، وأقل عرضة لأشعة الشمس، وتكون هذه الغرف في غالب الأحيان بالطابق الأرضي وتحت السلم، وتزود بداخلها بعوارض خشبية تعلق عليها حزمات البصل والثوم².

¹ محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثرية، دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص115.

² محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص124.

وتستعمل السبالات وهي قلل كبيرة لحفظ الحبوب، والزيت والشحم ومختلف الدهون، وأنّ هذا النوع من المخازن له أهمية كبرى، باعتباره المّون الرئيسي لأهل الدار وقت الحاجة الملحة، كون بعض المناطق تتعرض للعديد من الأزمات الغذائية، كما يرجع ذلك إلى قساوة الظروف الطبيعية كالجفاف والفيضانات وحتى الأزمات الأمنية.

7. المقابر:

تشكل المقابر وحدة عمرانية لا يمكن الفصل بينهما، وجاءت هذه المقابر في ساحات ورحبات مكشوفة واسعة، كما جاءت داخل غرف وقاعات خاصة مستطيلة وواسعة. ويتم تحديد موضع الرأس والأرجل في المقبرة بواسطة حجارة مصفحة مثبتة عموديا وهذا ما نشاهده في زوايا المناطق الجنوبية الصحراوية.

4. أنواع الزوايا ومهامها:

1.4. أنواع الزوايا:

إنّ تعدد الزوايا في الجزائر، سمح بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاثة أنواع من الزوايا وهي:

■ النوع الأول: زوايا المشايخ:

وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب الطريقة، ويعرف بشيخ الطريقة وهو الذي يعطي الأوراد أي الميثاق¹، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون يسمون الإخوان، والزوايا تقوم على أكتاف هؤلاء المریدين والمحسنين فهم الذين يولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والتبرعات والصدقات من الشعب.

والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته، وهو صاحب الحل والعقد، وهو الذي يعين المعلم ويعزله حين يشاء وكذلك يحدد المواد التي تدرّس للطلبة، فإذا مات الشيخ استخلف بأحد أفراد عائلته أخيه أو ابنه... الخ، إمّا عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة أو ترشحه لمنصب الطريقة ويخلف الشيخ الراحل وذلك حسب تقاليد الأسرة².

ومن هذا النوع من الزوايا، الزاوية التيجانية بعين ماضي بالأغواط بتماسين، وبوسمغون بالبليض، وقمار بوادي سوف، وزاوية الهامل القاسمية ببوسعادة، وزاوية الحملاوي بقسنطينة، وزاوية سحنون في أغرار أمقران ببجاية، وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار³.

¹ الميثاق: ويسمى الورد أو الوسيلة، وهو عبارة عن تلقي روحي يشتمل على أذكار ووصايا مقتبسة من نصوص الشريعة، يوصي بها الشيخ المري مریديه الآخرين بيده أو بسبحته مغمضين أعينهم فيتلقونها منه بحفاوة، وقد يحرصون على التقيد بها طيلة حياتهم، ويقول الناس في المثل الشعبي (اللي ما عندو شيخ شيخو شيطاني) ومعنى شيطاني عمله شيطاني لا رباني.

² عطية شطة، " البعد التربوي والروحي للزوايا " ، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2007-2008، ص 65.

³ عطية شطة، المرجع السابق، ص 66.

■ النوع الثاني: زوايا المرابطين:

وهي ملكية جماعية يؤسسها جماعة من المرابطين ويسيرونها فيما بينهم، مواردها تتمثل في صدقات المحسنين والندى والهبات والزيارات والحبوس وتتفق على طلبه العلم والإخوان، وينتشر هذا النوع من الزوايا في بلاد زاوية بمنطقة القبائل¹.

■ النوع الثالث:

وهو فريد من نوعه في القطر الجزائري، حسب ما قاله لنا الشيخ الذي زرناه في منطقة القبائل، والأمر يتعلق بزوايا سيدي عبد الرحمن اليلولي والتي تأسست بأيلولة بعزازقة مدينة تيزي وزو عام 1045هـ/1635م، حيث يسيّرنا الطلبة بحرية تامة واستقلالية في تسيير شؤونهم وتديبها ويسهرون على وضع نظامهم الداخلي وتديبهم علاقاتهم الخارجية.

■ ويمكن إضافة نوع آخر من الزوايا وهي :

- الزوايا المنسوبة:

وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحي ذكره، وهو مدفون بالزاوية.

إنّ العامل المشترك بين الزوايا تتمثل في مجانية التعليم والإيواء للضيوف والإخوان، إلى جانب السلطة الروحية التي تمارسها الزاوية على مرديها².

¹ نفسه، ص 67.

² نفسه، ص 68.

2.4. مهام الزاوية:

- لقد كان للزاوية الدينية نشاطات مختلفة ومتنوعة في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل وحتى السياسية بالجزائر، وهي أُنْها:
- اهتمت بتحفيظ القرآن، ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة وعمقته بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وساعد ذلك على حمايته من النسيان والضياع والنسيان.
 - احتضنت اللغة والثقافة العربية الإسلامية ونشرتها بشكل واسع ومكثف، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة، وأنفقت عليهم بسخاء، وكان ذلك شكل من أشكال مقاومة الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة، وعملا ضد سياسة التجهيل التي كانت الإدارة الاستعمارية تتبعها ضد الأهالي الجزائريين.
 - عملت على نشر الإسلام في المواطن والأصقاع التي لم يصل إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية، كما فعلت التيجانية والسنوسية.
 - عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية بين فئات المجتمع، فجمعت تحت لوائها بين الأغنياء، والفقراء، والعلماء والأميين، وشرفاء الأصل، وغيرهم، وصهرتهم في بوتقة واحدة وألّفت بينهم جميعا¹.
 - لعبت دروا بارزا في إنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، وذلك بفضل مركز شيوخها، ومقدميها ووكلائها، فكانت الحكم بين الناس فقلّلت من المشاكل، وتمتع المجتمع الجزائري بنوع من الاستقرار النفسي والخلقي، وساعده ذلك على التفرغ لمقاومة السيطرة الأجنبية الاستعمارية.
 - إضافة إلى التكافل الاجتماعي فإنّ هناك تكافل اقتصادي بين الأسر والقبائل والعشائر، في مشاريع كبرى كالحرث والحصاد والجني والبناء والرعي والرعي وجمع العلف اليابس لها،

¹ يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، " ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2002، ص20.

وكانت الزوايا تتفق بسخاء على كل الأعمال من خلال العائدات والمداخيل والموارد المالية للطرق الصوفية والمرابطين التي تأتيها من موارد مالية مختلفة منها:

الأوقاف سواء كانت أراضي أو بساتين أو أشجار مثمرة أو محلات تجارية وحيوانات وحمامات والفنادق وغيرها، وهي تدر بأموال ومداخيل ينفق منها على الطلبة والعلماء والأئمة والمؤذنين والمنظفين.

بالإضافة إلى ما يقدمه المريدين عند زيارتهم لشيخ الزاوية أو مقدمها، ثم الهدايا والوعدة وكذلك تبرعات المسافرين الذين ينزلون بها¹.

- كانت هذه الزوايا بمثابة مخازن، ودواوين، للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالعلم والتعليم، والنسخ، والنقل، والتأليف والجمع، غير أن معظم ما بها من تراث تسرب إلى البلدان الأوروبية خلال فترة السيطرة الاستعمارية على الجزائر وبلدان المغرب العربي، وتعرض جزء هام من هذا التراث إلى التلف والضياع خلال مرحلة المقاومة للزحف الاستعماري الأوروبي في القرنين 19 و 20 وخاصة في حرب التحرير الأخيرة (1954-1962) بالجزائر.

- شاركت هذه الزوايا مشاركة فعالة في مقاومة نظم الحكم الطاغية والمستبدة سواء منها المحلية أو الاستعمارية، فحاربت الدرقاوية الولاية الأتراك في شرق الجزائر وغربها وحاربت الرحمانية والسنوسية الاستعمار الفرنسي في الجزائر وإيطالي في ليبيا.

- بذلت هذه الزوايا جهودا كبيرة وكثيفة في مقاومة الفرنسة والتنصير وعملت على حماية الشخصية العربية الإسلامية بواسطة نشر الدين واللغة العربية والثقافة العربية بمختلف الوسائل والسبل والإمكانات، وفي كل الأوقات والظروف، وكان ذلك خيرا وبركة على الجزائر وشعبها².

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 21.

² يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 22.

5. الهيكل التنظيمي للزاوية:

▪ **الشيخ:** وهو المدرّس والمصلح والمفتي والدليل الروحي لكل من يلجأ إليه، وهو شيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد، يستمد نفوذه من مكانته الدينية، باعتباره العارف بالله والقادر على تربية النفوس¹.

وقد أحيط الشيوخ بهالة من التقديس في نظر الأتباع والمريدين، فأصبحوا لهم مصدر السعادة والخير والنفعة والشر والضرر، فكل من مسّه الأذى أو الشقاء إلاّ واعتبره غضبا من الشيخ فيسرع إلى ضريحه لنيل مرضاته، فهو واسطته التي يتوسل بها إلى الله، فيقدم له الهدايا والزيارة، ويتعهده لطاعته والولاء له ولخلفائه، ويداوم على ورده.

▪ **الخليفة:** يأتي في المرتبة الثانية، فهو الذي يرث مقاليد الطريقة وعادة ما يسمّى بالخليفة الأكبر أو بصاحب السّجادة، وهو نائب الشيخ وممثله في البلاد البعيدة والزاويا الفرعية، أمّا بالزاوية الأم فهو المعلم الكبير.

يسهر الخليفة على تسيير الطريقة والدفاع عن مصالحها، فيحافظ على أوراد الطريقة وأذكارها، فلا يزيد فيها ولا ينقص.

▪ **الوكيل:** يعوض المرابط حالة وفاته، ويلتزم بذلك حرفيا جميع طلبة الزاوية والأتباع المعروفين، فيوزعون بينهم حسب قدراتهم ومكانتهم من شيخ الزاوية، والخدمات والمهام المتعددة، وهو الذي يدير أملاك الشيخ، فهو المحاسب والمسير، وحارس ضريح سيده².

▪ **المقدم:** وهو مندوب الخليفة أو ممثل الشيخ أمام العامة، وقد يمنحه الشيخ صلاحيات واسعة بالمناطق البعيدة عن إقامته بالزاويا الفرعية، ويراسل الخليفة ليطلععه على الأخبار أو يطلب منه نصائح، وله خاتم³.

¹ محمد نسيب، المرجع السابق، ص 103

² Delpech, (A.) « La Zaouia de sidi Ali ben moussa », IN. *Revue Africaine*, N :18,1874, OPU ,1986,p.87.

³ Brosselards(j.), *Les Khouans de la constitution des ordres religieux musulmans* imprimerie de la Bouget, Alger, 1952,p.09 .en

- **الراقب:** ينوب عن الشيخ، يسمى كذلك شيخ الحضرة، يقوم عادة بإمامة الصلاة في الزوايا الفرعية، مهمته نيابة الشيخ في الأوقات اللازمة¹.
- **الأعضاء الباقون:** الإخوان والفقراء أو الخدام.
- **المريدون:** يشكلون قاعدة الهرم، يطلق عليهم " الإخوان " في المغرب العربي، بينما يعرفون في المشرق باسم " الدراويش " ويتميّزون بأسماء مختلفة من طريقة إلى أخرى مثلا عند القادرية يعرفون باسم الفقراء، وعند التيجانية يعرفون باسم الأحاباب، وأهم شيء للمريد عند انخراطه في الطريقة هو طاعة أهلها وعلى رأسهم الشيخ، وأن يطبق القاعدة الصوفية المشهورة " اعتقد ولا تنتقد " ².

Brosslards, Op.cit,p.09

1

² محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص104

6. الأوقاف:

يمكن تقدير منشأ الأوقاف في الجزائر - أو فيما كان يسمى بالمغرب الأوسط - بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا على يد الفاتح عقبة بن نافع الفهري، ثم انبرى الجزائريون جيلاً بعد جيل يتسابقون في أعمال الخير بدءاً ببناء المساجد ثم يحبسون لها العقارات لتأمين خدماتها وخدماتها العلمية والدراسية فضلاً عما يخصص لمرافق المساجد وصيانتها وما ينفق على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، ثم توسع الوقف ليشمل الأراضي والبساتين والمحلات وشتى الأملاك مما كان يدر عائدات معتبرة توجه لتمويل مساحة هامة من النشاط الاجتماعي والثقافي والعلمي إضافة إلى دورها البارز في تمكين شبكة التضامن والتكافل الاجتماعي¹.

لقد تميزت الفترة العثمانية بالجزائر بتكاثر الأوقاف وانتشارها في مختلف أنحاء البلاد منذ أواخر القرن الخامس عشر ميلادي وحتى مستهل القرن التاسع عشر الميلادي وتزايدت حتى أصبحت الأوقاف تشكل نسبة كبيرة من الممتلكات الزراعية الحضرية منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ففي سنة 1750م تضاعفت عقود الأوقاف اثنتي عشرة مرة مقارنة بسنة 1600م، وهذا التزايد المستمر للأملاك الموقوفة خلال هذه الفترة يمثل إحدى دورات المد الوقفي في تاريخ الجزائر. وفي هذه الفترة اتسع الوعاء الاقتصادي للأوقاف حيث أصبح يشتمل على الأملاك العقارية والأراضي الزراعية، إضافة إلى العديد من الدكاكين والفنادق وأفران الخبز والعيون والسواقي والحنايا والصحاريح، وأفران معالجة الجير، زيادة إلى الكثير من الضيعات والمزارع والبساتين والحدايق المحبسة، حيث اشتهرت كثير من المدن بكثرة أوقافها².

¹ محمد البشير الهاشمي مغلي، " التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي"، مجلة المصادر، العدد السادس، مارس 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث من الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، ص161.

² مديرية الأوقاف، الأوقاف الجزائرية، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، جوان 1998، ص1.

■ تعريف الوقف لغة واصطلاحاً :

- الوقف لغة:

الوقف أو الوقوف لغة هو خلاف الجلوس، وَقَفَ بالمكان (بفتح القاف) وَقْفًا (بسكون القاف) ووقوف، فهو واقف، والجمع وَقْفٌ (بضم الواو، سكون القاف)، ويقال وقفت الدابة تقف وقوفاً، ووقفتها أنا وقفاً، ووقّف الدابة جعلها تقف¹.

وقد اشتهر إطلاق كلمة الوقف على اسم المفعول وهي الموقوف، ويعبر عن الوقف بـ "الحبس والتسييل"²،

- الوقف اصطلاحاً:

أمّا في الاصطلاح فللوقف تعريفات متعددة، فقد عرّفه الإمام أبو زهرة بأنه قطع التصرف في ربة العين التي يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة لجهة الخير ويستوي في ذلك أن يجيء في صورة الوقف الخيري أو الأهلي³.

والوقف غالباً يقوم على فكرة التصدق ليبتغي به الإنسان فيما آتاه الله تعالى من مال أو نحوه ابتغاء الدار الآخرة، ولهذا يوصف الوقف بأنه عقد من عقود التبرعات، ومن هذا المنطلق عرّفه الفقهاء بأنه إعطاء عين لمن يستوفي منافعها والانتفاع بها أو الانتفاع فقط على وجه التأييد أو على وجه التوقيت⁴.

وللوقف نظام داخلي دقيق، فالوكيل (أو الناظر) هو المشرف الرئيسي عليه، وهو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط، وهو المسؤول على تنمية الوقف واستعماله في الوجوه المعينة، والباشا (أو الباي في الأقاليم) هو الذي كان يعين الوكيل بناء على

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد، 15، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص 173

² ابن منظور، لسان العرب، المجلد، 09، دار المصادر، بيروت، 1988، ص 360، انظر أيضاً: الزمخشري، ساس

البلاغة، الطبعة 19، دار الفكر، لبنان، 1979، ص 76

³ محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ديار الفكر العربي، القاهرة، 1772، ص 07

⁴ مجد الدين فيروز الأبادي، قاموس المحيط، المجلد الثالث، دار الفكر، بيروت، 1983، ص 205

مواصفات معينة كالأخلاق الفاضلة والنزاهة والعلم والسمعة الطيبة بين الناس، ومن الممكن تغيير الوكيل عندما تشتهر عنه أمور مخلة بنظام الوقف أو بالأخلاق العامة¹.

وأنواع الوقف كثيرة وليس من السهل حصرها، فهناك من يوقف عقارا من أرض أو دكان أو دار أو نحو ذلك، وبعضهم كان يوقف عينا أو بئرا لأبناء السبيل، ويستعمل الوقف في أغراض كثيرة، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل، ومن أهم أغراضه العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة².

ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة، والواقفون بالجزائر لا حصر لهم بجنس أو طبقة أو مذهب ولذلك وجدنا فيهم الرجال والنساء، والعثمانيين والحضر، والأحناف والمالكية، ولعل الفرق بين واقف وآخر هو النية الحسنة والثروة³.

وكانت الأوقاف في الجزائر العثمانية تتوزع على عدة مؤسسات خيرية ذات طابع ديني، ولها وضع إداري خاص، وهذا بيان بأهم المؤسسات التي كانت تنظم العمل الوقفي في الجزائر العثمانية:

■ مؤسسة الحرمين الشريفين:

من حيث نشأتها تعد أقدم المؤسسات الوقفية فهي تعود إلى ما قبل العهد العثماني وتؤول أموال أوقافها إلى فقراء مكة والمدينة، فتوجه تارة برا مع قافلة الحجاج، وتارة بحرا إلى الوكالة الجزائرية بالإسكندرية في سفن إسلامية أو نصرانية، ومنها إلى الحرمين الشريفين⁴، وقد حظيت مؤسسة الحرمين بأغلبية الأوقاف في مدينة الجزائر، حيث استمدت أهميتها من المكانة السامية التي كانت تحتلها الأماكن المقدسة في نفوس الجزائريين، الذين أوقفوا عليها

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 229.

² نفسه، ص 230.

³ نفسه، ص 232.

⁴ محمد البشير الهاشمي مغلي، المرجع سابق، ص163.

كثيرا من ممتلكاتهم، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها أو الأعمال الخيرية التي تقوم بها، فهي تقدم الإعانات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها، وتتكفل بإرسال حصة من مداخيلها إلى فقراء الحرمين في مطلع كل سنتين، وكذلك كان يوكل إليها حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاثة من مساجد مدينة الجزائر، حيث كانت تشرف على قرابة ثلاثة أرباع الأوقاف وهذا ما تثبته بعض التقارير الفرنسية التي تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال، وتؤكد بأن أوقاف مؤسسة الحرمين كانت تستحوذ على الشطر الأكبر من الأوقاف خارج مدينة الجزائر وخارجها، فمن هذه التقارير ما أورده "Genty de bussy" من أن أوقاف الحرمين كانت تقدر بـ 1373 ملكا منها 70 ضيعة يشرف عليها مباشرة وكلاء الحرمين. أما قنصل فرنسا Valiard فقد ذكر أن كل بيوت الجزائر وما يحيط بها من أراضي فتعود لأحباس الحرمين¹.

■ مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

وهي من حيث كثرة عددها ووفرة مردودها تحتل الدرجة الثانية بعد أوقاف الحرمين ولعل هذا يعود أساسا إلى الدور الذي كان يلعبه الجامع الأعظم في الحياة الثقافية والاجتماعية الدينية، ولقد كانت هذه الأوقاف بمدينة الجزائر تناهز 550 وقفا، وكانت تشتمل على المنازل والحوانيت والضيعات وغيرها، ويعود التصرف فيها للمفتي المالكي الذي يوكل أمر تسيير شؤونها إلى الوكيل العام الذي يعاضده وكيلان، وكانت تصرف عوائده على الأئمة والمدرسين والمؤذنين والقيمين إضافة إلى أعمال الصيانة وسير الخدمات².

¹ مصطفى أحمد بن حموش، الوقف وتنمية المدن من التراث إلى التحديث، ندوة الوقف الإسلامي، 6-7 ديسمبر 1997،

جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، ص 1، 2.

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع سابق، ص 90

■ مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية:

هذه المؤسسة الوقفية ذات الطابع الخيري كانت خاصة بالأحناف أسسها شعبان خوجة سنة 999هـ/1590م ، واتجه نشاطها إلى المشاريع الخيرية العامة كإصلاح الطرقات ومد قنوات الري وإعانة المنكوبين، وذوي العاهات وتشبيد المساجد والمعاهد العلمية وشراء الكتب ووقفها على طلبة العلم وأهله، وكانت مكلفة بإدارة وصيانة أملاك ثمانية مساجد حنفية أهمها " الجامع الجديد "، ويرجع تسييرها إلى إدارة منظمة تضم أحد عشر عضوا بينهم ثماني مستشارين منتخبين، و ناظر أو وكيل أوقاف المؤسسة وكاتب ينظم عقود المؤسسة، ويكون الوكيل والكاتب من أهل العلم، ويضاف إليهم شاوش (مستخدم) كان مكلفا بالسهر على أبنية هذه المؤسسة وتسهيل عمل وراحة 08 طلاب - قراء- يقرؤون القرآن بجوار المؤسسة.

وأما أملاكها فقد كانت تقدر بثلاثة أرباع الأوقاف العامة، وقد تم إحصاء 92 حانوتا يعود لمؤسسة سبل الخيرات، ثمانية منها كانت مستغلة من قبل اليهود، وهذه إشارة لسماحة الإسلام وعدالته بين مواطنيه، وغلتها السنوية الاجمالية قدرت بنحو 4455 ريالا، يضاف إلى ذلك أنه كان لها أربعة مخازن ملحقة بالفنادق غلتها السنوية 156 ريالا، وحمامين غلتها السنوية 165 ريالا¹.

■ أوقاف مؤسسة بيت المال:

تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر في العهد العثماني حيث كانت تتولى إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء والأسرى، وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة، كما تهتم بشؤون الخراج وشراء العتاد، وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشبيد أماكن العبادة، كما كانت تهتم بالأملاك الشاغرة وتتولى تصفية التركات وتحافظ على ثروات الغائبين وأملاكهم، وتقوم ببعض الأعمال الخيرية مثل دفن الموتى من الفقراء وأبناء السبيل.

¹ عقيل نمير، حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر: أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية، أبحاث الندوة العلمية حول: الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص163.

وقد كان يشرف على هذه الهيئة الخيرية موظف سام يعرف بالمالجي يساعده قاض يلقب بالوكيل، ويتولى شؤون التسجيل فيها موثقان يعرفان بالعدول، ونظرا لأهمية هذه المؤسسة فإن المشرف عليها يتمتع بصلاحيات متزايدة واستقلال في إدارتها¹.

■ مؤسسة أوقاف الأندلسيين:

قامت هذه المؤسسة الوقفية بعد محنة الأندلسيين الذين نزحوا إلى المغرب العربي واستقروا في المدن الساحلية وساهموا في الحرب ضد الإسبان، وترجع أولى عقود هذه المؤسسة حسب المؤرخ الفرنسي دوفوا "Devoulx" إلى سنة 980هـ/1572م. فقد كان أغنياء الجالية الأندلسية يوقفون الأملاك على إخوانهم اللاجئين الفارين من جحيم الأندلس. وقد تعززت هذه المؤسسة بتأسيس مركب ثقافي وتعليمي وديني سمي بزوايا الأندلسيين، ثم تكاثرت مشاريعهم الخيرية حتى بلغت بالفرنك الذهبي 408072 في عام 1837م².

■ أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف:

تعود أحباس هذه المؤسسات المستقلة عن بعضها إلى أضرحة الأولياء الصالحين والأشراف والمدارس التي أسسوها في حياتهم، وتتمثل مهمة هذه الأحباس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة التعليمية أو الدينية، وفوائدها تعود على فقراء الأشراف وأوقاف بيت المال، وقد كانت كثيرة في مختلف المدن وخاصة منها مدينة الجزائر، فكانت تقدم لها الهدايا والهبات وتحبس عليها الأملاك فتكونت بذلك لكل منها ملكية. وأشهر هذه المؤسسات تلك التي ترجع إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي والتي بلغت أحباسها 72 عقارا، وقدرت مداخيلها بـ 6000 فرنك فرنسي عام 1937م³.

¹ ناصر الدين سعيدوني، المرجع سابق، ص 95.

² محمد البشير الهاشمي مغلي، المرجع سابق، ص 164.

³ مصطفى أحمد بن حموش، المرجع السابق، ص 06.

■ أوقاف المرافق العامة: الطرق والعيون والسواقي:

يصر كثير من المؤرخين على تسميتها بالمؤسسة غير الدينية نظرا لدورها التقني في مدينة الجزائر غير أن نشأتها كانت بدوافع دينية والرغبة في الثواب الجزيل بإرواء عابري السبيل ورعايتهم، وقد جرى العرف على ذلك حتى سميت العيون الموجودة في الاماكن العامة بـ " السبيل"، ولا يزال هذا المصطلح يستعمل حتى اليوم للدلالة على المنافع العامة.

وقد أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المرافق العامة كالطرق والحنايا والسواقي والأفنية، وكل هذه المرافق كانت تحظى بالعديد من الأوقاف ويقوم عليها وكلاء وشواش يعرفون بأمناء الطرق والعيون والسواقي¹.

■ مؤسسة الأوجاق: أوقاف الجند والثكنات:

لقد كان لكل من الثكنات السبع الموجودة في المدينة أوقافها الخاصة بها التي ترجع مداخيلها إلى العسكر المقيم في غرفها التي كانت تأوي ما بين 200 و300 رجل للغرف الصغيرة وما بين 400 و600 للغرف الكبيرة. ويعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية، حيث ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يحوزه الواقف، ولكن الجند يحصلون على أجورهم من الباشا فقد كانت مداخيل الأوقاف تصرف في أشياء ترفيهية مثل الهدايا التي يقدمها وكيل الوقف لجنود الغرف الوقفية، هؤلاء الوكلاء يتم تعيينهم من قبل مقيمي الغرف ودون تدخل السلطات المحلية مما يوحي بديمقراطية القرار في مؤسسة أوقاف الأوجاق واستقلاليتها عن السلطة المحلية².

¹ ناصر الدين سعيدوني، المرجع سابق، ص100

² مصطفى أحمد بن حموش، المرجع السابق، ص 07.

الفصل الثالث

دراسة تاريخية للنماذج المدروسة من الزوايا.

1. زوايا مدينة الجزائر:

▪ زاوية سيدي محمد شريف:

هذه من الزوايا التي بقيت ومازالت قائمة، لكنّها تعرضت الى تعديل وتغيير، كانت من الزوايا الكبيرة داخل مدينة الجزائر.

▪ الموقع:

تقع زاوية محمد شريف الزهار في منطقة الجبل قرب جامع صفر بن عبد الله في شارع دامرفيل¹، شارع ياسف مقران حاليا في القصبة العليا.

▪ أصل التسمية : تنسب هذه الزاوية إلى الولي سيدي محمد شريف، كما هو مبين في اللوحة التي كتب عليها :

توفي الشيخ المبارك السيد محمد الإمام

العفيف سنة أربعين مع ثمانية وتسعمائة (984)

فخذ برسم حسابية كان التاريخ وكان الوصيد بأمر الملك المجيد

عن يد سبط سبطه تأبد الله الزهد مرقى الرتبة الى المقام على العزيز

في دار السلام.

▪ صاحب التسمية :

هو محمد بن أحمد بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب، أي أنه شريف

النسب².

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص120 .

² محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1985، ص476.

قال عنه علي بن أحمد بن موسى صاحب مخطوط ربح التجارة¹ ما يلي: " ... كان رضي عنه من الأولياء الواصلين والأحبة المقربين ممن كاشف الله بالسراء والضراء وأنطقه بالحقائق والأنوار وقد اشتهر ذكره في الأقطار وبلغ أمره أمواج البحار وله الكرامات العديدة والخوارق العجيبة..."، وقد كان محمد الشريف الزهار من تلامذة أحمد بن يوسف الملياني، توفي سنة 984 هـ/ 1542 م حسب الكتابة التسجيلية.

- الوقف :

عقد تحبب: دار تقع بحومة كوشة علي من طرف السيد الحاج امحمد بوشمايم على زاوية ضريح محمد الشريف الزهار وزاوية ضريح عبد الرحمن الثعالبي².

¹ هذا المخطوط هو وقف علي أحمد بن يوسف الملياني دفين مدينة مليانة، أنظر وثيقة علي بن أحمد بن موسى، ربح التجارة ومغرم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة، مخطوط تحت رقم 3251، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر، ورقة 2.

² أنظر ملحق رقم 05، وثائق المحاكم الشرعية، علبة رقم 82، وثيقة رقم 23.

- زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي:
- الموقع:

تقع زاوية سيدي عبد الرحمان في شارع ابن شنب، خارج أسوار المدينة من الجهة الغربية.

- الكتابة التأسيسية الأولى:

لوحة من الرّخام، نقشت عليها بالحفر البارز كتابة باللّغة العربية نفّدت بالخط المغربي، وبأسلوب الحفر البارز، مكونة من ستة أسطر، يخلو النص من الزخرفة والتشكيل. . (صورة11).

- النّص:

س1: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

س2: تم البنا حقا بعون الله على يد أميرنا دو الجاه

س3: من فاق أرباب السخا والفضل الحاج أحمد بن الحاج مصل

س4: أرشده الله الى التوفيق بحرمة الفاروق و الصديق

س5: تاريخه يا سايلا بصدق في النظم قد جعلته بشوق

س6: عام ثمني وميا وألف.

وتوجد كتابة ثانية مثبتة في الجدار الشمالي للرواق الواقع قبل حجرة التابوت، تمجد فيه الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، وتثبت تاريخ البناء الذي يعود إلى العاشر من شهر رجب 1108هـ/02 فيفري 1697 م وهو العهد الذي كان فيه على رأس مدينة الجزائر الحاج أحمد من (1107 - 1110هـ/1695 - 1698م).

- الكتابة التأسيسية الثانية: .(صورة12).

- لوحة من الرّخام، نقشت عليها كتابة باللّغة العربية نفّدت بخط النسخ، وبأسلوب الحفر البارز، على شكل أبيات شعرية، ممتدة بداخل خراطيش منظمة، تجري على سبعة أسطر، وتكوّن فيما بين الخراطيش معينات ذات خطوط منحنية وتشكّل مع إطار اللوحة مثلثات . أمّا الكتابة فيحفظها إطار (دقيق)، أمّا حالة التحفة فهي في حالة سيئة.

■ النص:

- | | |
|-----------------------------|--------------------------|
| س1: هذا مقام شيخنا الثعالبي | الثناء الجميل والمناقب |
| س2: تم بعون الواحد الجليل | على يد عبد القادر الوكيل |
| س3: لعشرة مضت من رجب | من زاره فاز بنيل المطلب |
| س4: ...فاستمع خطابه | ومائة من بعدها ثمانية |
| س5: فجاء مكسولا بحمد الله | بفضل شيخنا عظيم الجاه |
| س6: فالله يقضي للذي تسببا | فيه بغفران وعفو وهبا |
| س7: ويقبل الزايران آتاه | ويرحم الملهوف ان دعاه. |

■ الكتابة التأسيسية الثالثة:

لوحة من الرّخام ، نقشت عليها كتابة باللّغة العربية، نفّدت بخط النسخ ولأسلوب الحفر البارز ،على شكل أبيات شعرية، ممتدة بداخل أطر منظمة، تجري على سبعة أسطر، ومن المؤسف أنّ السطر الأخير كسر منه جزؤه الأخير، ممّا جعل قراءته صعبة جدا.

■ النص:

- | | |
|---|----------------------------|
| س1: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله | |
| س2: كمل البناء بحمد رب الفاتح | لمحرم بحسن واضح |
| س3: سنة اثنتين وأربعين تعقبت | مائة وألفا أسرعت كالجامع |
| س4: في مدة الاحضا الأمير المرتضى | عبدي وقاه الله كل طوائح |
| س5: ولقد سعى فيه الوكيل محمد | الفاضل المشهور بابن الواضح |
| س6: يعطينا الله واياه الرضى | ويقبلنا من كل ذنب فاضح |
| س7: هما لذات القطب لارى | ركنا لمقهور وقصد الرابع. |

ويقال إنَّ أول تجديد لبنيان هذا المقام كان سنة 1020هـ / 1611م في عهد مصطفى باشا، أي بعد 145 سنة من وفاة صاحب المقام، ثم وقع تجديد ثاني على يد الوكيل عبد القادر سنة 1037هـ / 1627م في عهد حسين باشا، أمّا التجديد الثالث فقد كان على يد الحاج أحمد سنة 1108هـ / 1696م، ثم تجديد رابع على يد الوكيل محمد بن الواضح سنة 1342هـ / 1730م في عهد عدي باشا، ويبدو أنّ هذا التجديد تمثل في زيادة مساحته بعض الشيء، وهذا ما تبيّنه أيضا الكتابة الثالثة المثبتة في الجدار الجنوبي للبيت الذي يضم الضريح¹. (صورة 13).

المؤسس:

▪ الحاج أحمد داي:

هو أحمد بن مصل، استلم الحكم يوم 23 ذي الحجة / 04 أوت 1695م، بعد إقصاء شعبان داي من الحكم، ومن أهم أعماله، بناء مسجد عبد الرّحمن الثعالبي والقبّة، في عهده نفّس وباء الطاعون فأهلك الكثير من سكان المدينة، توفي سنة 1213هـ / 1798م بنفس الوباء².

▪ **عدي باشا:** كان يُلقب "بالکرد"، قد يكون من أكراد العراق، تقلّد عدة مناصب قبل توليه الحكم آخرها وظيفة آغا الصباحية العرب، ومنها ارتقى الى منصب الباي ولاية التيطري حتى أصبح دايا يوم السبت 20 جمادى الثانية 1136هـ / 15 مارس 1724م، وفي عهده سقطت مرسى الكبير ووهران بأيدي الاسبان سنة 1145هـ / 1732م، وأيضا عقد اتفاقية مع دولة السويد نتجت عنها إنشاء قنصليتها بالعاصمة في سنة 1142هـ / 1729م، ولهذا الدايا مآثر كثيرة بمدينة الجزائر منها:

¹ محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن

عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص349.

² عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص202 - 203.

إنشاء جامع المقرئين بمدينة الجزائر وهو المشهور على ألسنة العامة "بجامع مقارون" المطل على دار الامارة البحرية، أنشأه سنة 1142هـ/1730م، وقد حولته السلطات الاستعمارية الفرنسية فيما بعد الى مدرسة للفنون الجميلة. وكذلك الزيادة التي زادها حول الضريح سنة 1142هـ/1730م وكان الذي تولى بناء هذه الزيادة مهندس البناء والوكيل بنفس الضريح في التاريخ هو المسمى "سيدي واضح"، مات عبيدي باشا مريضا بداء البطن، وقيل أنه مات مسموما وذلك في أواخر ربيع الأول 1145هـ/03 سبتمبر 1732م من وقد بلغ من العمر عتيا¹.

▪ صاحب التسمية:

ولد الشيخ عبد الرحمان الثعالبي سنة 875هـ/1384م، بواد "يسرّ" على بعد 86كم بالجنوب الشرقي للعاصمة الجزائرية، نشأ نشأة علم و صلاح و تقوى وسط عائلة محافظة، وقد تلقى مبادئ قراءته و تعلّمه بالجزائر العاصمة وضواحيها، وقد كان حاضرا يوم غزا الأسبان " تدلس " في دولة بني عبد الواد، وإخوتهم من بني مرين سنة 800هـ/1398م وكان عمره حوالي خمس عشرة سنة².

وفي سنة 808هـ/1406م بدأ يأخذ العلم من الأئمة الأبرار قبل انتقاله إلى مصر ومكة ثم عاد إلى الجزائر بعد سنة 818هـ/1416م.

ويروى أنه بعدما دخل إلى مدينة الجزائر مرّ بزقاق فسمع ولدا في مكتب " مسيد" يقرأ هذه الآية "بلدة طيبة وربّ غفور" فقال هذا فأل حسن فأقام بمدينة الجزائر ولم يتحول منها³ وتعتبر أعماله مصدرا هاما للتأليف في علم التصوّف وفروعه، من أهم مؤلفاته، الجواهر

¹ تاريخ وفاة عبيدي باشا سنة 1145هـ / 1732 توضحه الكتابة الموجودة على شاهد قبر عبيدي باشا المحفظ في المتحف الوطني للآثار القديمة، للمزيد من المعلومات أنظر أيضا: - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص220 - 224.

² عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص280.

³ عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ... ، ص177.

الحسان في تفسر القرآن تحفة الأخوان في إعراب آيات القرآن، روضة الأنوار ونزهة الأخبار، وكتاب رياض الصالحين والنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة¹.. الخ. شعبيته الكبيرة وإجلال الناس له، جعلت الثعالبية يبنون على ضريحه بعد وفاته في سنة 1471هـ/1873م مسجدا صغيرا وقبة، أصبح يأتيها الزوار من كل جهات الوطن محملين بمختلف الهدايا العينية والنقدية طلبا لبركاته وكراماته وتوسطه لتحقيق آمالهم وأحلامهم في الشفاء من الأمراض وفي النجاح أو في الزواج أو بحثا عن الطمأنينة والسعادة والرزق وراحة النفس بحيث اعتبروه مولى "البهجة" وحارس البلاد من الحساد والاعتداءات الأجنبية المسيحية².

ولم يبق سيدي عبد الرحمان وحيدا في هذا المكان، بحيث جاوره المعجبون من خيرة أهله وصلح المدينة الذين أوصوا بدفنهم في مقبرته الصغيرة المحاذية للمسجد والضريح من شخصيات وعلماء وشعراء، ومؤرخين، وفنانين وأبطال أسطوريين، وأبرز هؤلاء، إبنته " لالة عايشة "، أستاذة العالم الكبير سيدي بوجمعة، وسيدي الولي داه الذي توفي في سنة 1545هـ/1952م التي نقلت السلطات الاستعمارية رفاتة من شارع الديوان بالقصبة السفلى خلف جامع كتشاوة إلى مقبرة سيدي عبد الرحمان في سنة 1281هـ/1864م، وكذلك سيدي منصور الذي كان مدفونا عند مدخل باب عزون منذ 1055هـ/1645م وحولت رفاتة هو الآخر إلى نفس المقبرة سنة 1263هـ/1846م وأيضا خيدر باشا، والحاج أحمد باي قسنطينة، وسيدي عبد الله يوسف باشا، وسيدي واضح، أما الداوي حسن باشا وابن أخيه مصطفى باشا وكذلك الداوي أحمد فقد دفنوا مباشرة بمحاذاة قبره، وقرب المحراب يوجد كذلك قبر الأميرة " روضة"، بنت الداوي حسن باشا. وأبرز المعاصرين الذين اختاروا مجاورة سيدي

¹ محمد بن ميمون الجزائري، المرجع السابق، ص 341، 342.

² سعد الله فوزي، المرجع السابق، ص 62.

عبد الرحمان الثعالبي بعد موتهم هو المؤرخ و وزير الأوقاف بعد الاستقلال الأستاذ أحمد توفيق المدني.¹

▪ الأوقاف:

أوقاف سيدي عبد الرحمان الثعالبي تتكون من أحد عشر عقارا عند تأسيس الوقفية، كانت تدخل حوالي 600 فرنكا سنويا توزع على فقراء مدينة الجزائر، كما أوقفت بعض النساء أواني الطبخ النحاسية لفائدة الضريح.²

لكن في سنة 1250هـ/1834 كانت الوقفية تتكون من 69 ملكية يبلغ دخلها ستة آلاف فرنك وهو مبلغ كبير بالنسبة للأوقاف الأخرى ، وقد صادرت السلطات الاستعمارية أوقاف الشيخ الثعالبي في آخر سنة 1265هـ/1848م وتكفلت رسميا بدفع رواتب موظفيها كما هو الحال لكل المؤسسات الوقفية حيث خضعت لقرار صادر من السلطات العسكرية الفرنسية أمضاه شارون يقضي بوضع يد الإدارة على كل الممتلكات الدينية.³

؛ رقم: 5

- عقد تحبيس خاص بالسيدة دومة بنت أحمد على ضريح عبد الرحمن الثعالبي.⁴

- الشاهد المادي:

يمكن أن نستشهد بما أوقفته السيدة دومة بنت أحمد من أواني نحاسية حسب ما ورد في الوثيقة، وهو غطاء طبق من النحاس الأصفر عليه كتابة محزوزة نصها " حبوس على سيدي عبد الرحمان الثعالبي ". (الصورة 14) .

- عقد تحبيس خيربي من طرف السيد الحاج أحمد البرادعي لجلسة حانوت على ضريح عبد الرحمن الثعالبي سنة 1246هـ/1830م.⁵

¹ سعد الله فوزي، المرجع السابق، ص63.

² سعد فويال، المساجد الأثرية في مدينة الجزائر، الجزائر، 2006، ص111.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص69.

⁴ انظر ملحق رقم 06، وثائق المحاكم الشرعية، ، علبة رقم 14، وثيقة رقم 50.

⁵ انظر، ملحق رقم 07، وثائق المحاكم الشرعية، علبة رقم 132، وثيقة رقم 5.

- بيان أوقاف ضريح عبد الرحمن الثعالبي من الكتب وأشياء أخرى يوم 10 جمادى الثانية
1144هـ/1731م¹



صورة 11 / الكتابة التأسيسية الأولى لزاوية سيدي عبد الرحمان



صورة 12 / الكتابة التأسيسية الثانية للزاوية.

¹ انظر ملحق رقم 08، بيت المال والبايك، سجل 16، ورقة 03.



صورة 13/ الكتابة التأسيسية الثالثة للزاوية.



ق: 21.5 سم، إ: 14.5 سم / الفترة العثمانية بمدينة الجزائر، رقم الجرد: II.Mi.1317.

صورة 14/ حبوس على زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - طبق من النحاس.

▪ زاوية سيدي محمد " بوقبرين " :

▪ الموقع:

تقع زاوية سيدي محمد بالحامة شرق مدينة الجزائر .

▪ صاحب التسمية:

هو الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري الأزهري، سميت باسمه الطريقة الرحمانية¹، هو سيدي محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمان إلي يرتفع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، هو الغوث الأكبر² والمرابي الأشهر، المعروف بسيدي امحمد بوقبرين " صاحب القبرين " جامع الناس على كلمتي الشهادة وداعيمهم إلى مقام الإحسان في العبادة، ولد بين 1128 و 1132 هـ/ 1715 و 1718م في وطن وقبيلة أيت إسماعيل إحدى فروع قبائل قشتولة بجمال جرجرة في منطقة القبائل شرقي الجزائر العاصمة، وساقته المقادير إلى مجاورة الأزهر الشريف صغيرا، وتزوج في القاهرة³.

توجه إلى المشرق طلبا للعلم سنة 1152هـ/1739م، وأداء فريضة الحج وأثناء عودته استقر به المقام بالأزهر لمدة طويلة⁴، قدرت بثلاثين سنة فلازم العلماء لتحصيل العلوم الشرعية وأخذ جميع الفنون كما حكى ذلك بنفسه بقوله " قدمت إلى مصر... وشرعت في قراءة جميع الفنون في الجامع الأزهر، وهذا ما يؤكد أنه خريج مدارس عالية المستوى في الفقه والشريعة، واهم شيخ أخذ عنه التصوف هو محمد بن سالم الحفناوي⁵.

¹ عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه.....، ص15.

² الغوث: هو أعلى مراتب الصوفية، ويعني الغوث الأكبر بالقطب الذي يدور حوله عالم التصوف

³ عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوئية، الجزائر، 2004، ص61.

⁴ مختار فيلالي، المرجع السابق، ص 40.

⁵ مناقب الشيخ الأزهري، مخطوط لعلي بن عيسى العفوني، المكتبة الوطنية بالحامة، رقم 945، ورقة 2.

ولمّا أحس الشيخ بدنو أجله أوصى بخلافته لصاحبه علي بن عيسى المغربي وتوفي سنة 1208هـ/1793م وقد أصبح قبره مزارا للقبائل خاصة ممّا جعل السلطات العثمانية تتخوف من أن يتم استغلال قبره منطلقا للثورة ضد الحكم العثماني، لهذا دبّرت عملية خطف جثمانه من قبره في بلاد القبائل لنقله إلى مدينة الجزائر، وهذا رأي المؤرخون من أمثال ودرمنغهام إميل¹، ويرى البعض سبب آخر لنقل جثمانه، وهو طهارة الشيخ وعلو مقامه بينهم، وإرادة جعله مزارا، وقد روى رين تفاصيل حول كيفية نقل الجثمان إذ أقدم ثلاثة أشخاص إلى القبائل على أساس أنّهم مبعوثون من طرف إخوانهم من الجزائر فقاموا باستغلال القبائل وقاموا بسرقة جثمان محمد بن عبد الرحمان وأخذوه إلى مدينة الجزائر، حيث دفنه بالحامة وقاموا ببناء قبة عليه ومسجد، أمّا رد فعل القبائل فكاد يكون عنيفا لمّا سمعوا بالحادثة، فقاموا بالتحقيق من المر فوجدوا أن الجثمان في قبره لم يسرق، من هنا ظهرت أسطورة تقول تقول أنّ جثمان سيدي امحمد أستنسخ وأصبح له جثمان واحدة في القبائل والأخرى في الحامة ومنذ ذلك الوقت أصبح يعرف بسيدي احمد بوقبرين².

وقد عين الشيخ ابن عبد الرحمان الأزهري مقدمين أثناء حياته، منهم محمد بن عبد الرحمان باش تارزي في قسنطينة، والذي أصبح نائبا عنه في منطقة الشرق والجنوب الجزائري، وحتى في تونس.

وهذا ملخص لخلفاء الشيخ سيدي بن عبد الرحمن الجرجري وحملة لواء الطريقة من بعده:

- علي بن عيسى المغربي الذي خلفه على زاويته بآيت اسماعيل.
- تولى المشيخة في الشرق الجزائري خليفته الشيخ المربي سيدي عبد الرحمن باش تارزي صاحب زاوية قسنطينة وقد لازمه سيدي محمد بن عزوز وأخذ عنه التربية والسلوك بوصية من شيخه سيدي محمد بن عبد الرحمن.

¹ حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها، ص 239.

² Zarar Cherif, « Le Marabout de belcourt, lieu de pèlerinage au tombeau d'un sain », IN. Alger revue, 1955, pas de page.

- وقد تربي في كنف الشيخ سيدي محمد بن عزوز البرجي فأخذوا عنه العلوم الشرعية والترقي في مدارج الإحسان، من أبرزهم:
- الشيخ سيدي علي بن عمر صاحب زاوية صولقة.
- الشيخ سيدي عبد الحفيظ بن محمد صاحب زاوية خنقة سيدي ناجي.
- الشيخ المختار بن عبد الرحمن الجيلالي صاحب زاوية أولاد جلال.
- الشيخ سيدي سالم صاحب زاوية وادي سوف.
- الشيخ سيدي مصطفى بن عزوز صاحب زاوية نفطة بتونس¹.
- المؤسس:

تولى حسن باشا الحكم في 12 ذي القعدة 1205هـ/13 جويلية 1791م، تقلد الداى قبل ذلك في وظائف مدنية وعسكرية وهو حفيد الداى محمد عثمان باشا، كان قائدا للجيش في عهده كما أنه تولى منصب وكيل الحرج ثم أمانة مالية الدولة (خزناجي)² في أيامه احتل محمد الكبير باي الغرب مدينة وهران والمرسى الكبير على أيدي الاسبان، ويومئذ نقل مركز حكومة باي الغرب من مدينة معسكر إلى وهران نهائيا سنة 1207هـ/1792م³، وفي عهده جدّدت القنطرة الكبيرة بقسنطينة سنة 1206هـ/1792م، ووقع معاهدة الهدنة مع البرتغال سنة 1207هـ/1793م، أنشأ القصر وحوله الحديقة خارج أسوار المدينة بالشمال الغربي المعروفة ب "جنان الباى" بناحية باب الوادى، حيث يوجد مستشفى مايو اليوم، كذلك بنى دارا سميت باسمه "دار حسن باشا" بديعة البنيان وأفخمها ملاصقة للجامع في ساحة ابن باديس اليوم اتخذها الاستعمار الفرنسى المقر الشتوي للوالي العام ثم استعمل معهدا للدراسات الإسلامية باللغتين العربية والفرنسية، ثم مقر لوزارة الشؤون الدينية

¹ بن سالم بن هادف ورشيد سالمى، زاوية سيدي سالم الرحمانية قلعة القرآن الكريم في ربوع سوف، إصدارات زاوية سيدي سالم، مطبعة مزوار، د.ت، ص7، 8.

² عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص267.

³ عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص121.

والأوقاف وهو الآن في حالة الصيانة والترميم¹ ، زد على ذلك المدح الذي لقيه من الرحالة والأديب أبي القاسم الزياني في رحلته التي سمّاها الترجمانة الكبرى.

توفي حسن باشا يوم الأربعاء 9 ربيع الثاني سنة 1213هـ/ فاتح أكتوبر 1798م².

■ تاريخ التأسيس:

وتضم زاوية سيدي محمد مسجدا وضريحا أقيما في عهد حسن باشا حسب الكتابة التأسيسية.

تجري هذه الكتابة على عشرة أسطر، أربعة منها في اللوحة العليا والستة الباقية في اللوحة السفلى، طريقة الكتابة الحفر البارز، باستعمال خط الثلث.

■ النص:

- س1: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعاله وصحبه وسلم
 س2: وهذا الجامع المجاهدين جهاد الأكبر الأصغر معا صاحبه هو سيدي
 س3: محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف بن بالقاسم بن علي بن ابراهيم
 س4: بن عبد الرحمان بن أحمد بن الحسن بن طلحة بن جعفر بن محمد العسكري
 س5: بن عيسى الرضى بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق
 عبد الله بن حمزة
 س6: بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة
 س7: بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الملقب بالأزهرى
 س8: مجاورة في الجامع الأزهر تبرك الزواوي اقليما القجطولي قبيلة السماعيلى
 س9: عرشا قائلا فمن زار هذا الجامع بنية فهو من سعداء الدارين ان شاء الله
 س10: ووقع البناء في سنة 1205 وتوفي سيدي محمد بن عبد الرحمان نفعا الله
 به سنة 1209.

¹ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 281 - 282.

² أحمد شريف الزهار ، المرجع السابق، ص 68.

وجود كتابة تذكارية تأسيسية، تشير إلى أنّ سنة الانتهاء من البناء (1205هـ / 1791-179) ووفاة سيدي امحمد بن عبد الرّحمان سنة 1209هـ/1795م أي أنّ وفاته كانت بعد أربع سنوات من إقامة المسجد.

2. زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة:

▪ الموقع:

تقع الزاوية بمدينة مليانة قرب مسجد سيدي أحمد بن يوسف المسمى بنفس إسم الزاوية، تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 130 كلم .

حسب الأساطير، فإن موقع الزاوية لم يكن من اختيار سكان مليانة، لكن من اختيار بغلة سيدي أحمد بن يوسف، التي أقبلت في يوم من سنة 981هـ/1524-1525م، الى مدينة مليانة، وهي تحمل جثة صاحبها، فوقفت ببطحاء القمامة العمومية على هامش المدينة وبركت، فهرع إليها الملايونيون، واقبروا الجثة، والبغلة بجانبها، بعد أن ماتت وكذا خادمة الولي، وهذا عملا بوصيته¹.

▪ صاحب التسمية:

تعرف هذه الزاوية بسيدي أحمد بن يوسف، هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسفولد بقلعة بني راشد بجبال بني شوقران جنوب شرق مدينة معسكر، لم يحدد تاريخ ولادته ففيل في سنة 836هـ/1436م، و840هـ/1440م و844هـ/1442م، كما أنه ينتمي الى عائلة بني مريم الزناتية والتي جاءت من مراکش وأقامت بجوار قبائل هوارة التي كانت تتمتع بشهرة كبيرة غرب المغرب الأوسط².

كان رجلا عالما ومتفقا في الدين، وسياسيا، تخرج من المدرسة الفكرية بتلمسان من أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وهي مدرسة محمد السنوسي وتأثر بأفكار كبار الصوفية المشاركة الأقدمين في مواقفه وتصرفاته ومنهم مالك بن دينار أبو

¹ Dermenghen,(E.), *Le Culte des saints dans l'islam magrébin*, Gallimard, Paris, 1954, p.226.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 474.

يحي الشامي وإبراهيم بن الأدهم أبو إسحاق¹، وذو النون المصري، فحملته أفكارهم إلى الإنخراط في الطريقة الشاذلية، وقد أخذ بيده لذلك أستاذه زروق البرنوصي الذي أنشده إلى الطريقة الشاذلية، ثم ذاع صيته، فاجتمع حوله الكثير من الأتباع من الجزائر والمغرب الأقصى، فاعتبره الزيانيون ومن معه خطرا على حكمهم، فأصبحوا يطاردونه في كل مكان وحاولوا عدة مرات قتله، وكان أحمد بن يوسف على اتصال دائم مع العثمانيين خاصة عروج، واتفقا معا ضد الزيانيين بتلمسان، وظلت هذه العلاقة قائمة طيلة العهد العثماني، وهذه بدون شك من بين الأسباب التي دفعتهم إلى بناء زاويته وضريحه وتزيينه².

استقر سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، وتأثر كثيرا بسقوط غرناطة سنة 1492/هـ 1492م، واحتلال الإسبان لوهرا، توفي سنة 1524/هـ 931م.

بعض أقوال سيدي أحمد بن يوسف:

بخصوص مدينة البليدة: سمارك البليدة وأنا نسميك الوريدة.

أعبد الله بنية فعل الخير بلا ما تستنا تقضي منه صلاحك

اللي يعبده وهو خايف من النار، ولا باش يغنم بالخور حالو كلوصيف ولا الخماس³.

■ المؤسس:

هو محمد بن عثمان الكردي، باي وهران، من أشهر بايات منطقة الغرب، (حكم سنة 1192 - 1213/هـ 1774 - 1797م)، كان أسمر اللون، ولذا سموه محمد الأكل قدم إلى الجزائر وشارك مع صالح باي قسنطينة في رد عدوان الأسبان وذلك في سنة 1184/هـ 1766م، وكان معروفا بالكفاءة والصدق والإخلاص للدولة العثمانية بالجزائر، هو الذي أنشأ المطامير العامة في الجهات المختلفة من عمالته لخزن القمح ليكون ذخيرة في سنوات

¹ محمد حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964، ص 83.

² Bordin (M.), « Notes et question sur Sidi Ahmed Benyoucef », IN. *Revue Africaine*, 1925, Alger, p.176-181.

³ جمال سويدي، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم (القديم إلى 1830م)، منشورات التل، الجزائر، 2007، ص

الجدب والقحط، وجلب الماء في القنوات إلى مدينة وهرانو بمعسكر عاصمته، بأشر سلسلة من الأشغال ساهمت في تزيين المدينة وتوفير مناصب الشغل لأهالي¹، بدأ بتوسيع جامع السوق، ثم أعاد بناء الجامع العتيق قبل الإنطلاق في تشييد الجامع الكبير الذي أحاطه بمدرسة، وحمام، ومبان مختلفة جعلت وقفا لتبقى في خدمة المسجد، وطلبتة، حصن أسوار معسكر، وشيّد حصونا أخرى زودها بمدافع وبتلمسان التي كانت خاضعة لسلطته، رمّم مدارسها وفتح تحقيقا استرجع على إثره المباني الحبوس التي سلبت وبنى قصرا بمستغانم، عرف بمناصرته للأدباء والعلماء ورجال الدين، جمع المخطوطات القديمة وأعاد نسخها وتوزيعها على المكتبات والمدارس، كان يجازي الشعراء ويكافئ الأدباء، إلى جانب ذلك كان مسيرا بارعا ورجل حرب وجريء لا يتردد في قمع أي تمرد، أنظمت كل القبائل إلى مخزنه. وفي سنة 1784هـ/1193م ثار عليه أهالي عين ماضي مقر الزاوية التيجانية وبعد حصار طويل كاد أن يفقده زمام أمره، توصل إلى الدخول المدينة التي أخضعها، عرف بشجاعته وتشدده، وكذلك بجوده وكرمه وحنكته في الخروج من الوضعيات الصعبة وكانت له صلات ودية مع الداوي الذي أهدى له ريشة ثمينة من الذهب يضعها في عمامته، حرّر وهران من الإستعمار الإسباني في 27 فيفري سنة 1206هـ/1792م في عهد الداوي حسن باشا، ثم واصل الباوي مهمته على أكمل وجه، بعد أن حوّل عاصمته إلى وهران، محاربة المجاعة والطاعون الذي ضرب المنطقة، فعمر المدينة بحرفيين جاءوا من مليانة، المدينة وتلمسان، ووفر لهم التسهيلات المالية إلى جانب الأشغال التي انطلق بها لبعث النشاط الاجتماعي والاقتصادي بوهران، فشيّد مسجد سيدي الهواري ومسجد آخر يسمى مسجد محمد الكبير إلى جانب المسجد الكبير الذي يسمى بمسجد الباشا بأمر من داي الجزائر حسن باشا².

¹ جمال سويدي، المرجع السابق، ص 96.

² جمال سويدي، المرجع السابق، ص 97.

وفي سنة 1213هـ/1797م بعد زيارته للجزائر توفي محمد الكبير وهو في طريق العودة، يقول البعض بأنه تعرض للتسمم بأمر من الداوي الذي حسده على شهرته وقوته

▪ تاريخ التأسيس:

حسب الكتابة التذكارية المنشورة في رسالة دكتوراه مصطفى شريف¹، والتي عثر عليها بمبنى الزاوية، والمتضمنة تاريخ بناء الزاوية والضريح، والتي نصها كآتي:

زاوية الشيخ المجاهد في سبيل الله السيد القطب الجليل سيدي أحمد بن يوسف
1192هـ/1774م

فإنه يظهر لنا جليا أن المبنى الزاوية يرجع إلى العهد العثماني، وتذكر بعض المصادر التاريخية أن محمد الكبير باي وهران هو الذي قام ببناء زاوية سيدي أحمد بن يوسف².

▪ الوقف:

وقف جنان بدار تقع قرب دار الباوي الملاصقة لمسجد سيدي أحمد بن يوسف وأيضاً وقف دار تقع قرب ضريح سيدي أحمد بن يوسف³.

¹ Cherif (M.), *Les dynamique actuelle sur Sidi ahmed Ben youcef à Miliana*, Paris, 1976, p.15. doctorat 3^{ème} sicle,

² أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم الناجر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص 28.

³ ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدينة ومليانة في العهد العثماني، ط1، الجزائر، 2009، ص 195.

3. زاوية عبد الرحمان باش تارزي بقسنطينة:

■ الموقع:

تقع بحومة الشارع من حي باب القنطرة، وتفتح على شارع رئيسي كان يربط بين سوق التجار ورحبة الصوف وباب القنطرة.

■ صاحب التسمية:

تعرف هذه الزاوية بعبد الرحمان باش تارزي نسبة إلى مؤسسها.

■ المؤسس:

هو العلامة الفقيه الأديب المرابي الحاج عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة ابن ماشيش باش تارزي، نشأ في قسنطينة، وأخذ العلم من علمائها وعلماء جامع الزيتونة بتونس حتى تمكن من العلوم الشرعية والأدبية، ثم أخذ تربيته الصوفية عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان إمام الطريقة الرحمانية الخلوتية، أسس الزاوية الرحمانية بقسنطينة، وللشيخ أشعار وموشحات جلها في التصوف " غنية المرید في شرح مسائل التوحيد " الصادر عن مطبعة العربية التونسية سنة 1904م، والمنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية التي شرحها ابنه وخليفته الشيخ مصطفى شرحا في غاية الجودة والتحقيق بحيث أصبح يعد أهم مرجع للتعرف على التربية في الطريقة الرحمانية، وهي تتألف من 700 بيتا، وقد أعيد طبعها وطبع شرحها عدّة مرات¹.

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 100.

وللشيخ عبد الرحمن باش تارزي أشعار وموشحات جلها في التصوف والتربية يوجد بعضها¹.

ولمّا توفي الشيخ سنة 1221هـ/1806م خلفه في مشيخة زاويته بقسنطينة وفروعها ابنه العلامة الشيخ مصطفى صاحب كتاب "المنح الزبانية"².

■ تاريخ التأسيس:

يرجع بناء هذه الزاوية إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، حسب شيوخ الزاوية، وحتى الكتابات التي تحتويها هذه الزاوية لا تذكر تاريخ بنائها، وأقدم تاريخ منقوش بالزاوية مؤرخ بسنة 1221هـ/1806م، وهي السنة التي توفي فيها مؤسسها الشيخ عبد الرحمان باش تارزي³.

هذه الكتابة نقشت باللغة العربية ، بخط الثلث، وبتقنية الحفر الغائر، على شكل شريط يلتف حول تركيبية ضريح المؤسس. نصها كما يلي:

¹ يعتبر الشيخ مصطفى باش تارزي من العلماء الكبار الأجلاء، تولى القضاء كالتدريس والإفتاء وغير ذلك في مدينة قسنطينة، وله المقدرة الكاملة على تحرير الرسوم الشرعية، كما أنّ له عدة رسائل منه وإليه يسأله الناس فيها عن أمر الشريعة الإسلامية، لأن مركزه بعد وفاة أبيه كشيخ للزاوية الرحمانية بقسنطينة جعله أهلاً لذلك.

وللعلم العلامة الشيخ مصطفى باش تارزي عدة تأليف منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، ومن أشهرها:

- كتاب المنح الزبانية في بيان المنظومة الرحمانية، وجد هذا الكتاب مخطوطاً، ثمّ وقع طبعه في تونس بالمطبعة الرسمية التونسية.

- منظومة " صل يا ذا الجلال وسلم على المصطفى والآل والكل من تلا "، هذه المنظومة توجد في كتاب تعطير الأكوان بنشر شذا نفاتح أهل العرفان للشيخ محمد الصغير بن الشيخ المختار، طبعه سنة 1916م بالمطبعة الثعالبية بالجزائر، قام بشرح هذه المنظومة العلامة الشيخ عبد القادر المجاوي وسماها " مواهب الكبير المتعال "

- رسالة " تحفة الناظرين في إبطال القول بنقض الحكم بصحة الوقف بعد موت الواقفين "، وهي رسالة مخطوطة، ورسالة تحرير المقال في مسألة الانتقال، هذه الرسالة مخطوطة أيضاً، ورسالة الجواب عن السؤال وهي رسالة مخطوطة. كما أن للشيخ عدة قصائد ومنظومات دينية متفرقة تدل على مهارته في هذا المجال منها قصيدة في مدح الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله دفين مدينة الجزائر.

توفي الشيخ مصطفى بقسنطينة سنة 1252هـ/1836م، ودفن في العليا بسوق الغزل ، وسمي الممر باسمه " ممر باش تارزي ". وانظر أيضاً: عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 102 - 106.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 100.

³ عبد القادر دحدوح ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني...ص 355.

الشريط الأول: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد/ هذا نسب الشيخ الفاضل القطب الناصح الكامد سيدي الحاج عبد الرحمان باش تارزي برد الله ضريحه وسكنه في/ الجنان فسيحه فأقول هي الشيخ عبد الرحمان بن أحمد بن حمو الجزري/ منشأ القسنطيني دار الحنفي المالكي الشافعي الحنبلي مذهباً الأشعري الماتردى اعتقاداً الخلوة النقشبندى طريقة الشريف أبا وأما عز بشرفه المرحوم والمقدس الشيخ سيدي بن محمد عبد الرحمان.

الشريط الثاني: بن أحمد الحزيري منشأ القسنطيني دار الحنفي مذهباً الماتردى اعتقاداً الخلوة طريقة/ في ثالث أولى لجمادين سنة 1221 عام واحد وعشرين وماتين وألف.

4. الزاوية العثمانية بطولقة - بسكرة¹:

▪ الموقع:

تقع الزاوية في خارج باب البناء الغربي لمدينة طولقة القديمة الغناء على الطريق المؤدي لبلدة برج بن عزوز، وكان مكان الزاوية يسمى " حارة الهبرة ". (صورة 15)



صورة 15/ الزاوية العثمانية حديثا.

▪ أصل التسمية:

تعرف هذه الزاوية بالزاوية العثمانية، نسبة إلى عثمان جد مؤسس الزاوية علي بن عمر.

▪ المؤسس:

هو الشيخ علي بن عمر المشهود له بالزهد والصلاح والتقوى والنسب الشريف، ولد في مدينة طولقة سنة 1166هـ/1752م.

انصرف إلى العبادة منذ مطلع حياته، متفرغا للذكر، ميالا للخلوة، حيث اتخذ لنفسه مكانا يسمّى الشّهب في جبل قريب من طولقة بنحو 14كلم، قصد التأمل والتفكير، وأيضا

¹ الزاوية هدمت عن آخرها، لم يبق من عمارتها شيء يذكر، ما بقي إلا تابوت الشيخ، والكتب والمطبوعات والمخطوطات الموجودة في المكتبة، مع مخطط الضريح فقط.

يقضي فيه أوقاته بالصلاة والذكر وطاعة الله لعدة سنوات بعيدا عن النَّاس والدنيا، وهو بذلك يقتدي بسيد الكائنات محمد صلى الله عليه وسلم حيث اتخذ من غار حراء مكانا لنفس الغرض¹.

أخذ الشيخ علي بن عمر العلم والتصوف عن شيخه محمد بن عزوز وتخرج من زاويته مع نخبة من العلماء، أمثال المدني النواتي، ومبارك بن خويدم، والصادق بن رمضان، وقد ربطته بشيخه رابطة مصاهرة بعد زواجه بابنته التي أنجبت الشيخ علي بن عثمان شيخ الزاوية فيما بعد ومؤسس المكتبة العثمانية المنسوبة إليه².

ويتصل نسب الشيخ بالحسين ابن فاطمة البتول بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وابن الإمام علي رضي الله عنه، تزوج الشيخ بثلاث نساء هنّ: دوخة، وعائشة وعيشوش³. توفي الشيخ علي بن عمر شهيدا يوم الخميس في 3 ربيع الأول سنة 1258هـ/1842م، وسبب استشهاده أن حاكم بلدة سيدي عقبة الشيخ محمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحاج وكان نائبا للأمير عبد القادر في منطقة الزيبان، حيث جهّز جيشا واتجه به إلى بلدة طولقة لملاحقة جماعات مجهولة هاجمت بلدة سيدي عقبة وغنمت الإبل والأموال، وألحقت الأذى بالأهالي، وقيل أنّ هذه الجماعات فرّت هاربة إلى طولقة، ونزل الشيخ محمد الصغير قرب طولقة يتربقّب، وسادت أجواء من الترقّب والحذر بين القوات الغازية وأهالي البلدة الذين نفوا بوجود غرباء بينهم ممّا اتهموا بالغزو، فكادت الأمور تختلط والفتنة تشتعل فتؤدي إلى عواقب وخيمة⁴.

فالشيخ علي بن عمر من دعاة الإصلاح وهو الذي تطمئن إليه البلدة في دينها ودنياها، فقد ركب حصانه مع ثلة من جماعته وقصدوا طرف المدينة التي يقع فيها معسكر محمد الصغير، ولما اقترب الشيخ من المعسكر، فصاح رجل بأنّ الشيخ أتى فظنّ أحد

¹ عبد الباقي مفتاح ، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية... ص 147.

² صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002، ص396

³ سليمان الصيد، تاريخ.. الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، الجزائر، د.ت، ص22.

⁴ نفسه، ص23.

عساكر محمد الصغير واسمه فرحات العمري أنّ القادم هو شيخ بلدة طولقة فأطلق عليه النار من بندقيته، وسقط الشيخ شهيدا لإصلاح ذات البين، ونقل الى زاويته ودفن بها¹.

ومن أقوال الشيخ علي بن عمر:

كتب الشيخ مصطفى بن عزوز : " سئل شيخنا (علي بن عمر) عن المرید الصادق فقال " :

علمته خمسة أشياء:

- جسم طاهر من معاصي الله
- لسان رطب بذكر الله.
- ذكر دائم في ملك الله.
- روح هائم في جلال الله
- قلب ساطع بأنوار الله.

ومن كلامه رحمه الله:

■ القلوب أجنة ، والأذكار أشجار، وتصريفه معاني، والأسماء ماء، ومشاهدة الجمال والجلال والكمال ثمار، وسماع الحديث ثمار في ثمار².

ومن أقواله:

■ الذكر محتاج إلى القلب، والقلب محتاج إلى الذكر، لا يستغني أحدهما عن الآخر فإذا اجتمع الذكر مع القلب تمت الحكمة، ولا يصفو الذكر إلا بعد صفاء القلب، ولا يصفو القلب إلا بعد المعرفة، ولا تصفو المعرفة إلا بعد صفاء التوحيد، ولا يصفو التوحيد إلا بعد خروج من التقليد، والعارف دون التوحيد لا يقتدي به في هذه الطريقة، لأنّه أرق من الشعر.

¹ علي رضا الحسيني، زاوية علي بن عمر، الجزائر، د.ت، ص 14.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 148.

وقال أيضا:

▪ مخالفة العموم تذهب بنور القلب وهيبة الرب، ومن مات على مخالفة العموم جاء يوم القيامة كالقمر المخسوف لا نور لهم، فيجتهد العاقل في مخالطة الخلوص، ففي مخالطتهم ثلاث خصال: اكتساب العلم، وشفاء القلب، وسلامة الصدر¹.

▪ تاريخ التأسيس:

عندما بلغ الشيخ علي بن عمر حوالي 26 سنة من عمره طلب منه شيخه محمد بن عزوز تأسيس الزاوية وذلك سنة 1194هـ/1780م، ومنذ ذلك الوقت وهي تحمل أمانة واجب الدعوة إلى الله والحفاظ على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إضافة إلى دورها التاريخي والاجتماعي².

▪ الشيوخ الذين تعاقبوا على الزاوية:

توالى على زاوية علي بن عمر شيوخ أجلة بعد وفاة مؤسسها وقاموا على شؤون الزاوية بنيات صادقة وأعمال مخلصه لله سبحانه وتعالى، وكان لهم الفضل بعد الله تعالى في عمارتها وتطويرها وسعة انتشارها وكثرة أتباعها ومريديها، وساهموا في تعليم القرآن وتحفيظه وبث الأخلاق الإسلامية على أحسن وجه.

• الشيخ علي بن عمر من 1194هـ/1780م إلى 1258هـ/1842م.

• الشيخ مصطفى بن عزوز³ من 1258هـ/1842م إلى 1260هـ/1844م.

¹ علي رضا الحسيني، المرجع السابق، ص 15.

² صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 394.

³ الشيخ مصطفى بن عزوز: ولد في بلدة البرج في زاوية والده محمد بن عزوز سنة 1220هـ/1803م، تولى رئاسة الزاوية مدة ستة أشهر فقط.

وكان الشيخ مصطفى بن عزوز قد شرع بتأسيس زاوية " نفطة " بناء على أمر شيخه وذهب إلى الجنوب التونسي وياشر في تأسيس الزاوية هناك، فتوفي سنة 1283هـ/1866م.

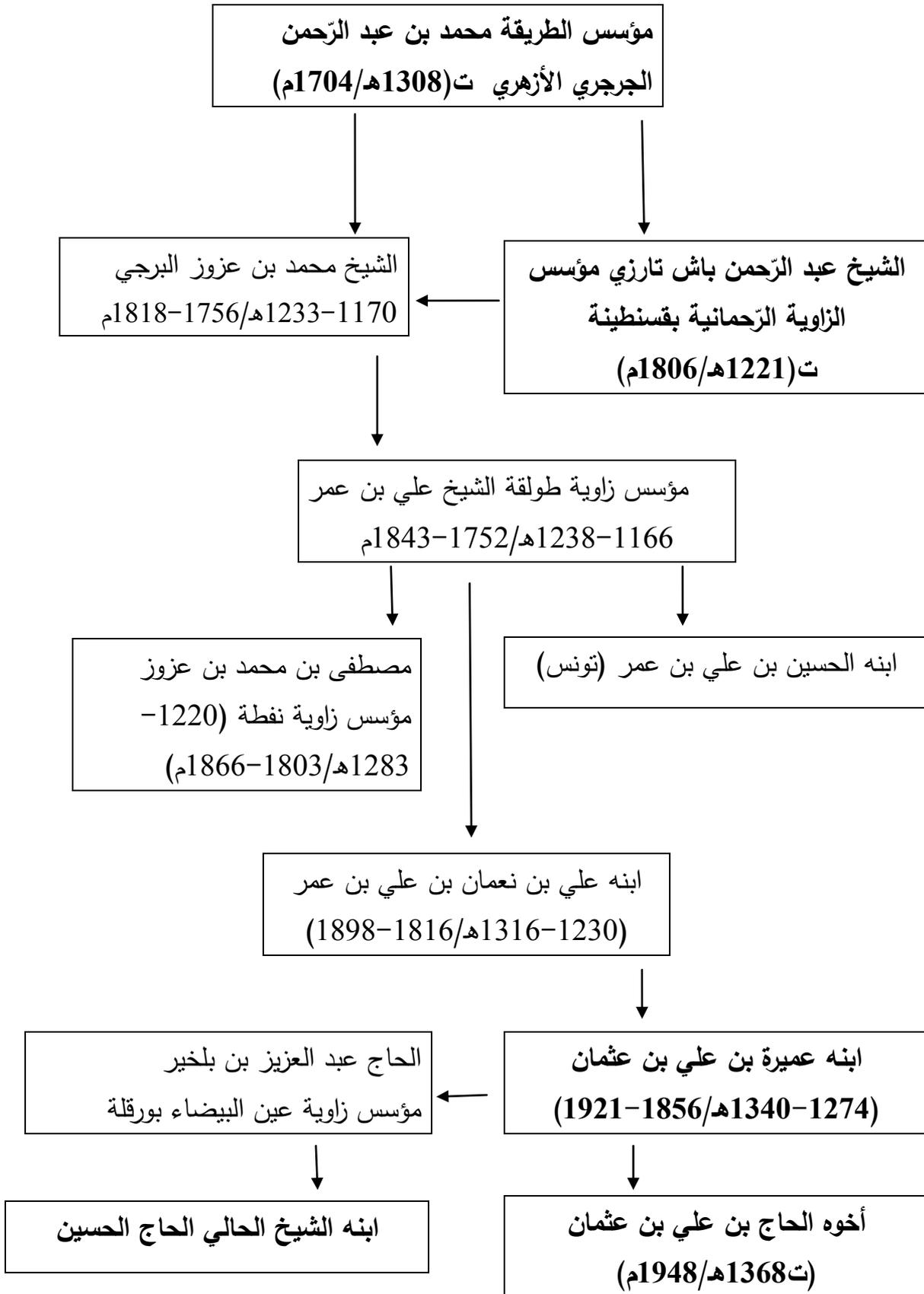
- الشيخ علي بن عثمان¹ أكبر أبناء الشيخ علي بن عمر من 1260هـ/1844م إلى 1316هـ/1898م.
- الشيخ عمر بن علي بن عثمان² من 1316هـ/1898م إلى 1340هـ/1921م إلى 1368هـ/1948م.
- الشيخ عبد الرحمن بن الحاج بن علي بن عثمان من 1368هـ/1948م إلى 1386هـ/1966م.
- الشيخ عبد القادر بن الحاج بن علي بن عثمان.

¹ الشيخ علي بن عثمان: أكبر أبناء الشيخ علي بن عمر ولد في طولقة في شهر صفر سنة 1230هـ الموافق لشهر سبتمبر 1814م، الذي أشرف على تسييرها ولم يتجاوز من العمر 18 سنة، فأدى الرسالة على أكمل وجه وأدخل عليها من الإصلاحات ما كنت هي في حاجة إليه.

كان عالم عامل، خدم العلم بإخلاص، له رسائل مخطوطة محفوظة في مكتبة الزاوية التي هي من آثاره والتي تعتبر اليوم من أهم المكتبات. مرض الشيخ علي بن عثمان ولزم الفراش لمدة شهري، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في 08 شعبان 1316هـ/ماي 1898م ودفن في زاوية والده رحمهما الله تعالى. انظر: صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص47، 48.

² الشيخ عمر بن علي بن عثمان: ولد في طولقة سنة 1274هـ/1857م، قام على شؤون الزاوية وعمره 42 سنة، سار على طريق والده في خدمة الزاوية ونشر الطريق الرحمانية وإرشاد الناس، فكان خير خلف لخير سلف، شارك في انتفاضة عين توتة سنة 1916م ضد الاحتلال الفرنسي.

▪ سلسلة شيوخ زاوية علي بن عمر الغوزية الرحمانية بطولقة:



■ مكتبة الزاوية :

تعتبر مكتبة (العائلة العثمانية) بطولقة من أهم المعالم الثقافية في الجزائر وفي المغرب العربي بما تحتويه من مطبوعات ومخطوطات في شتى العلوم والمعارف حيث يوجد فيها أكثر من 52 تفسيرا وكتب التجويد والتفسير والناسخ والمنسوخ والدراسات القرآنية وفي علوم الحديث وهناك أيضا شرائح البخاري ومسلم والمسانيد ودراسات عنه، وكتب الفقه وأصوله وتاريخ التشريع، وعلوم اللغة العربية والأدب في النحو والصرف والمعاني والبديع والدواوين، وكتب الأدب المتنوعة لكبار الكتاب القدماء والمعاصرين.

إن مكتبة زاوية طولقة من الكنوز التي يقل نظيرها، وأول من أسسها وغرس بذورها الأولى الشيخ علي بن عمر بن عثمان، ثم توالى عليها أيادي شيوخ الزاوية¹.

ولهذا الصدد يقول الدكتور عبد الكريم عوفي من معهد اللغة العربية وآدابها - جامعة باتنة بالجزائر في تقرير حول المخطوطات في الجزائر قدمه في اجتماع الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي الذي نظّمه معهد المخطوطات العربية في القاهرة يومي 18 و19 ديسمبر سنة 1996م: "خزانة الزاوية العثمانية (علي بن عمر) في طولقة ولاية بسكرة، تعد من أغنى الخزانات في منطقة بسكرة، بل الجزائر عامة، وقد كان للزاوية العثمانية دور رائد في الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال القرن العشرين، إذ تخرج فيها جمهرة من العلماء، وتحفظ اليوم بمخطوطات في شتى الفنون المعرفة الإنسانية، وقد حرص شيوخها على الحفاظ عليها وتمكين الباحثين والدارسين من الوقوف عليها، فهي تشمل مخطوطات في علوم القرآن، والفقه، واللغة، والأدب والمعاجم، والتفاسير، والحديث، والجغرافيا، والتراجم، والسير.... وقد أدرجت هذه الزاوية ضمن اهتمامات مشروع إحياء التراث لأن مخطوطاتها تحتاج إلى فهرسة علمية، ليستفيد مريدوها منها وعلى متطلبات بحوثهم بسرعة، ولأنّها مازالت تؤذي دورها التعليمي والتنقيفي في المنطقة...."².

¹ علي رضا الحسيني، المرجع السابق، ص 25.

² عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية... ص 38.

■ ومن المخطوطات المحفوظة فيها¹:

- روضة الأنوار ونزعة الأخبار، للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، انتهى في تأليفه عام 1432/هـ836م، ناسخه مصطفى بن العربي، لم يذكر فيه تاريخ النسخ، والكتاب في ثلاث مجلدات كبيرة.
- شرح الشيخ محمد بن عزوز البرجي على منظومته (رسالة المرید)، ناسخها مسعود بن سعيد البوزيدي، عدد أوراقها 20 ورقة.
- رسالة فتح الباب عتي وتسمى أيضا علامة فتح البصيرة للشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهری، ناسخها أبو العباس بن محمد البوسعادي، عدد أوراقها 100.
- شرح ألفية ابن المعطي في النحو من تأليف عبد العزيز بن جمعة النحوي الموصلی، ناسخها علي بن عبد الله الأنصاري الشافعي.
- الذرة المنتخبة في الأدوية المجربة، للشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي، ناسخها محمد الشريف بن المحجوبة، في 40 ورقة.
- المنهج المسلوك غي سياسة الملوك، للشيخ عبد الرحمن بن نصر المتوفي سنة 589/هـ1193م.
- اللّغة للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي.
- الشهبوب المحرقة للشيخ برناز.
- الدرر على الغرر في الفقه المالكي.
- نور الدين في الرد على المبتدعين، لمحمد بن عبد الله الجزري الشافعي المنصوري.
- شرح النصيحة الزروقية، لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري.

¹ علي رضا الحسيني، المرجع السابق، ص 36، 37.

5. الزاوية المختارية بأولاد جلال:

■ الموقع:

تقع الزاوية في الجزء الشرقي من المدينة القديمة لأولاد جلال¹ غرب ولاية بسكرة² بحوالي 90 كلم، وبعد اتساع المدينة القديمة، أصبحت الزاوية تحتل الجزء الجنوبي الذي يشرف على ساحة الخندق أهم المواقع التاريخية للمدينة.

وتحتل الزاوية في المدينة، موقعا متوسطا بالنسبة للنشاط السكاني فيها، تتفرع عنه ثلاث طرق رئيسية هي :

¹ تقع بلدة أولاد جلال على بعد 90 كلم غرب ولاية بسكرة، و تاريخ أولاد جلال في العصور الإسلامية لم يرد في المصادر ولا في كتب الرحالة والمؤلفين إلا في شكل إشارات متفرقة، وردت على لسان الرحالة العياشي مثلا بصفتها معبرا لحجيج الغرب الإسلامي، ووصفت أيضا بأنها من أكبر قرى الزاب، كما ذكر الشيخ الورتلاني عددا من علمائها وفقهائها أثناء مروره بالمنطقة. لمزيد من المعلومات أنظر: مصطفى سالم، " الأطلس الأثري لإقليم الزاب في العهد الإسلامي بسكرة (انموذحا) "، منكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص8.

² تقع مدينة بسكرة على خط طول 42 درجة و5 دقائق شرقي غرينيتش وخط عرض 27 درجة و39 دقيقة شمالا، وهي موجودة في جنوب الشمال الشرقي الجزائري، يحدها من الشمال ولاية باتنة، ومن الشمال الشرقي ولاية خنشلة، ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية الجلفة، ومن الشمال الغربي ولاية المسيلة، ومن الجنوب ولاية الوادي. ويذهب ستيفان قزال St. Gsell إلى القول بأن أصل كلمة بسكرة Vescera رومانية الأصل، وأن التسمية الحقيقية لها هي أديسينام، أي المنبع المعدني لحمام الصالحين، وهناك من يرجح أن Veskra بالفينيقية تدل على مستودع للأسلحة أو على مرفأ مما يجعلها حقا مركزا حربيا وقاعدة للتوغل الاستيطاني الروماني في منطقة الزاب، كما يطلق عليها Veskra بسكرة نسبة لحلاوة تمورها.

بعد حملة حسن أغا عام 1542/هـ949م وحملة صالح رايس عام 1552/هـ959م على بسكرة أقام العثمانيون حامية في المدينة، وشيدوا بها حصنا ، وفي هذه الفترة يذكر كريخال مدينة بسكرة، قائلا: " يسكنها قليل من الناس، يعم الفقر أوساطهم لأن أرضهم لا تنتج سوى التمر ويبدو لنا أن هذا الحكم فيه نوع من القساوة. وانظر أيضا:

- عبد العزيز شهبي، " بسكرة عاصمة الزيبان نشأة المدينة وتطورها"، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، مديرية التراث الثقافي، تندوف من 19 الى 24 أبريل، الجزائر، 1996 ، ص95.

- Maguelone (M.J.), « Monographie historique et géographique de la tribu des Ziban » , Recueil des notices et mémoires de Constantine, N : 44, Constantine, 1910, p.213-214.

- مصطفى سالم، المرجع السابق ص9،10.

- طريق يربطها بمركز المدينة، أين كانت تحط القوافل رجالها، كما تصل بالزاوية عبر هذا الطريق بسكان القرى المجاورة مثل قرية سيدي خالد¹.
 - طريق شرقي يربط الزاوية بالطريق الوطني رقم 46.
 - طريق جنوبي يخرج إلى بساتين النخيل الواقعة على حافة الوادي. (صورة16).
- أصل التسمية: تعرف هذه الزاوية بالزاوية المختارية، نسبة إلى مؤسسها الشيخ المختار بن خليفة.

المؤسس: هو الشيخ المختار بن خليفة بن عبد الرحمان بن يوسف²، من مواليد بلدة سيدي خالد سنة 1788م، وفيها نشأ وترعرع، ثم استقر به المقام ببلدة أولاد جلال التي بنى فيها زاويته، وهو الحفيد الخامس للعلامة الحبر البحر سيدي عبد الرحمان بن خليفة شيخ الشاذلية الشيخية.

وكان الشيخ ورعا زاهدا حتى أنه صام ثلاث عشرة سنة كاملة لمجرد أن نفسه راودته عن طعام شهوي، فصام هذه المدة كلها تأديبا لها وآل على نفسه ألا يفطر طوال هذه المدة الطويلة إلا من فضلات طالبة زاويته.

والشيخ من تلاميذ الشيخ بن عزوز البرجي مؤسس الطريقة الرحمانية العزوية³ التي تخرج بفضلها كثير من الشيوخ الذين أسسوا زوايا كثيرة على الطريقة الرحمانية، ومن أبناء

¹ تعد قرية سيدي خالد من أهم معاير الحجيج، وقد اشتهرت هي الأخرى بزوايتها وطلبتها.

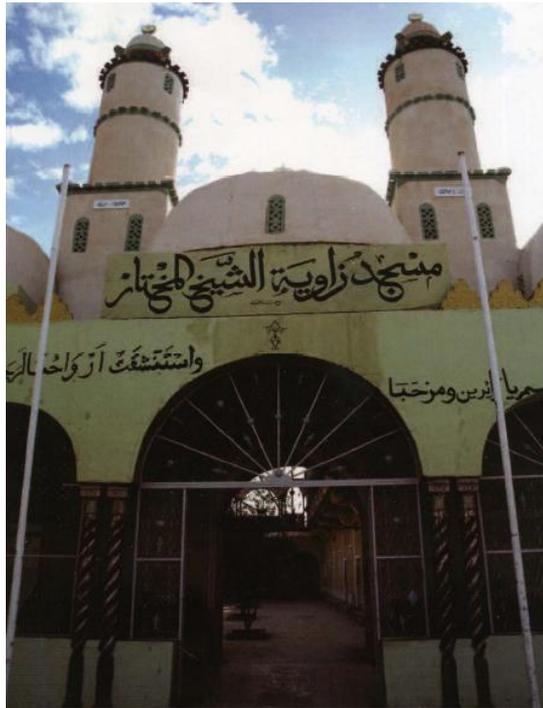
² هو يوسف بن عبد الرحمان بن خليفة، دفن في مقبرة سيدي خالد.

³ هو الشيخ محمد بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن عزوز، وهو لقب لأحد أجداده اشتهر به حتى أصبح لقب له ولأبنائه من بعده، ولد بالبرج قريبا من طولقة سنة 1170هـ/1757م، ، تتلمذ على يد عبد الرحمان الأزهري، وأخذ عنه تعاليم الطريقة الرحمانية ثم أكملها على يد الشيخ عبد الرحمان باشتارزي بقسنطينة، ثم رجع إلى بلدته " البرج " وأنشأ زاوية لنشر العلم والدين، تخرج على يده فحول، منهم الشيخ سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة (ت:1258هـ/1832م)، والشيخ سيدي عبد الحفيظ صاحب زاوية خنقة سيدي ناجي والشيخ الصادق بن الحاج (ت:1278هـ/1862م) صاحب زاوية تبرماسين، والشيخ المختار الجبالي (ت:1276هـ/1859م) والشيخ محمد الصادق بن رمضان صاحب زاوية بسكرة، وللشيخ أرجوزة سماها " رسالة المرید في قواطع الطريق " وكتاب " شرح تلخيص المفتاح " ، توفي سنة 1233هـ/1818م بعد عودته من الحج بوباء أصاب المنطقة، ترك ثمانية أولاد من بعده، وانظر أيضا:

الشيخ المختار سيدي مصطفى الذي خلفه بعد موته، ثم سيدي محمد الصغير الذي ازدهرت الزاوية في عهده ازدهارا كبيرا. واهتم الشيخ المختار بتحفيظ القرآن لسكان المنطقة ومناطق أخرى كالجلفة وأولاد نايل، توفي الشيخ سنة 1860م.

- تاريخ التأسيس:

تأسست زاوية الشيخ المختار سنة 1231هـ/1815م، حسب شيوخ الزاوية، بينما بني الضريح في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، حيث أن الشيخ كان مفسرا للقرآن متطلعا عدة علوم وهو ما دفع بطلبة سيدي خالد أن يلحوا في طلب تأجيل سفره إلى الحج وفعلا أقام بينهم يدرس القرآن، وعندما حضرته الوفاة بنوا على قبره قبة في الزاوية¹.



صورة 16/ الزاوية المختارية.

- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية...، ص 119.

- وأبو القاسم حفناوي، المرجع السابق، ص 482.

6. الزاوية عين ماضي بالأغواط:

■ الموقع:

تقع في الركن الجنوبي الشرقي لقصر عين ماضي، على الجهة اليمنى من المدخل الرئيسي، أو ما يعرف بالبواب الكبير.

■ صاحب التسمية:

تعرف هذه الزاوية بالزاوية التيجانية نسبة الى مؤسسها أحمد التيجاني.

■ المؤسس:

هو أبو العباس أحمد بن محمد المكنى بابن عمر بن المختار ابن أحمد بن محمد بن سالم بن ابي العيد بن سالم بن أحمد الملقب بالعلواني حتى ابن الإمام علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء عنها بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولد الشيخ أحمد التيجاني بعين ماضي سنة 1150هـ/1737م، ونشأ في تلك البيئة الصحراوية في وسط أسرته الشريفة المشبعة بالعلم والتصوف من تلاوة القرآن واعتناء بالصلوات والاحتفال بالأعياد الدينية والليالي الفاضلة، حفظ القرآن الكريم برواية نافع حفظا جيدا في سبعة أعوام وهي مرحلة التكوين النفساني والعقلي، ومال للتصوف وطرق الصوفية وعمره عشرون عاما، فدرس علومها واطلع على بعض أسرارها¹، وجمع من خلال رحلاته آراء وأفكار الطرق الصوفية في العالم الإسلامي وشكّل من ذلك كلّ مذهب صوفيا واستطاع أن يجمع عددا كبيرا من الأتباع والمريدين الذين يؤمنون بجملة من الأفكار والمعتقدات الصوفية، وترجم له السيد " محمد بن ميمون " فقال: " ...كان عالما صوفيا له عدة أجوبة وفتاوي ورسائل في مختلف الفنون، كما أنّ له تلامذة تفوق الحصر..."² وأمام نشاطه المتزايد وجولاته المتعددة عبر الصحراء الجزائرية وحتى خارج الجزائر كالسودان وتونس وإنشائه لمجموعة كبيرة من الزوايا أثار قلق الأتراك، فاستولى باي وهران على مدينة عين ماضي

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 28، 29.

² محمد بن ميمون، المرجع السابق، ص 79.

مقر الطريقة سنة 1784م¹، وفرض عليه إتاوة، فقرر الهجرة مع أتباعه وأهله إلى المغرب واستقر بمدينة فاس ومنحه سلطان المغرب مولاي سليمان قصر بحوش المرايا لإقامته الخاصة، ومع راتب وتفرغ لنشر طريقته وبث تعاليمه، وبعد أن أسس زاويته بمدينة فاس بحي البليدة ظل بها حتى أدهمته الوفاة، وكان يقول " أنّ سنده الحقيقي وأستاذه في طريق التصوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم وأنّ ما تلقاه من المشايخ الآخرين من الأوراد والسلاسل والعهود لم يروا ضمأه ولم يحقق له المقصود "، وقد قام والداه محمد الكبير ومحمد الصغير بثورة ضد الأتراك عام 1826-1827م كرد فعل على استنزازهم وظلمهم، لكنهما فشلا ومات محمد الكبير سنة 1827م. (صورة 17).



صورة 17/ عين ماضي بالأغواط - منزل مسقط سيدي أحمد التيجاني.

¹ صلاح مؤيد، الطرق الصوفية..، ص 177.

▪ خلفاء الشيخ أحمد التيجاني: نقلا عن بن يوسف التيجاني، الطريقة التيجانية

شيوخ عين ماضي	شيوخ تماسين
محمد الكبير التيجاني 1818 - 1827م	الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني (1815 - 1844) جمع بين مشيخة الزاوية وخلافة الطريق
محمد الصغير التيجاني (1827 - 1853)، تولى خلافة الطريقة (1853 - 1944)	محمد العيد بن الحاج علي (1844 - 1853)، تولى الخلافة من (1853 - 1875)
الوكيل المشري الريان (1853 - 1865)	محمد صغير بن الحاج علي، تولى الخلافة من (1875 - 1892)
أحمد عمار بن محمد الصغير التيجانية (1865 - 1897)	محمد الحاج علي، تولى الخلافة من (1892 - 1893)
البشير بن محمد الصغير التيجاني (1897 - 1911)	محمد بن محمد العيد، تولى الخلافة من (1893 - 1912)
علال بن أحمد عمار (1911 - 1923)	البشير بن محمد بن محمد العيد، تولى الخلافة من (1912، 1918)

▪ تاريخ التأسيس:

هي الزاوية الرئيسية للطريقة التيجانية، فهي رأس مؤسس الطريقة التيجانية ويوجد بها أضرحة أبناء وأحفاد الشيخ التيجاني، تأسست ما بين 1197هـ/1782م و1211هـ/1796م، ثم أضاف لها ابنه محمد الطيب (ابنه الأصغر) قاعات لتدريس القرآن وأجنحة للفقراء والمساكين.

قامت الزاوية التيجانية بدور معتبر في ترقية وازدهار القصر (قصر عين ماضي) حيث اعتبرت مركز إشعاع يؤم إليه الوافدون من مناطق مختلفة للتزود بالعلم وأصول الدين، وبلغت قمة انتشارها في إفريقيا على يدي أتباعها ومريديها، كما استطاعت أن توطد

دعائها بالقطر الوطني وذلك بإنشاء زوايا أخرى في كل من تماسين بتقرت وقمار بالوادي وبوسمغون بالبيض، وإقليم توات¹.

7. زاوية تماسين بتقرت :

تقع زاوية تماسين في تملاحت بإقليم وادي ريغ²، والذي يقع في الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية، تبعد عن تقرت بحوالي 13 كلم، وعن ورقلة بـ160 كلم، وعن الجزائر العاصمة بـ650 كلم.

▪ صاحب التسمية:

تعرف هذه الزاوية بتماسين، ويرجع أصل تماسين إلى روايتين:

الرواية الأولى: أن قوما مسالمين قدموا من المشرق فوق اختيارهم على هذه المنطقة، أخذوا يطوفون بالمكان، ويقرؤون القرآن وكان آخر ما ختموا به سورة (ياسين)، فسميت المنطقة " تمت ياسين " وبمرور الزمن أصبحت كلمة تماسين.

الرواية الثانية: تماسين تعني باللهجة المحلية التي كانت ينطق بها السكان، المنطقة المحاطة بالنخيل³.

▪ المؤسس:

هو الحاج علي التماسيني، ولد في تماسين عام 1180هـ/1766م، نشأ على التصوف، زار الشيخ أحمد التيجاني في عين ماضي ثم في فاس، وأخذ الوصية منه لكي

¹ ومن الرحلات التي كان يقوم بها الشيخ أحمد التيجاني، تلك التي قادته من بوسمغون إلى توات، حيث التقى هناك بالشيخ محمد بن الفضل التوان، وهو من أوائل أصحابه وصار مقدا في الجنوب الغربي، ويعود له الفضل ولأبنائه من بعده في انتشار الطريقة في ربوع الصحراء. وانظر أيضا:

- علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط...، ص 225-226 .
- خليل النحوي، بلاد شنقيط، الرباط، ب.ت، ص 123.

² وادي ريغ نسبة إلى قبيلة ريغة البريرية والتي كانت توجد في الغرب الجزائري وبالضبط قرب مدينة مليانة، حيث استقرت بالمنطقة وحكمتها لمدة من الزمن، وأنظر: Philipe (p.), *Etapes Sahariennes*, Alger, 1980, p.15.

³ عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية ..، ص140

يكون حامل اللواء بعده في الجزائر، وراعي ابنيه، حيث جاء بهما من فاس إلى عين ماضي بعد وفاة والدهما¹.

وبنى الحاج علي التماسيني زاوية تماسين في ضاحية تعرف بتملاحت، وكان يجيد الفلاحة فشجعها، ممّا أدى إلى عمارة تماسين بالتّخبل والأشجار المثمرة، وبعد بلوغه ثمانين سنة توفي عام 1260هـ/1844م².

وفي هذه الحقبة انتشرت الطريقة التيجانية في التل والصحراء والسودان، وذلك عن طريق القوافل التجارية التي كانت تنتقل بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب، لا سيما فاس وتلمسان وتوات والهقار والسنغال وتمبكتو، وكانت الزاوية التيجانية هي المحرك لهذه الشبكة من القوافل التي تحمل الذهب ومختلف البضائع المتبادلة في ذلك العهد³.

¹ الحفناوي، المرجع السابق، 1906، ص 282 - 286.

² عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية ...، ص 141.

³ نفسه، ص 142.

▪ كما يوضح هذا الجدول خلفاء الشيخ الحاج علي التماسيني¹:

الإسم	تاريخ الإزدياد	تاريخ الوفاة	فترة الخلافة
الشيخ الحاج علي التماسيني	1180هـ/1766م	1260هـ/1844م	1815 - 1844
الشيخ محمد العيد	1230هـ/1815م	1292هـ/1875م	1844 - 1875
الشيخ محمد الصغير	1232هـ/1817م	1309هـ/1892م	1875 - 1892
الشيخ سيدي معمر	1241هـ/1826م	1310هـ/1893م	1892 - 1893
الشيخ محمد (سيدي حمة)	1260هـ/1844م	1331هـ/1912م	1893 - 1912
الشيخ سيدي البشير	1278هـ/1861م	1336هـ/1918م	1912 - 1918
الشيخ سيدي العيد	1309هـ/1892م	1346هـ/1927م	1918 - 1927
الشيخ سيدي أحمد	1316هـ/1898م	1398هـ/1978م	1927 - 1878
الشيخ سيدي البشير	1336هـ/1918م	1420هـ/2000م	1978 - 2000
الشيخ سيدي محمد العيد	1373هـ/1954م	/	2000 - إلى اليوم

▪ تاريخ التأسيس:

كان أول من دعا للطريقة التيجانية في نواحي تقرت هو الشيخ محمد بن مشري الذي تعرف على الشيخ أحمد التيجاني في تلمسان سنة 1188هـ/1774م ولمّا أعلن التيجاني عن ميلاد طريقته لم يتردد محمد بن المشري في أخذ الورد التيجاني ونشره في وسط قبيلته أولاد سائح، الذين اعتنق معظمهم تعاليم التيجانية وصاروا من المدافعين عنها، من بينهم بن قويدر العدلاوي، والمقدم سليمان، وعبد القادر لابن عبد الملك، وعلي بن الغزال، وأسسوا زاوية في العلية قرب تقرت.

وزاوية تماسين تأسست سنة 1220هـ/1805م على يد الحاج أحمد التماسيني².

¹ أحمد التيجاني والسعيد محجوب، المرجع السابق، ب.ت، ص 26

² التيجاني محمد العيد، الزاوية التيجانية بتماسين بين الأمس واليوم، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الجزائر، 2008، ص 91.

8. زاوية قمار بوادي سوف:

■ الموقع:

تقع زاوية قمار على المحور القادم من بسكرة على بعد 15 كلم من مقر ولاية وادي سوف في الجهة الشمالية الغربية، وهي واحة صحراوية أيضا تقع على تاعرق الشرقي للجزائر.

■ أصل التسمية:

تعرف هذه الزاوية بزاوية قمار، ومعنى قمار فهو اسم قديم، وربما يرجع إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي. وهو اسم موجود أيضا في الهند، غير أن قمار الهندية مفتوحة القاف، كما جاء في القاموس المحيط، وقد ضرب صاحب القاموس مثلا لذلك بكلمة (قطام) بينما قمار الجزائرية مضمومة القاف. ويقول الشيخ محمد الطاهر التليبي الذي قيد أخبار قمار في كناشه: إن في الأندلس بلدة تسمى قمار بضم القاف أيضا. وفي تونس توجد (تاقمرت) جهة توزر، كما توجد في ضواحي تونس (قمرت). وفي السودان بلدة اسمها (قمار)، وفي التقاليد الشعبية طائر حمام يسمى (القمرى) بضم القاف، وهناك عود الطيب المعروف في الهند باسم العود القماري وهو مضموم القاف أيضا، وكان أحد علماء قمار في القرن الثاني عشر للهجرة، وهو الشيخ خليفة بن حسن، ويسمى هكذا: الأقماري¹.

■ المؤسس:

هو الحاج علي بن عيسى، ولد سنة 1180هـ/1766م بتماسين، تولى الخلافة يوم 1230هـ/1815م، أسس الزاوية بأمر من الشيخ الأكبر أحمد التيجاني، توفي يوم الثلاثاء

¹ الطاهر تليبي، الفوائد المنثورة في المطالعات المبتورة، مخطوط غير محقق وغير منشور، توجد نسخة منه بالنادي الثقافي لقمار.

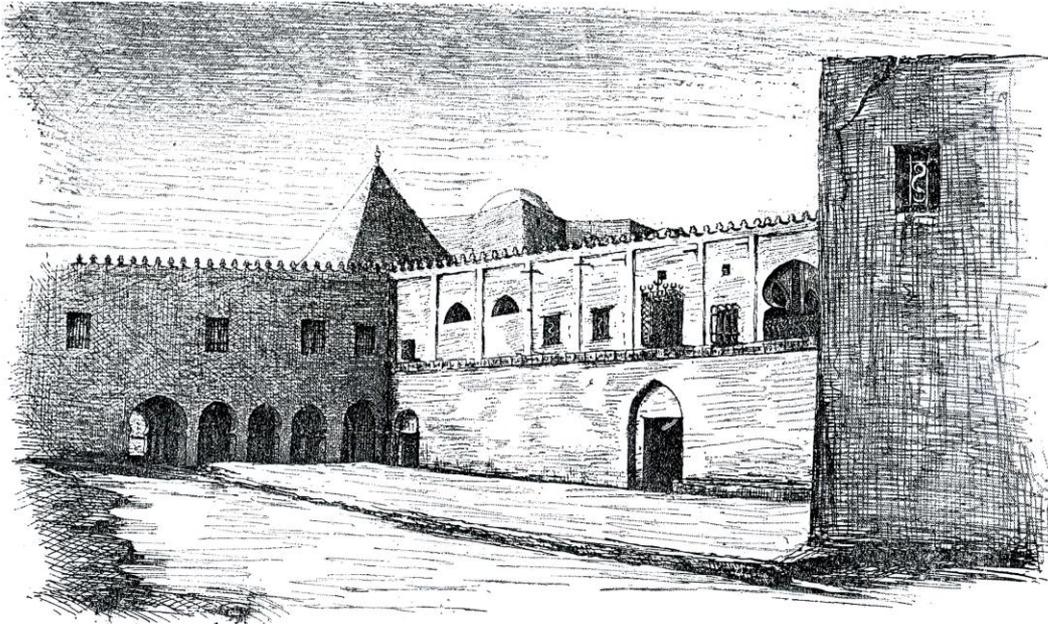
22 صفر 1260هـ/12مارس 1842م، بنى ضريحه نجله الشيخ محمد العيد الأول عام 1284هـ/1868م¹.

▪ تاريخ التأسيس:

يعد الشيخ محمد الساسي القماري أول من أدخل تعاليم الطريقة التيجانية إلى وادي سوف، حيث أخذ من الشيخ مبادئ الطريقة وحملها إلى أبناء قومه بقمار، وتعد زاوية قمار أول زاوية تيجانية بنيت على الإطلاق وأقدمها، سنة 1204هـ/1789م بإيعاز من الشيخ أحمد التيجاني². (شكل 1).

وقد قال أحد الشعراء في زاوية قمار:

هي أولى من الزوايا عهدا وقد علت في سماها الأذكار³.



شكل 1/ زاوية قمار - وادي سوف

عن: كزافيي كبولاني

¹ محمد حديبي، " الزوايا التيجانية بالجنوب الجزائري " ، منكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، الجزائر، 2012، 2011. ص 80-83.

² عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ، ص 142، 143 .

³ جمعية الزاوية التيجانية قمار، الزاوية التيجانية بقمار الماضي والحاضر، ط2، مطبعة كوينين، الوادي، الجزائر، 2008، ص 04.

9. زاوية سيدي سالم بوادي سوف:

■ الموقع:

تقع زاوية سيدي سالم في وسط مدينة وادي سوف قرب السوق الكبير للمدينة.

■ أصل التسمية:

تعرف هذه الزاوية بزاوية سيدي سالم نسبة إلى مؤسسها. (صورة 18)

■ المؤسس:

ولد سيدي سالم بن محمد سنة 1186هـ/1768م بوادي سوف ويرتقي نسبه الشريف إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

تربى يتيما في حجر والدته مسعودة بنت رويحة رحمها الله، ولما اشتد عوده سافر إلى القطر التونسي (نفطة) طالبا للعلم وباحثا عن العمل، ثم رجع إلى الوادي فجدد اللقاء بالشيخ محمد بن عزوز البرجي الذي زار مدينة الوادي ومكث فيها أربعة أيام سنة 1225هـ/1810م، فأخذ عنه ما شاء له، ثم أودعه لخليفته الشيخ سيدي علي بن عمر الطولقي الذي زاده من العلم والتربية.

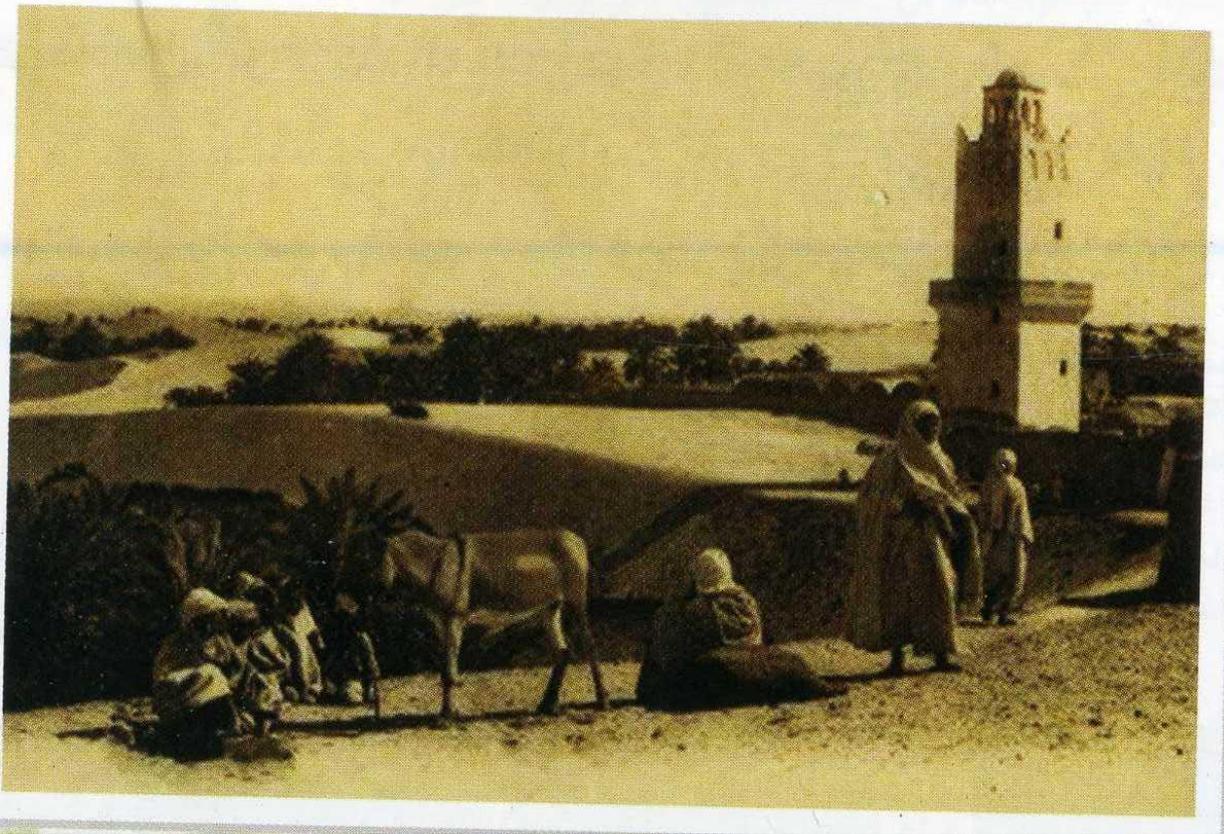
دخل سيدي سالم الخلوة مع شيخه لمدة 4 أشهر وعندما أتمها سئل عن ذلك فنطق بما فتح الله عليه فقال: " ليس القصد في الحور والقصور وربات الخدور إنما القصد النظر إلى وجه العزيز الغفور"¹.

اتصف سيدي سالم بالإخلاص و الصلاح وصدق التوجه إلى الله تعالى والرّسوخ في عين اليقين والتقوى وشهد له جميع من عرفه بعلامات الولاية والأهلية للمشيخة أوصاه شيخه سيدي علي بن عمر بفتح زاوية بالوادي لتكون منطلقا للتربية الروحية ومدرسة للقرآن الكريم والعلوم الشرعية وللصلاة وتلاوة القرآن وحلق الذكر.

¹ بن سالم بالهادف، رشيد سالم، زاوية سيدي سالم الرّحمانية قلعة القرآن الكريم في ربوع سوف، من إصدارات زاوية سيدي سالم، مطبعة مزوار، د.ت، ص10.

بعد وفاة شيخه سيدي علي بن عمر سنة 1258هـ/1842م (أي سنة بعد وفاة شيخه محمد بن عزوز) تصدر الشيخ سيدي سالم للمشيخة ف قضى حياته نافعاً للدين و نفع العباد دعوة الخلق إلى الله تعالى، فكان نسخة من شيخه في التواضع وخدمة المسلمين عامة وطلبة العلم و القرآن خاصة، وقضاء حوائجهم والإصلاح بين المتخاصمين والتفاني في خدمة الفقراء و طالبي طريق الحق، وكانت بينه وبين شيوخ الطريقة العزوية الآخرين علاقات ودية وتعاون وتآزر.

توفي سيدي سالم سنة 1277هـ/1860م عن عمر يقارب التسعين، حيث ظل اسمه لامعاً في ربوع سوف وعاش حياة مملأها خيراً وإحساناً وخدمة للعباد.



صورة 18/ زاوية سيدي سالم بوادي سوف - صورة قديمة

تولى مشيخة الزاوية بعد سيدي سالم ذرية خلفوه وساروا على نهجه وعمّروا زاويته وحملوا لواء الطريقة الرّحمانية من بعده وهم¹:

الترتيب	إسم الخليفة	تاريخ ميلاده	فترة خلافته	تاريخ وفاته	عمره
1	الشيخ سيدي مصباح بن سيدي سالم	1255هـ/1838م	50 سنة	1327 هـ /1909م	72 سنة
2	الشيخ سيدي محمد الصالح بن سيدي سالم	1263 هـ /1846م	08 سنوات	1335 هـ /1709م	72 سنة
3	الشيخ سيدي محمد العربي بن سيدي مصباح	1294 هـ /1876م	28 سنة	1363 هـ /1945م	69 سنة
4	الشيخ محمد العزوي بن محمد الصالح	1308 هـ /1889م	03 سنوات	1392 هـ /1972م	83 سنة
5	الشيخ سيدي محمد الطاهر بن محمد الصالح	1320 هـ /1900م	28 سنة	1398 هـ /1978م	78 سنة

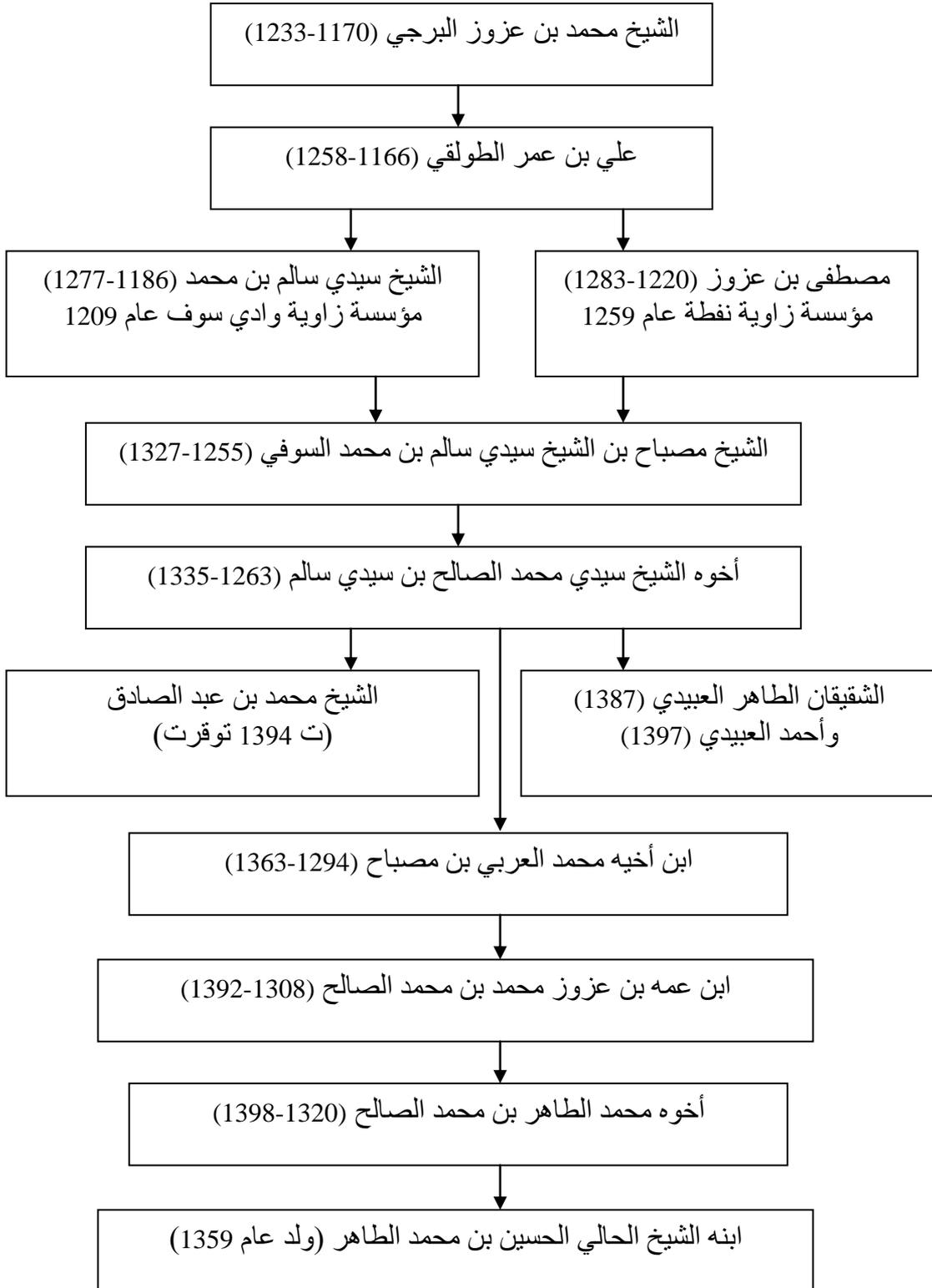
■ تاريخ التأسيس:

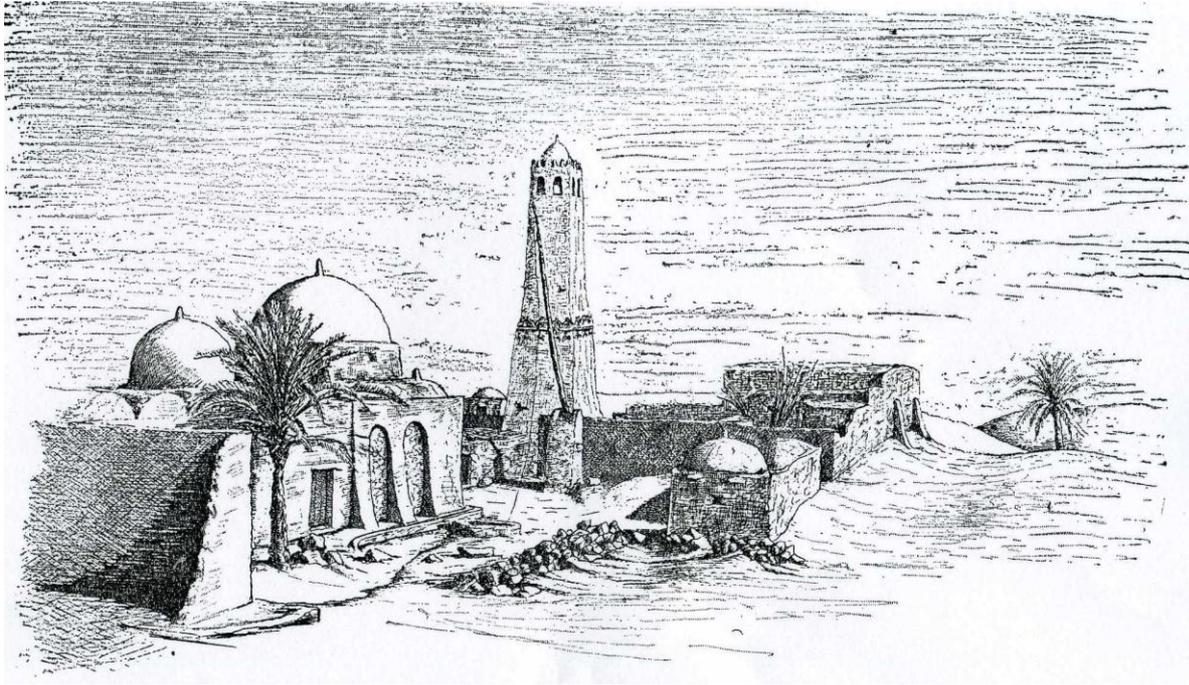
أمر الشيخ العالم المري سيدي علي بن عمر الطولقي الشيخ سيدي سالم بتأسيس الزاوية للمريدين بالوادي سنة 1235هـ/1819م. هذه الزاوية العامرة أشعت الطريقة الرّحمانية على جميع الجهات المجاورة، فاستقطبت الزاوية الدارسين من سوف ومن جميع الأمصار المجاورة لها². (شكل 2).

¹ بن سالم بالهادف، رشيد سالم، المرجع السابق، ص 12. وانظر أيضا: عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 20-26.

² نفسه، ص 11.

■ سلسلة شيوخ زاوية سيدي سالم العزوزية الرحمانية بوادي سوف.





شكل 2/ زاوية سيدي سالم - وادي سوف.

عن: كزافيي كبولاني

10. زاوية بوسمغون بالبيض:

▪ الموقع:

تقع الزاوية في الركن الشمالي الغربي لقصر بوسمغون، وتوجد في الحي المعروف " أغرم أقدم "، وهو أحد الأحياء العريقة بالقصر، تطل شرفاتها على الواحة الخضراء.

▪ صاحب التسمية:

تعرف هذه الزاوية بالزاوية التيجانية نسبة الى مؤسسها أحمد التيجاني.

▪ المؤسس:

مؤسس الزاوية هو الشيخ أحمد التيجاني¹.

▪ تاريخ التأسيس:

شيدت في عهد الشيخ أحمد التيجاني، في القرن الثالث الهجري/التاسع عشر الميلادي، اتخذها الشيخ كمكان للتعبد، ونشر التعليم الديني بها، مما جعلها تشتهر لدى سكان القصر باسم المدرسة والزاوية في نفس الوقت.

وتستمد مكانتها من كونها مهد الطريقة التيجانية، ففيها وقع للشيخ التجاني الفتح الرباني كما قال، ويوجد بها خلوته، وهي بذلك تنصدر زوايا الغرب والجنوب الغربي، وتتبع مباشرة لزاوية عين ماضي بحكم موقعها.

ومنذ إعلانه عن طريقته الجديدة في قرية بوسمغون، ألّف حوله الأتباع منهم المقدم محمد بن العباس، وأحمد بن عبد الرحمان، وأبو القاسم بن يحيى ومحمود بودواية... الخ.

فكان هؤلاء النواة الأولى لأتباع الشيخ أحمد التجاني في تلك القرية، التي اكتسحت أهمية كبرى، حيث تعد مهد الطريقة التيجانية، ففيها وقع الفتح للشيخ التجاني، ومنه انطلق لينشر تعاليم طريقته الجديدة².

¹ دحمون منى، " قصر بوسمغون بولاية البيض "، ص 45 - 50.

² محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، الجزائر، د.ت، ص 217 - 227.

■ مواقع انتشار الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني¹:

- زوايا الوسط الجزائري:

تاريخ التأسيس	مقرها وموقعها	الزاوية
القرن 11هـ/17م	سيدي داود (دلس)	سيدي عمر وشريف
القرن 13هـ/19م	الحمام، الأخضرية، البويرة	سيدي بوعبد الله الحمامي
القرن 11هـ/17م	الميهوب، تابلاط، المدية	أولاد سيدي العوفي
القرن 12هـ/18م	القلب الكبير، تابلاط، المدية	شلابي
القرن 10هـ/16م	أزفرن، تيزي وزو	تيفريت نايت الحاج
القرن 10هـ/16م	عين الحمام، تيزي وزو	سيدي علي
القرن 10هـ/16م	تيزي وزو	سيدي علي موسى
القرن 10هـ/16م	بوغني، تيزي وزو	سيدي علي اويحي
القرن 11هـ/17م	عزازقة، ولاية تيزي وزو	سيدي عبد الرحمان اليلولي
القرن 12هـ/18م	بوغني، تيزي وزو	زاوية سيدي امحمد بن عبد الرحمان
القرن 10هـ/16م	تيميزار، عزازقة، تيزي وزو	سيدي منصور
القرن 13هـ/19م	العبادلة، عين الدفلى	بن شرقي بونجار
القرن 13هـ/19م	جندل، عين الدفلى	ابن سيدي عيسى جلول
القرن 13هـ/19م	تنية الحد، عين الدفلى	بريارة

- زوايا الشرق الجزائري:

تاريخ التأسيس	مقرها وموقعها	الزاوية
القرن 13هـ/19م	باتنة	الدرديرية
القرن 11هـ/17م	باتنة	ابن عبد الصمد
القرن 11هـ/17م	وادي الماء، باتنة	مول القرقور
القرن 10هـ/16م	سريانة، ام البواقي	بلقاضي
القرن 10هـ/16م	بني معافة، باتنة	زاوية سيدي يحيى زورق
القرن 13هـ/19م	سريانة، أم البواقي	ابن دراجي
القرن 13هـ/19م	نقاوس، باتنة	ابن علفية
القرن 13هـ/19م	عين ولمان، سطيف	الشيخ الحواس
القرن 13هـ/19م	وادي صومام، بجاية	الشيخ بلحداد
القرن 13هـ/19م	بصدوق، بجاية	سيدي سعيد أمسيس
القرن 10هـ/16م	أقبو، بجاية	أبي القاسم الحسيني البوجليلي
القرن 13هـ/19م	سيدي عيش، بجاية	بن سحنون
القرن 13هـ/19م	بوسعادة، مسيلة	الهامل
القرن 10هـ/16م	أقبو، بجاية	بوداود
القرن 13هـ/19م	أقبو، بجاية	بن علي الشريف شلاطة
القرن 12هـ/18م	طولقة، بسكرة	علي بن عمر
القرن 13هـ/19م	مخادمة، بسكرة	عبد الرحمان الأخضرى
القرن 12هـ/18م	سيدي خالد، بسكرة	سيدي خالد
القرن 12هـ/18م	مدينة قسنطينة	حنصالة
القرن 12هـ/18م	مدينة قسنطينة	سيدي عبد المؤمن

- زوايا الغرب الجزائري:

تاريخ التأسيس	مقرها وموقعها	الزاوية
القرن 13هـ/19م	مدينة سيدي بلعباس	العلوية حاج الجيلالي
القرن 13هـ/19م	مدينة سيدي بلعباس	المحمدية التجانية
القرن 13هـ/19م	رأس المال، سيدي بلعباس	سيدي التاج
القرن 13هـ/19م	اولاد سيدي ابراهيم، سعيدة	سيدي البودالي
القرن 13هـ/19م	مدينة معسكر	سيدي ابن عبد الله

- زوايا الجنوب الجزائري¹:

تاريخ التأسيس	مقرها وموقعها	الزاوية
القرن 11هـ/17م	بني عباس، بشار	سيدي احمد بن موسى
القرن 10هـ/16م	متليلي، غرداية	أولاد عمر موسى
القرن 11هـ/17م	توات، أدرار	زاحلو
القرن 11هـ/17م	توات، أدرار	امراقن
القرن 11هـ/17م	تمنطيط، أدرار	سيدي عبد القادر
القرن 11هـ/17م	توات، أدرار	الشيخ
القرن 11هـ/17م	توات، أدرار	كننة
القرن 11هـ/17م	توات، أدرار	رقان
القرن 11هـ/17م	توات، أدرار	تتيلات
القرن 12هـ/18م	توات، أدرار	البكرية

¹ جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار، في ملتقى أيام 14 - 15 - 16 ماي 1998، بالمركز الثقافي في مدينة أدرار.

القرن 12هـ/18م	تيديكات	مولاي هيبية
القرن 12هـ/18م	تيديكات	بونعامة
القرن 13هـ/19م	وادي سوف	سيدي سالم
القرن 13هـ/19م	أقبو، بجاية	بن علي الشريف شلاطة
القرن 12هـ/18م	طولقة، بسكرة	علي بن عمر
القرن 13هـ/19م	مخادمة، بسكرة	عبد الرحمان الأخضرى
القرن 12هـ/18م	سيدي خالد، بسكرة	سيدي خالد
القرن 12هـ/18م	مدينة قسنطينة	حنصالة
القرن 12هـ/18م	مدينة قسنطينة	سيدي عبد المؤمن

الفصل الرابع

دراسة معمارية

أولاً. النظام التخطيطي للزوايا.

1. النظام التخطيطي للزوايا العثمانية.
2. مخططات زوايا الجزائر خلال العهد العثماني.

ثانياً. الوحدات والعناصر المعمارية.

أولاً. النظام التخطيطي للزوايا:

1. النظام التخطيطي للزوايا العثمانية:

ظهرت إلى الوجود عدد من الإمارات الجديدة على أثر سقوط دولة السلاجقة وتفسخها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ومن هذه الإمارات إمارة العثمانيين التي أخذت تتوسع إلى أن وصلت إلى فتح القسطنطينية عام 1453م وهي الفترة ذاتها التي شهدت بدايات وجود الصوفيين في أنطاليا وبناء أولى التكايا (الزوايا) هناك¹.

■ زوايا أنطاليا² :

كانت هذه المباني في بدايتها تشمل على قاعة الصلاة وباحة داخل التكية وغرف لاستضافة المسافرين وسقيفة، وقد كانت مركزاً لجميع النشاطات الاجتماعية طوال أيام السنة ماعدا فصل الشتاء القارس.

وقد كانت مباني مجموعة الدراويش التي استقرت في آسيا تدعى " الزباط "، أما من استقروا في أنطاليا في بادئ الأمر فقد اكتفوا بتكايا خشبية بسيطة تدعى الخانكات، يرأسها زعيم ديني كان يسمى عند البكداشية الداذا، في حين طور العثمانيون أبنية التكايا أو الزوايا التي بدأتها أخويات الدراويش الأوائل مع بعض الاختلافات والتنويعات الجديدة، وخير مثال على ذلك مجمع بايزيد باشا المعماري في عام (1414 - 1419م) في أماسيا. (مخطط4)

¹ رايمون ليفشر، تكايا الدراويش، ط،1، ترجمة: عبلة عودة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011، ص84.

² أنطاليا: هي مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في جنوب غرب تركيا، أسست في القرن الثاني قبل الميلاد في عهد الملك " أنطالوس الثاني " ملك بيركانة لتكون مرفأً تجارياً له، وفي سنة 1392م أصبحت ضمن سيطرة الدولة العثمانية. لمزيد من المعلومات، أنظر: أمتة أبو حجر، موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص261.

يظهر الشكل المعماري المطور للزاويا بوضوح في هذا المجمع، كبناء المسجد والغرف الجانبية (والتي تضم رفات أحد الشيوخ)، وكذلك الرواق الجانبي إلى جانب الرواق الرئيسي. سيتكرر هذا التصميم في جميع أنحاء الدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية¹.

وتعتبر زاوية مراد الأول التي بناها في إفريك إكراما لذكرى والدته نلفار سلطان عام 1388م، وهي عبارة عن بناء فسيح يتكون من قاعة كبيرة تعلوها في المنتصف قبة ويحيط بالقاعة من الجوانب الأربعة عدة غرف مقببة، وفي مدخل الزاوية نجد رواقا واسعا، يؤدي في أحد جوانبه إلى قاعة الصلاة أعلى بقليل من مستوى أرضية الزاوية². (المخطط 5)

وأن معظم التكايا العثمانية كانت متواضعة ومتقشفة، إذ لم يكن الدراويش يملكون الكثير من أمتعة الطرف الدنيوي، وهكذا كانت عمارة التكية عادة تتمركز حول مدفن الشيخ، الذي يمثل نواة التكية، ويحيطه عدد من الغرف الضيقة التي لا تصلح إلا للنوم وكذلك وجود مصلى أو مسجد للدراويش، وكانت مواقع هذه التكايا مميزة، إذ بني الكثير منها فوق التلال أو الهضاب المطلّة.

هناك ثلاث تكايا استثنائية في أنطاليا، وهي تكية باتال غازي قرب بسكشار، وتكية البكداشية في كرشار، وتكية المولوية في قونيا.

- يعكس المبنى في باتال غازي تزواج المعتقدات قبل الإسلام وبعده، إذ نجد الشجرة المقدسة وأضرحة الأبطال، كضريح باتال غازال الذي يظهر شاهده طويلا ورفيعا، وهو خير مثال على شواهد القبور السلجوقية، وقد كان يلتف حوله الدراويش البدائيون للرقص والغناء، قبل أن تضمه الطريقة البكداشية بأمر من العلماء³.

¹ رايمون ليفشر، المرجع السابق، ص92.

² نفسه، ص87.

³ نفسه، ص93.

وفي هذا الموقع المميّز بنى الدراويش في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي تكيتهم الضخمة بقاعاتها الحجرية وفنائها الواسع، الذي ظل ساحة تجمعهم مع محبيهم حتى تاريخ إقفال جميع التكايا في تركيا عام 1925م.

في هذه التكية كان يسكنها زهاء أربعين درويشا، بالإضافة إلى الحجاج وفقراء المدينة، وكان هؤلاء يحتاجون لوجبات يومية تطهى في مطابخ التكية التي كانت تحصل على مخزونها من الأرز والقمح والخضراوات واللحوم من الأراضي التابعة للطريقة وكذلك كان الحجاج القادمون إليها يحضرون بعض الهدايا من الخراف والخيول والماعز وغيرها، ممّا ساعد في سد حاجات التكية وقاطنيها.

- بنيت التكية البكداشية في كرشار، وهي المركز الرئيسي للبكداشية، على أرض منبسطة، وكانت عبارة عن مجمع متوسط الحجم يحوي غرfa محدودة وفناء متوسط الإتساع، ومطبخ ومخزن، ومقبرة تضم مدافن الأولياء والشيوخ السابقين، ومسجد كبير بني على أنقاض كنيسة بيزنطية¹.

- تكية المولوية في قونيا، اشتهر دراويشها برقصهم الدائري الذي أصبح يعرف كطقوس خاصة بهم، وكانت تكاياهم تحوي قاعات خاصة لهذا الغرض تسمى " السمعخانة " يمارسون فيها الذكر والرقص الدائري، ظهرت في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وهو العصر الذهبي للمولوية، إذ كان يدعمها ويحميها السلطان العثماني سليم الأول (1512 - 1520م)، تمتاز هذه التكية بالرحابة وتحيط جميعها بضريح مؤسس الطريقة، تعلوه قبة مخروطية ، وتضم غرف ومسجد.

وتمثل تكية كوشاك أفندي في يديكول، وتكية المولوية في بيرا، حيث بنيتا في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، آخر التكايا الضخمة في الدولة العثمانية وتضم الأولى غرfa مختلفة كغرفة السمعخانة وهي متصلة برواق، وغرفة مخفية خلف المحراب،

¹ رايمون ليفشر، المرجع السابق ، ص 94.

أمّا مدخل التكية الحجري فيفضي إلى الساحة الرئيسية المزدانة بالعديد من النوافير والزخارف التي كانت سائدة في ذلك العصر، بينما تضم التكية الثانية عدد من الغرف ومسجد وصحن¹.

▪ زوايا اسطنبول:

لقد ترك الإسلام بصماته في فن العمارة في اسطنبول العثمانية، ومن أوضح المعالم التي تظهر فيها هذه البصمات، المساجد والمدارس والزوايا كما تسمى في المشرق الإسلامي بالتكيا وفي تركيا بتكيا الدراويش، فقد مثلت المساجد شريعة الله على الأرض أمّا المدارس فهي ساحة علماء الدين ينفذون تعاليم الدولة الإسلامية من خلال التدريس فيها وهكذا أسست الدولة الإطار الذي يجمع بين الدين والسياسة بالتعاون بين المساجد والمدارس، في حين مثلت التكيا وجود الطرق الصوفية والدراويش أو المريدين الذين يتبعون هذه الطريقة².

كانت التكيا في الأول مباني متواضعة بنيت بجهود متضافرة لأفراد عاديين وبمساعدة بعض الممولين الأرستقراطيين، حيث كانت تحتوي على مدخل مزخرف، ومسجد صغير وقاعة لضريح الولي. (المخطط6)

ونظرا للدور الكبير الذي لعبه الدراويش في فرض السلطة العثمانية على اسطنبول قام السلاطين في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي بمكافأتهم بإهدائهم عددا من الكنائس والصوامع ليحولوها إلى تكيا، مثل كنيسة القديس سيغوار أكاتالبنتوس التي حولت إلى تكية قلندرية وكنيسة بنتوكراتور التي تحولت إلى تكية أك شمس الدين.

لقد تم تعديل هذه المباني لتناسب حياة الدراويش وطقوسهم بعدة طرق منها: تعديل جميع الزخارف والرّسوم المسيحية أو طمسها، إضافة المآذن والمحاريب ونوافير الماء المخصصة

¹ رايمون ليفشر، المرجع السابق، ص96،97.

² نفسه، ص103.

للموضوع من أجل إقامة الصلاة في هذه المباني، وأضيفت كذلك قاعات أخرى للإقامة الشيوخ ومريديهم من الدراويش وغيرهم¹.

وكانت بعض هذه التكايا عبارة عن منزل بسيط والبعض الآخر كان قصورا فخمة ومن الأمثلة البارزة في هذا السياق تكية حسيريزاد في سولتوج، وهي قرية على ضفاف الخليج الذهبي، وهي بالأساس قصرا فخما تعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي.

كان أصحاب الطريقة يمارسون طقوسهم ونشاطاتهم الدينية في مركز التكية الذي يضم الفناء العام المفتوح لأداء الصلاة، وغرف للموردين والدراويش، وهناك أيضا السمخانة وهي التسمية التي أطلقها المولويون على قاعة مخصصة لممارسة طقوس الموسيقى، بالإضافة للتوحيد خانة وهي القاعة المخصصة لممارسة طقوس الذكر، وتوجد بعض مساحات مفتوحة في الهواء الطلق استعملت للصلاة الجماعية، وينتصب فيها محراب ومنبر يشير إلى اتجاه الكعبة².

ويوجد نوع آخر من التكايا كان سائدا في اسطنبول، ولكنه اندثر الآن، وهو بناء خشبي صغير، تتوسطه ساحة مفتوحة، تحيطها أربع قاعات تسمى كل منها بالإيوان، تستعمل للتدريس، وأنّ هذا النوع من البناء كان شائعا جدا في آسيا الصغرى، بل لعله يمثل النموذج الأولي لأسلوب بناء المساجد في بورصا إذ تغطي الساحة المفتوحة بالقباب المعقودة.

وقد أمر محمد الرابع (1648 - 1687م) وزيره شلبي بإحصاء مباني اسطنبول، أظهر هذا الإحصاء 557 تكية و 74 مسجدا سلطانيا و 1985 مسجدا وزاريا و 6990 مسجدا تابعا للمدينة و 6665 مكانا للصلاة كبيرا كان أو صغيرا³.

¹ رايمون ليفشر، المرجع السابق ، 105.

² نفسه، ص116.

³ نفسه، ص118.

▪ زوايا مصر وسوريا خلال العهد العثماني:

في عامي 1516 و 1517 م غزا السلطان سليم الأول سوريا ومصر، وفي الأيام من حكم الدولة العثمانية قام نظام الدراويش جنبا إلى جنب مع نظام الخدمة في الجيش، والإنكشارية كانوا يجمعون الرعايا المسيحيين وكان بينهم وبين البكداشية ارتباط.

وبظهور تلك الفرق الجديدة ظهر نوع جديد من المباني يعرف بالتكية أو الزوايا وهو مسجد محاط بغرف الدراويش وهذا النظام الجديد يشبه إلى حد كبير الخانقاه التي ظهرت في العصر المملوكي¹.

▪ زوايا مصر خلال العهد العثماني:

تحتفظ مصر بعدد كبير من الزوايا التي ترجع إلى العهد العثماني، وترتكز غالبيتها في القاهرة، شيد بعضها خلال المرحلة الأولى والثانية وفق الطراز العثماني الوافد والطراز المملوكي المحلي سواء من حيث التخطيط المعماري أو من حيث بعض العناصر المعمارية والزخرفية كزاوية رضوان بك وزاوية محمد ضرغام وزاوية الشيخ سعود وزاوية حسن الرّومي.

▪ **زاوية رضوان بك:** بنيت بالقربية سنة 1037هـ/1627م، هي عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت بواسطة بائة واحدة إلى رواقين موازيين لجدار القبلة، كما تحتوي على غرف، وأروقة ممرية. (المخطط7)

▪ **زاوية الشيخ سعود بسوق السلاح:** بنيت سنة 935هـ/1528م ، يتكون هذا النوع من التخطيط من مساحة مربعة تعلوها قبة بمقرنصات، هذا النوع من التخطيط نجده خلال العصر المملوكي. (المخطط8)

▪ **زاوية محمد ضرغام:** شيدت في أوائل القرن 10هـ/16م، يتكون تخطيطها من صحن أوسط يحيط بها إيوانان رئيسيان هما إيوان القبلة والإيوان الشمالي الغربي المقابل له، وبعض الملحقات كالمقابر والغرف. (مخطط9)

¹ كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ص52،53.

▪ زاوية حسن الرومي (أسفل القلعة): بنيت سنة 929هـ/1523م، فهي عبارة عن مساحة مستطيلة، قسمت بواسطة بائكة واحدة إلى رواقين موازيين لجدار القبلة، وتتكون هذه البائكة من ثلاثة عقود نصف دائرية أوسطها أوسعها، وترتكز هذه العقود على عمودين مستديرين، ويسقف كل رواق من رواقى الزاوية قبة ضخلة في الوسط يحيط بها من الجانبين قباوين طولين نصف أسطوانيين، وقد استطاع المعمار أن يقيم هاتين القبتين عن طريق بناء عقود عمودية على جدار القبلة وأخرى موازية لها وتحصر هذه العقود فيما بينها منطقة انتقال هاتين القبتين وهي عبارة عن أربعة مثلثات كروية بواقع مثلث في كل ركن من الأركان الأربعة، إلى جانب المصلى والضريح¹. (مخطط 10).

ويذكر بعض الأثريين والمهندسين أنّ تخطيط هذه الزاوية يعد أحد أنماط المعمارية الجديدة التي أدخلها العثمانيون في العمائر المصرية، وقد أطلق على هذا التخطيط اسم النمط الأناطولي.

▪ زاوية الأمير عبد الرحمن كتخدا بالخيامية: تقع في شارع المغرلين بجوار جامع جانبك، بنيت سنة (1168 - 1175هـ/1754 - 1761م)، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة، يتوسط صدرها المحراب، وتوجد على يمينه خزانة حائطية، ويسقف هذه الزاوية سقف خشبي مزدان بزخارف ملونة ومذهبة إلا أنّها في حالة سيئة للغاية. وهذه الزاوية من نوع الزوايا المعلقة وواجهاتها من أجمل واجهات العمائر الدينية بصفة عامة والزوايا الباقية بصفة خاصة².

¹ محمد حمزة إسماعيل الحداد، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر، من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي (926 - 1265 هـ/1517-1848م)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2005، ص121.

² محمد حمزة إسماعيل الحداد، المرجع السابق، 125.

▪ زوايا سوريا خلال العهد العثماني:

- تكية دمشق السلمانية:

شيّدت هذه المنشأة العثمانية على أنقاض قصر الأبلق، قصر الظاهر بيبرس، في عهد السلطان سليمان القانوني، وتتألف من صحن تتوزع حوله مجموعة من المباني تكاد تكون مستقلة عن بعضها، يضمها جميعا سور مستطيل، يخترقه باب في الجهة الغربية وآخر في الجهة الشرقية يصل التكية بالسوق والمدرسة، أما الحدائق فنجدها تشغل الفراغ الحاصل بين السور والمباني¹.

ويحتل المسجد الجناح القبلي ويتألف من قاعة مربعة الشكل، مسقوفة بقبة مركزية عالية من نوع القباب العثمانية، لها رقبة كثيرة النوافذ، زوايا الانتقال بين قوس القبة مشغولة بالمثلثات كروية.

كما تحتوي هذه الزاوية على مجموعة من الملحقات تتمثل في الغرف الخاصة بالمريدين، وبيت الوكيل، عددها ستة مربعة الشكل يتقدمها رواق يفصل بينها وبين الصحن، والكل مسقوف بالقباب². (المخطط 11)

وتتمثل خصائص عمارة الزوايا في تركيا وفي البلاد العربية عموماً، فيما يلي:

▪ اتخذ التخطيط عدة أنماط، منها:

- التخطيط ذو الأروقة دون الصحن، فهي عبارة عن مساحة مستطيلة، قسمت بواسطة بائكة واحدة إلى رواقين متوازيين لجدار القبلة، وتتكون هذه البائكة من ثلاثة عقود نصف دائرية، وترتكز هذه العقود على عمودين مستديرين، وعلى دعامتين بارزتين وسقف كل رواق من رواق الزاوية بقبة ضخمة في الوسط.

¹ رايمون ليفشر، المرجع السابق، ص 116.

² عبد القادر الريحاني، العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها في سورية، ط 2، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع،

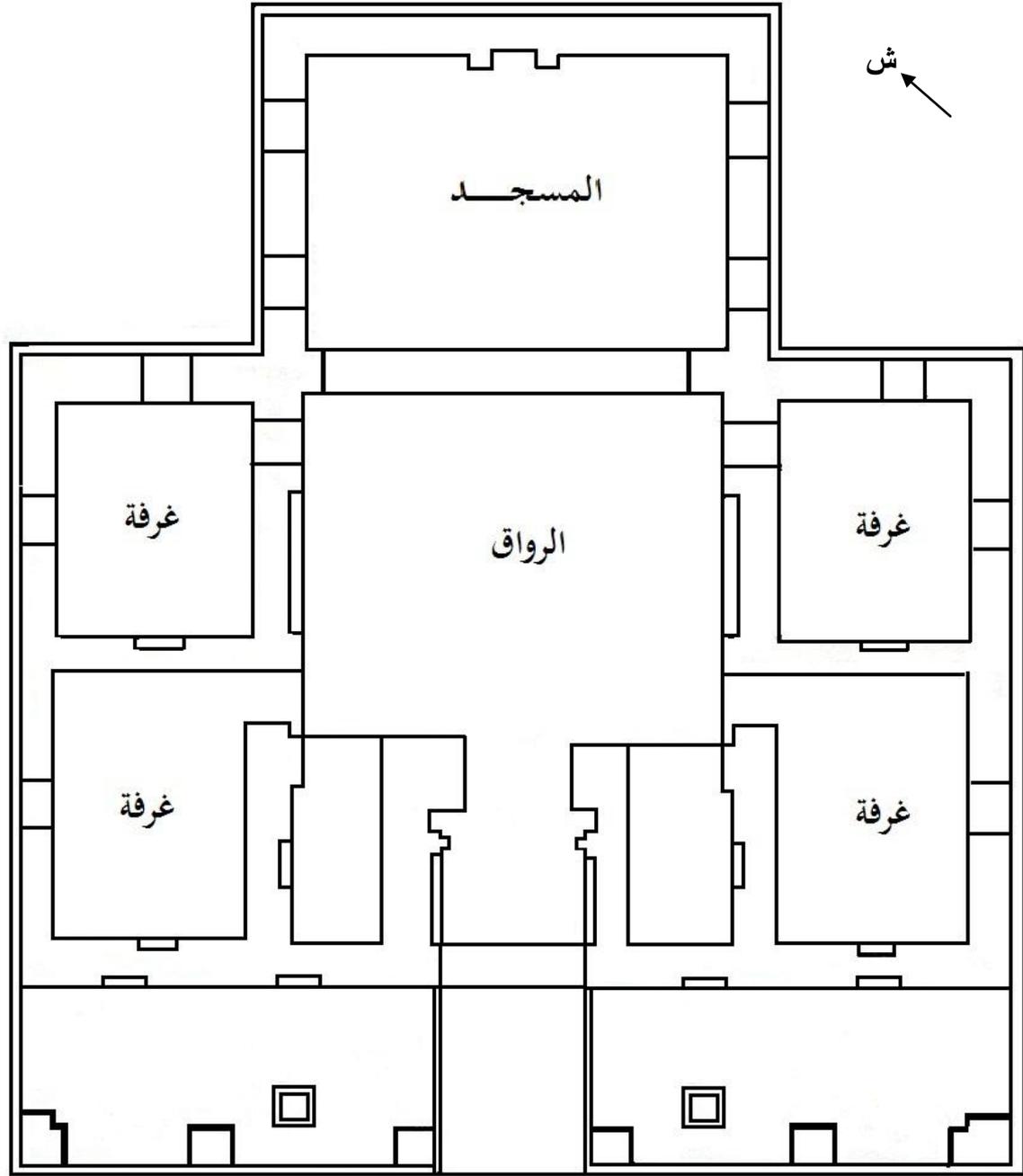
1988، ص 176 ، 177.

- التخطيط ذو الإيوانات حول الصحن، وهو صحن رئيسي يحيط به إيوانان رئيسيان هما إيوان القبلة وإيوان الشمالي الغربي المقابل له.
- التخطيط على شكل مربع تعلوه قبة (زاوية القبة)، يتكون هذا النوع من التخطيط من مساحة مربعة تعلوها قبة مزدانة بالمقرنصات¹.
- كما اتخذت الزاوية كمجمع أو مركب بمكوناتها ووحداتها الأساسية كالمسجد (قاعة الصلاة) والضريح (قاعة الضريح) والغرف بمختلف أنواعها وأشكالها والمطبخ والمدفن والمقبرة.
- تتميز القباب بالحجمين الكبير والصغير في المبنى الواحد، وكان الانتقال من المربع إلى الدائرة عن طريق المثلثات الكروية².
- المآذن نجدها رشيقة وممشوقة الطول، تتخذ أشكالاً مختلفة ومتنوعة، منها الأسطوانية أو المضلعة، وفي بعض الأحيان المبنى خال من المئذنة.
- التغطية بالبلاطات الخزفية (القاشاني) في قاعات الضريح، وأجزاء من المآذن والجدران والمحاريب بأشكال وألوان مختلفة.

¹ محمد حمزة إسماعيل الحداد، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، ط2، دار القاهرة، القاهرة، 2004،

ص301 – 305.

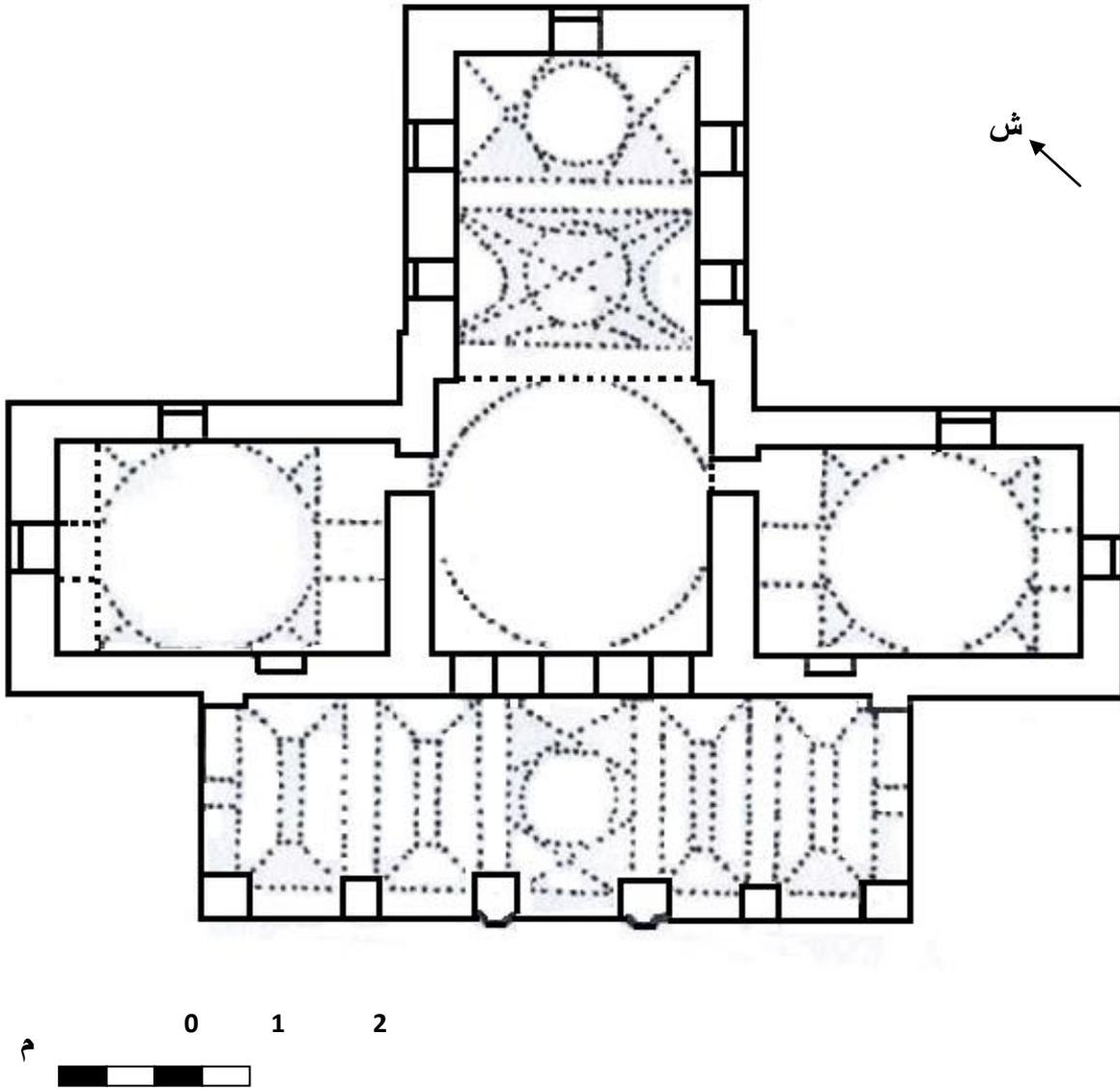
² نفسه، 306..



0 1 2 م

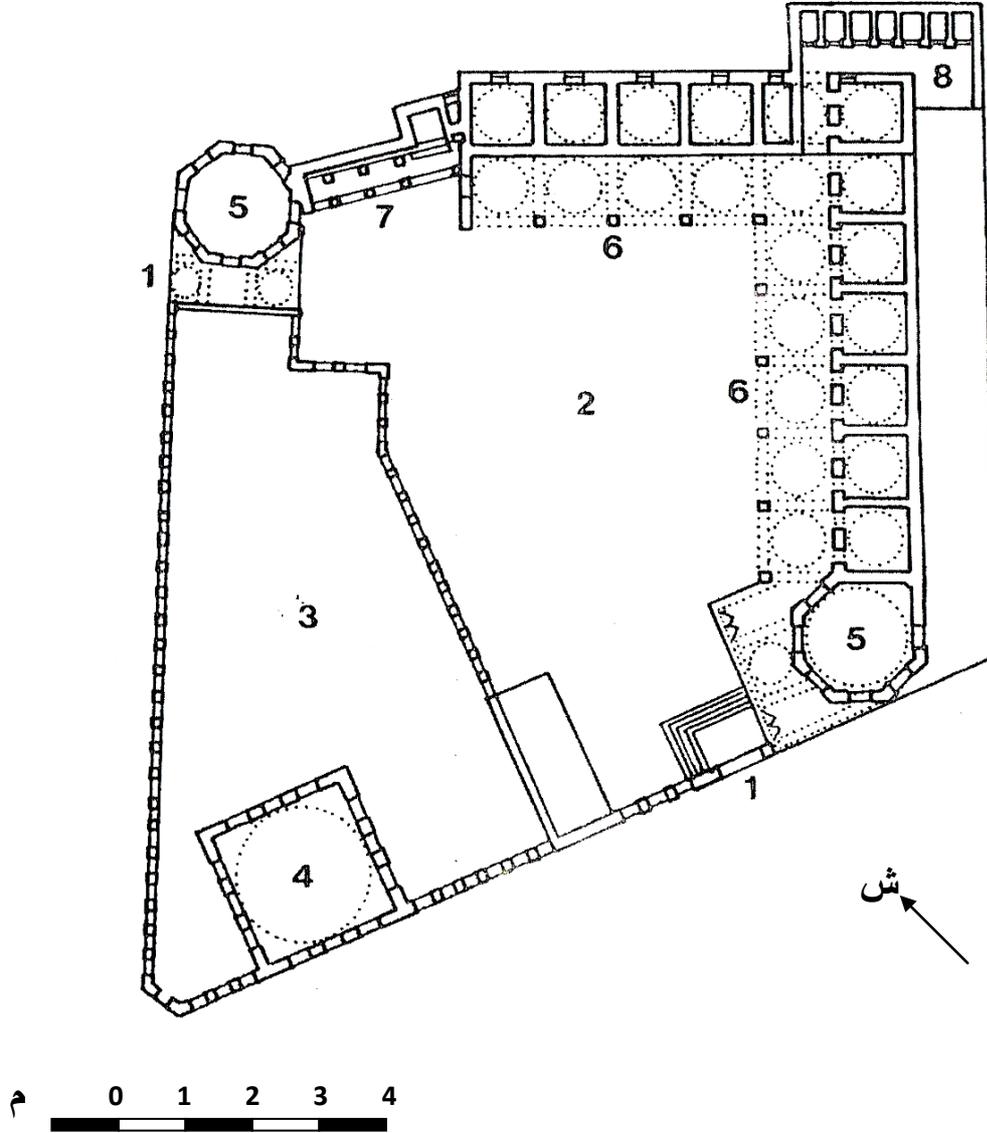
مخطط 4/زاوية بايزيد - أنطاليا (تركيا)

عن: رايمون ليفشير - بتصرف



مخطط 5/ زاوية مراد الأول - أنطاليا (تركيا)

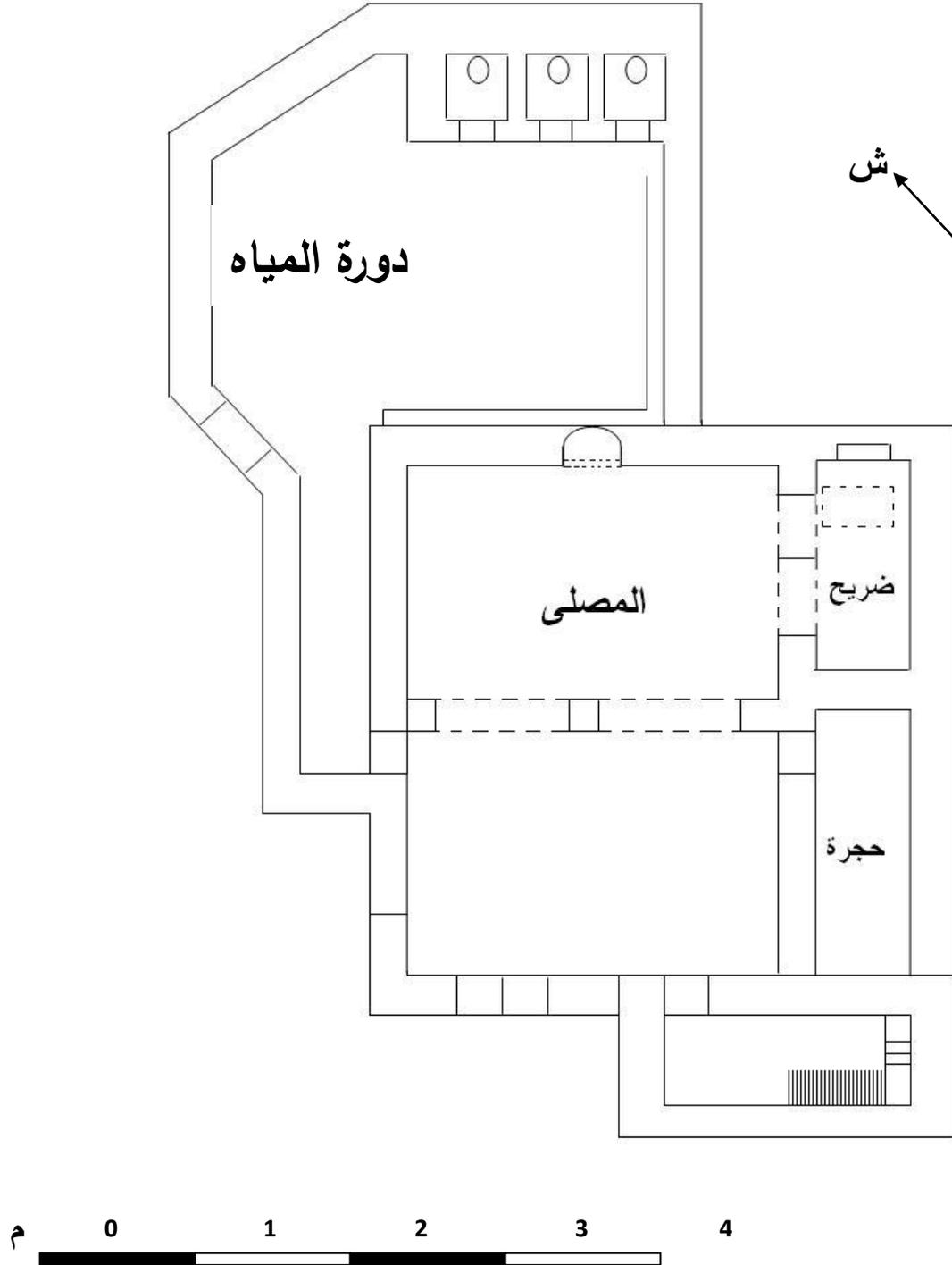
عن: رايون ليفشير - بتصرف



- | | |
|-------------------------|---------------------------------------|
| 1. مدخل من الشارع العام | 5. مكتبات |
| 2. فناء | 6. قناطر تؤدي إلى جناح الطلاب والمطبخ |
| 3. مقبرة | 7. حوض الوضوء |
| 4. مسجد | 8. دورات مياه |

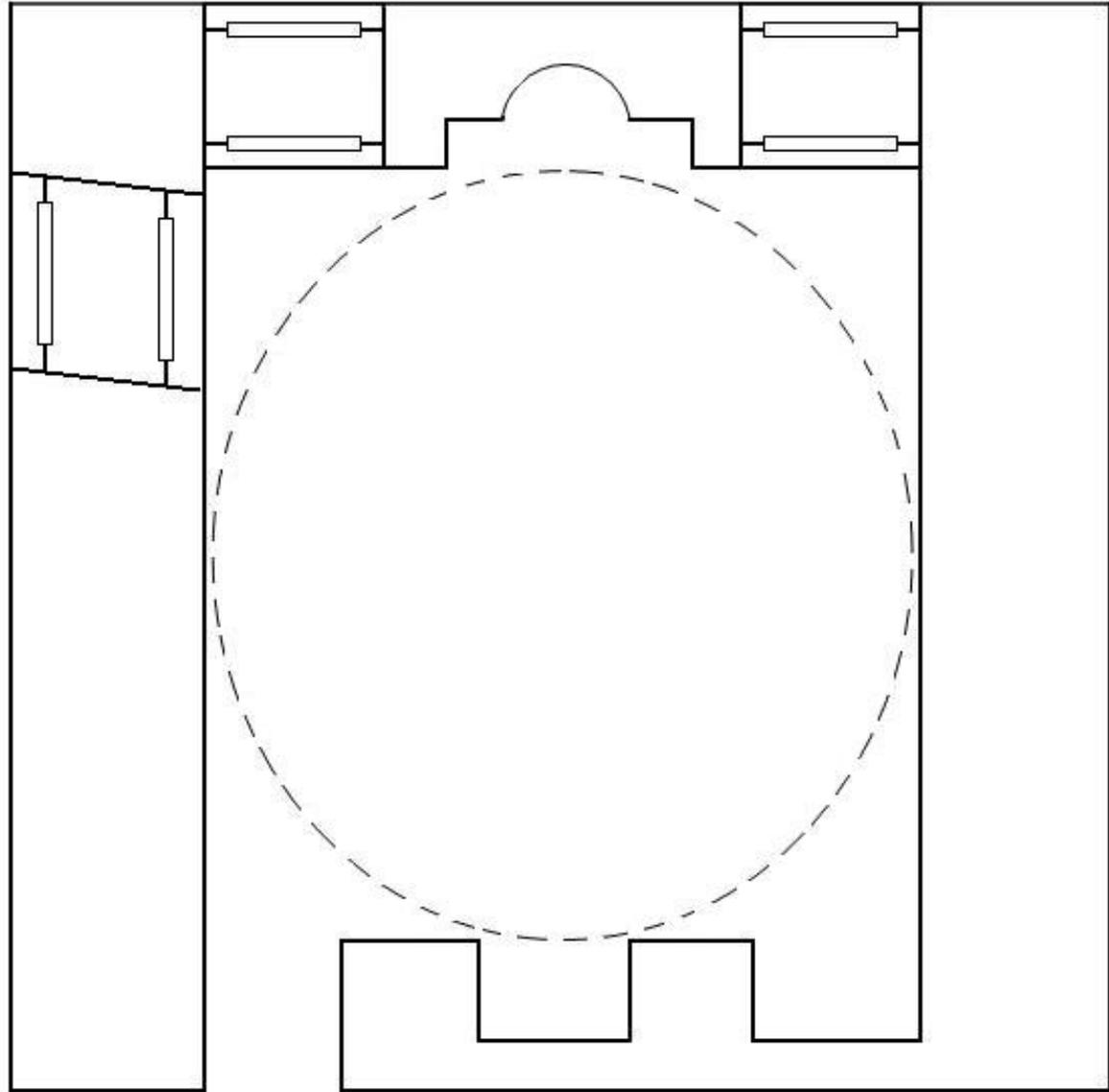
مخطط 6/ تكية الأحمدية - يسكيدار (إستانبول)

عن: رايمون ليفشير - بتصريف



مخطط 7/ زاوية رضوان بك - القاهرة

عن: محمد حمزة إسماعيل - بتصريف

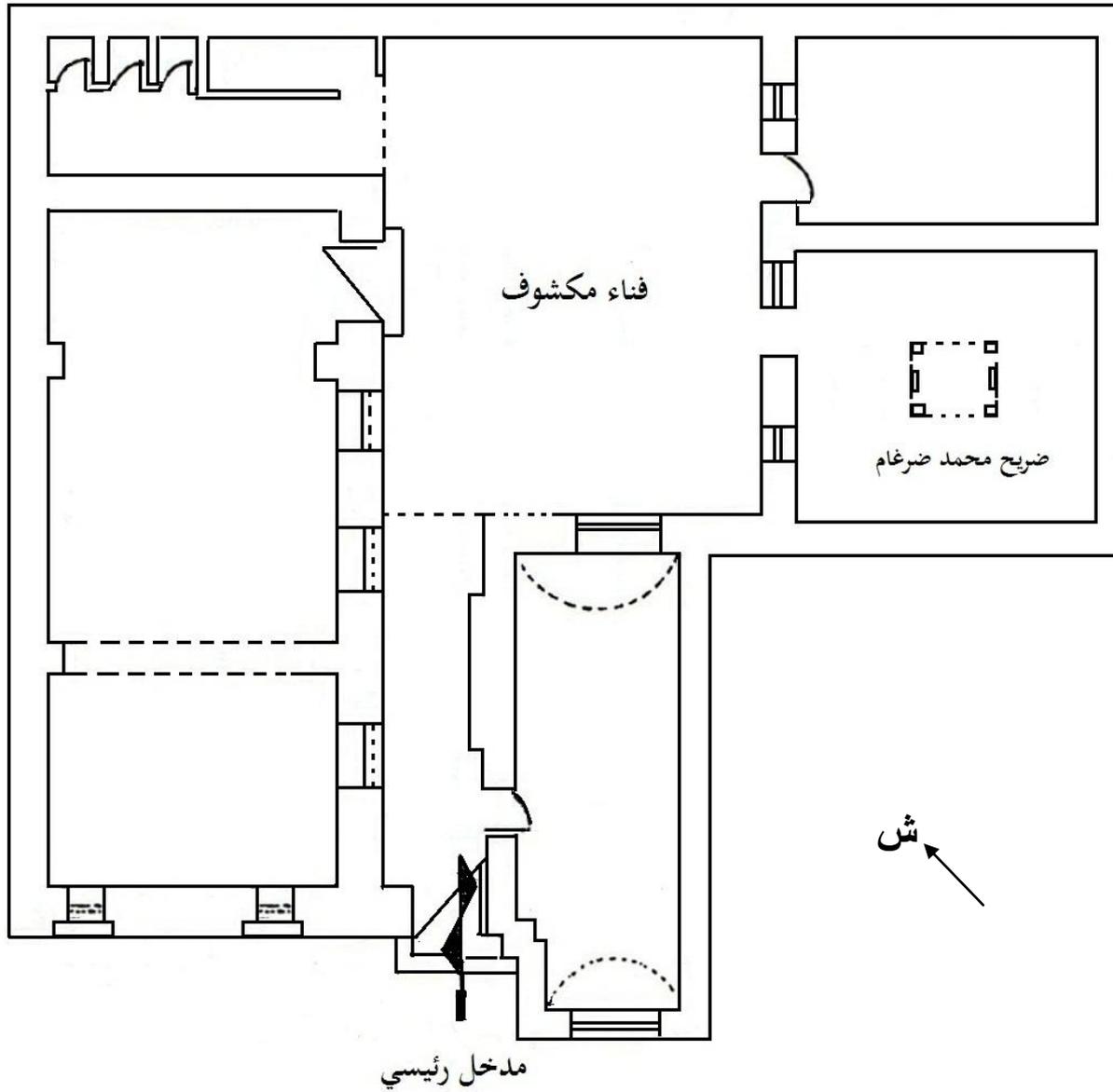


م 0 1 2 3 4

ش

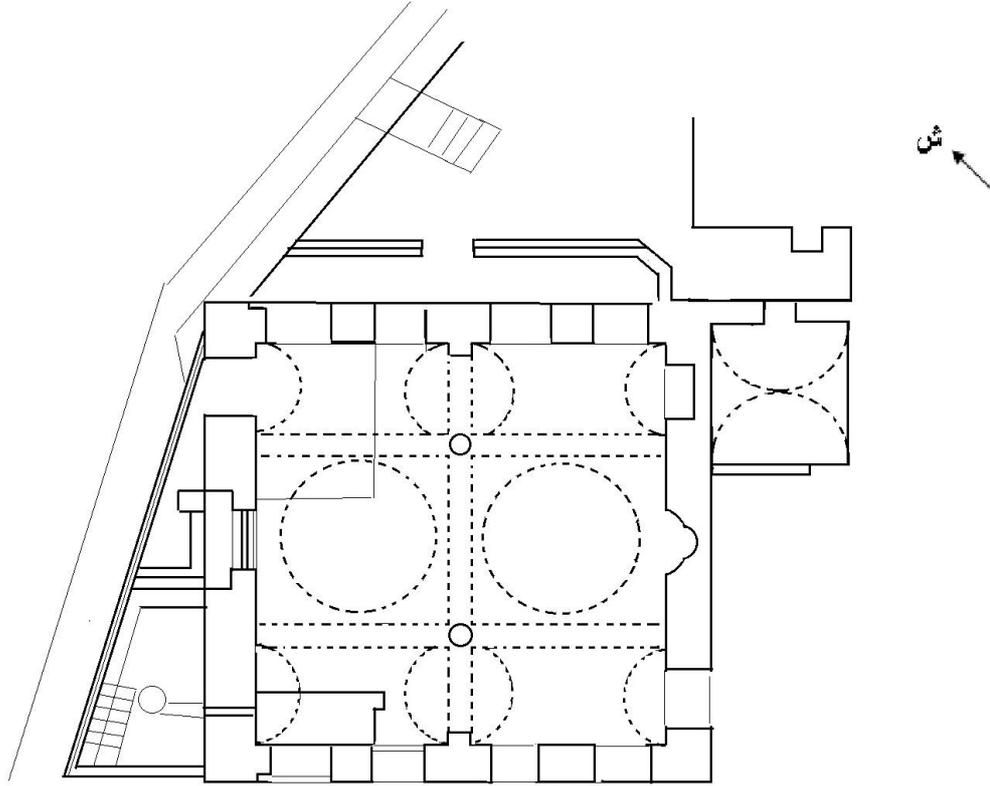
مخطط 8/ زاوية الشيخ سعود - القاهرة

عن: محمد حمزة اسماعيل - بتصريف



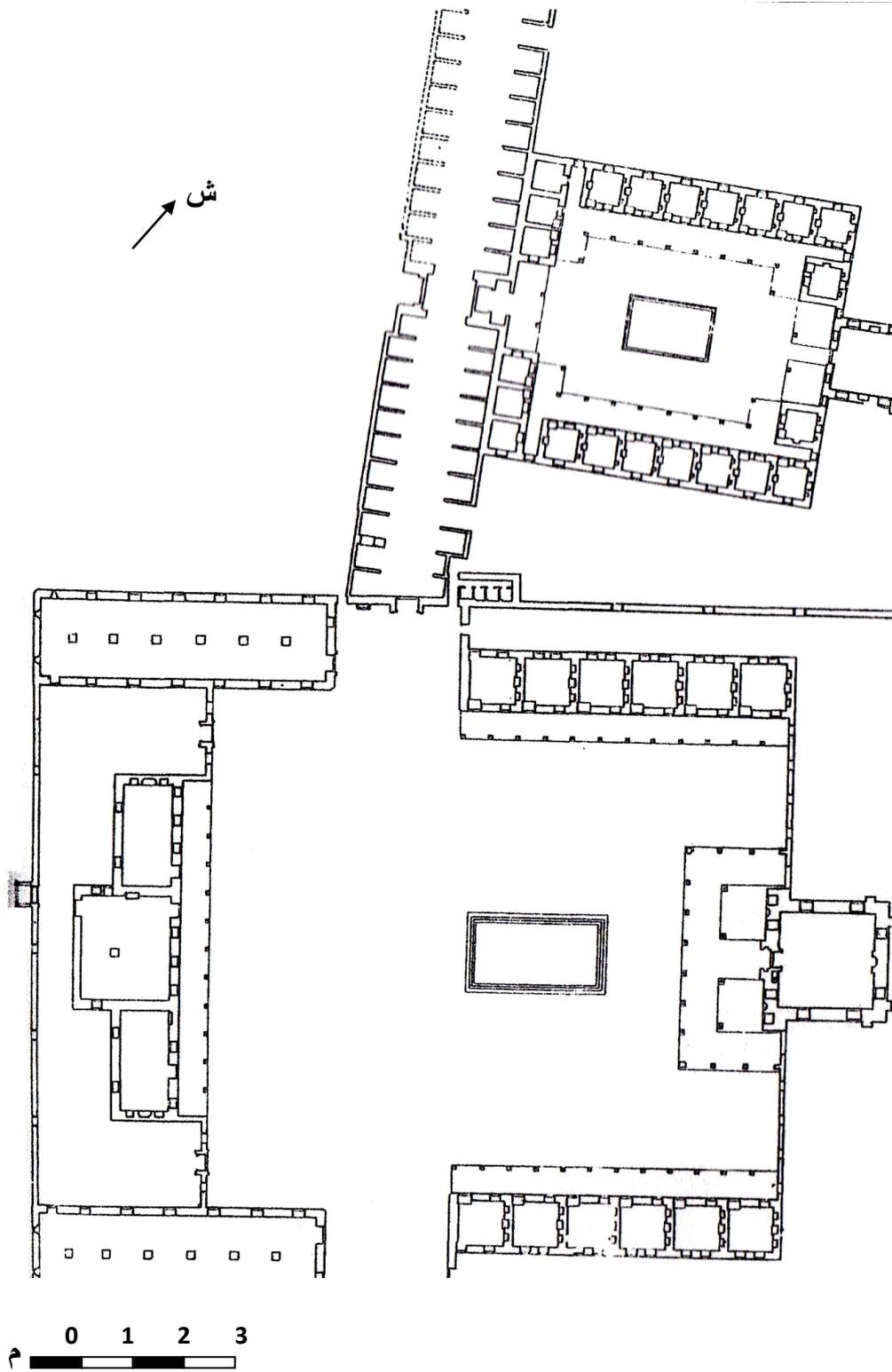
مخطط 9/ زاوية محمد درغام - القاهرة

عن: محمد حمزة إسماعيل - بتصريف



مخطط 10/ زاوية حسن الرّومي - المحجر (القاهرة)

عن: هيئة الآثار - بتصريف



مخطط 11/ التكية السليمانية - دمشق

عن: الريحاني - بتصريف

2. مخططات زوايا الجزائر خلال العهد العثماني:

كانت الفتوحات العثمانية للأقطار العربية خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، نقطة تحول ترتبت عليها نتائج بعيدة المدى سواء في تاريخ الدولة العثمانية نفسها من جهة أو في تاريخ تلك الأقطار من جهة ثانية. وقد توفر على دراسة هذه النتائج وإبرازها عدد كبير من العلماء والباحثين العرب والأتراك والأجانب على السواء وقدموا لنا في هذا المجال أعمالا لها قيمتها وأصالتها العلمية. لقد ساهمت عوامل عديدة في احتفاظ كل قطر من الأقطار العربية بطرازه المحلي الموروث واستمراره خلال العصر العثماني، إلا أنّ ذلك لم يحل دون تسرب الطراز العثماني إلى تلك الأقطار من جهة وتبادل التأثيرات المعمارية والفنية بينه وبين الطرز المحلية من جهة ثانية¹.

ويرى الأستاذ جورج مارسيه أنّ العمارة في الجزائر خلال العهد العثماني كانت عبارة عن مزيج بين الطراز المحلي التقليدي المغربي والطرز الوافد الذي جلب من تركيا، حيث أنّ الزوايا تتميز بالتخطيط المحلي الذي كان شائعا من قبل، يضاف إليها تخطيط الزوايا العثمانية والتي يتجلى في بعض العناصر المكونة للزاوية كقاعة الصلاة (المسجد) وقاعة الضريح والتي تتميز بالقبة الكبيرة، وعنصر المئذنة في شكلها المضلع (ثمانى الأضلاع) وهو الطراز التي تبنته تركيا².

وتأخذ الزوايا في الجزائر أشكالا مختلفة ترتبط بالموقع الجغرافي والمناخ والعادات والتقاليد الدينية والمعمارية لهذه المناطق، وقد يتبادر إلى الأذهان أنّ الزاوية هي مجرد مسجد يتصل به ضريح الولي الصالح، بالإضافة إلى مدرسة لتدريس القرآن الكريم وعلوم الدين، لكن

¹ محمد حمزة إسماعيل الحداد، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، ...، ص75.

² Marçais (G.), L'art en Algérie, imprimerie Algérienne, Alger, 1906, p.132.

الباحث في هذا المجال يجد أنّ أشكال الزوايا تختلف حتى أنّ البعض منها يكون على شكل قرى كالزاوية التيجانية بقمار وتماسين.

يمكن تقسيم مخططات الزوايا في الجزائر إلى منطقتين، كما ذكرت من قبل حسب الموقع الجغرافي والمناخ والعادات والتقاليد الدينية والمعمارية:

1. مخططات الزوايا في الجزائر الموجودة في المناطق الشمالية والقريبة من السلطة العثمانية، تتمثل في زوايا مدينة الجزائر الثلاثة (زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد شريف، وزاوية سيدي محمد)، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، وزاوية باش تارزي بقسنطينة، وذلك لاعتبارات التالية:

■ توجد بصمة عثمانية مباشرة للمنظومة المعمارية والفنية من خلال رغبة الحكام العثمانيين الذي سيحمل اسمهم بمثابة شهادة تشيد بذكراهم على مدى تعاقب الأيام واختلاف العهود وترك البصمات التي تدل عليهم في سجل الخالدين ونظائرهم في العالمين، كزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي التي مرت بعدة مراحل في البناء والتجديد، كالتجديد الأول سنة 1020هـ/1611م في عهد مصطفى باشا، أي بعد 145 سنة من وفاة صاحب المقام سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ثم وقع تجديد ثاني على يد الوكيل عبد القادر سنة 1037هـ/1627م في عهد حسين باشا، أمّا التجديد الثالث فقد كان على يد الحاج أحمد سنة 1108هـ/1696م، ثم تجديد رابع على يد الوكيل محمد بن الواضح سنة 1342هـ/1730م في عهد عدي باشا، ويبدو أنّ هذا التجديد تمثل في زيادة مساحته بعض الشيء، وهذا ما تبيّنه الكتابة التذكارية الثالثة، وأيضا زاوية سيدي أحمد بن يوسف الذي بناها الباي محمد الكبير الذي كان بايا وحاكما لبايك الغرب وأيضا زاوية سيدي محمد التي بنيت في عهد حسن باشا.

■ ويتبين أيضا أن أصحاب الكفاءات الهندسية من الذين أثابهم الله حقا موفورا من المواهب الفنية والذوق الجميل، وجدوا في عمارة الزوايا المناخ الذي يتنفس في وجود تطلعاتهم الجمالية وطموحاتهم الابداعية، فراحوا يضعون أنفسهم بتصرف الراغبين في بناء هذه الزوايا، ولم يدخروا جهدا في أن تأتي الزوايا من بين أيديهم، آية للناظرين من حيث روعة تصميمها

وجدة زخرفتها وكمال زينتها وتماز بهائها ومحاسنها، بإيعاز من الحكام والأعيان، نجد ذلك في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة وأيضا زاوية باش تارزي بقسنطينة.

- أن كل زوايا المناطق الشمالية شيّدت أثناء الوجود العثماني، منذ بدايته إلى نهايته.
- وكذلك محدودية المساحة التي بنيت فيها زوايا المناطق الشمالية لاعتبارات كثيرة ومتنوعة.

2. مخططات الزوايا في الجزائر الموجودة في المناطق الجنوبية الصحراوية البعيدة عن سلطة القرار الحكم العثماني، تتمثل في : زاويتان ببسكرة وهما:الزاوية المختارية بأولاد جلال، والزاوية العثمانية بطولقة، وزاوية عين ماضي بالأغواط، وزاوية قمار بوادي سوف، وزاوية سيدي سالم بوادي سوف وزاوية تماسين بتقوت، وزاوية بوسمغون بالببيض وذلك لاعتبارات التالية:

- لا توجد بصمة عثمانية مباشرة للمنظومة المعمارية والفنية، حيث كل الزوايا المناطق الجنوبية الصحراوية بنيت من طرف العلماء والأعيان وأهالي المنطقة، كزاوية تماسين الذي أسسها الشريف سيدي الحاج علي التماسيني، وزاوية قمار من طرف سيدي محمد الساسي القماري السوفي بأمر من صاحب الطريقة، وزاوية المختارية بأولاد جلال من طرف الشيخ المختار والزاوية العثمانية من طرف علي بن عمر، وزاوية وادي سوف من طرف الشيخ سيدي سالم.

- والبيئة الحضارية الصحراوية هي انعكاس صادق للمنظومة المعمارية، حيث ساعدت البيئة الحارة بظروفها الطبيعية والاجتماعية على خلق نمط معين متلائم معها وبالتالي أصبحت العمارة الصحراوية منها الزوايا تعبر بصدق عن الوظيفة والبيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية السائدة، ويعتبر تكامل الفراغات وتداخلها من أهم القيم التخطيطية والتصميمية

للمعمارة الصحراوية والتي تتمثل في الزوايا، هذه الأخيرة بنيت مترابطة إلى بعضها البعض، وأخذت حيزا كبيرا من المساحات كالزوايا التيجانية .

- أن كل هذه الزوايا شيدت في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجري/نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي.
- بنيت كل الزوايا في مساحات شاسعة وتم استغلالها بشكل أوسع، وذلك بالتحكم في توزيع الوحدات الرئيسية للزاوية.

1.2. مخططات الزوايا المناطق الشمالية:

- مخططات الزوايا المندثرة بمدينة الجزائر
- زاوية سيدي هلال¹: (مخطط 12، 13)

تقع زاوية سيدي هلال بحومة باب الوادي وتسمى به، وكان حيا حين قدوم الأتراك " ، أما " دوفو" فيقول أنه عاصر على الأقل دخول الأتراك مدينة الجزائر، وأن هذا الولي كان مشهورا قبيل دخول الفرنسيين لكنه فقد شهرته بعد ذلك²، ويقول عنه غونزاليس Gonzales : " ومنهم الولي المشهور سيدي هلال كان من أكابر الصالحين وقبره بحومة باب الوادي تسمى به وكان حيا حين قدوم الأتراك ولم أقف على تاريخ وفاته " ³.

وكانت تتكون الزاوية من مسجد صغير وغرفة أصغر تعلوها قبة يتمدد فيها ضريح الولي وبعض أقاربه، كما كان للزاوية والضريح وكيل يديرها ويدعى السيد عبد الرزاق بن باسط. وبقيت الزاوية تؤدي دورها كما ينبغي في السنوات الأولى من الإحتلال، لكنه بعد 01 مارس 1853 قررت السلطات الإستعمارية وضع النساء البغايا في هذا الحي، مما دفع السكان إلى

¹ زاوية سيدي هلال مازلت بنايتها قائمة، ولكن لا تؤدي وظيفتها، فهي مغلقة منذ مدة.

² Devoulx (A.), « Les édifices religieux de Lancien Alger», Alger IN. Revue Africaine, 1865, Alger, p.443.

³ Gonzales (J.), *Essai chronologique sur les musulmans célèbre de la ville d'Alger*, Alger, 1886, p.05.

هجر ذلك المكان وعدم زيارته، ولا تتوفر أية أخبار حول تاريخ بنائه¹، وقد أخذت هذه الزاوية موقعها الديني تحت رقم 32 سنة 1830 في حي سيدي هلال².

■ الوقف:

- وقفية ضريح سيدي هلال بدون تاريخ، وهو وقف دار للزاوية والضريح³.

■ زاوية القاضي:

كانت تقع في شارع باب الوادي في زنقة كوربو، وفي اعتقاد دوفو أنّ هذه الزاوية لا تتجاوز من حيث تاريخ تأسيسها سنة 1175هـ/ 1761 - 1762م بها مساكن للطلبة غرف صغيرة، والقاضي المقصود هنا هو القاضي المالكي⁴ وقد كان مصيرها هو الهدم كمصير جامع دار القاضي ومسجد الشماعين المجاورين لها، حيث أدمجت في المنازل الواقعة في زنقة كليوبترا سنة 1857م⁵.

■ زاوية القشاش:

كانت تقع في شارع القناصل، وملاصقة للجامع الذي يحمل نفس الإسم (القشاش) تأسست سنة 1069هـ/ 1659 - 1670م على يد السيد علي محمد الشريف، وكانت ضخمة تضم مجموعة من الغرف وتستعمل لإقامة العلماء والغرباء والطلبة الفقراء، وممن نزلها قبل الإحتلال بسنوات قليلة الشيخ محمد بوراس الناصر. وآخر وكيل كان مسؤولاً على الزاوية هو محمد بن الجيلاني، والمعروف أن هذه المؤسسة (الجامع والزاوية) من أقدم المؤسسات

¹ مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007 ص31.

² Devoulx (A.), Op.cit, p.443.

³ انظر ملحق رقم 01، وثائق المحاكم الشرعية، علبة رقم 132-133، وثيقة رقم 98.

⁴ Devoulx (A.), *Les édifices religieux de Lancien Alger*, Alger, S.D.p.64.

⁵ Aumerat (A.), « La propriété urbaine », IN. *Revue Africaine*, Alger, 1898, p.188 .

الدينية¹ و قبر الشيخ القشاش كان في إحدى الغرف السفلى للزاوية، وقد حملت رقم 35 من شارع القناصل في البداية، ثم كان مصيرها الهدم مع الجامع أثناء الإحتلال الفرنسي².

- الوقف:

- وقفية زاوية القشاش ببعض دور والحوانيت³.

■ زاوية الجامع الكبير:

كانت تقع على شارع باب الجزيرة مقابل الجامع الكبير المرابطي، تأسست سنة 1039هـ/1629-1630م على يد المفتي المالكي سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم، وتتكون الزاوية من مسجد صغير دون مئذنة، ومدرسة ومبنى سكني من طابقين وعدة غرف تأوي الفقراء المعوزين، وميضاة وعيون ماء⁴. وقد تحولت الزاوية سنة 1833م إلى حمام فرنسي، ثم دمر جزء منها لتوسيع الطريق، وأخذ الباقي من البناية بعد ذلك رقم 20 من شارع لامارين⁵.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.5، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص113،112.

² Devoulx (A.), Op.cit., p.85.

³ انظر ملحق رقم 02، بيت المال والبايلك، سجل رقم 16، ورقة رقم 10.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص113.

⁵ مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص53.

■ زاوية الشرفاء:

يقصد بالشرفاء¹ كل من ينتسب إلى السيدة فاطمة الزهراء وسيدنا علي رضي الله عنهما، وقد كان هناك في الجزائر عدد كبير من العائلات التي تعتبر من الشرفاء، ويشير عقد حرر سنة 1201هـ/1612-1613م أنه كانت هناك مجموعة في الجزائر لها أحباسها الخاصة وأنه كان لها نقيب يشرف على شؤونها ويمثلها كأحمد شريف الزّهار.

كانت تقع الزاوية في شارع الجنية وزنقة بروس، تأسست هذه الزاوية سنة 1121هـ/1709م من طرف أبو عبد الله محمد بن بقطاش الدولاتي، الذي كان دايا للجزائر آنذاك، وكانت لها جبانة ومسجد وأرض وأوقاف، وتضم مساكن ومطاهر².

هدّمت من طرف السلطات الاستعمارية سنة 1841م مع مقبرتها وبني مكانها مكاتب الإدارة الداخلية، وأمّا الجزء الآخر فقد دخل في نطاق توسيع الشارع العام وبناء البلدية³.

¹ مفرد شريف، جاءت من كلمة الشرف وهو الحسب بالآباء ويقال رجل شريف ورجل ما وجد له أبا متقدمون في الشرف وجمعها شرفاء وأشرف.

وقد كان الأشرف هم رؤساء القبائل ذات الشأن والجاه حيث كان بأيديهم تدبير شؤون أهل المدينة، وبعد مجيء الإسلام صار الانتساب إلى بيت النبي علامة شرف خاص. وكان الشريف بمدينة الجزائر في العهد العثماني كان من يستطيع إثبات أنّ له نسب ينتهي إلى علي وفاطمة، وهذا النسب له أهمية كبرى لدى المسلمين، وقد أصبح الأشرف من الفئات المتميزة في مدينة الجزائر حيث شاع ادعاء الشرف في هذا العهد بكثرة حتى أنك لا تجد عالما أو صالحا قد اشتهر أمره بين الناس إلاّ واسمه مقرون بعبارة الشريف الحسني، وبعضهم كان يدعي أنه من شرفاء مكناس، أو فاس، أو من شرفاء الساقية الحمراء. وانظر أيضا: ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 56 - 58.

Devoulx (A.), Op.cit., p.164.

2

Aumerat (A.), Op.cit, p.189.

3

■ زاوية سيدي الجودي: (مخطط 14)

يتكون المبنى من ضريح الولي المسمّى به ومقبرة عامة ومسجد صغير، وأقدم وثيقة تذكر هذه الزاوية تعود إلى سنة 1081هـ / 1670 - 1671، وقد هدّمت الزاوية وبنيت مكانها دور أخذت رقمي 1 و3 من شارع طروا كولور¹.

■ زاوية سيدي والي داده: (مخطط 15).

يرجع تاريخ هذا الولي وأهميته إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي والي معركة الجزائر سنة 1541م، تلك المعركة الكبرى التي انهزم فيها الإمبراطور شارلكان². قدم الشيخ والي داده من بلدة إزمير إلى مدينة الجزائر، ونجد أنّ الزّهار لقبه في مذكراته "بالعجمي"³.

وقد تم ذكره في إحدى قصائد القرن 18 التي تغنت بانتصار الجزائريين على حملة الدانمارك، وفيما يلي الأبيات الخاصة بهذا الولي والتي وردت في المجلة الإفريقية:

ولي ده ده صيد قدها واسا للكفار معظمه

جات بنين الروم قبلها جا للبحر وقال لها اطما

هاج البحر كسر سفونهم وابقات غير ألواح عايمة⁴

¹ مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص 67.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 115.

³ أحمد شريف الزهار، مذكرات تقيب الأشرف، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 89.

⁴ Fagnan (E.), « Un chant Algérien du XVIII siècle), IN. *Revue Africaine*, 1894, Alger, p. 340.

توفي والي داده سنة 961هـ/1545م وهو التاريخ المسجل في الكتابة الموجودة في ضريحه: " ولي البرايا وقطب الخلايق فلم اتوى ارتحالا شكورا سمعنا نداء بتاريخ موته وقد سقى الله شرابا طهورا سنة 961هـ/1545م ¹."

وفيما يخص الزاوية فقد كانت تقع في شارع الديوان وكانت تضم قبر الولي ومسجد ودارا للعجزة والفقراء، وقد كان لها أوقاف هامة²، وفي سنة 1864 حولت هذه الزاوية عن وظيفتها وضموها إلى بناء (جمعية الرحمة) الكاثوليكية، أما رفات الولي داده فقد نقلت إلى زاوية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي³.

■ زاوية مولى حسن: (مخطط 16)

كانت الزاوية مولاي حسن تقع في حي دار سركاجي القديمة قرب جامع كتشاوة وعرف هذا الحي أثناء الإحتلال بشارع Boutin ، وحاليا يسمّى شارع تامقليت علي، يقول عنها دوفوا إنَّها كانت منزلا مخصصا للرجال غير المتزوجين، وبعد الإحتلال أصبح رقمها رقم 37 من شارع بوتان، حيث قامت السلطات الإستعمارية بتحويلها عن وظيفتها الأساسية⁴.

الوقف:

هناك وقفية باسم الزاوية ضمن عقود المحاكم الشرعية تحصر أملاكها ، وقد جاء عنوانها على هذا النحو: " الحمد لله بيان الأوقاف المحبسة على زاوية مولاي حسن بيد وكيلها السيد

¹ Colin (G.), *Corpus des inscriptions arabes et Turques de l'Algérie*, Paris, 1920, p.21.

² Devoulx (A.), Op.Cit, p. 113

³ Devoulx (A.), « Les édifices religieux de Lancien Alger,Alger » IN. *Revue Africaine*, 1865, Alger,p.114.

⁴ Devoulx (A.), Op.cit, p277.

عبد الرحمن بن الشيخ بن جعدون -، بودان رقم 37 بتاريخ أواخر رمضان سنة 1248" والتاريخ المذكور يوافق سنة 1832م¹.

■ زاوية الأندلس:

وقد أسسها المهاجرون الأندلسيون الذين أقاموا في مدينة الجزائر، في محرم من عام 1033هـ/1624م وكانت تسمى كذلك " زاوية أهل الأندلس "، وكانت بناءا سكنيا يقع في حومة مسيد الدالية، وكان وكيل الزاوية هو محمد الآبلي،² وكانت تحتوي على مدرسة لتعليم القرآن والعلوم الأخرى، ومسجدا للصلاة، وقد جاء هذا في عقد تأسيس الزاوية: " ...أشهد الآن الجماعة المذكورين أنهم حبسوا جميع الدار المذكورة التي جعلت مدرسة الآن المذكورة فيه على جماعة الأندلس بجميع حدودها وحقوقها ومنافعها...³ أمّا فيما يخص مصير الزاوية بعد الإستقلال، فقد بقيت تؤدي مهامها إلى غاية سنة 1843 أين تم تعطيلها والتصرف في أوقافها⁴.

■ زاوية يوب:

وكانت تسمى باسم زاوية سيدي علي بن منصور ، وتقع أسفل الرحبة القديمة (التي كانت سوقا لبيع الزرع) حيث كانت تتربع على أرض واسعة تمتد من شارع الألوان الثلاثة إلى زاوية القاضي المالكي الواقعة على شارع باب الوادي والى درب لوكوربو، وكان يتبعها مصلى وجبانة⁵.

¹ انظر، ملحق رقم 03، وثائق المحاكم الشرعية، ، علة رقم 21، وثيقة رقم 10.

² مصطفى بن حموش، المرجع السابق، 76.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص48.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص117.

⁵ Devoulx (A.), *Les édifices religieux de Lancien Alger*, Alger, p.129 .

■ زاوية كتشاوة:

تسمّى هذه الزاوية أيضا بزاوية " شيخ البلد " والزاوية " الشبارلية " ، وكانت تقع في شارع كورون، قام بتأسيسها السيد محمد خوجة كاتب بدار الإمارة وهذا في أواسط شهر شعبان من عام 1201هـ/1786م¹.

وهذه الزاوية في الواقع ليست لولي من الأولياء مثل بعض الزوايا الأخرى ، فهي زاوية تعليمية تضم مسجد بمئذنة، ومجموع خمسة غرف للطلبة، وأماكن للوضوء وقاعة للاستحمام البارد، واسعملت الغرف السفلى كحوانيت، وفي سنة 1840 تم هدمها وأدخلت في بناية والتي أصبحت تعرف ببازار أورليان².

- الوقف:

عقد تأسيس زاوية كجاوة من طرف السيد محمد خوجة سنة 1201هـ/1786م وقد حدد السيد محمد خوجة في العقد كل المنشآت التي تشتمل عليها منها:

- خمس بيوت لإسكان الطلبة الذين يقومون بالقراءة والإشتغال بالعلم.
- بناء مسجد تقام فيه الصلوات الخمس، للطلبة ولعامة المسلمين³.

■ زاوية سيدي عبد العزيز:

كانت تقع على بعد مائة متر من باب عزون ، في موقع يسمّى المركاض، أو سوق الدواب، وكانت تضم مسجدا، وقد احتفظت الزاوية بهويتها في بداية الاحتلال حيث أخذت رقم

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج،5، ص117.

² Aumerat (A.), Op.cit, p.190

³ انظر ملحق رقم 04، وثائق المحاكم الشرعية، ، علبة رقم 129، وثيقة رقم 11.

52 من منطقة باب عزون، لكنّها هدمت وأقيم مكانها بناء جديد يقع عند الزاوية بين شارعي قسنطينة وروفيقو¹.

■ زاوية سيدي أحمد بن عبد الله: (مخطط 17)

ويعرف صاحب الضريح باسم الجزيري، توفي هذا الولي سنة 874هـ/1469م - 1470م) أي حوالي ستة وأربعين سنة قبل وصول العثمانيين إلى المنطقة²، وكانت تتضمن الزاوية التي تقع على شارع سوق الجمعة مسجداً ومساكناً للفقراء ومقبرة، هدمها الإستعمار الفرنسي ولكن لا يوجد تاريخ محدد³..

■ زاوية سيدي يعقوب:

كانت تقع خارج باب الوادي في الجزء الشمالي منه، ويقع الضريح على مرتفع وتغطيه أشجار كثيفة، وتقع بقربه مقبرة خاصة، وقد احتل العسكر الفرنسي مبنى هذه الزاوية ثم حوله إلى ملحقة للمستشفى العسكري سالبيتريير.

وكان مصير هذه الزاوية التي لا نعرف حجمها ولا دورها، هو الاحتلال العسكري منذ 1830م، فقد احتلها الجيش الفرنسي واستعملها لأغراضه، ويقول "أوميرا" أنها اليوم تشكل ملحقة سالبيتريير (salpatriere)⁴، وكانت للزاوية أوقافها وهي تتمثل في ستة حوانيت وبستان وضيعة، وأن أقواسها العربية الجميلة والأصيلة قد اختفت سنة 1910م، بينما شيدت في مكانها دار جديدة، أي أن الزاوية قد هدمت.⁵ (صورة 19)

¹ مصطفى بن حموش، المرجع السابق، 157.

² Devoulx (A.), Op.cit, p.277.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص119

⁴ Aumérat (M), Op.cit, p153

⁵ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص123.



صورة 19/ زاوية سيدي يعقوب

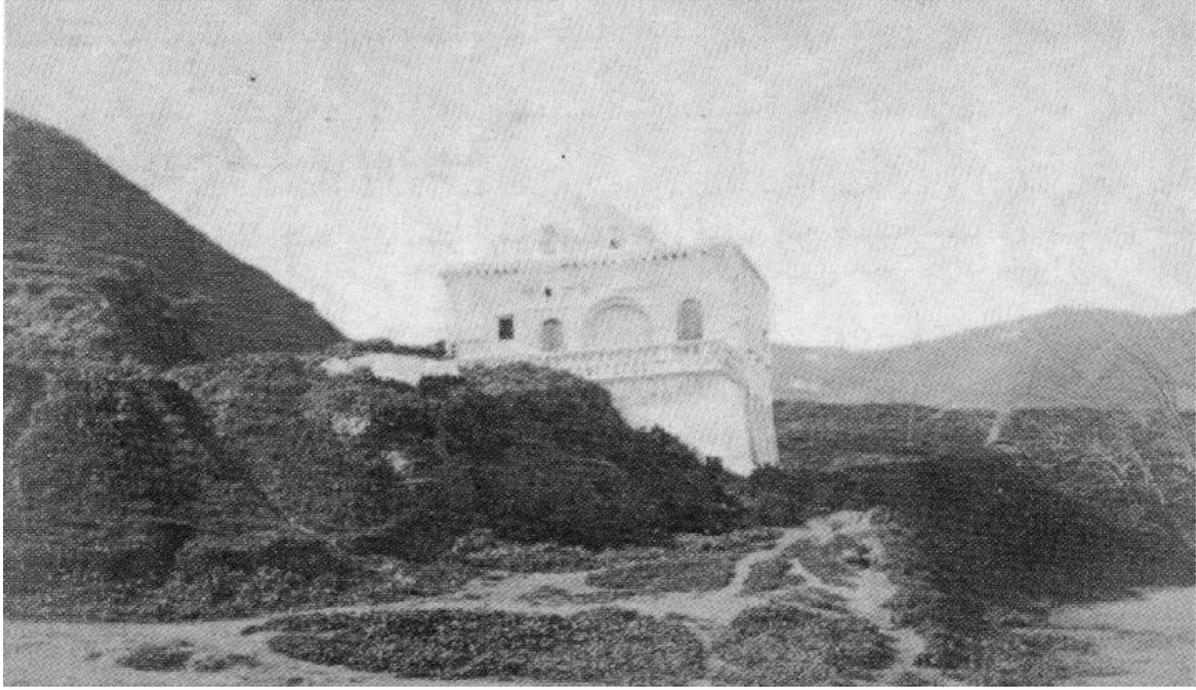
عن: روزي

■ زاوية سيدي السعدي:

تقع على الطريق عند مغادرة سيدي مسعود باتجاه المدينة قريبا من الحديقة العامة "مارنقو"، وهو مبنى ذو أهمية، ويتكون هذا المبنى من مسجد دون منئذنة، وبيت وقبة تعلو ضريح سيدي سعدي المغطى بمختلف قطع القماش، وقد كان سيدي سعدي خلال سنة 1119هـ/1707-1708م، حيا كما يبدو في نص إحدى الوثائق الشرعية، ففي هذه الوثائق نجد أن العالم الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد السعدي ابن سيدي محمد قد اشترى مبنى سنة 1118هـ/1706-1708م، ثم وقفه حسب وثيقة أخرى تعود إلى سنة 1119هـ/1707-1708م، وفي سنة 1147هـ/1734-1735م¹، ذكر في وثيقة شرعية بوجود الضريح خارج

Devoulx (A.), Op.cit, p.109

باب الوادي، وقد أخصيت أوقاف هذه المؤسسة سنة 1834م فوجد أنها تتمثل في مزرعة، وثلاثة دور، ومحلين للفخار، وحنوتين، وتدر كل الاحباس مبلغا قدره 255فرنكا و60سنتيما، وكان يشرف على الزاوية أحد أحفاد صاحب الضريح، وقد بقيت القبة مثلما كانت، غير أن المسجد تحول إلى مخزن للبارود سنة 1850م.¹ (صورة 20).



صورة 20/ زاوية سيدي السعدي

عن: روزي

■ زاوية شخطون: (مخطط 18)

وتسمّى أيضا زاوية أبي النقي، وهو إسم أحد الأولياء، وكانت تقع في أسفل فندق الزرع في حي باب عزون، ومنذ الإحتلال صودرت الزاوية وضمت إلى تكتة الخراطيين، ثم تحولت

ibid, p.112.

هي والثكنة إلى مستشفى عسكري¹، وفي أكتوبر 1838م ألحقت الزاوية بالمستشفى المدني وكذلك الخزينة والبريد، وكان مصيرها هو الإخفاء تماما².

■ مخططات الزوايا القائمة:

■ مخطط زاوية سيدي محمد شريف: (مخطط 19)

تبلغ المساحة الكلية لزاوية سيدي محمد شريف حوالي 251 متر مربع، تحتوي على مسجد صغير، وغرفة مربعة الشكل بها ولي الضريح، وغرفتين إحداهما تحوي ضريح ابن محمد الشريف والغرفة الثانية عبارة عن مقر لوكيل الضريح، كما تضم الزاوية مدرسة قرآنية ومقبرة، ومخزن.

- المسجد:

المقاسات:

بيت الصلاة:

طول: 10.83 م عرض: 5.57 م

الوصف:

يأخذ مسجد زاوية سيدي محمد شريف الشكل المستطيل وهو ذو عمق أقل من العرض. تتألف بيت الصلاة من أسكوبين وأربعة بلاطات، كما تضم أيضا أربعة عقود متجاوزة منكسرة، تقوم على ثلاثة أعمدة، وتوجد بالمسجد "سدة" على مستوى البلاطة الثانية والأسكوب الموجود أقصى يسار المحراب، يصعد إلى هذه السدة عن طريق سلم مصنوع من الخشب مكون من ستة درجات، وتقع المئذنة على يمين المحراب متصلة بالجدار المجاور

¹ مصطفى بن حموش، المرجع السابق، 86

لجدار القبلة، وهي مئمنة وقليلة الارتفاع، ولهذا المسجد صحن من الجهة الغربية يأخذ مكانا على يمين بيت الصلاة.

- قاعة الضريح:

المقاسات:

طول الضلع: 3.63 م

الوصف:

قاعة الضريح لزوية سيدي محمد الشريف تأخذ شكلا مربعا، تغطي بقبة ذات رقبة دائرية، تخللها أربعة نوافذ للإضاءة والتهوية.

- المدرسة:

المقاسات:

الطول: 5.09 م العرض: 2.07 م

الوصف: مستطيلة الشكل، بها ثلاث نوافذ للإضاءة والتهوية، بسيطة خالية من أي زخرفة، حيث أعيد سقفها بالكامل.

- المخزن:

المقاسات:

الطول: 1.96 م العرض: 2.04 م

الوصف: تحول إلى بيت الخلاء.

- بيت الوكيل:

المقاسات:

ارتفاع: 2.50 م الطول: 2.73 م العرض: 4.74 م

الوصف: مستطيلة الشكل، بها نافذتان من جهة المدخل الرئيسي للزاوية ونافذتان في جهة الجدار القبلة، بسيطة وخالية من أي زخرفة.

- الصحن:

المقاسات:

الطول: 5.68 م العرض: 3.32 م

الوصف: تقريبا مستطيل الشكل، يستعمل للوضوء.

▪ مخطط زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي: (مخطط 20، 21)

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي ذات تخطيط غير منتظم، تميل إلى الاستطالة، تتربع على مساحة 10400 متر مربع، تتكون من قاعة الصلاة بسيطة نجد فيها ضريح الشيخ الثعالبي نفسه المغطى بثابوت عليه أعلام وأعمدة بمختلف أنواعها وتيجانها، كما نجد قبة مركزية تغطي كامل مساحة بيت الصلاة فهي مضلعة الشكل¹، كما تحتوي الزاوية على عدد من القبور ومحلات لسكن الولي ومستخدمي الضريح، وبيت عبارة عن ملجأ بالأهالي، ومراحيض وأماكن للوضوء، وغرف، ومقبرة خاصة تضم عدة قبور لشخصيات مختلفة.

- الضريح:

المقاسات:

الطول: 7.22 م العرض: 8.90 م

يتم الدخول إلى قاعة ضريح زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي عبر سقيفة مستطيلة الشكل، ومدخل قليل الارتفاع، وهو ذو مساحة صغيرة ذات تخطيط غير منتظم يميل إلى

Ballu (A.), « Quelques mots sur l'art musulman en Algérie », IN. *Revue Africaine*, 1904, Alger, p.171-183.

1

الاستطالة، ذو عرض أكبر من العمق وتقسمة الأعمدة غير المنتظمة التوزيع إلى ثلاث بلاطات وأسكوبين، تختلف الواحدة عن الأخرى في مقاساتها، وبجدار القبلة باب صغير يؤدي إلى المئذنة المربعة الشكل وهي متواضعة الأبعاد، تتلاءم وصغر المسجد، تغطيها قبة ثمانية الشكل تقوم على أعمدة من الرخام المجزع رتبت بطريقة تجمع ثلاث أعمدة متلاصقة، تيجانها متنوعة تحمل كلها عقود كبيرة ترتكز عليها قبة الضريح المركزية الضخمة، وقد فتحت في رقبته 24 نافذة للإضاءة والتهوية، ويتصدر حائط قبلة الضريح محراب مضع تكسوه لوحة خزفية عقده نصف دائري يقوم على عمودين رشيقين، ويحتوي الضريح على أكثر من قبر بشواهده.

■ ملحقات الضريح:

- **المطبخ:** حسب قيم الزاوية، أن المطبخ أعيد ترميمه أو إعادة بنائه من جديد، فهو مربع الشكل، بسيط، مزدان بالبلاطات الخزفية حديثة النشأة.
- **الغرف:** للأسف الشديد أن كل الغرف مغلقة، ولا يريدون فتحها لأسباب نجهلها، ولكن يمكن رؤيتها من النافذة.
- توجد غرفة مربعة الشكل، بسيطة تقابل مدخل الضريح، دورها كمقصورة للقيمين على الزاوية. كما توجد بعض القاعات منها:
- قاعة أخرى خارج الضريح، خاصة بالولي الصالح سيدي منصور، بتابوته، وهي مربعة الشكل كبيرة الحجم، بها عمود رخامي في وسطها، مغطاة بقبة مضلعة، تم تكسية الغرفة بالبلاطات الخزفية.
- مباشرة على يسار المدخل الرئيسي للزاوية، توجد قاعة متوسطة الحجم تضم الولي الصالح داه، بتابوته، المغطاة بقبة مضلعة، وتكسيته بالبلاطات الخزفية.

- المقبرة:

تأخذ شكل مقبرة زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي الشكل المربع، كبيرة الحجم، تضم شواهد قبور بأشكال وأنواع مختلفة، منها شكل العمود الرخامي الذي تعلوه رقبة طويلة أسطوانية تحمل عمامة ذات ثنايا رفيعة ملتفة حول الطاقية، كما تضم المقبرة عدة قبور لشخصيات، وعلماء، وشعراء، ومؤرخين، وأبطال أسطوريين منهم على الخصوص شيخه وأستاذه العالم الكبير سيدي بوجمعة، و أيضا إبنته " لالة عايشة "، وسيدي الولي داه الذي توفي في سنة 952هـ/1545م التي نقلت السلطات الاستعمارية رفاتة من شارع الديوان بالقصبة السفلى خلف جامع كتشاوة إلى مقبرة سيدي عبد الرحمن في سنة 1281هـ / 1864م، و كذلك سيدي منصور الذي كان مدفونا عند مدخل باب عزون مند 1055هـ / 1645م و حوّلت رفاتة هو الآخر إلى نفس المقبرة سنة 1263هـ / 1846م وأيضا خيدر باشا، الحاج أحمد باي قسنطينة، وسيدي عبد الله يوسف باشا، وسيدي واضح، أمّا الداوي حسن باشا و ابن أخيه مصطفى باشا وكذلك الداوي أحمد فقد دفنوا مباشرة بمحاذاة قبره وقرب المحراب يوجد كذلك قبر الأميرة " روزة "، بنت الداوي حسن باشا. وأبرز المعاصرين الذين اختاروا مجاورة سيدي عبد الرحمن الثعالبي بعد موتهم هو المؤرخ ووزير الأوقاف بعد الاستقلال الأستاذ أحمد توفيق المدني¹.

■ مخطط زاوية سيدي محمد: (مخطط 22)

زاوية سيدي محمد ذات شكل مستطيل، تحتل مساحة تقدر ب95,03 متر مربع، تحتوي على قاعة صلاه وقاعة ضريح من نفس الكتلة، تتألف بيت صلاته من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، يعلو البلاطة الوسطى قبتان، وبجدار القبلة يوجد المحراب المجوف الذي تتخذ تجويفاته الشكل النصف الدائري.

¹ سعد الله فوزي، قصبة الجزائر.. ، ص63.

المقاسات:

قاعة الصلاة:

الطول: 7.18م العرض: 14.13م.

قاعة الضريح:

الطول: 5.60م العرض: 2.55م

الوصف:

يضم المبنى مسجدا وضريحا، تتألف بيت صلاته من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، يعلو البلاطة الوسطى قبتان، وبجدار القبلة يوجد المحراب المجوف الذي تتخذ تجويفاته شكل النصف الدائري، وهي مسقوفة برقع قبة ويكتنف المحراب عمودين رخاميين ذات قواعد وتيجان يقومان بحمل الإطار المعقود بعقد حذوي مدبب، ولقد حظيت قاعة الصلاة بعدد لا يستهان من الأعمدة والدعامات، بتنوعها واختلاف أحجامها، ويتم الدخول إلى قاعة الضريح بواسطة مدخل ذي عقد حذوي.

- الغرف:

يحتوي المبنى على عدة غرف بمقاسات مختلفة، منها حجرة التعبد لشيخ لطريقة " سيدي محمد الجرجري الأزهري " بواسطة ممر على شكل فتحة، وهي حجرة صغيرة الحجم مظلمة، ذات ارتفاع 1م، وطول 2.50م، وعمق 1.22م. وأن المبنى حاليا يخضع لعملية ترميم وصيانة كبيرة جدا.

- المقبرة:

وتضم الزاوية مقبرة كبيرة خارج المبنى، بها شواهد قبور بمختلف الأشكال والأحجام

▪ زاوية سيدي أحمد بن يوسف: (مخطط23)

- المسجد:

المقاسات:

طول: 30.5م العرض: 17.9م.

الوصف:

قبل الولوج إلى بيت الصلاة علينا المرور على صحن مكشوف، يأخذ شكل شبه مربع يبلغ طوله 7.43م وعرضه 6.78م، حسب الأهالي كانت في وسط الصحن نافورة ماء. يتكون بيت الصلاة من خمسة أساكيب موازية لجدار القبلة، تشكلها أربع بوائك تتكون من سبعة عقود، علما أنّ العقود المستعملة في هذا المسجد من النوع المتجاوز، مرتبطة بعوارض خشبية، الدعامة اتخذت حجما ضخما، يتوسط المحراب جدار القبلة، تكتتفه من الجانبين عمودان.

- الضريح:

المقاسات:

طول الضلع: 7.20م

الوصف:

قاعة الضريح تفتح مباشرة على الرواق الجنوبي للصحن، تتكون هذه الواجهة من مدخل ذي عقد نصف دائري يبلغ ارتفاعه 20.19م وعرضه 1.20م يرتكز على دعامتين وكل التركيبية مزينة بزخارف جصية، وعلى جانبيه، توجد نافذتين، بهما قضبان حديدية. يأخذ شكل القاعة الشكل المربع، وهي مغطاة بقبة ضخمة ثمانية الأضلاع ترتكز على ثمانية أعمدة حلزونية، موزعة باثنين، إثنين في كل ركن من أركان المربع، ليحمل كل منهما عقدا متجاوزا منكسرا، أمّا عامة جدران تتخللها مرة نوافذ ومرة أخرى مشكوات لإنارة قاعة

الضريح وتجديد الهواء، تعلوها خمس فتحات صغيرة لها دور الإنارة والتهوية وفي وسط القاعة ضريح الشيخ أحمد الملياني نفسه المغطى بثابوت عليه أعلام وأقمشة متنوعة.

أما المحراب فيتوسط الجدار الجنوبي، وعلى جانبيه، توجد مشكاوتان، القاعة تكسوها مجموعة من البلاطات الخزفية تحوي ألوانا وأشكالا متعددة.

- الصحن:

يأخذ الصحن الشكل المربع ضلعه يبلغ 10.5م، يتكون من أربع أروقة، بها عقود نصف دائرية وهي ترتكز على 16 عمودا منها أعمدة أسطوانية وحلزونية، ويتوسط الصحن نافورة ماء، وعلى جانبية هذه النافورة شجرتين ضخمتين، واحدة للجوز، والثانية للتين.

- الغرف:

هذه الغرف مستطيلة الشكل صغيرة، مساحتها 4 متر مربع، بسيطة، خالية من أي زخرفة، يقيم بها السكان، غرفة لتعليم القرآن وتحفيظه للتلاميذ، كما توجد أربعة غرف لاستفاضة الزائرين الآتين من المناطق البعيدة.

- المقبرة:

كما تظهر شواهد القبور بوضوح بزواية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، فهي موجودة بالرواق الشمالي والرواق الغربي، فيخص حوالي عشرون جثة، قام الجيش الاستعماري بهدم كل القبور يوم اقتحامه واحتلاله المدينة، وهذه القبور المهدامة كانت من حفدة وأقرباء الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، وهذا حسب أقوال الأهالي والقيمين على الزاوية.

▪ زاوية باش تارزي بقسنطينة: (مخطط 24)

زاوية باش تارزي بقسنطينة تأخذ شكلا مربعا، ذات مساحة تقدر بحوالي 73,51 متر مربع، كما تحتوي على ضريح الموجود في الركن الشمالي لقاعة الصلاة، وصحن مكشوف.

- بيت الصلاة:

المقاسات:

طول: 08.68م العرض: 08.44م

الوصف:

بيت الصلاة ذو شكل قريب من المربع، يمكن الدخول إليه عبر بابين من الخشب الأول يفتح على البلاطة الأخيرة، والثاني يفتح على الوسطى، ويتشكل بيت الصلاة من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، تحدها أربع دعائم وسطية، فوقها عوارض خشبية وعلى هذه الدعائم تقوم فيه القبة مركز بيت الصلاة تقابل المحراب الذي يأخذ هذا الأخير موقعه في الجدار الجنوبي الشرقي لبيت الصلاة، وإلى يسار المحراب في الركن الشمالي الشرقي يوجد ضريح مؤسس الزاوية.

الصحن:

وهو مستطيل الشكل، في شماله نجد الميضأة، وفي شرقه كانت توجد ثلاثة قبور ثم تغطيتها وتسوية أرضيتها من أرضية الرواق ولم يعد يرى منها شيء، وانتزعت شواهدا وهي محفوظة بالزاوية¹.

وتتمثل خصائص عمارة زوايا الجزائر في المناطق الشمالية بمخططاتها عموما، فيما

يلي:

▪ يمكن اعتبار المخططات الخاصة بقاعات الضريح الصورة الواضحة لمخططات التركية بالجزائر خلال العهد العثماني كزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي محمد وزاوية سيدي أحمد بن يوسف.

¹ وهذا حسب قول صاحب الزاوية، وانظر أيضا: عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص356.

- كما نجد مخططات قاعات الأضرحة للزوايا التالية (زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد، وزاوية أحمد بن يوسف) مغطاة بقباب تنتمي إلى القباب العثمانية التركية.
- نجد ضريحي لزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي محمد يتشابهان من حيث الوظيفة، كلاهما تقام فيها الصلاة، مع وجود المحراب، وهناك اختلاف أيضا في موقع التابوت، نجده في وسط القاعة كزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف، واحتل الطرف الأيمن في زاوية سيدي محمد، وفي الجهة الشمالية الشرقية لزاوية باش تارزي بقسنطينة.
- مخططات بعض قاعات الصلاة (المساجد) للزوايا هو استمرار للطراز المغربي التقليدي، حيث تقوم بيت الصلاة فيه على الأعمدة والدعامات، كما يشتمل على صحن ويغطى بسقف مسطح، وهذا ما نجده في زاوية سيدي محمد شريف وزاوية سيدي أحمد بن يوسف وزاوية باش تارزي بقسنطينة.
- أصبح الصحن المكشوف كيانا قائما للزوايا يكون كتلة متكاملة منسجمة مع بيت الصلاة وقاعة الضريح.
- وجود المثلثات الكروية للانتقال من المربع إلى رقبة القبة وهو طراز عثماني تركي وافد.
- تصميم قاعة الضريح لزاوية سيدي عبد الرحمن متشابهة مع تصميم قاعة الضريح لزاوية سيدي أحمد بن يوسف، يتجلى ذلك في استعمال وسيلة أخرى غير الحنايا الركنية والمثلثات الكروية لتحويل المربع إلى المثلث، وهي وضع عمودين في كل ركن من الأركان الأربعة لمربع القاعة يحملان عقودا تؤدي دور التحويل إلى شكل المثلث.
- إستعمال البلاطات الخزفية التي شهدت تنوعا شديدا في الأنواع والأنماط وهذا نتيجة استيرادها من عدة بلدان، نجدها خاصة في قاعات الأضرحة.

▪ نجد نوعان من المآذن، المئذنة المربعة ذات الطراز المغربي التقليدي كزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف، بينما المئذنة المثلثة ذات الطراز العثماني نجدها في زاوية سيدي محمد شريف وزاوية باش تارزي بقسنطينة.

2.2. مخططات الزوايا المناطق الجنوبية الصحراوية:

▪ **مخطط زاوية تماسين بتقرت: (مخطط 25)**

تأخذ زاوية تماسين الشكل المربع، بمساحة تقدر بـ 1,34 هكتار، وهي عبارة عن قرية، وكانت محاطة بسور من تراب، حصّن في الزوايا بمزاغل صغيرة تطلق منها القذائف، وكانت هذه المزاغل صغيرة إلى درجة أنّها لا تسمح إلاّ بمرور فوهة البندقية ودعم هذا السور بباب ضخم يفتح للزوار من طرف الحراس¹.

وتتكون الزاوية من مجموعة من المباني التي تتوزع حسب دورها وأهميتها داخل الزاوية، وأنّ نواتها الأولى من الداخل المسجد الجامع الذي بناه الولي الصالح علي بن عيسى وأبنائه، ويتصل بالمسجد مباشرة داره التي لم يبق منها إلاّ الباب الكبير المفتوح على الساحة الواسعة، كما يحيط بالمسجد مساكن أبنائه وأهله، ثم تتوزع بعده منازل الإخوان وذلك حسب مرتبتهم في الزاوية، مع قاعة الضريح، والمقبرة، حيث تعطينا هذه الوحدات المعمارية نسيجاً معمارياً مميزاً مشكلة بذلك شوارع رئيسية تتفرع عنها شوارع ثانوية وأزقة ضيقة.

- المسجد:

المقاسات:

بيت الصلاة:

طول الضلع: 9م

Zaccone (J.), De Batna à Touggourt et au Souf, Paris, 1865, p.224.

▪ إنّ الزاوية من الداخل نواتها الأولى المسجد الجامع الذي بناه الولي الصالح علي بن عيسى وأبنائه، يحتل بيت الصلاة الجهة الشرقية لمسجد زاوية تماسين، يفتح عليه من الجهة الجنوبية الباب الرئيسي، ويتصل بالضريح باب في جداره الغربي، وهو يتكون من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، حيث نجد أنّ البلاطة الوسطى الموازية لجدار القبلة أكثر اتساعاً من كل بلاطات المسجد، أمّا المحراب فيحتل الجهة الشرقية من بيت الصلاة وهو ذو تجويف نصف دائري.

- الضريح:

المقاسات:

طول الضلع 08.30م

يقع ضريح زاوية تماسين في وسط المباني الدينية من الجهة الشمالية لمسجد الزاوية، ويفتح من الجهة الجنوبية على الساحة العامة، قاعته مربعة الشكل ومغطى بقبة مضلعة تقوم على رقبة مثمثة الشكل تحمل أطرافها من الجص مزخرفة بأشكال نباتية وهندسية وكتابية تتخللها دعائم ضخمة تحمل القبة.

داخل الضريح نجده يشغل ثلاثة أقسام، القسم الأول خصص للعادة، ولأدعية وقراءة القرآن، والقسم الثاني يضم رفات أبناء وأحفاد العائلة التيجانية يحاط بسيج حديدي مزخرف، بينما القسم الثالث وهو الأصغر به قبر الولي الصالح الحاج علي بن عيسى تتخلله بعض القبور الصغيرة.

هذه القاعة مزودة بخزائن لوضع الأشياء الثمينة، إحداها في الجدار الغربي والأخرين بالجدار الجنوبي، ويبلغ عرض كل منهم 1.15م، كما يفتح في جداره الجنوبي نافذة عرضها 1 متر.

- السقائف:

إنّ عدد السقائف يرتبط بعدد المداخل، وهي إحدى المكونات الأساسية في بيوت الزوايا الصحراوية، وظيفتها يفرضها عليها موقعها في زاوية المسكن، الشيء الذي يجعلها تكسر رؤية الناظر الذي يحاول النفاذ من الخارج (الفضاء الخارجي) إلى قلب المسكن (الفضاء الداخلي)، وزوّدت هذه السقائف بمشكوات للإضاءة.

وأنّ جل السقائف يراعى فيها دائما أن تكون ذات انكسارات على وسط الدار أو تأخذ شكل الحرف اللاتيني¹.

- الصحن:

يعتبر الصحن المركز الأساسي الذي تدور فيه معظم النشاطات اليومية يأتي مباشرة بعد السقيفة، ليكون مصدرا لتزويد الغرف بالهواء والضوء، كما تقام به عملية نسج الزرابي والأغطية، حيث يبلغ طوله في بعض الأحيان ما بين 7.85 م و9.12م، ونادرا ما يصل 11م وهذا ما نجده في أحد بيوت زاوية تماسين.

- الغرف:

تعتبر الغرف أو الحجرات الوحدات الأساسية في المسكن الصحراوي، وفي مساكن الزوايا في الجنوب الجزائري، باعتبارها العنصر الأساسي لمختلف الوظائف المعيشية كالنوم والراحة والتخزين وغيره، وهي تختلف من حيث البناء والتخطيط في الشكل العام وفي توزيع مختلف العناصر المعمارية كالدعامات والعقود، ومن حيث المقاسات.

تتوزع الغرف على الطابق الأرضي والعلوي، جدرانها مزودة بمشكوات على شكل مثلث متساوي الساقين، وفي أعلى الجدار رفوف من الخشب لوضع قارورات العطر ومواد الزينة.

¹ محمد الطيب عقاب، " المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر " المؤتمر العاشر للآثار، تلمسان، 1982،

وجاءت غرف زاوية تماسين واسعة، فهي تأخذ الشكل المستطيل بمقاسات 3.57م ضرب

2.77م، ويزخرف سقفها بنوع من الزخارف الجصية ذات مواضيع نباتية وهندسية.

كما توجد قاعة للإستقبال (قاعة الضيوف)، وهي تفتح مباشرة على السقيفة

- المطبخ:

يعتبر المطبخ من أهم المرافق المعيشية في الزوايا الصحراوية، توجد في إحدى الزوايا

بوسط الدار، فهي صغيرة الحجم وبسيطة، يحتوي على موقد، مزودة برفوف وبعض الكوات

لوضع لوازم الطبخ، وبمدخنة تمتد داخل الجدار إلى أعلى السطح.

- المخزن:

كل المنازل في المساكن الصحراوية مزودة بالمخزن أو دار العولة، كما هو معمول به في

زوايا الجنوب، وهي عبارة عن غرف تتميز بعدم اتساعها مقارنة بالغرف الأخرى، ووقوعها

بعيدة عن أعين الناس حتى لا يعرف ما بداخلها، المخزن في زاوية تماسين يأخذ الشكل

المربع فيها يخزن مؤونتهم وموادهم الغذائية.

- المقبرة:

المقاسات:

طول: 18.32م العرض: 4.96م

تتصل بالمسجد من الجهة الشمالية لبيت الصلاة بواسطة باب يبلغ عرضه 1.08م، وهي

ذات شكل مستطيل مغطاة بقباب محمولة على حنايا ركنية، وهي مخصصة لدفن أقارب

وأحفاد المرابط، بالإضافة إلى أبرز أعضاء الطريقة، وتلتحق بهذه المقبرة من الجهة الشمالية

غرفتان خصصت لوضع لوازم الدفن.

▪ مخطط زاوية قمار: (مخطط26)

تأخذ زاوية قمار الشكل المستطيل، تقدر مساحتها بحوالي 1,8 هكتار، تتكون أيضا بمجموعة من المباني اتسمت بالتنظيم المحكم وبخاصية التناظر والتناسب والتناسق، يتمثل ذلك في الغرف والمخازن، والمسجد وقاعة الضريح وحتى في الشوارع والفضاءات الفاصلة بينهما. وتشير بعض المراجع التاريخية، أنّ تخطيط زاوية قمار انطلق في بدايته من مساحة 81م² اختطها السيد محمود التونسي، أحد أصحاب الشيخ أحمد التيجاني بأمر من الشيخ محمد الساسي مقدم الطريقة بمنطقة وادي سوف، وكان ذلك عام 1204 هـ/1789م وبقيت الزاوية مدة ثمانون سنة من 1204-1287هـ/1789-1869م على شكل قاعة مربعة (موقع الضريح حاليا)، وبعدها قام الشيخ العيد الأول الذي خلف والده الشيخ علي بن عيسى على رأس الطريقة ببناء مسجد الزاوية¹.

- المسجد:

المقاسات:

بيت الصلاة:

الطول: 7.8 العرض: 6.9م

تم بناء المسجد سنة 1260هـ/1844م، من طرف الخليفة محمد العيد الأول، يأخذ موقعه بالجهة الغربية من الزاوية، مقابلا للساحة العامة وملاصقا للضريح، يتم الوصول إليه عبر مدخل رئيسي في الجهة الجنوبية من الساحة العامة، عبر ممر ضيق، وقد تعرض المسجد لاحقا إلى إضافات وترميمات، مست خصوصا الأعمدة في بيت الصلاة وبعض الزخارف الجصية²

¹ ابن سالم بن الطيب بالهادف، سوف تاريخ وثقافة، مطبعة الوليد، الوادي، 2008، ص51.

وانظر أيضا: مراد حديبي، الزوايا التيجانية، ...، ص97.

² مراد حديبي، المرجع السابق، ص 111.

- الضريح:

المقاسات:

الطول: 10.3 م العرض: 9.97 م

يأخذ الضريح موقعه وسط المباني الدينية، يحده من الجهة الشمالية مسجد الزاوية ومن الجهتين الغربية والجنوبية رواقين فاصلين، ومن الجهة الشرقية فهو يلتحم مع الأحياء السكنية. قاعته مربعة الشكل ومغطى بقبة مضلعة، حيث يتوسط الضريح قبر الولي الصالح مؤسس الزاوية، وعلى جانبي قبر الولي نجد قبور مختلفة خاصة بأفراد عائلته أو أقرب المقربين إليه، وهذه الظاهرة نجدها في كل الزوايا تقريبا.

- الصحن:

يعتبر الصحن المركز الأساسي الذي تدور فيه معظم النشاطات اليومية يأتي مباشرة بعد السقيفة، ليكون مصدرا لتزويد الغرف بالهواء والضوء، كما تقام به عملية نسج الزرابي والأغطية، حيث يبلغ طوله في بعض الأحيان ما بين 5.85 م و 8.12 م، ونادرا ما يصل 11 م وهذا ما نجده في أحد بيوت زاوية قمار.

- الغرف:

تتوزع الغرف على الطابق الأرضي، جدرانها مزودة بمشكوات على شكل مثلث متساوي الساقين، وفي أعلى الجدار رفوف من الخشب لوضع قارورات العطر ومواد الزينة. تمتاز هذه الغرف ببساطتها وبضيقتها واستطالاتها، يتراوح طولها 2 م وعرضها 1.95 م وعلو جدرانها لا يتجاوز مترين، وأنّ مجموعة من الغرف الصغيرة مشيدة من قبة واحدة وهو استحداث البناء الأقواس على الجدران.

- المقبرة:

مقبرة زاوية قمار موجودة في غرف في الجهة الجنوبية من الضريح، وهي أصغر حجماً، حيث خصصت لدفن أبرز أعضاء الطريقة، أو أحفاد وأقارب الولي الصالح. فهذه القبور جاءت بسيطة خالية من أي علامة أو كتابة، ويتم تحديد الرأس أو الأرجل بواسطة حجارة مصفحة مثبتة عمودياً.

▪ مخطط الزاوية المختارية بأولاد جلال: (مخطط 27)

الزاوية المختارية بأولاد جلال ذات شكل مستطيل غير منتظم، تحتوي على مسجد صغير وضريح بقبة وخلوة صغيرة الحجم لشيخ الطريقة، مع وجود مقابر ومخازن، أمّا المسجد فبني حديثاً.

- الضريح:

المقاسات:

طول الضلع: 15.3م

بني هذا الضريح في عهد الإبن محمد الصغير، ويدخل ضمن التجديدات التي عرفتها الزاوية على يد هذا الأخير.

قبل الدخول إلى قاعة الضريح وجود سقيفة وهي عبارة عن غرفة مستطيلة من الشمال إلى الجنوب، والسقيفة مغطاة بأقبية متقاطعة اتخذت أشكال ثلاثية ومعينات، وعلى جانبي هذه السقيفة جليستان من تراب يستريح عليهما الوافدون أثناء زيارة الضريح.

نصل إلى ضريح زاوية المختارية عبر ممر منكسر إلى اليمين، قاعته غطيت بقباب واحدة في المركز واثنين جانبيتين، وهي محمولة على عقود تستند على دعائم، زينت قاعة الضريح ببلاطات خزفية قوام زخرفتها أشكال نباتية وأخرى هندسية، يضم هذا ضريح عدة شخصيات من العائلة المختارية في عهد الابن محمد الصغير، ويدخل ضمن التجديدات التي عرفتها الزاوية على يد هذا الأخير، كما نجد الخلوة مكان تعبد صاحب الطريقة ومؤسس

الزاوية، وهو مكان يتسع لشخص واحد، ينقطع فيه صاحبه لمدة معينة دون أكل غالباً، فهي غرفة صغيرة، تتميز بالبساطة وخالية من الزخرفة،

- **الغرف:**

تتخذ هذه الغرف أشكال وأحجام مختلفة المقاسات، كانت مأوى للطلبة، أهم هذه الغرف " خلوة التعبد " أين كان يختلي و يتعبد بها الشيخ أحمد المختار.

▪ **مخطط زاوية يوسمغون بالبيض: (مخطط28)**

زاوية بوسمغون بالبيض ذات شكل مستطيل غير منتظم، تضم عدة مرافق مثل بيوت لإيواء الطلبة ومخازن المؤن، وقاعات للتدريس، والمصلى، وفناء مكشوف يتوسط الزاوية بالإضافة إلى حجرة التعبد الخاصة " لسيدي أحمد التيجاني ".

- **مصلى الزاوية:**

المقاسات:

طول: 10.98م العرض: 4.99م.

المصلى مستطيل الشكل، به أسكوبان موازيان لجدار القبلة، وثلاث بلاطات، لا يحتوي على عقود، محراب المصلى موجود في البلاطة الوسطى، يحتوي على ثلاثة دعائم مضلعة الشكل.

- **الصحن:**

المقاسات:

طول: 8.71م العرض: 6.49م.

الصحن تتوسطه شجرة، تحيط به أربعة بيوت سكنية وتدرسية، تتراوح مساحة كل بيت من 6 إلى 8م طولاً ومن 3 إلى 4م عرضاً، وقد سقفت هذه البيوت بجذوع النخيل وخشب العرعار والدفلى.

- **الغرف:** وهي متعددة، تتمركز حول الصحن المكشوف.
الغرفة الأولى:

مقاساتها: 3.04م ضرب 4.30م

الغرفة الثانية:

مقاساتها: 5.50م ضرب 2.87م

حجرة التعبد: وهي الخلوة لتي كان يتعبد فيها " سيدي أحمد التيجاني " طولها 4.41م وعرضها 2.88م.

▪ مخطط زاوية عين ماضي:

تعد زاوية عين ماضي مركبًا قائمًا بذاته، ذات شكل مستطيل غير منتظم، تتكون من الباب الكبير والمسجد والضريح وبعض الغرف والمقعد والمحضرة (المدرسة).

- **المسجد:**

المقاسات:

الطول: 20.02م العرض: 19.52م

يقع المسجد في الجزء الشمالي الشرقي للمدخل الكبير، يتكون من بيت الصلاة غير منتظمة الشكل يتقدمها بهو وضريح الشيخ، يتم الدخول إليها عبر مدخل بعقد مدبب متجاوز، تتكون من 14 عمود بشكلها الضخم، يغطي بيت الصلاة بقبة ثمانية الأضلاع تتميز القبة من الداخل بتكسية ببلاطات خزفية تضيء على القاعة رونقا وجمالا، كما يحتوي بيت الصلاة على عدة كوات جدارية لحفظ كتب القرآن الكريم.

- **الضريح:**

المقاسات:

طول الضلع: 8.12م

يتم إلى الضريح عبر مسجد الزاوية، يتكون من أربع أعمدة ضخمة ثمانية الأشكال ترتبط هذه الأعمدة بواسطة عقود نصف دائرية، تمت تغطية الضريح بقبة حديثة العهد مزدانة بزخارف نباتية وهندسية ، تقوم القبة على قاعدة مربعة يتم تحويلها إلى المثلث بواسطة مقرنصات، كما غطيت الأجزاء الباقية بقباب متقاطعة، وغطى الكل بواسطة قرميد أخضر، ذو نمط أندلسي، وضع بطريقة مائلة لتفادي تسرب مياه الأمطار، حيث يعطي للمبنى شكلا هرميا.

- المقعد:

المقاسات:

الطول: 30.25 م العرض: 10.22 م

يتكون المقعد من طابق أرضي يشتمل على رواق مغطى وطابق علوي يتكون من ساحة مكشوفة تحيط به مجموعة من الغرف، وهي عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل، تقوم على أربعة أعمدة ثمانية الأضلاع دون تيجان أو قواعد.

- المحضرة:

المقاسات:

الطول: 30.25 م العرض: 10.22 م

تعرف المحضرة بحوش سيدي حميدة نسبة إلى مؤسسها، فقد خصصت لتدريس القرآن حيث كانت تحوي على غرف للطلبة، معظمها اندثر نتيجة للحريق الذي شب بها في سنة 1995م¹.

¹ علي حملاوي، المرجع السابق، ص 231.

■ **مخطط زاوية سيدي سالم بوادي سوف:**
لم يبق من الزاوية إلا التابوت الموجود في قاعة الضريح المتجددة، مع تجديد قاعة الصلاة.

■ **مخطط الزاوية العثمانية بطولقة:**
الزاوية جددت عن آخرها، ولم يبق إلا التابوت الموجود في قاعة الضريح.

وتتمثل خصائص عمارة زوايا الجزائر في المناطق الجنوبية الصحراوية بمخططاتها

عموما، فيما يلي:

■ يمكن اعتبار المخططات الخاصة بقاعات الضريح الصورة الواضحة لمخططات التقليدية المغربية كزاوية عين ماضي وزاوية تماسين وزاوية قمار.

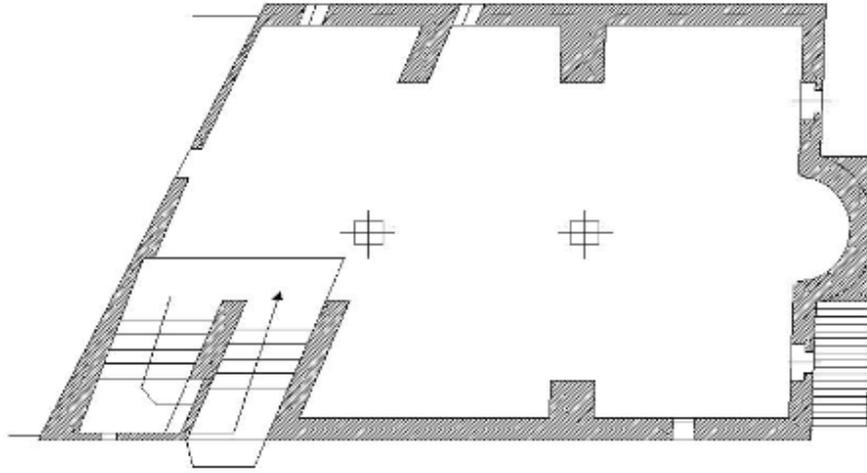
■ تعتبر هذه الزوايا كقرى كبيرة الحجم، تتكون من مسجد وضريح، وممرات وأزقة وشوارع، وصحون، وقاعات وغرف متعددة، ومخازن، ومقابر.

■ توزيع الوحدات الرئيسية يخضع بصورة فعالة ومباشرة للموقع الجغرافي والمناخ وكذا العادات والتقاليد الدينية والمعمارية للمنطقة ككثرة السقائف والصحون خاصة في زاوية تماسين وزاوية قمار وزاوية بوسمغون.

■ عادة ما تكون المقابر في القصور الصحراوية خارج الأسوار، على مشارف المداخل كما هو معروف في المدن الإسلامية، فإنّ المقابر في هذه الزوايا ارتبطت بموقعها مع المساجد والأضرحة، فهي تشكل وحدة عمرانية لا يمكن الفصل بينهما، حيث جاءت هذه المقابر داخل غرف مستطيلة وواسعة كزاوية تماسين وزاوية قمار.

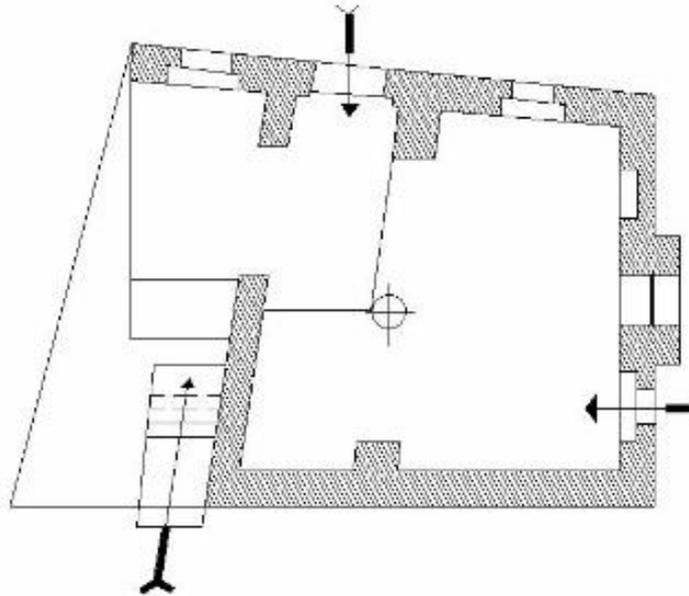
■ تخصيص حجرة صغيرة بسيطة تسمى بالخلوة، يختلي بها شيخ الطريقة، نجدها في الزاوية المختارية بأولاد جلال وزاوية بوسمغون بالببيض، الأولى خاصة بالشيخ أحمد المختار والثانية للشيخ أحمد التيجاني.

- استعمال العقود المدببة والمنكسرة والنصف دائرية، كما تظهر الأعمدة بسيطة خاصة في تيجانها، وغالبا ما تكون بدون قواعد.



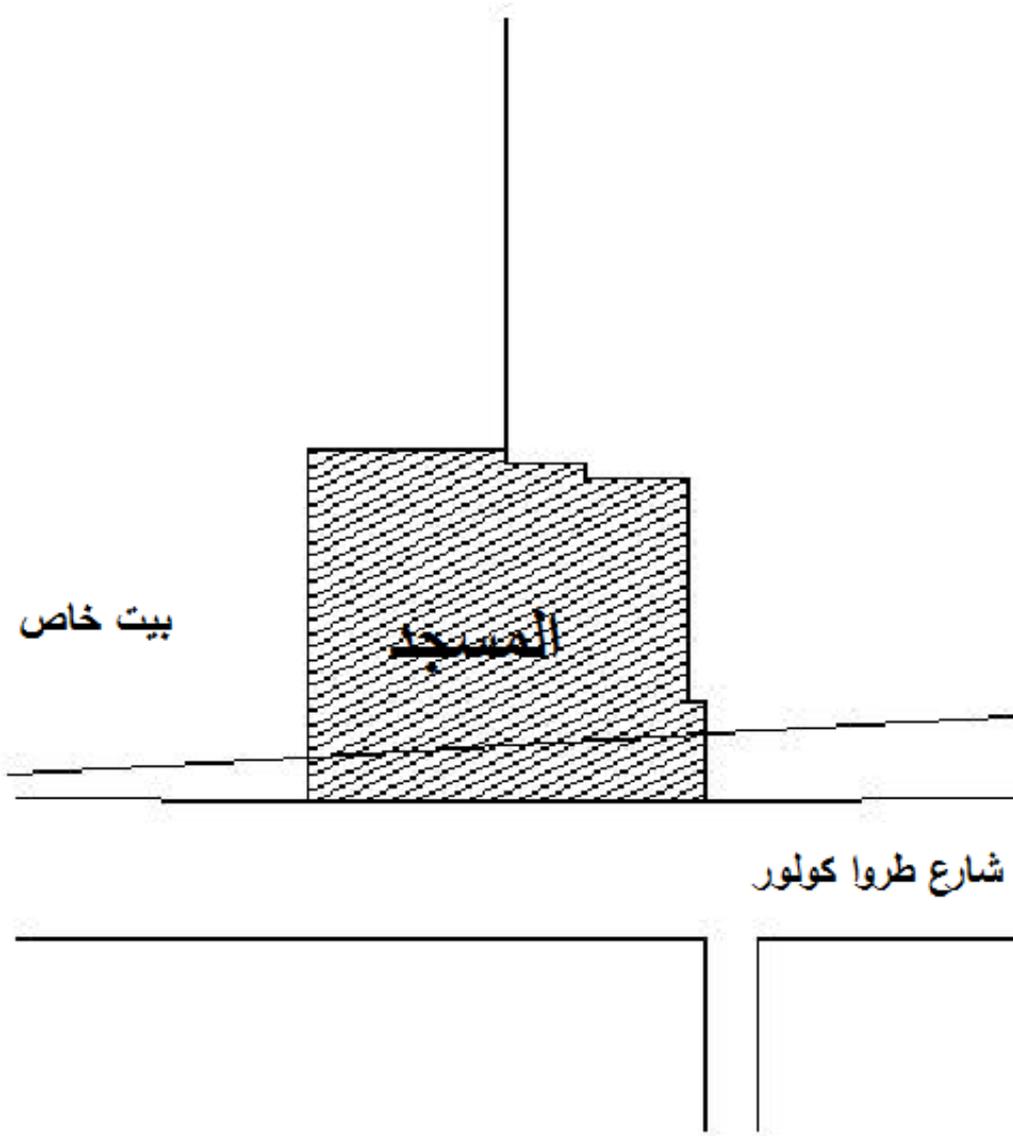
مخطط 12 / زاوية سيدي هلال - مدينة الجزائر

عن: ورشة القصبية



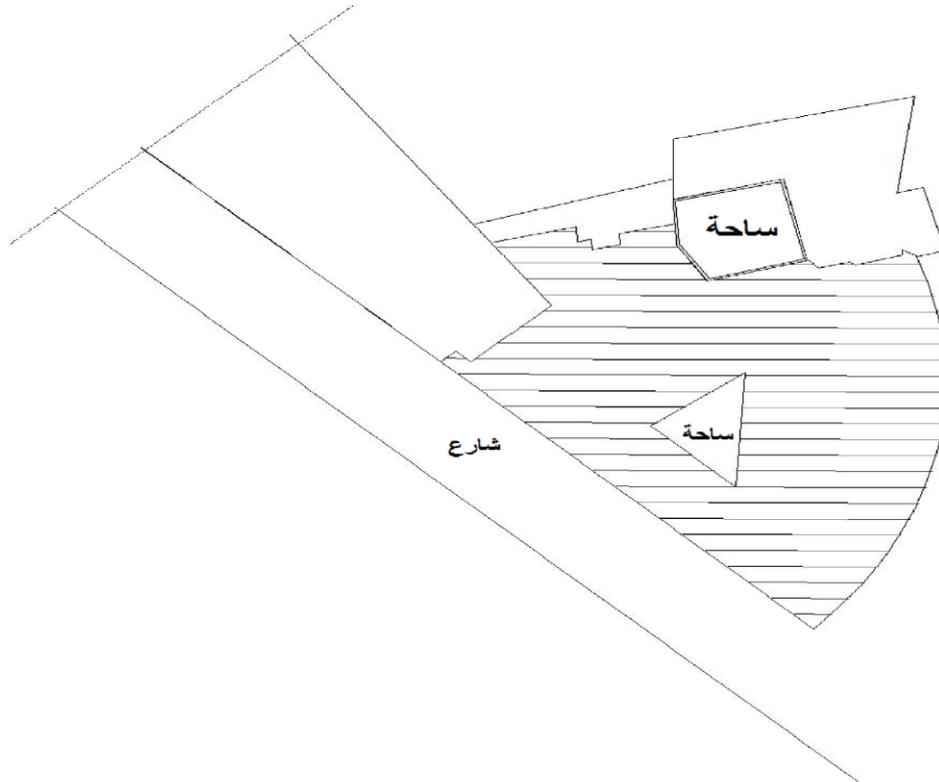
مخطط 13 / زاوية سيدي هلال - السطح

عن: ورشة القصبية



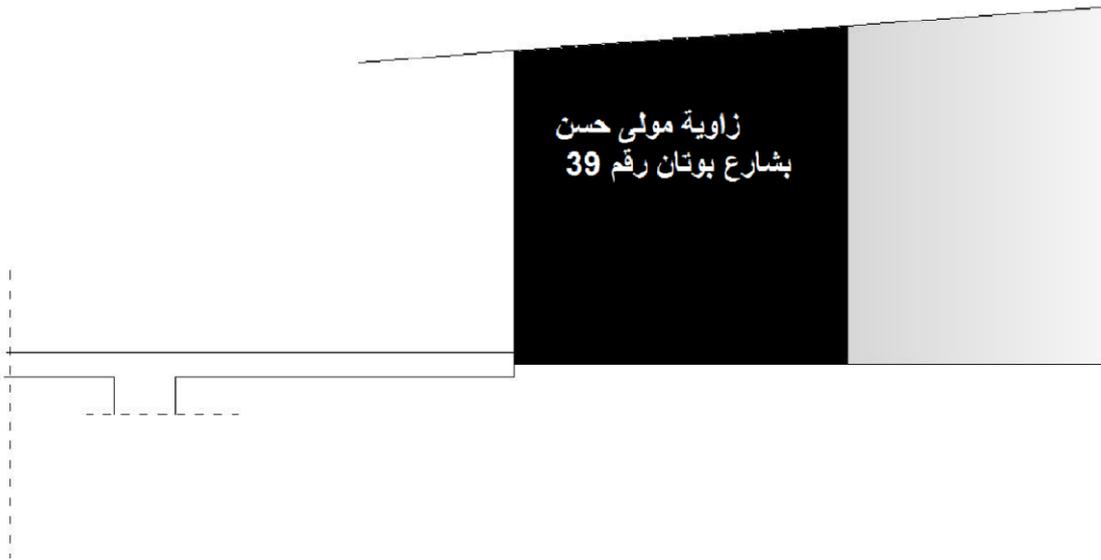
مخطط 14/ زاوية سيدي الجودي - مدينة الجزائر

عن: بن حموش - بتصريف



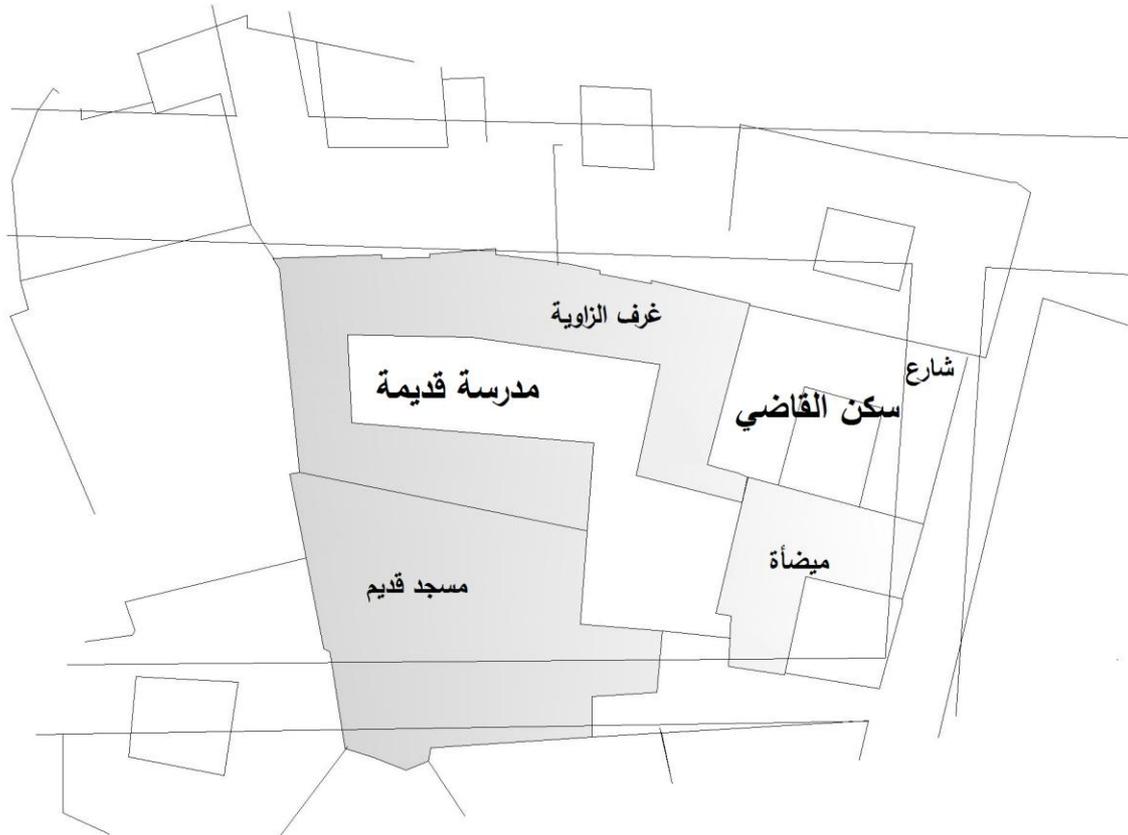
مخطط 15 / زاوية سيدي والي داده - مدينة الجزائر

عن: بن حموش - بتصرف



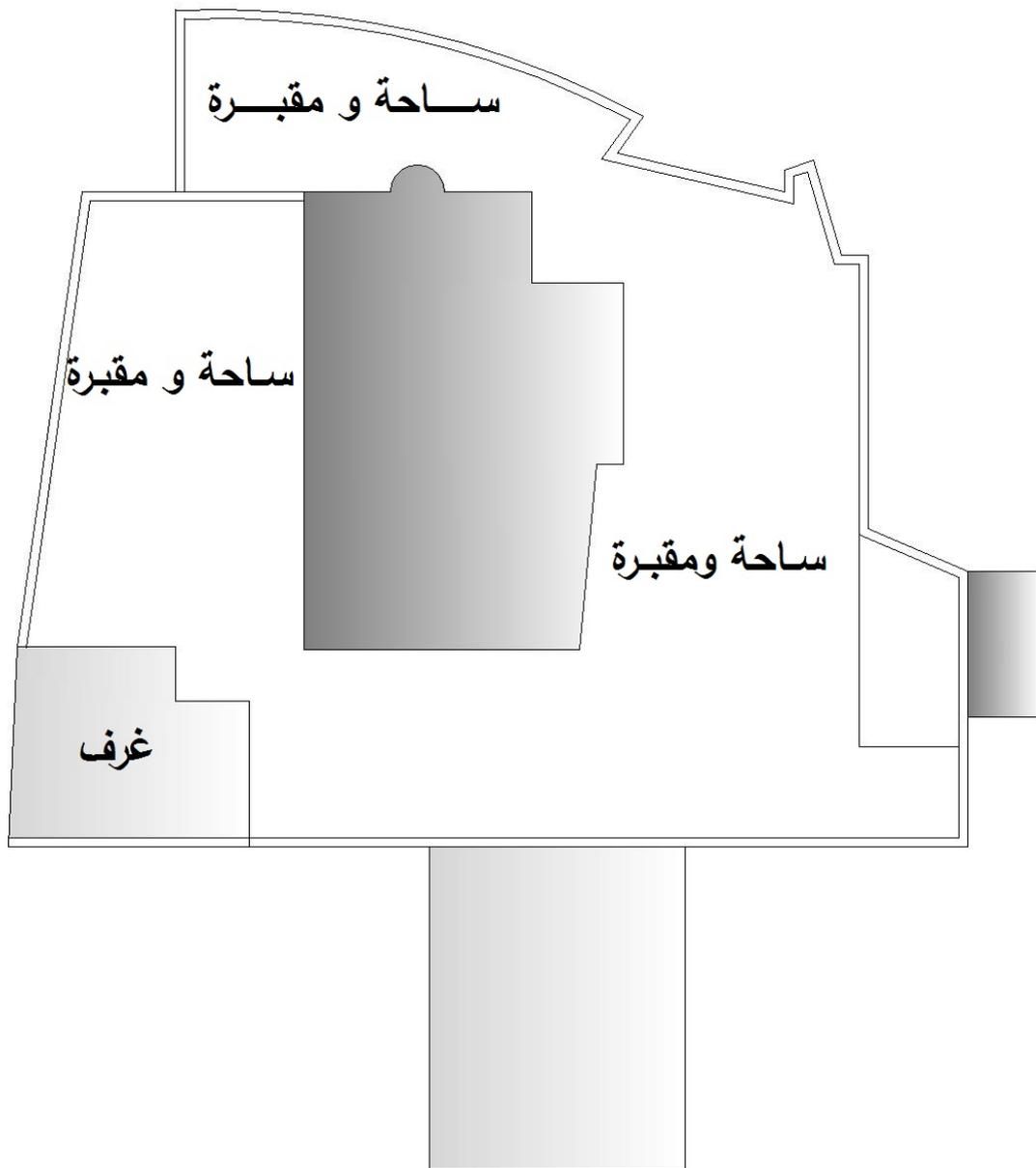
مخطط 16/ زاوية مولى حسن - مدينة الجزائر

عن: بن حموش - بتصريف



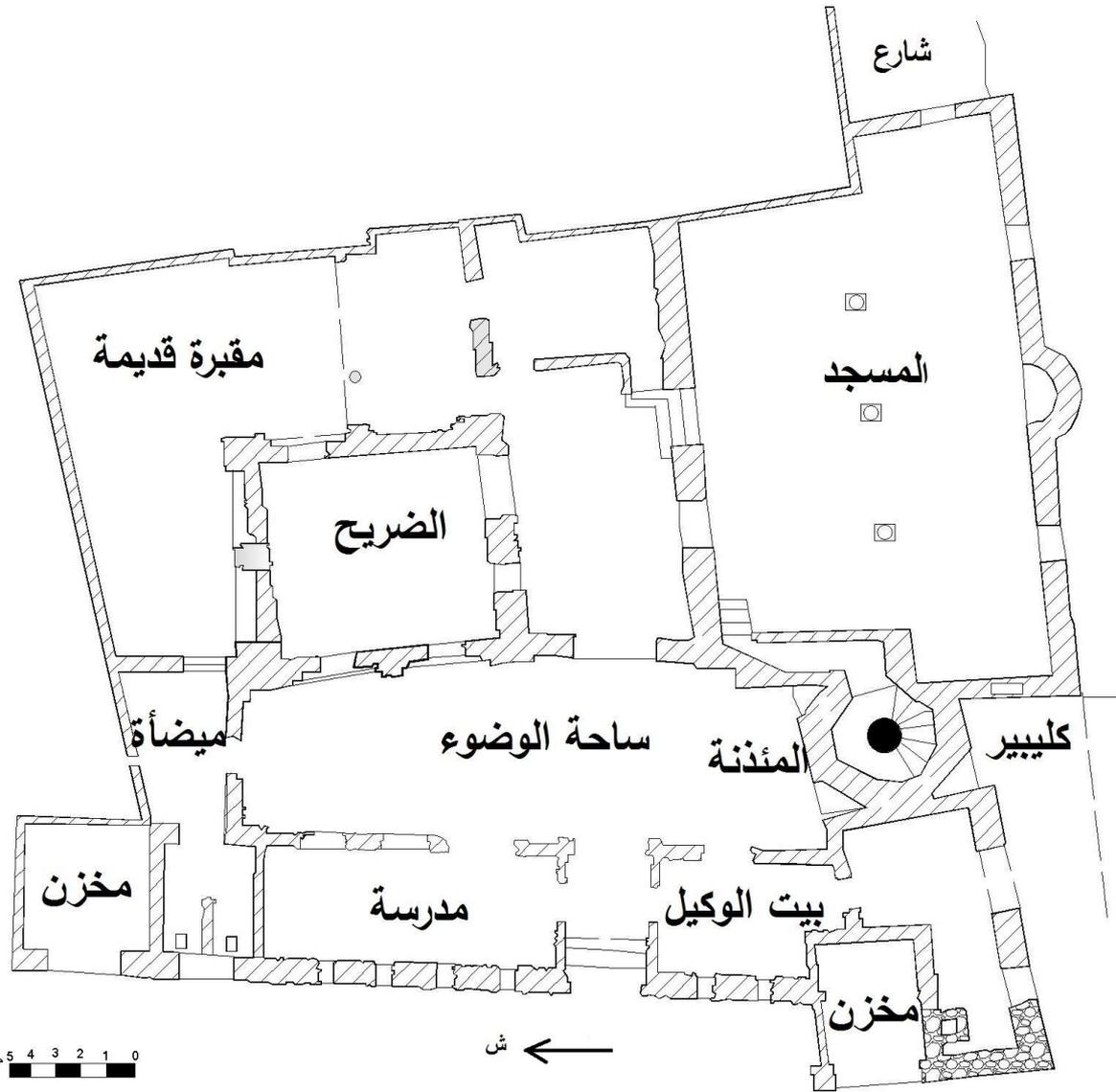
مخطط 17/ زاوية سيدي أحمد بن عبد الله

عن: بن حموش - بتصريف



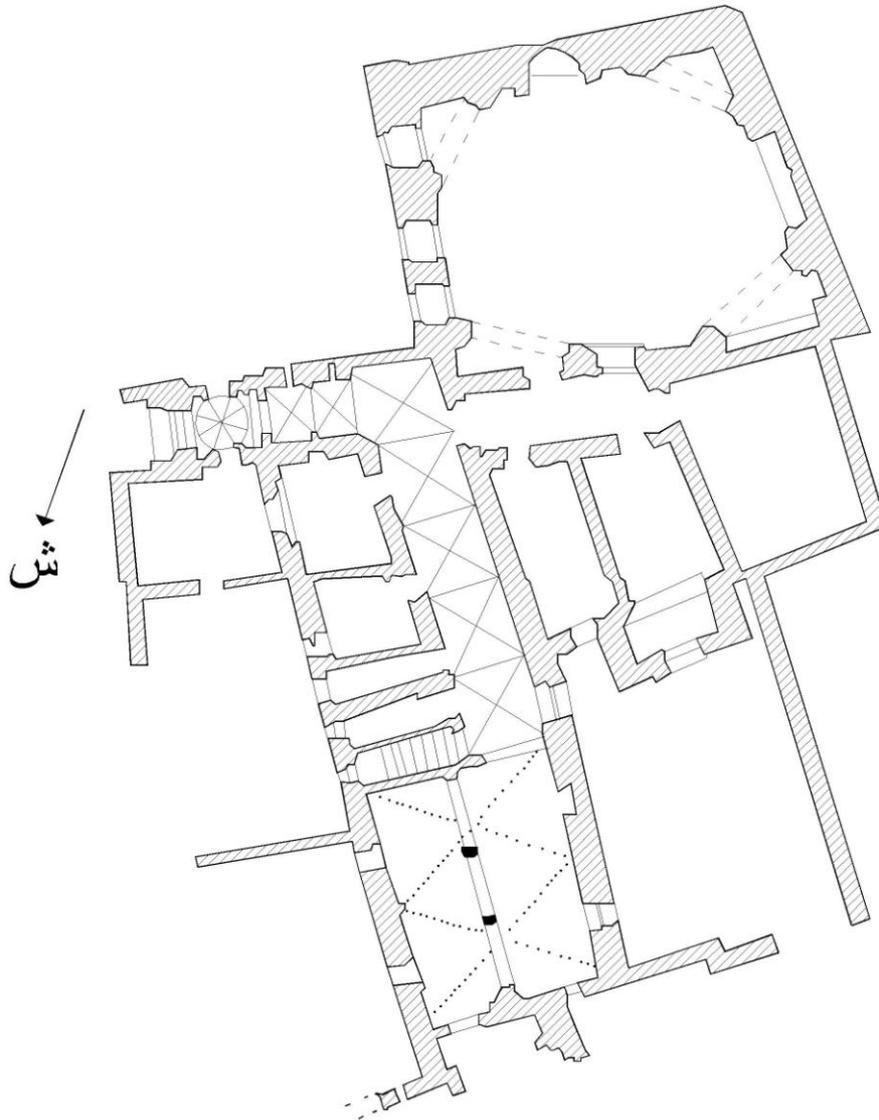
مخطط 18/ زاوية شخطون - مدينة الجزائر

عن: بن حموش - بتصريف



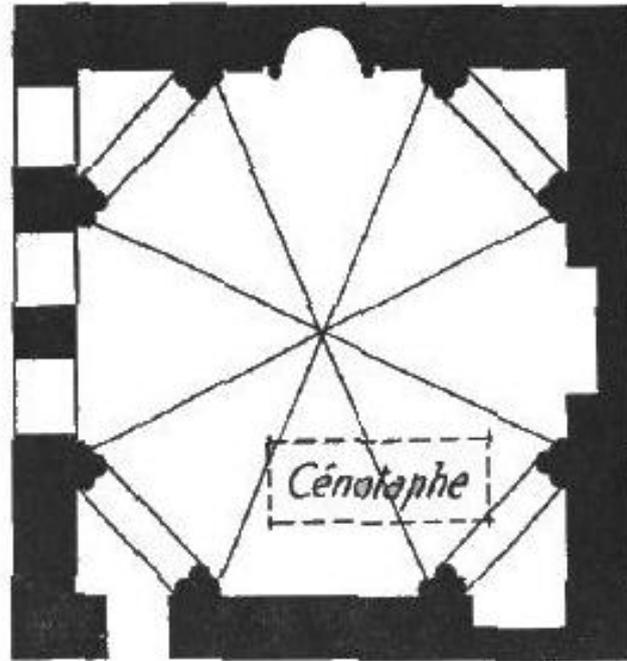
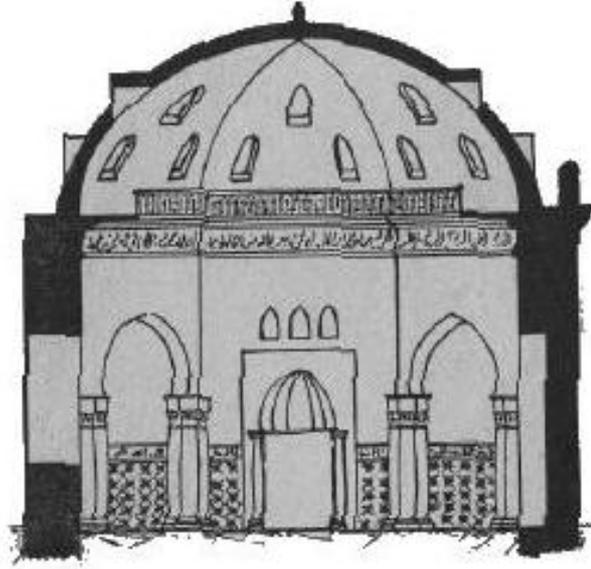
مخطط 19/ زاوية سيدي محمد شريف

عن: بن حموش - بتصريف



مخطط 20/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي

عن: بن حموش - بتصرف

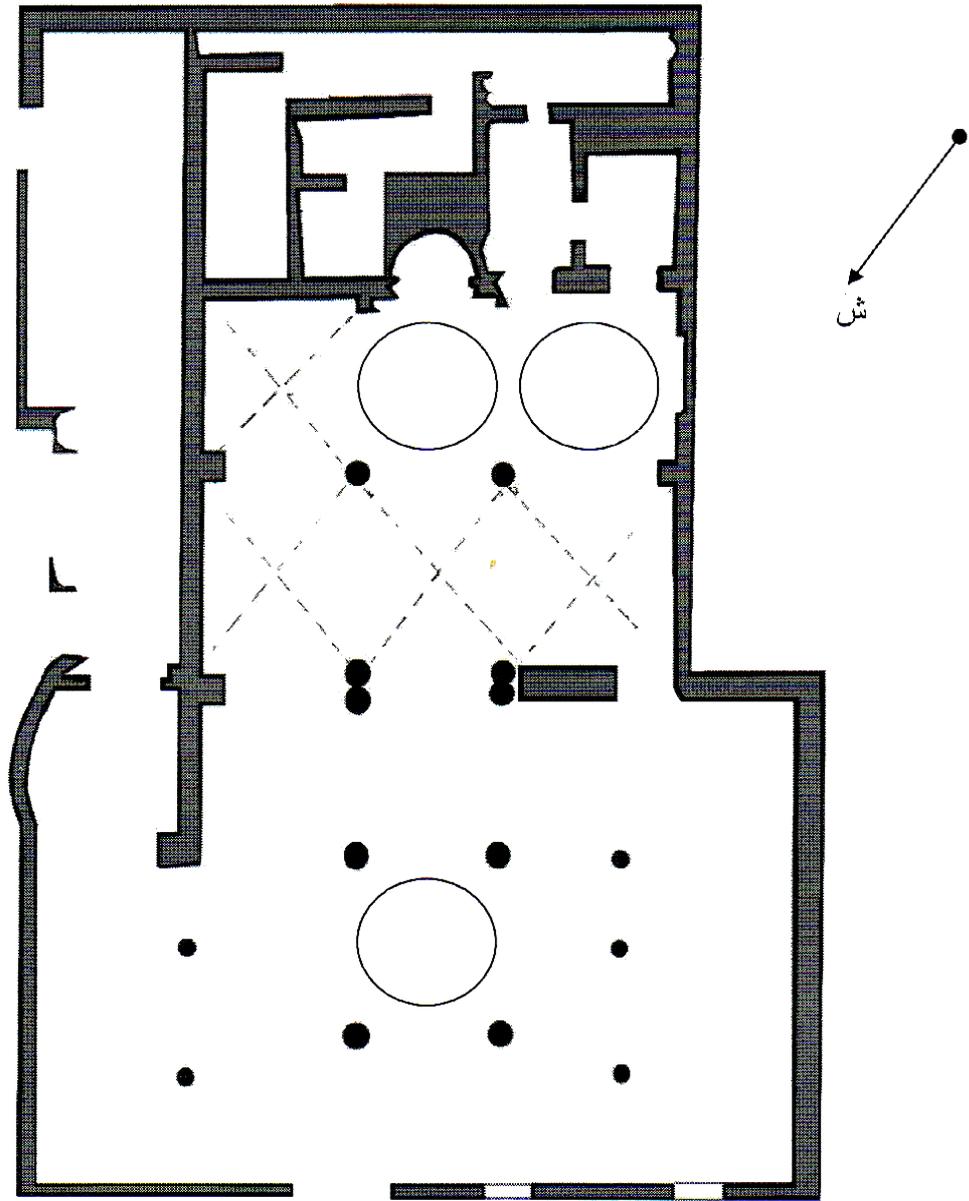


ش ←



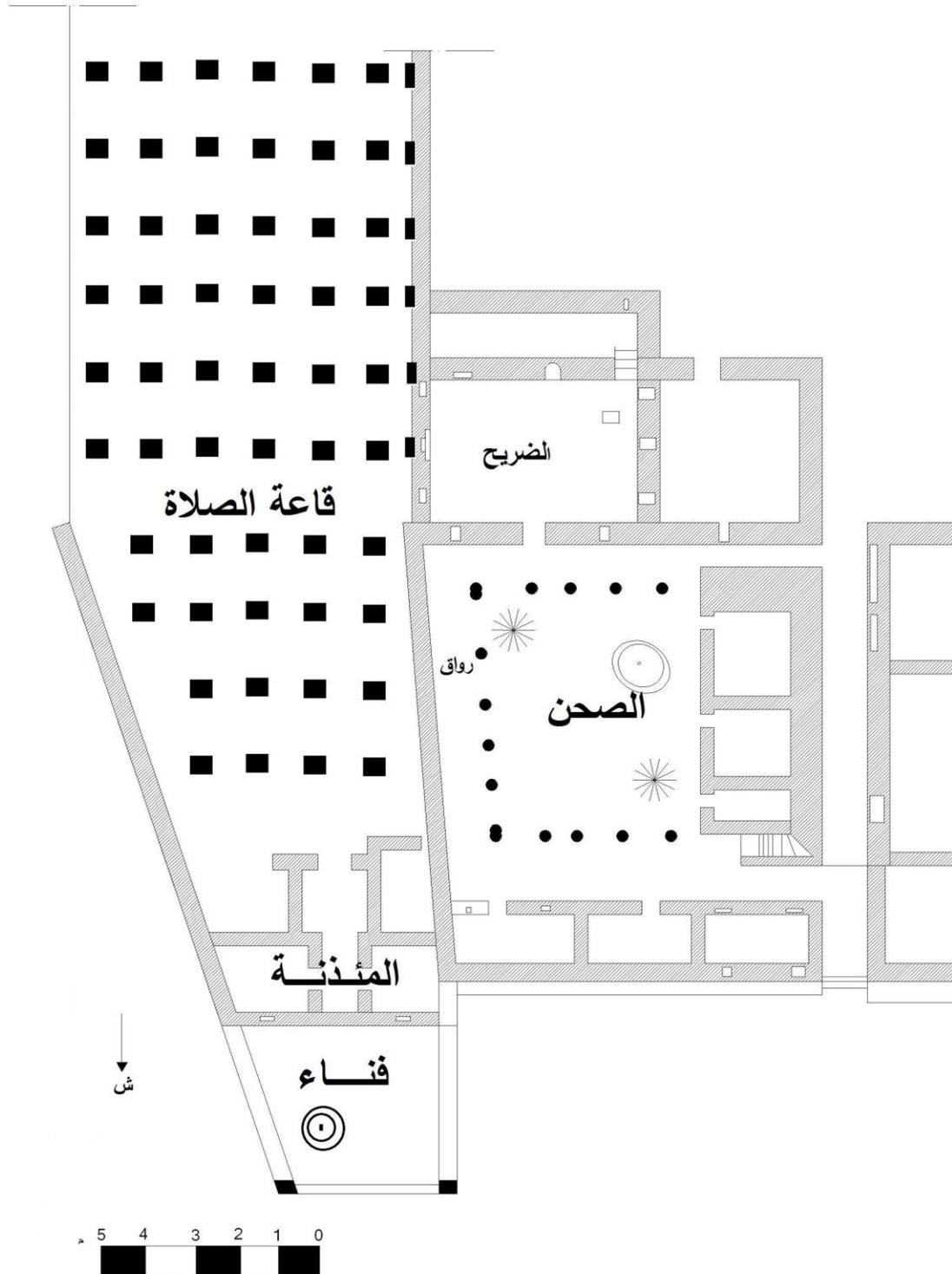
مخطط 21/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي

عن: مارسيه - بتصرف



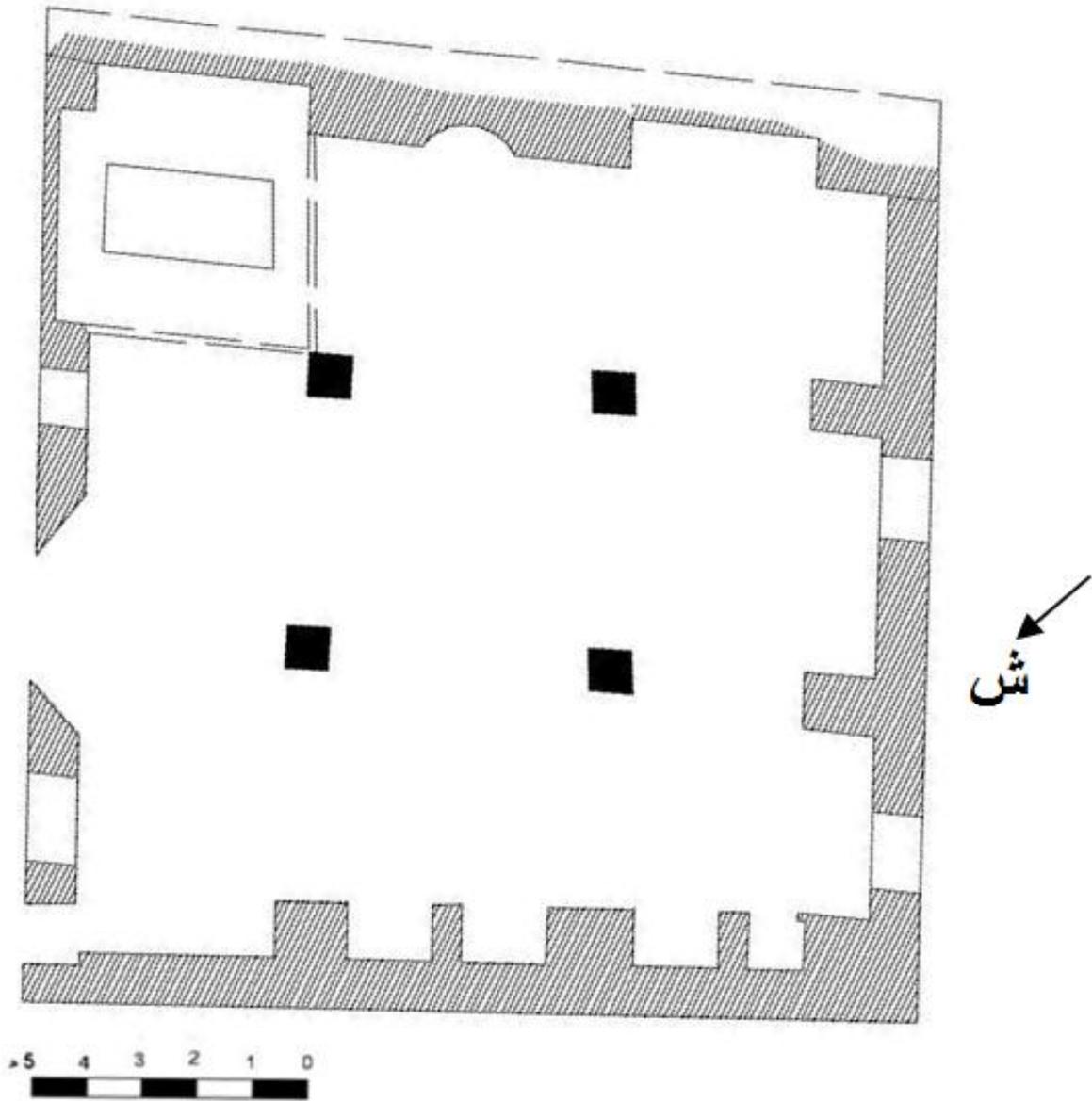
مخطط 22/ زاوية سيدي محمد

عن: بن بلة



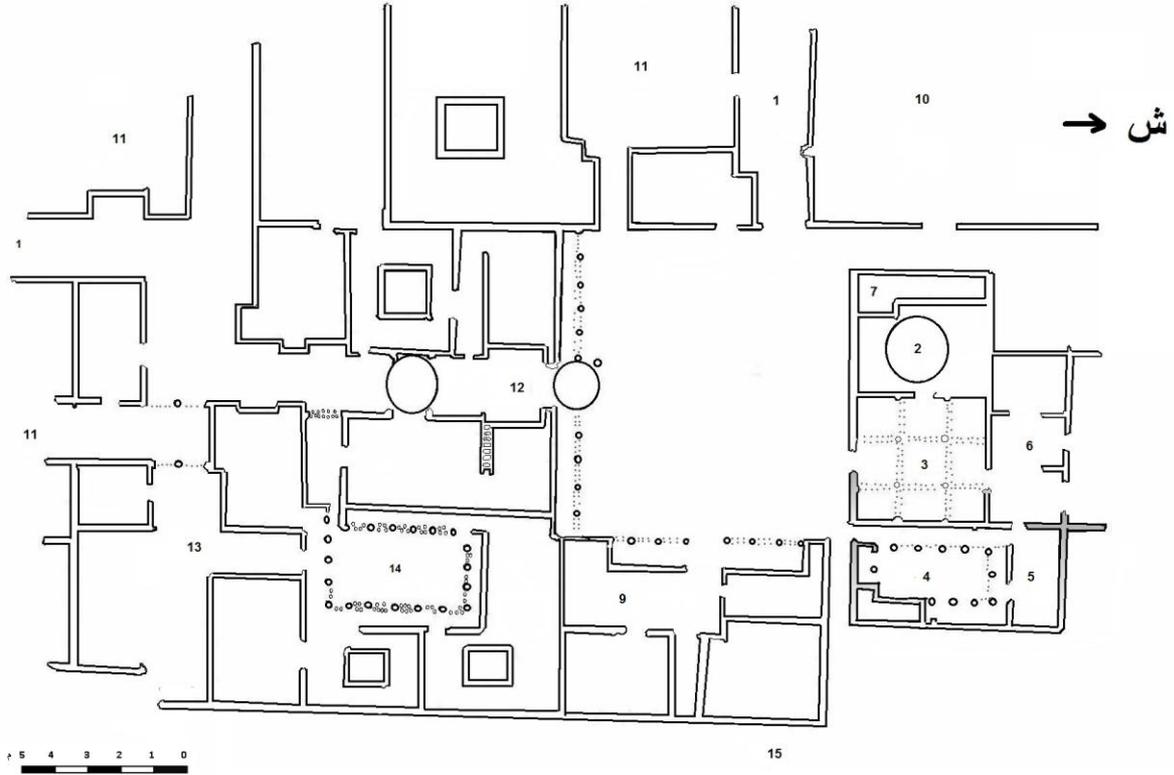
مخطط 23/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف

عن: مكتبة البلدية - بتصرف



مخطط 24/ زاوية باش تازي بقسنطينة

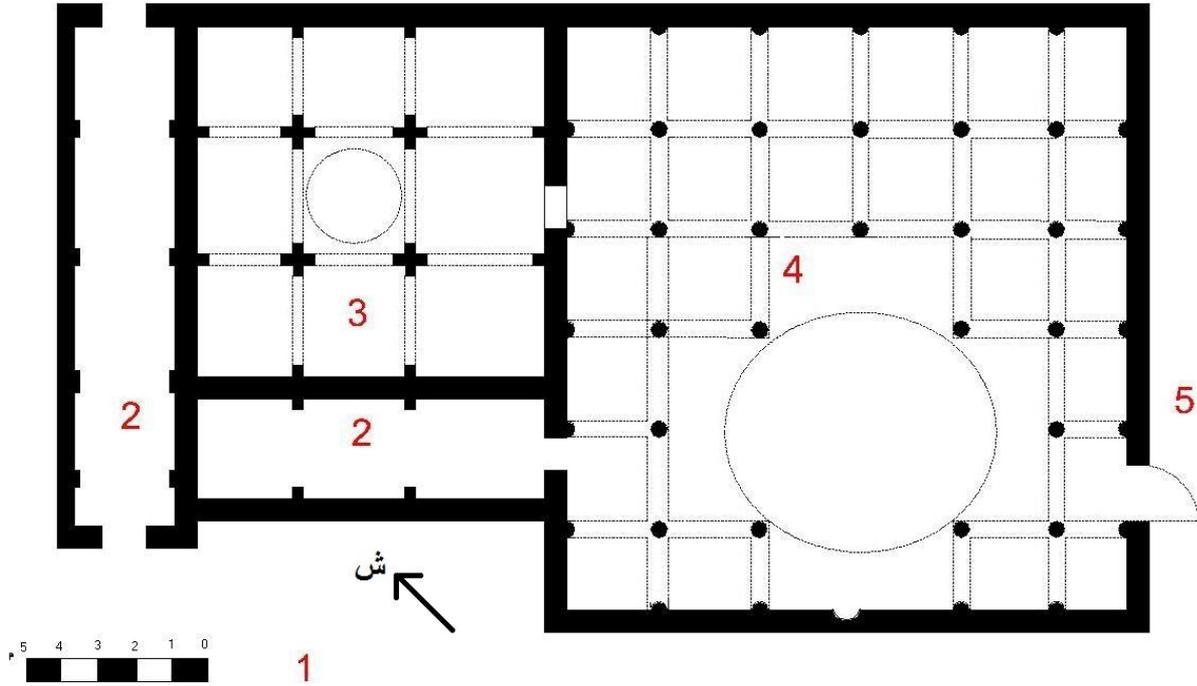
عن: دحدوح - بتصريف



- | | |
|---------------------------|-----------------------|
| 1. مداخل رئيسية | 9. قاعات التدريس |
| 2. ضريح الخاج علي | 10. مباني سكنية مهدمة |
| 3. مسجد الحاج علي | 11. مباني اجتماعية |
| 4. بيت الوضوء | 12. شارع الحوش الشرقي |
| 5. غرف لوازم الدفن | 13. دار المشايخ |
| 6. المقبرة | 14. مجمع دار السادة |
| 7. مدفن العائلة التيجانية | 15. واحات النخيل |
| 8. الساحة العامة | |

مخطط 25/ زاوية تماسين - تقرت

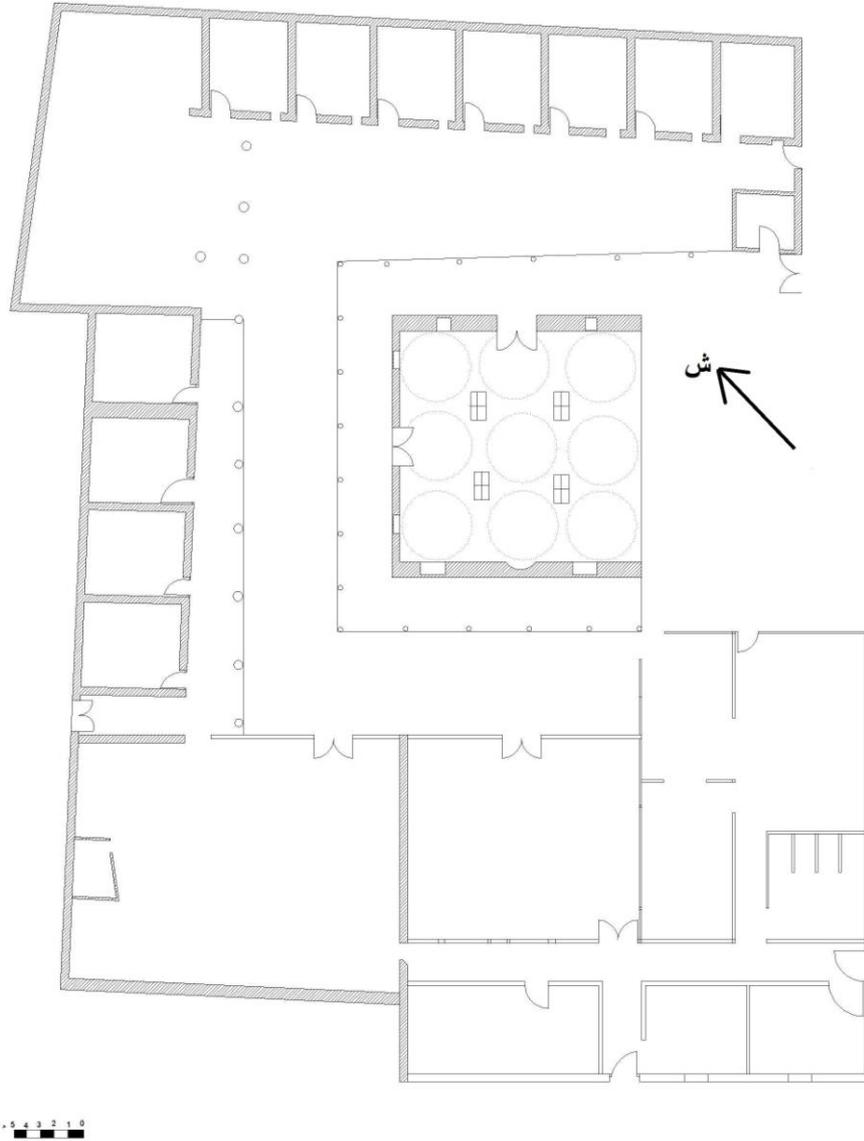
عن: مكتبة الزاوية - بتصرف



- | | |
|----|-------------|
| 1. | صحن الزاوية |
| 2. | أروقة نافذة |
| 3. | الضريح |
| 4. | المسجد |
| 5. | المقبرة |

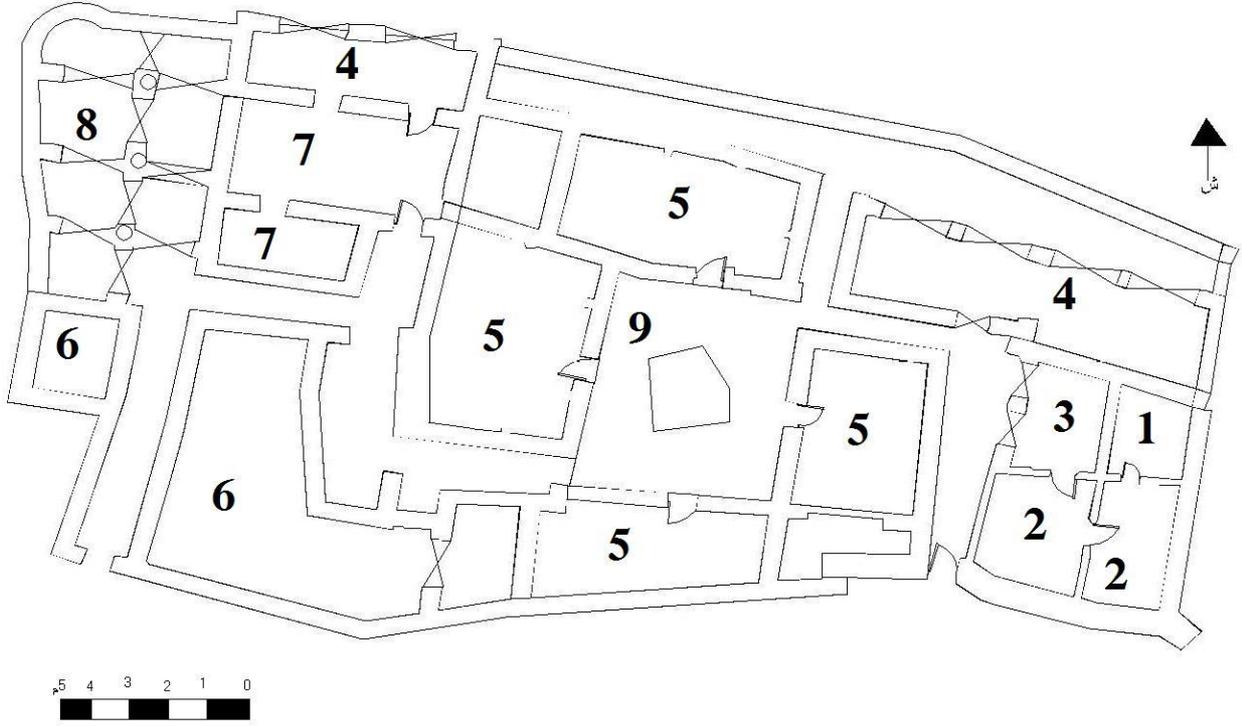
مخطط 26/ زاوية قمار - وادي سوف

عن: المركز الديني لزاوية قمار - بتصريف



مخطط 27/ زاوية سيدي سالم - وادي سوف.

عن: مكتبة الزاوية - بتصرف



1. حجرة التعبد (الخلوة)
2. غرف تابعة للخلوة
3. بهو
4. الشرفة
5. بيوت سكنية وتدرسية
6. المخزن
7. بيت الضيوف
8. المصلى
9. الفناء.

مخطط 28/ زاوية بوسمغون وخلوة سيدي أحمد التيجاني - البيض
 عن: مكتب الدراسات المعمارية التقنية - بتصرف

ثانيا. الوحدات والعناصر المعمارية:

لقد تعددت وظائف العناصر المعمارية في فن العمارة بصفة عامة والإسلامية على وجه الخصوص، حيث لم يقتصر دور هذه العناصر على الجانب الدعيمي لتقوية المبنى وتدعيم مختلف أجزائه وعناصره، كما لم يقتصر استعمالها أيضا كوسائل دعم وعناصر تقوية وتمتين لمختلف وحدات الزاوية، وإنما تجاوز دوره ذلك الإجراء التقليدي الذي أنشئت أساسا لأجله، إلى دور آخر يكتسي أهمية بالغة في الفن المعماري، ألا وهو الجانب الجمالي، ذلك أنّ الفنان المسلم كغيره من الفنانين، لم يكن ليعتني بالجانب المعماري على حساب الجانب الجمالي في مختلف أعماله الفنية، وإنما كان يولي أهمية كبيرة إلى جمالية الشيء، من دون نسيان عامل آخر يتمثل في تكييف مختلف العناصر المعمارية وفق منظور شرعي وبيئي¹.

1. المداخل:

المدخل هو الفتحة أو الباب الذي يدخل منه إلى المسجد ونحوه، وقد لعب دورا هاما في تكوين واجهات العمائر الأثرية الإسلامية، حيث كوّن فيها عنصرا معماريا زخرفيا بالغ الأهمية غالبا ما ارتفعت أطره وعقوده وحناياها حتى بلغت علو جدران الواجهة أو جاورتها². وفي المصطلح المعماري فإن الباب (الخارجي أو الداخلي، الرئيسي أو الفرعي)، هو الفتحة القائمة في سور المدينة أو الحصن، وفي واجهة المنازل أو القصر، أو المساجد، أو الزوايا.

ويتكون المدخل من الباب الخشبي والإطار الرخامي أو الحجري:

ويتم الدخول إلى بيت الصلاة في زاوية أولاد جلال عبر مداخل ثلاثة:

¹ عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، الجزائر، 2007، ص101.

² عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 267.

▪ مدخل رئيسي في محور الواجهة الشمالية.

▪ مدخل في محور الواجهة الغربية.

ويشرف هاذان المدخلان على بيوت الطلبة، على يمين المدخل الرئيسي للزاوية.

ومدخل ثاني في الواجهة الجنوبية الشرقية على يسار المحراب .

أمّا الضلع الوحيد في بيت الصلاة الذي يخلو من المداخل، فهو بمثابة جدار مشترك بين

بيت الصلاة وغرفة الضريح ويتوسطه شباك حديدي.

أما المدخل الرئيسي لزاوية سيدي أحمد بن يوسف تتخللها باب ضخمة غليضة مصنوعة

من الخشب المتين، و مدخل آخر يؤدي إلى بيت الصلاة، ومدخل يؤدي إلى بيت الوضوء أو

المغسل. ومدخل آخر يؤدي مباشرة إلى قاعة الصلاة والضريح في زاوية سيدي محمد بمدينة

الجزائر.

ونجد المدخل المنكسر في زاوية تماسين، والذي يعتبر سمة لافتة في كل المرافق في زوايا

الجنوب وخاصة الزوايا التيجانية، لما يتسم به من مزايا تتماشى وتعاليم الدين الإسلامي

الداعي إلى اتقاء نظرات المارة والحفاظ على أسرار وحرمة البيوت، إذ نجد أن الأبواب تكون

مفتوحة على الدروب والأزقة الضيقة في وضع غير متقابل، كما نجد مداخل منكسرة أخرى

في بعض البيوت بزاوية قمار.

1.1. مداخل الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني:

▪ مداخل زاوية سيدي محمد شريف:

- المدخل الرئيسي:

الإطار الحجري:

المقاسات: ارتفاع: 2.47 م عرض: 1.20 م سمك: 16 سم

عرض العضادة: 60 سم.

جاء هذا المدخل على شكل الإطار الحجري الذي اتخذت فتحته هيئة العقد النصف دائري، محمول على عضودتان مستطيلة وعلى قاعدة مربعة، تتخلل العضودتان والعقد عمود بشكل لولبي، أما الزخرفة فاقترنت على الزخرفة الرمزية تتمثل في عنصر الهلال والنجمة الذي نجدها في كوشتي ، مع زهرة الزنبق التي تزين وسط العقد. (صورة 21،22).



صورة 22/زاوية سيدي محمد شريف

- بنيقة عقد



صورة 21/ زاوية سيدي محمد شريف

- المدخل الرئيسي

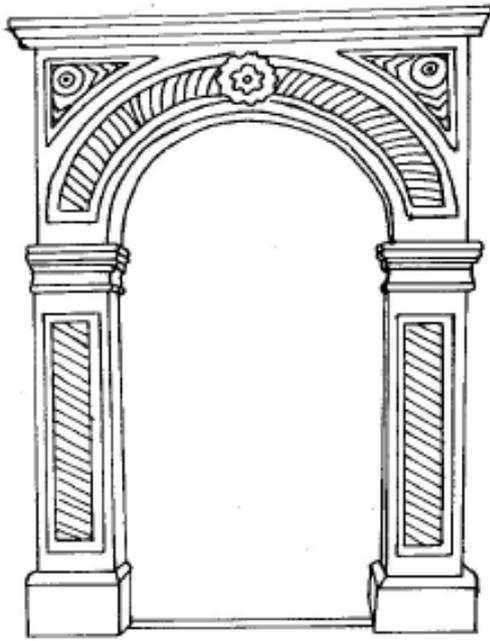
▪ مداخل زاوية سيدي محمد :

- الإطار الحجري:

المقاسات: ارتفاع: 2.41 م عرض: 1.21 م سمك: 20 سم

عرض العضادة: 30 سم.

جاء هذا المدخل على شكل الإطار الحجري الذي اتخذت فتحته هيئة العقد الحذوي محمول على العضودتان مستطيلة وعلى قاعدة مربعة، تتخلل العضودتان والعقد أزهار ذات بتلات. (صورة 23) و (شكل 3).



شكل 3 / زاوية سيدي محمد - مدخل الزاوية



صورة 23 / زاوية سيدي محمد - مدخل الزاوية

▪ **مداخل زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي:**

هذا المدخل، أعيد بنائه من جديد، فهو المدخل والمنفذ الوحيد للزاوية.

▪ **مدخل زاوية سيدي أحمد بن يوسف: (صورة 24، 25)، (شكل 4).**

- **المدخل الرئيسي:**

المقاسات: طول: 1.10م إرتفاع : 2.20 م

جاء هذا المدخل بسيط، اتخذ إطاره الحجري هيئة العقد نصف دائري، فهو خال من أي زخرفة.

- **مدخل إلى قاعة الصلاة:**

المقاسات: طول: 1.03م إرتفاع : 1.98 م

وهو مدخل ذو عقد متجاوز، فهو خال من الزخرفة.

- **المدخل الثاني: (صورة 26)**

المقاسات: طول: 1.09م عرض : 0.91م.

وهو مدخل ذو عقد نصف دائري يرتكز على دعامتين، وكل التركيبية مزينة بزخرفة

جصية، وعلى جانبيه ، توجد نافذتين، بهما قضبان حديدان.

▪ **مداخل زاوية بوسمغون:**

يوجد مدخلان للزاوية:

- **المدخل الأول: (صورة 27) (شكل 5)**

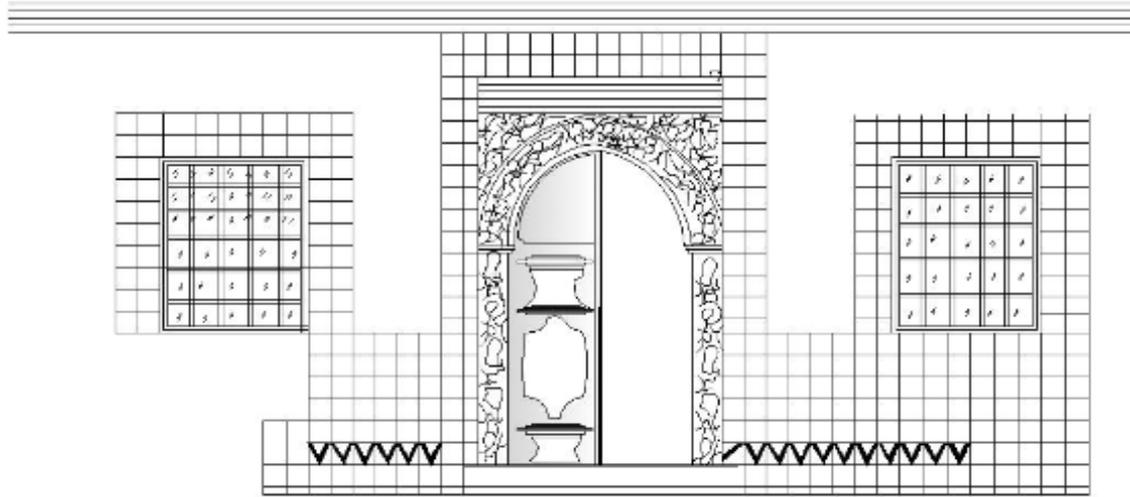
المقاسات: طول: 1.90م العرض: 0.96م.

وهو مدخل بسيط، يأخذ هيئة عقد نصف دائري، خال من الزخرفة.

- **المدخل الثاني: (صورة 28) (شكل 6)**

المقاسات: طول: 1.87م عرض: 0.93م.

وهو أيضا مدخل بسيط، يأخذ هيئة عقد مدبب متجاوز، خال من الزخرفة.



شكل 4/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - مدخل قاعة الضريح.



صورة 25/ سيدي أحمد بن يوسف
- مدخل قاعة الصلاة



صورة 24/ سيدي أحمد بن يوسف
- المدخل الرئيسي



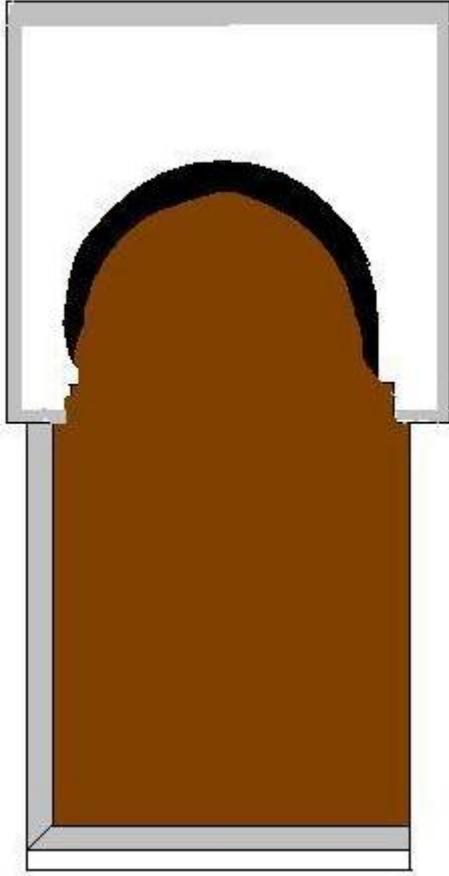
صورة 26/ سيدي أحمد بن يوسف - مدخل قاعة الضريح



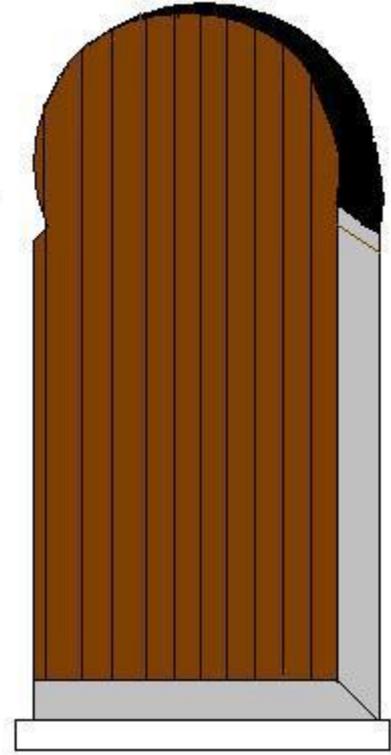
صورة 28/ زاوية بوسمغون - المدخل الثانوي



صورة 27/ زاوية بوسمغون - المدخل الرئيسي



شكل 6 / زاوية بوسمغون - المدخل الثانوي



شكل 5 / زاوية بوسمغون - المدخل الرئيسي

■ مداخل زاوية قمار: (صورة 29).

المقاسات: ارتفاع: 5 م عرض: 2.80 م

نجد في زاوية قمار ثلاثة مداخل رئيسية، أهمها المدخل الجنوبي الشرقي، الذي يمتاز بالضخامة، يؤدي هذا المدخل إلى رواق مكشوف.

أما المدخل الثاني وهو أصغر حجماً من الأول، يفتح على الساحة العامة مباشرة من الجهة الشمالية الشرقية، والمدخل الثالث يقع من الجهة الغربية، ويسمى باب الضريح، يفتح على الأحياء السكنية، يؤدي عبر رواق مغطى بأقبية متقاطعة إلى الساحة العامة



صورة 29/ زاوية قمار - المدخل الرئيسي

■ مداخل زاوية تماسين:

قبل الدخول إلى الزاوية تصادفنا مباشرة العتبة، وهي درجة صخرية موضوعة عند مدخل الزاوية قبل الباب، يبلغ ارتفاعها تقريبا 10سم، دور العتبة تقي الزاوية من دخول الأتربة الرملية ومياه الأمطار والحشرات الضارة وخروج الهواء البارد أيام الحر الشديد¹. فنجد كل المداخل تقريبا كلها منكسرة وهي سمة تتسم من مزايا وتعاليم الدين الإسلامي الداعي إلى اتقاء نظرات المارة والحفاظ على أسرار وحرمة البيوت. للزاوية مدخلان رئيسيان أحدهما يفتح في الجهة الشمالية والثاني بالجهة الجنوبية الغربية، فالمدخل الشمالي الشرقي ينطلق من مكان السوق أو ما يسمى بـمكان الفندق يؤدي إلى شارع شبه مغطى، وقد عرفت هذه الشوارع بالمنطقة بالسقايف. أما المدخل الثاني ذات ارتفاع 3.2م فإنه يشكل شارعا رئيسيا تتفرع عنه عدة أزقة تفتح بها مداخل البيوت، ويؤدي هذا الممر بدوره إلى ساحة واسعة، حيث يوجد مسجد الولي وتفتح

¹ مراد هديبي ، المرجع السابق، ص 185

على جهتيه مداخل البيوت، بالإضافة إلى هذين المدخلين الرئيسيين فإنّ هناك مدخل ثانوي في الجهة الجنوبية الشرقية يؤدي إلى غابات النّخيل التابعة للزاوية.

▪ مداخل زاوية عين ماضي: (صورة 30).

المقاسات: ارتفاع: 3.15م عرض: 1.40م

المدخل يأخذ هيئة عقد مدبب متجاوز، محصور داخل إطار خالي من الزخرفة، وينتهي في أعلاه بما يشبه الدرجات، ويكتف المدخل من الجانبين عمودين مدمجين في الجدار يمتازان بالاستطالة، ينتهيان في أعلاهما بزخرفة هندسية.



صورة 30/ زاوية عين ماضي - المدخل الرئيسي

2. الأروقة:

الرواق هو الساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة، أو بين صف أعمدة وجدار بشرط أن تكون موازية لجدار القبلة أو ممتدة من الشمال إلى الجنوب ، أمّا إذا كانت متعامدة

على جدار القبلة أو ممتدة من الشرق الى الغرب قاطعة للمحراب فهي المجاز الذي أطلق بعد ذلك على الطريقة الموصلة بين مدخل المسجد وصحنه¹، وهذا في المساجد. والملاحظ في مخططات مساجد المغرب الإسلامي وجود أروقة تحيط بصحن المساجد مشكلة المجنبات ومؤخرة المسجد، وغالبا ما يتكون مؤخر المسجد من رواق واحد، بينما يختلف عدد أروقة المجنبات من مسجد لآخر، حيث نجد ثلاثة أروقة بالجامع الكبير بالجزائر ومسجدي المنصورة وندرومة بولاية تلمسان، أما مسجد سيدي أبي مدين وسيدي الطوي وسيدي ابراهيم فتحتوي كلها على مجنبتين نواتي رواق واحد فقط، تسمى هذه الأروقة باللغة التركية " صوكت جماعت يرى " أي مكان المصلين المتأخرين، كما ظهرت أروقة من نوع آخر، تلتصق ببيت الصلاة يمينا ويسارا مثل مسجد شهزاده بتركيا². وأيضا هو عبارة عن مساحة مسقفة تحيط بالصحن من جهاته الأربعة أو من جهة واحدة يفصل بين الصحن والغرف، ويطل عليه بواسطة عقود محمولة على أعمدة موزعة على مسافات متساوية فيما بينها، حيث تعطي للمبنى توازنه كما تضيف عليه سحرا جماليا.

1.2. أروقة الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني:

▪ رواق زاوية سيدي محمد شريف:

المقاسات: طول: 5.37 م عرض: 2.64 م

وهو الرواق الذي يفصل بين بيت الصلاة وقاعة الضريح، مستطيل الشكل.

▪ رواق زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي:

المقاسات: طول: 7.37 م عرض: 2.89 م

¹ عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 125.

² Gabriel (A.), « Les mosquées de Constantinople », IN. *Syria*, T7, Paris, 1926, p.361.

هذا الرواق يفصل بين مزل الضريح وبعض الغرض، ويمتد حتى المطبخ، مستطيل الشكل.

■ أروقة زاوية سيدي أحمد بن يوسف:

هذه الأروقة عبارة عن مساحة عرضها 2.50م، غير مسقفة، تحيط بالصحن من الجهات الأربعة، وهي تفصل بين الصحن والضريح وبعض الغرف، وهي تشكل ممرات للسالكين من خلالها ذهابا وإيابا، أو نحو الصحن.

■ أروقة زاوية تماسين:

وبنفس التصميم والتخطيط نجد هذه الأروقة في زاوية تماسين، مختلفة في الحجم وشكل الأعمدة، فمثلا رواق الجهة الجنوبية من الصحن يسمى بالرواق الضهراني، ويخصص لفصل الصيف كونه يساعد على تلطيف الجو والتقليل من حدة أشعة الشمس، أمّا رواق الجهة الشمالية فيسمى بالرواق القبلاوي، ويخصص لفصل الشتاء، إذ يستعمل لتجفيف التمور بعيدا عن مختلف الظواهر الطبيعية كالأمطار والرياح.

■ أروقة زاوية بوسمغون:

ولزاوية بوسمغون رواق متصاعد ومتدرج خفيفا لا يتجاوز 03 درجات، حيث يصل إلى باب مصلى على شرفة.

3.الصحن:

يعرف صحن الدار على أنه وسطها ومركزها ويطلق عليه أحيانا باحة أو ساحة ويسمى محليا بوسط الدار أو الحوش، وهو أهم فضاء في المنزل ولم يقتصر تصميمه على الدور السكنية فقط، وإنما اتخذ " كنواة للخان والفندق والقيسارية والوكالة والمارستان والقصر والدار والزوايا"¹.

¹ جمعة أحمد قاجة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط1، لبنان، 2000، ص327.

والواقع أن مواضيع الصحن في هذه الزوايا لم يكن نابعا من تقليد معماري معين وإنما فرضته طبيعة المكان والموضع والمساحة المخصصة للبناء، فهذه الزوايا بهذه المدن كانت تعيش خلال العهد العثماني في اكتضاض وتكدس عمراني لم تشهده من قبل، وأيضا هو نقص الساحات والرحاب داخل هذه المدن.

كما يعتبر الصحن أهم وحدة معمارية في العمارة الصحراوية، في البيئة القاسية خاصة في مناطق المناخ الحار، وهو يقوم بدور المنظم الحراري للمسكن، حيث يعمل على تلطيف درجة الحرارة داخل المبنى مستفيدا من الفرق الكبير في درجة الحرارة ما بين الليل والنهار، وتكوين أماكن ضغط متباينة ما بين الشوارع الضيقة المظللة والصحن المفتوح من خلال دورة التبريد التي تتكون أثناء الليل والنهار، والتي تبدأ من ترسيب الهواء البارد في الصحن والغرف المحيطة به ليلا إلى ظهيرة اليوم التالي عندما تسخن الأسطح المعرضة للشمس¹.

1.3. صحن الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني:

▪ صحن زاوية سيدي محمد شريف: (صورة 31)

تقريبا مستطيل الشكل صغير الحجم، ويأخذ مكانا على يمين بيت الصلاة، يستعمل للوضوء، أعيد بنائه من جديد.

¹ وليد شلتوت، الأنماط المعمارية في العمران الصحراوي، المؤتمر الهندسي الثاني، كلية الهندسة، جامعة عدن، اليمن،

31، 30، مارس، 2009، ص121، لمزيد من المعلومات، أنظر: مراد حديبي، المرجع السابق، ص 130 - 132 .



صورة 31/ زاوية سيدي محمد شريف - الصحن.

■ صحن زاوية سيدي أحمد بن يوسف: (صورة 32)

نجد الصحن المكشوف في زاوية سيدي أحمد بن يوسف بأروقته الأربعة، وهو مربع الشكل به نافورة ماء، وشجرتين ضخمتين على الجانبين، واحدة للجوز، والأخرى للتين، كما به شواهد قبور.



صورة 32 / زاوية سيدي أحمد بن يوسف - الصحن

▪ صحن زاوية باش تارزي:

يقع الصحن في زاوية باش تارزي إلى جانب بيت الصلاة، مستطيل الشكل.

▪ صحن زاوية تماسين:

تضم زاوية تماسين بعض الصحن، تأخذ الشكل المربع، حيث يوجد في وسطها بئر أو بئران للتزود بالمياه الصالحة للشرب.

▪ صحن زاوية قمار

ولإضفاء الصبغة الجمالية عليه تحاط بعضها بأشرطة من الزخارف الجصية في أعلى الواجهات أو بعض الأعمدة التي تحمل العقود والتي تشكل الأروقة الجانبية.

▪ صحن زاوية عين ماضي:

تحيط بالصحن أو ساحة مكشوفة في زاوية عين ماضي مجموعة من الغرف، اتخذت إحداهما كمحكمة، وتأخذ الشكل المربع.

▪ صحن زاوية بوسمغون: (صورة 33)

نجد في زاوية بوسمغون صحنًا تتوسطه شجرة، تحيط به من جهاته الأربع بيوت سكنية وأخرى للتدريس، يحتوي كل بيت على نافذتين تطلان على الصحن.



صورة 33 / زاوية بوسمغون - الصحن.

4. المحراب:

المحراب كلمة أطلقها المؤرخون المسلمون كما جاء في " المصباح المنير " ، حيث يقال محراب المصلى، مأخوذ من المحاربة، لأن المصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه بإحضار قلبه.

ويعرف في اصطلاح اليوم بالقبلة، وهي الحنية المجوفة التي تكون في حائط المسجد لجهة القبلة المخصصة للإمام أثناء الصلاة¹.

ولقد كثرت التأويلات في أصل هذه الحنية المجوفة في حائط القبلة، فمنهم من يرجح أنها اقتبست من المعابد الهندية ومنهم من يرجعها إلى أصل يهودي، والأكثر منهم ينسبها إلى أصل مسيحي بحيث قلّدت من الكنائس القبطية بمصر².

وهذا ما ذهب إليه فريد الشافعي بأن اقتباس المحراب المجوف هو الحنيات الرومانية الصغيرة التي كانت بمثابة زخارف جدارية، استخدمها المسيحيون في عمائرهم وكنائسهم لنفس الغرض الزخرفي³.

و وجود المحراب في المسجد له غرضان:

أحدهما تحديد جهة القبلة، وثانيها اختصار الحيز المخصص لوقوف الأمام لكي لا يستهلك الامتداد على جانبيه بدون طائل.

ولقد تطور شكل المحراب بتطور العمارة والفنون الإسلامية، فأبدعت فيه أشكالاً مختلفة تراوحت فيه ما بين الشكل النصف الدائري و الشكل المضلع.

وحسب الأستاذ بورويبة، فإنّ المرابطين هم الأكثر استعمال المحاريب ذات الأشكال المضلعة، وذلك في كل مساجد تلمسان التي تنتمي إلى الفترة المرابطية والزيرية والمرينية

¹ طه الولي، المرجع السابق، 1988، ص220.

² Sabag (P.), La grandes mosquées de Kairouan, Delphale, 1963,p.66.

³ فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مج1، القاهرة، 1970، ص167.

بغض النظر عن تفاوت أحجامها، وأقدم محراب مصلع الشكل في الجزائر هو محراب الجامع الكبير بتلمسان 530هـ / 1136م، كما أنه يرى بأن هذا التجويف المصلع في مساجد الغرب الجزائرية بصفة خاصة هو تأثير من مسجد قرطبة¹.

إن وجود المحاريب النصف دائرية يجعلنا نفكر مباشرة في تأثير عثماني على هذا العنصر المعماري، بالإضافة إلى الشكل المصلع الذي كان سائداً من الجهة الغربية من المغرب الأوسط كما ذكرنا آنفاً، فإن الجهة الشرقية منه تحتوي على محاريب ذات حنيات نصف دائرية مثل الجامع والمصلى الموجودان بقلعة بني حماد و الجامع الكبير بقسنطينة الذي يعود إلى القرن 6هـ / 12م وسواء كان تأثيراً عثمانياً أو استمراراً لتقليد كان سائداً، فإن الوجود العثماني هو الذي أعاد الشكل من المحاريب إلى الواجهة المعمارية.

1.4. محاريب الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني:

■ محراب زاوية سيدي محمد شريف:

المقاسات:

ارتفاع كلي: 2.78 م عرض 1.08 م

التجويف: عرض: 1.10 م عمق: 0.85م.

هو محراب بسيط، يأخذ شكله نصف دائري، خال من أي نوع من الزخرفة. (صورة 34)

¹ Bourouiba (R.), *L'art religieux musulman en Algérie, Alger, 2 eme* edition, 1981, p.113.

وانظر أيضاً:

- محمد موشموش ، مساجد مدينة التنس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008، ص193.

- Marcel(P.), *La qibla et le mihrab*, Alger, 1972, p.13

▪ محراب زاوية سيدي محمد:

المقاسات:

ارتفاع كلي: 2.57 م عرض 1.37 م

التجويفة: عرض: 1.10 م عمق: 0.89 م.

اتخذ عقد المحراب الشكل نصف دائري، متجاوز منكسر، بينما تجويفة المحراب فهي نصف دائرية، يرتكز على عمودين مدمجين بالجدار، المحراب خالي من أية زخرفة. (صورة 35).



صورة 35/ زاوية سيدي محمد- المحراب



صورة 34/ زاوية سيدي محمد شريف

- المحراب

▪ محراب زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي:

المقاسات:

ارتفاع كلي: 2.90 م عرض 1.12 م

التجويفة: عرض: 1.10 م طول الضلع التجويفة: 25 سم.

يأخذ محراب زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي مفتاح عقده الشكل المتجاوز المنكسر، بينما التجويفة نجدها مضلعة الشكل، كسيت ببلاطات خزفية جميلة بمختلف الألوان والأشكال، ويكتنف المحراب عمودان من الرخام. (صورة 36)

■ محراب زاوية سيدي أحمد بن يوسف:

المقاسات:

إرتفاع كلي: 2.30 م عرض: 1.25 م
التجويفة: عرض: 0.96 م عمق: 0.96 م

يوجد المحراب في الجدار الجنوبي للضريح، وهو عبارة عن تجويفة نصف دائرية تكسوها طبقة من المربعات الخزفية بمختلف الأشكال والألوان، ويعلو المحراب بقسمه العلوي، نصف قبيبة مزينة بمغازل وأخاديد منحنية تأخذ شكل نصف قوقعة.

أما إطار المحراب فيتكون من عقد حذوي منكسر، يرتكز على عمودين. (صورة 37)

■ محراب زاوية باش تارزي:

المقاسات:

إرتفاع كلي: 2.08 م عرض: 1.15 م
التجويفة: عرض: 0.98 م عمق: 0.56 م

ويأخذ عقد المحراب الشكل المتجاوز، بينما التجويفة فنجدها نصف دائرية، المحراب مزدان بزخارف متنوعة، قوامها قبيبة مشعة على شكل محارة أو صدف تتبع من نصف دائرة مزينة بنتوءات في شكل مثلثات ومعينات متقابلة ومتدايرة تتجه أخاديد القبيبة نحو الأعلى ليتشكل منها عقد مفصص يزين واجهة المحراب. (صورة 38)



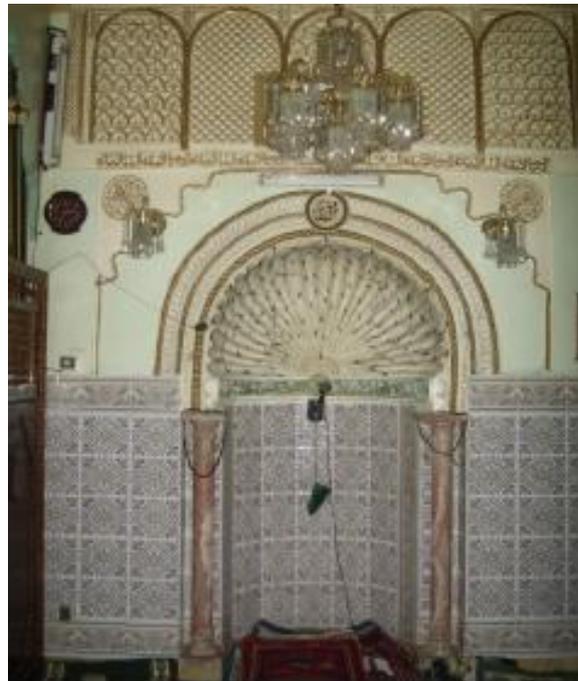
صورة 36/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي

- المحراب



صورة 37/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف

- المحراب



صورة 38/ زاوية باش تارزي - المحراب

■ محراب الزاوية المختارية:

المقاسات:

إرتفاع كلي: 1.95 م عرض: 1.08 م
التجويفة: عرض: 0.82 م عمق: 0.60 م

ويتوضع محراب مسجد الزاوية المختارية في منتصف جدار القبلة لبيت الصلاة ذات حنية نصف دائرية، يكتنف المحراب عمودان بسيطان، يزدان ببلاطات وتجميعات خزفية قوامها أزهار ووردات.

■ محراب زاوية بوسمغون:

المقاسات:

إرتفاع كلي: 0.84 م عرض: 0.75 م
التجويفة: عرض: 0.50 م عمق: 0.50 م

يأخذ المحراب شكل تجويفه نصف دائري، وعقده نصف حذوي متجاوز، خال من أية زخرفة. (صورة 39).



صورة 39/ زاوية بوسمغون - المحراب

■ دراسة تحليلية للمحاريب:

■ مواقع المحاريب:

- وجدت المحاريب في أماكن مختلفة من الزوايا:

محراب زاوية سيدي محمد شريف يقع في مسجد الزاوية (يتوسط قاعة الصلاة)

محراب زاوية سيدي محمد يقع في جزء من بيت الصلاة

محراب زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي يقع في ضريح الزاوية (قاعة الضريح).

محراب زاوية سيدي أحمد بن يوسف يقع في ضريح الزاوية (قاعة الضريح).

محراب زاوية باش تارزي يقع في بيت الصلاة

محراب الزاوية المختارية يقع في مسجد الزاوية (قاعة الصلاة)

محراب زاوية بوسمغون يقع في مصلى الزاوية.

■ أشكال الحنيات أو التجويوات:

- الحنيات المقوسة: تأخذ هذه الحنيات الشكل النصف دائري أو أقل من نصف الدائرة

أو متجاوزة للنصف الدائرة.

- من المحاريب التي ظهرت فيها الحنية نصف دائرية هي: محراب زاوية سيدي محمد

شريف، ومحراب زاوية سيدي محمد، ومحراب زاوية سيدي أحمد بن يوسف ومحراب زاوية

باش تارزي، محراب الزاوية المختارية، ومحراب زاوية بوسمغون.

- الحنيات المضلعة: الزاوية الوحيدة ذات حنية مضلعة تتمثل في زاوية سيدي عبد الرحمن

الثعالبي.

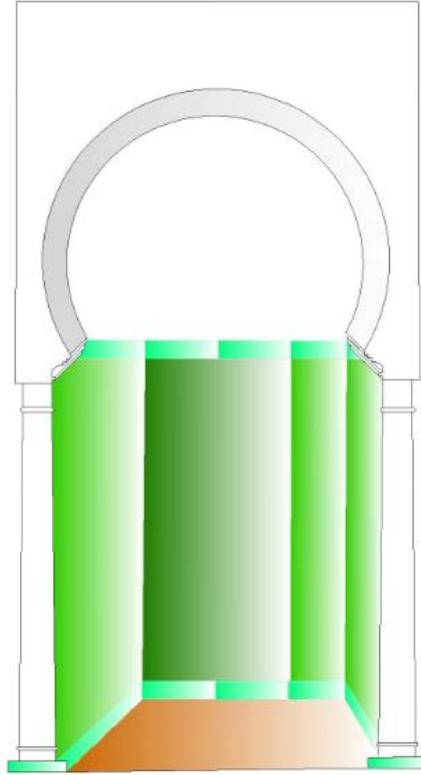
- الطاقيات: لدينا طاقيات مضلعة، وطاقيات خالية من الزخرفة أي ملساء، وطاقيات

بتعاريق أو خطوط مشعة.

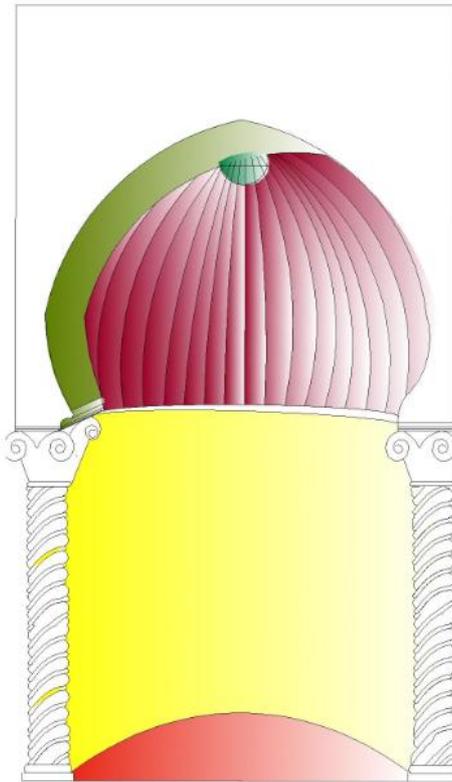
- الطاقيات الملساء: استعملت في زاوية سيدي محمد، وزاوية بوسمغون، والزاوية

المختارية.

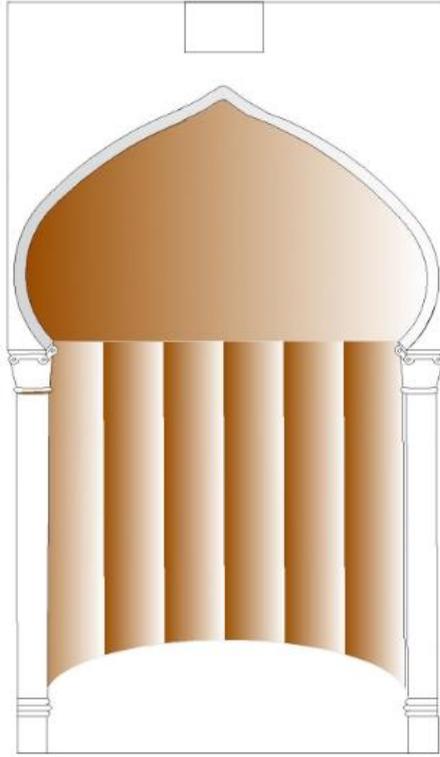
- **الطاقيات المضلعة:** استعملت بمحراب زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي.
- **الطاقيات بخطوط متشابكة:** استعملت في محراب زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمغازل وأخاديد منحنية تأخذ شكل نصف قوقعة، كما استعملت في محراب زاوية باش تارزي وهي قبيبة مشعة على شكل محارة أو صدفة تتبع من نصف دائرة مزينة بنتوءات في شكل مثلثات ومعينات متقابلة ومتدايرة تتجه أخاديد القبيبة نحو الأعلى.
- **الجزء الأسفل من تجويفة المحراب:**
استعمل نوعان من طريقة تزيين الحنيات من الأسفل:
- **الزخارف الجصية:** استعملت في تكسية محراب زاوية باش تارزي.
- **تكسية بالبلاطات الخزفية:** استعمل هذا النوع في محراب زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ومحراب زاوية سيدي أحمد بن يوسف، ومحراب الزاوية المختارية، وهذا متأثراً بالتقاليد التركية.
- **عقود فتحات المحاريب: (شكل 7،8،9،10،11،12).**
تنوعت أشكال عقود فتحة المحراب، منها النصف دائرية، والحدوية، والمتجاوزة المنكسرة.
- **العقد النصف دائري:** استعمل في محراب زاوية محمد شريف، ومحراب الزاوية المختارية.
- **العقد الحدوي:** استعمل في محراب زاوية سيدي أحمد بن يوسف، ومحراب زاوية بوسمغون.
- **العقد المتجاوز المنكسر:** استعمل في محراب سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ومحراب زاوية باش تارزي.



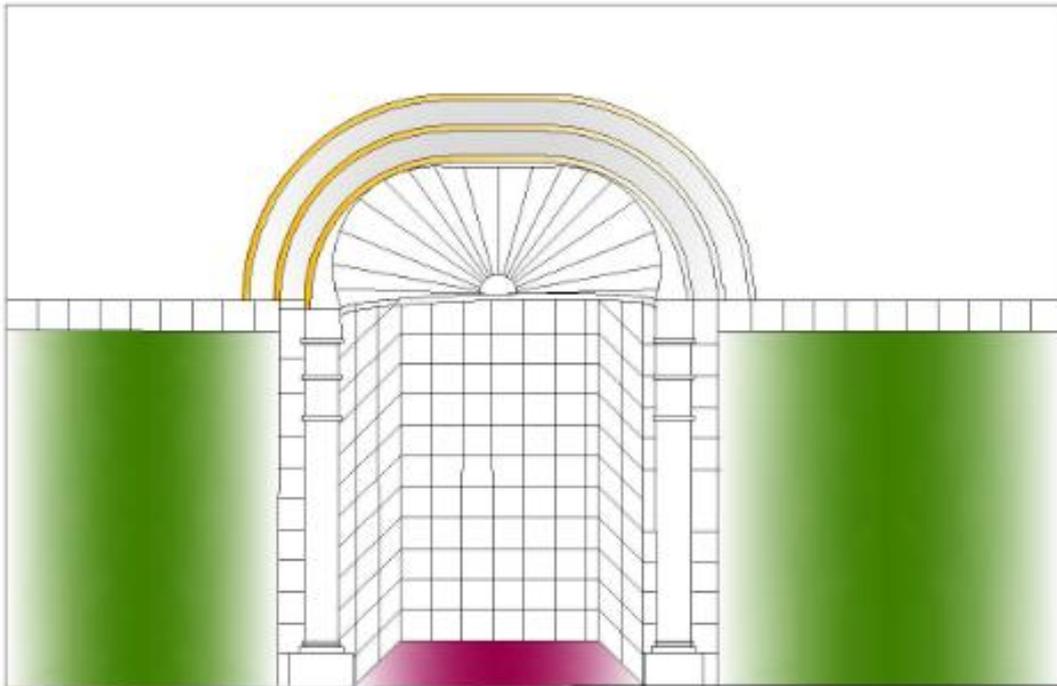
شكل 7/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - المحراب



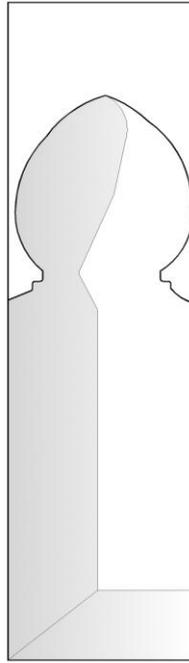
شكل 8/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - المحاريب



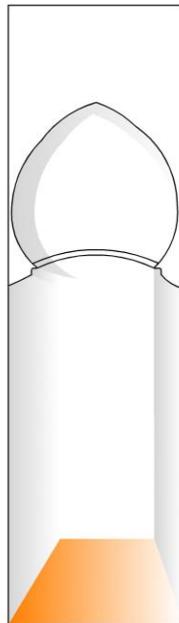
شكل 9/ زاوية سيدي محمد - المحراب



شكل 10/ زاوية باش تارزي - المحراب.



شكل 11 / زاوية بوسمغون - المحراب



شكل 12 / زاوية سيدي محمد شريف - المحراب

5. المئذنة:

هي البناء المرتفع الذي يرتقي إليه المؤذن ليعلن عن أوقات الصلوات الخمس عند المسلمين ويدعوهم إلى أدائها، مستعملا عبارات معينة بشكل ما اصطلح على تسميته بـ " الأذان " .

لم يكن لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم - بالمدينة مئذنة، فإن أول مؤذن هو بلال - رضى الله عنه - ولقد كان يصعد فوق أعلى بيت في المدينة للنداء للصلاة ، ويعتقد أيضا أنه كان في بيت عبد الله بن عمر - رضى الله عنه ، دعامة مربعة تقع جنوب المسجد وأن بلالا - رضى الله عنه - كان يتسلق هاته الدعامة وينادي للصلاة لا نعلم بالتحديد تاريخ ظهور المئذنة في العمارة العربية الإسلامية ولكن من الممكن جدا أنها ظهرت في سنة 706/هـ 88م ، عندما أعيد بناء مسجد المدينة من طرف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك¹.

ولقد اعتمد فريد الشافعي على نصوص تاريخية لمعرفة أصل المئذنة وتاريخ ظهورها، وقد ذكر أن أقدم ما ذكر عن مآذن المساجد ، ما جاء في الكتاب فتوح البلدان للمؤرخ البلاذري المتوفى سنة 245هـ / 859م عن مئذنة جامع البصرة إذ روى أنه بنيت المنارة بالحجارة لجامع البصرة في سنة 45 هـ / 665م وذلك عندما هدم الجامع الأول وأعيد بنائه من جديد في عهد معاوية بن أبي سفيان² .

وتعتبر مئذنة جامع القيروان المتميزة بخصائص إسلامية، ناضجة من حيث التكوين المعماري وأسلوب البناء . وليس فيها شيء يمكن نسبته إلى طراز معين سابق على الإسلام

¹ فريد الشافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية، ج1، القاهرة، 1970، ص634.

² نفسه، ص637.

إلا عنصر واحد هو عقد شكل حذوة الفرس وهذه الخصائص العربية الإسلامية الواضحة تقلب نظرية اقتباس المآذن من مصادر سابقة على الإسلام رأسا على عقب¹.

ومهما يكن من أمر، فأغلب الظن أن جميع مآذن العالم الإسلامي في العصر المبكر كانت تتبع تكويننا معماريا مشتركا ومشابها لمئذنة جامع القيروان أو قريبا منها، والمئذنة عنصر إسلامي تطلب عمله الدين الجديد وحتمته تقاليده وفرض شكلا خاصا في تصميمه. ولا فضل في ابتكاره إلا للمسلمين وليس لغيرهم يد فيه².

فالمئذنة المثلثة هي من بين أبرز العناصر المعمارية التي دخلت من تركيا على عمارة المساجد الجزائرية بعد التخطيط المعماري، وذلك من حيث تخطيطها وتركيبها و زخارفها. وإذا كانت الجزائر العثمانية قد شيدت مجموعة ضخمة من المساجد والزوايا في مختلف مدنها الكبرى والحواضر، فإن هذه الزوايا قد حظيت بإقامة مآذن لها، غير أن كثيرا من تلك المساجد والزوايا والمآذن امتدت لها يد الاستعمار البربرية بالتدمير الكلي إبان الاحتلال. وقد جمعت المآذن بين طرازين، المحلي والوافد، والمعروف أن طراز المآذن المحلية هو طراز المآذن المربعة والذي تعد مئذنة جامع القيروان بشكلها المربع وطوابقها الثلاثة المسلوية إلى الأعلى النموذج الأصلي له³. نجد هذه النماذج في كل من الجامع الجديد وجامع كتشاوة الأصلي

أما الطراز الوافد من تركيا، فقد شمل بعض الزوايا في مختلف مناطق الجزائر وخاصة مدنها الكبرى، تتمثل في المآذن المثلثة، مظهره العام الخارجي، يتكون من طابقين، طابق سفلي مضع ينتهي بذروة على شكل طنف، غير أن بعض المآذن الأخرى ربما تكونت من

¹ فريد الشافعي، المرجع السابق، ص 638.

² نفسه، ص 649.

³ أحمد فكري، مسجد القيروان، القاهرة، 1936، ص 112.

برجين سفليين ذي شكل مثنى يتوجها جوسق. أو ذات القاعدة المربعة والبدن والجوسق المثلثين.

1.5. مآذن زوايا الجزائر خلال العهد العثماني:

■ مئذنة زاوية سيدي محمد الشريف : صورة

المقاسات:

ارتفاع كلي: 9.5م

ارتفاع الجوسق: 1.02م

طول الضلع: 0.95م

توجد المئذنة بالركن الشمالي الشرقي، وبدنها من النوع المثلث، ويبلغ عدد درجات سلمها 17 درجة، ويتخلل أضلاعه بعض المزاغل التي يزينها من أعلى إفريز من البلاطات الخزفية باللونين الأسود والأبيض، وينتهي البدن بشرفة هرمية الرأس فوق كل زاوية بين الضلعين مما نتج عنه ثمان شرفات. (صورة 40).



صورة 40 / زاوية سيدي محمد الشريف - المئذنة المثلثة

■ **مئذنة زاوية سيدي محمد: (صورة 41).**

المقاسات:

ارتفاع كلي: 21م

ارتفاع الجوسق: 1.30م

تأخذ مئذنة زاوية سيدي محمد الشكل المربع، ذات ارتفاع 21م، كما تحتل موقع الركن الشمالي الغربي، وتنقسم هذه المئذنة إلى قسمين رئيسيين هما: بدن المئذنة ورأس المئذنة.

■ **مئذنة زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي: (صورة 42).**

■ **المقاسات:**

ارتفاع كلي: 18.12م

ارتفاع الجوسق: 1.35م

توجد مئذنة زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالركن الشمالي الشرقي، وهي من المربع للطراز المغربي التقليدي، تستند على قاعدة مربعة، وبدن ورأس، تزدان المئذنة بصفوف من البلاطات الخزفية ذات الزخارف والألوان..



صورة 41/ زاوية سيدي محمد

– المئذنة المربعة



صورة 42/ زاوية سيدي عبد الرحمن

– المئذنة المربعة

■ **مئذنة زاوية سيدي أحمد بن يوسف: (صورة 43).**

المقاسات:

ارتفاع كلي: 19.12م

ارتفاع الجوسق: 1.37م

كما تحتل مئذنة مسجد زاوية سيدي أحمد بن يوسف الركن الشمالي الغربي، حيث تأخذ الشكل المربع، تستند على قاعدة مربعة، وعلى بدن وجوسق، حيث ينتهي البدن بشرفة هرمية الرأس فوق كل زاوية بين الضلعين مما نتج عنه ثمان شرفات.

■ **مئذنة زاوية باش تارزي: (صورة 44).**

المقاسات:

ارتفاع كلي: 16.12م

ارتفاع الجوسق: 1.76م

تأخذ مئذنة زاوية باش تارزي الشكل المثلث، تقع في الركن الشمالي الغربي، ذات قاعدة وبدن مثلث، وتنتهي بجوسق رشيق به شرفة.



صورة 43/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - المئذنة المثلثة



صورة 44/ زاوية باش تارزي - المئذنة المثلثة

■ مئذنة زاوية سيدي سالم: (صورة 45)

المقاسات:

ارتفاع كلي: 18.70م

ارتفاع الجوسق: 1.03م

اتخذت مئذنة زاوية سيدي سالم بوادي سوف الشكل المربع، حيث أعيد بنائها بعد 60 سنة على إنجاز المئذنة القديمة مع بناء الزاوية سنة 1239هـ/1819م. أما أسباب إعادة بناء المئذنة فيعود للتصدعات والتشققات الخطيرة للمئذنة والتي أصبحت تشكل كابوسا وخشي سقوطها على رؤوس المصلين والطلبة والمريدين. هذه المئذنة تشبه المئذنة القديمة إلا أنها أقل منها ارتفاعا وعرضا وسمكا في الجدران وموقعها عند باب المدخل الشمالي للمسجد الحالي بعد تجديده الأخير¹.

¹ مئذنة زاوية سيدي سالم بوادي سوف: سمع الحاكم الفرنسي المحتل بواقع المئذنة فأراد أن يقترب من الزاوية واقترح على محمد الصالح بن سيدي سالم أن يتكفل بأعباء هدمها وإعادة بنائها وفق ما تراه الزاوية من شكل يناسبها وأن يضع تحت تصرفها فرقته الهندسية للبناء، فأبدى سيدي محمد الصالح موافقته على هذا الاقتراح في شقّه الأول. وأما إعادة البناء والبنائين فستختارهم الزاوية من أهل المنطقة. إختارت الزاوية الشخص الذي سينجز المئذنة وهو عمر قاعة القماري وهو معلم في إنجاز البناء والنقش في زمانه (وهو عمر بن محمد بن إبراهيم، وقد كان من أشهر وأحسن المعلمين والبنائين في وادي سوف قاطبة، وقد أسندت إليه أيضا بعض الأعمال الخالدة منها مبنى البريد المركزي La grande poste ومنحت له عدة شهادات ونياشين من السلطات الفرنسية وقد توفي سنة 1944م عن عمر جاوز 80 سنة، خلفه أحد أبنائه في هذه الحرفة ثم أحفاده). وأنظر أيضا: رشيد سالم، منارة سيدي سالم بوادي سوف ... ، ص 9 - 12.



صورة 45/ زاوية سيدي سالم - صورة لمئذنة قديمة.

■ دراسة تحليلية للمآذن:

- موقع المآذن:

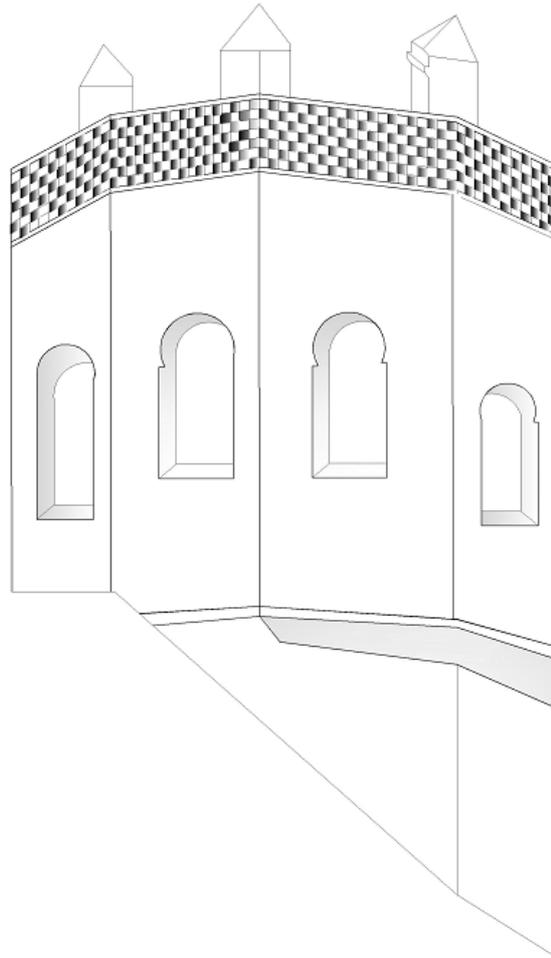
نجد موقع المئذنة في إحدى أركان بيت الصلاة أو الضريح أو حتى في ركن الصحن.
موقع المئذنة في الركن الشمالي الشرقي: زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد شريف، وزاوية سيدي سالم.

موقع المئذنة في الركن الشمالي الغربي: زاوية باش تارزي، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف.

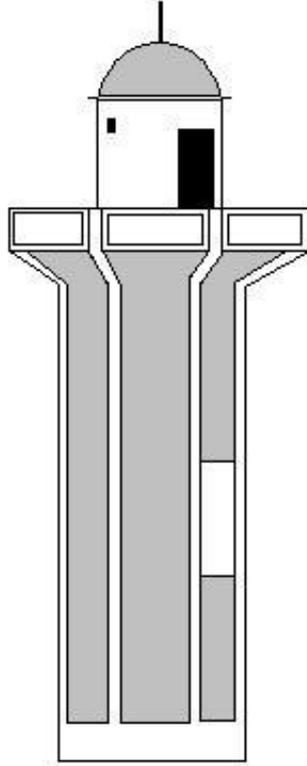
■ أشكال المآذن:

نجد شكلان من المآذن اتخذت في الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، المئذنة المربعة والمئذنة المثلثة، مع وجود المئذنة الأسطوانية وهي غير مجسدة في الزوايا بل نجدها في المساجد.

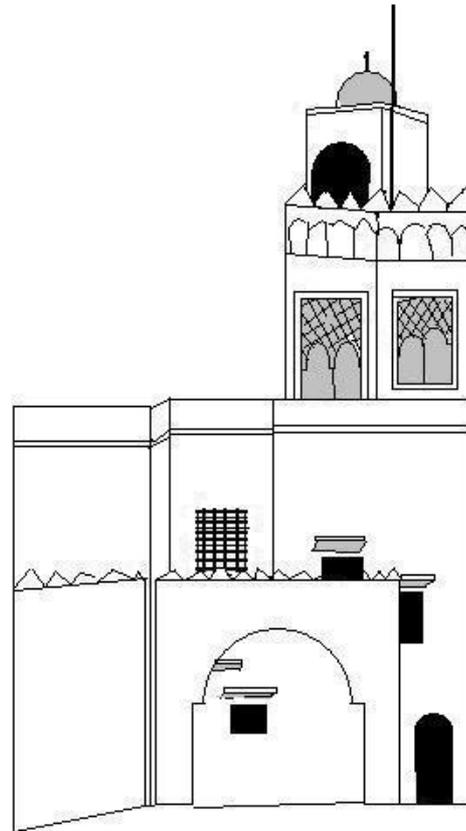
- المآذن المربعة: نجدها في زاوية سيدي محمد، وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي أحمد بن يوسف وزاوية سيدي سالم. الشكل (15،16،17).
- المآذن المثلثة: نجدها في زاوية سيدي محمد شريف، وزاوية باش تارزي. (الشكل 13،14).



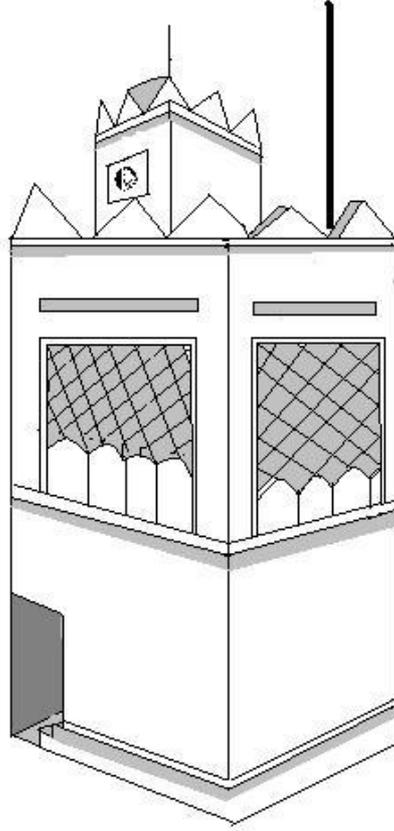
شكل 13 / زاوية سيدي محمد شريف - المئذنة المثلثة



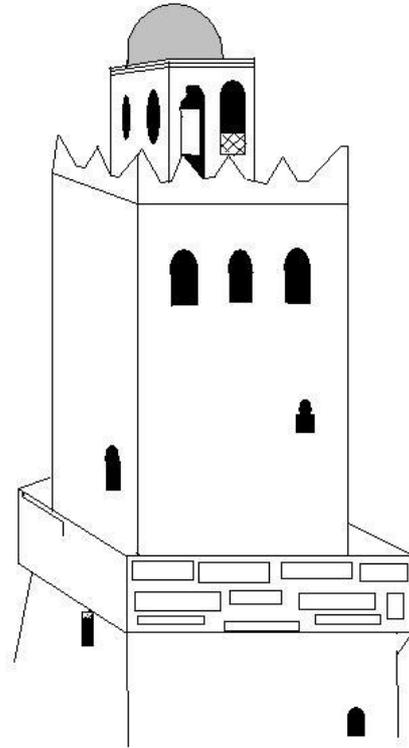
شكل 14/ زاوية باش تارزي - المئذنة المثلثة



شكل 15/ زاوية سيدي محمد - المئذنة المربعة



شكل 16/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - المنذنة المربعة



شكل 17/ زاوية سيدي سالم - المنذنة المربعة

6. وسائل الدعم:

لم يكن للمسلمين في بادئ الأمر وسائل دعم (دعامات، أعمدة) تميزهم عن غيرهم مثلما كان الحال لدى الإغريق و الرومان، بل كانوا ينقلون الأعمدة من المعابد والكنائس الخرية إلى مساجدهم¹.

والأعمدة الأولى التي استعملها المسلمون في مساجدهم خاصة كانت عبارة عن جذوع النخيل وذلك في مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة المنورة ، وتحت خلافة عمر بن خطاب غيرت جذوع النخيل بأعمدة من الأجر المجفف في الشمس والمعروفة باسم "اللبن" ولكن تحت حكم عثمان بن عفان - رضي الله عنه - استعملت الأعمدة الحجرية². وبالنسبة للأعمدة الرخامية ، فإن أقدم هي تلك الموجودة في المسجد الأموي بالكوفة.

فكل عنصر من العمود والدعامات مهمتهما حمل الثقل وتوزيعه بشكل عمودي، وهما يؤديان دورا مهما من حيث المبدأ المعماري والتجزئة الداخلية للمبنى، وتختلف العنصر عن بعضها البعض تبعا لشكل وطابع وسائل الدعم، وكذا العناصر المدعومة³.

وبما أنّ العمارة العثمانية قد جاءت بأفكار جديدة للتسقيف المتمثل في القباب، فقد كان من الطبيعي أن يؤثر هذا الوضع على وسائل الدعم، هذا التأثير لم يكن أبدا استغناء تاما عن وسائل الدعم بل مس عددها وشكلها.

¹ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر، 1987، ص79.

Bourouiba(R.), O.p.cit, p.73.

2

Bourouiba(R.), O.p.cit, p.78.

3

■ الدعامات:

الدّعامَة جمع دعائم ودعم: هي العماد الذي يعتمد عليه السقف وتتكيء عليه الجدران حتى لا تسقط، وقد اتخذت عدة أشكال منها المربعة والمستطيلة والدائرية ونصف دائرية وأحيانا يعتمد عليها السقف مباشرة وأحيانا أخرى تعلوها عقود يرتكز عليها السقف¹. وتعتبر من العناصر المعمارية التي تزيد المبنى قوة وثباتا وأكثر مقاومة للعوامل الطبيعية والبشرية.

وقد استخدمت الدعائم في هذه الزوايا لأغراض مختلفة، حيث نجدها أحيانا مدمجة في الجدران تقوم عليها عقود، وأحيانا مستقلة في وسط بيوت الصلاة والأضرحة والقاعات وفوقها تقوم العقود أو السقف الخشبي مباشرة أو القباب.

■ دعائم زوايا الجزائر خلال العهد العثماني:

■ دعائم زاوية سيدي أحمد بن يوسف: (صورة 46).

المقاسات: الإرتفاع: 2.05م طول الضلع: 0.80م

نجدها موزعة بعددها المعتبر في قاعة الصلاة متقاطعة تحمل عقود من الجهات الأربعة.



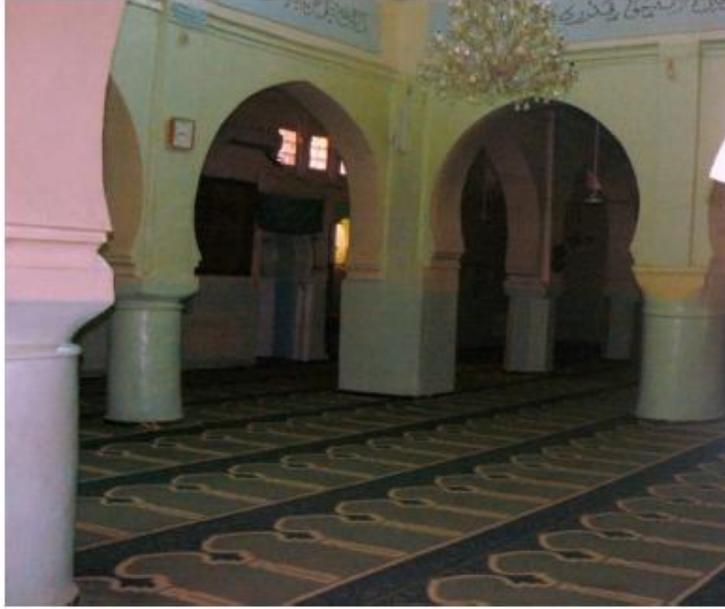
صورة 46/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - دعائم المسجد

¹ محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص108.

▪ دعامات زاوية عين ماضي: (صورة47)

▪ المقاسات: الإرتفاع: 1.70م طول الضلع: 0.65م

تتكون بيت الصلاة من حوالي أربع دعامات ضخمة وذات أشكال تشبه حرف اللام الوسطية.



صورة 47/ زاوية عين ماضي - دعامات بيت الصلاة

▪ دعامات زاوية تماسين:

المقاسات: طول الضلع : 0.87م

استخدمت الدعامات بمختلف أنواعها وأشكالها، خاصة في المساجد والأضرحة وفي الأروقة المطلة على الصحن، وتتميز بقلة ارتفاعها وخلوها من القواعد والتيجان، ومن أي عنصر زخرفي كونها ذات وظيفة ارتكاز للضغط المفروض عليها من السقف.

نجد نوع الدعامات المربعة الأصغر حجما، في الأروقة المطلة على الصحن، وفي زوايا الغرف، أما الدعامات المستطيلة فنقوم في تدعيم المداخل الخرجية. والدعامات المتقاطعة الأضلاع.

▪ دعامات زاوية قمار:

المقاسات: طول الضلع : 0.90م

استخدمت الدعامات بكل أنواعها، فنجد الدعامات المربعة وهي على نوعين من حيث الحجم والموقع، فالدعامات الضخمة تحمل أطراف العقود، وتتميز أيضا بقلّة ارتفاعها وخلوها من القواعد والتيجان، وهذا نزوع من الدعائم وجد في العديد من العمائر الصحراوية ، كالجامع الكبير بتقريت وجامع سيدي عقبة ببسكرة¹.

استعملت أيضا الدعامات المتقاطعة الأضلاع، موجودة بغرفة ضريح الشيخ أحمد عمار، يبلغ عددها أربع دعامات، تتميز بالضخامة والارتفاع.

▪ دعامات زاوية بوسمغون:

المقاسات:

الدعامة الأولى والثانية مضلعة: طول ضلعها 0.30م

الدعامة الثالثة مربعة الشكل: طول ضلعها 0.70م

وهي دعامات مدمجة في الجدار . (الصورة48)

¹ علي حملاوي، المرجع السابق، ص202م. وانظر أيضا: مراد هديبي، المرجع السابق، ص 265م



صورة 48/ زاوية بوسمغون - دعامة مدمجة في الجدار

■ الدراسة التحليلية:

استعملت الدعامات في زاوية سيدي أحمد بن يوسف وفي زاوية تماسين وزاوية قمار، واتخذت هذه الدعامات أشكالاً وأحجاماً مختلفة، منها:
الدعامة المربعة: استعملت في زاوية قمار.

الدعامة المستطيلة: استعملت في زاوية قمار وزاوية تماسين.

الدعامة المتقاطعة الأضلاع: استعملت في زاوية سيدي أحمد بن يوسف وفي زاوية قمار.

■ الأعمدة:

إنَّ أغلب الزوايا المدروسة اعتمدت في رفع ثقل سقفها على الأعمدة ونجدها عامة في بيوت الصلاة، وقاعات الأضرحة، وهيئة الأعمدة تقي بالأغراض المنوطة بها، إذ إنَّه لكل جزء منها شكل ودور خاص به، ويؤدي الكل دوراً متكاملًا وفعالاً.

■ القواعد:

القاعدة تحمل العمود وتوطّده بالأرضية، أي أنّ الضغط كله يقع عليها، وهي تتألف من عدة أجزاء منها المستديرة، المربعة، والمثمنة، يختلف سمكها وارتفاعها لتوزيع النّقل، وهي مترابطة الأشكال فوق بعضها البعض، فأعمدة الزوايا المدروسة كلها احتوت على قواعد، ما عاد أعمدة زاوية بوسمغون.

■ الأبدان:

لقد تنوعت أشكال الأبدان ومقاساتها من زاوية لأخرى، نجدها دائرية أسطوانية، مركبة ، حلزونية، ومثمنة.

■ التيجان:

عرفت الزوايا أنواعا عديدة من التيجان منها أوراق الأكانتس تعلوها أشكال حلزونية جانبية مفصولة بهلال، واستعملت ورقة التين، و تتكون هذه الورقة من ثلاثة فصوص شبه دائرية خالية من أي زخارف داخلية وهي غالبا ما تتدلى من تحت قرون التيجان، نجدها خاصة في قاعة الضريح، ومنها التيجان البسيطة.

■ أعمدة زوايا الجزائر خلال العهد العثماني:

■ أعمدة زاوية سيدي محمد الشريف: (صورة 49، 50)

المقاسات:

القاعدة: ارتفاع: 3.5 سم قطر: 0.91 م.

البدن: ارتفاع: 1.41 م قطر: 0.69 سم التاج: ارتفاع: 0.70 م.

الوسادة: ارتفاع: 0.40 م ضلع الوسادة: 0.37 م

يوجد نوع واحد في هذه الزاوية، وهي عبارة عن أعمدة حجرية ذات تيجان بسيطة، موزعة في بيت الصلاة.



صورة 50/ زاوية سيدي محمد شريف - البدن



صورة 49/ زاوية سيدي محمد شريف - القواعد

■ أعمدة زاوية سيدي محمد:

يوجد نموذجان، النموذج الأول : (صورة 51،52،53،54،55،56)

المقاسات:

القاعدة: ارتفاع: 5.5 سم قطر: 0.91 م.

البدن: ارتفاع: 1.29 م قطر: 30 م التاج: ارتفاع: 0.35 م.

الوسادة: ارتفاع: 0.25 م ضلع الوسادة: 0.30 م

يوجد هذا النموذج بالبائكة الموازية لجدار القبلة، هي عبارة عن أعمدة حجرية، ذات تاج

يحتوي على أربع ورقات بثلاث فصوص .

النموذج الثاني:

القاعدة: ارتفاع: 5.3 سم قطر: 0.90 م.

البدن: ارتفاع: 1.50 م قطر: 32 م التاج: ارتفاع: 0.35 م.

الوسادة: ارتفاع: 0.22 م ضلع الوسادة: 0.31 م

يوجد هذا النوع أيضا في جزء من بيت الصلاة، وهي أعمدة ثنائية حجرية، بها تاج بنتوءات بارزة وأشكال حلزونية.



صورة 52/ زاوية سيدي محمد - انموذج من القواعد



صورة 51/ زاوية سيدي محمد

- انموذج من القواعد



صورة 53/ زاوية سيدي محمد - بدن العمود



صورة 54/ زاوية سيدي محمد - أعمدة ثنائية



صورة 56/ زاوية سيدي محمد - تاج عمود



صورة 55/ زاوية سيدي محمد - تيجان الأعمدة

■ أعمدة زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي: (صورة 57، 58)

المقاسات:

القاعدة: ارتفاع: 06 سم قطر: 0.25 م.

البدن: ارتفاع: 1.53 م قطر: 27 م التاج: ارتفاع: 0.35 م. القطر: 0.30 م

توجد مجموعة من الأعمدة مختلفة الأشكال في قاعة الضريح، وهي أعمدة رخامية ثلاثية، مدمجة بالجدار حتى تعطي شكل الكتف الذي يستند الى الجدار، فالعمود يتكون من قاعدة مستديرة مدرجة، والبدن أملس، أما التاج فهو مركب، فنجد به خمسة، منه بسيط، يتكون من أجزاء مربعة ودائرية منتفخة مترابطة فوق بعضها البعض، الثاني يتألف من أجزاء مثمانة بعضها منتفخ نوعا ما، بينما الثلاثة الأخرى فإنها تتشابه نوعا ما بحيث تتألف من أجزاء مربعة ثم أقراص دائرية منتفخة.



صورة 57/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - انموذج من القواعد



صورة 58/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - انموذج لتيجان الأعمدة

■ أعمدة زاوية سيدي أحمد بن يوسف: صورة (59،60،61،62،63)

المقاسات:

النموذج الأول

القاعدة: ارتفاع: 03 سم قطر: 0.25 م.

البدن: ارتفاع: 1.54 م قطر: 27 م التاج: ارتفاع: 0.36 م. القطر: 0.32 م

النموذج الثاني: واجهة الرواق الذي يفتح إلى باب الضريح

القاعدة: ارتفاع: 2.6 سم قطر: 80.5 سم.

البدن: ارتفاع: 1.50 م قطر: 62 سم

التاج: ارتفاع: 60 سم

المقاسات:

النموذج الثالث: واجهة الرواق الغربي

القاعدة: ارتفاع: 2.5 سم قطر: 81.5 سم.

البدن: ارتفاع: 1.53 م قطر: 0.61 م

التاج: ارتفاع: 0.62 م

■ المقاسات:

النموذج الرابع: واجهة الرواق الشرقي

القاعدة: ارتفاع: 2.3 سم قطر: 81.8 سم.

البدن: ارتفاع: 1.57 م قطر: 52 سم

التاج: ارتفاع: 61.5 سم

نجد أنواع من الأعمدة موزعة بزوايا سيدي أحمد بن يوسف بين حلزونية ذات قاعدة

أسطوانية الموجودة بداخل قاعة الضريح، وأعمدة مركبة مقسمة إلى قسمين، القسم الأول

ثمانية الأضلاع، والقسم العلوي حلزوني، كما توجد أيضا أعمدة ملساء وهي موجودة بأروقة الصحن وهي كلها مصنوعة من الرخام.



صورة 59/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - انموذج من القواعد



صورة 60/ زاوية سيدي احمد بن يوسف - انموذج من القواعد



صورة61/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - بدن العمود



صورة62/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - أبدان العمود



صورة 63 / زاوية سيدي أحمد بن يوسف - ورقة التين تتدلى من تحت القرون

■ أعمدة الزاوية المختارية: (صورة 64، 65).

■ المقاسات:

القاعدة: ارتفاع: 0.30 م قطر: 0.25 م.

البدن: ارتفاع: 3.12 م قطر: 0.30 م

إتخذت أبدان الزاوية المختارية الشكل البسيط، فهي رباعية على شكل حزم مصنوعة من الحجر، نجدها راشقة في قاعة الضريح.



صورة 64/ الزاوية المختارية - أعمدة ثنائية



صورة 65/ الزاوية المختارية - تاج عمود

■ أعمدة زاوية تماسين:

■ المقاسات:

القاعدة: ارتفاع: 1.82م قطر: 0.57 م.

تنوعت الأعمدة في زاوية تماسين، فنجد الأعمدة الأسطوانية في بيت الصلاة عددها أربعة، تيجانها بسيطة، وأعمدة مستطيلة نجدها في الأروقة المطلة على صحن البيوت، وأنها عديمة التيجان، كما نجد الأعمدة المثلثة، ذات تيجان بسيطة، وجد هذا النوع من الأعمدة في المقبرة التابعة للمسجد، هذا النوع نجده في مسجد سيدي عبد الله بتماسين، والمسجد الكبير بقصبة تفرت.

■ أعمدة زاوية قمار:

■ المقاسات:

القاعدة: ارتفاع: 1.80م قطر: 0.60 م.

استعمل نوعان من الأعمدة في زاوية قمار، النوع الأول يتمثل الأعمدة الأسطوانية وهي ملساء الشكل، نجدها بمفردها في بيت الصلاة، أما النوع الثاني من الأعمدة، فيتمثل في الأعمدة المثلثة، ذات تيجان بسيطة، استعمل هذا النوع في رفع قبة المسجد.

■ أعمدة زاوية عين ماضي:

■ المقاسات:

القاعدة: ارتفاع: 1.40م قطر: 0.75 م.

توجد أعمدة أسطوانية في بيت الصلاة، ذات تيجان بسيطة مبتورة الزوايا.

■ الدراسة التحليلية:

كل الزوايا تحتوي على الأعمدة، حتى الزوايا ذات القبة المركزية نجد فيها أعمدة مختلفة الأشكال والأحجام.

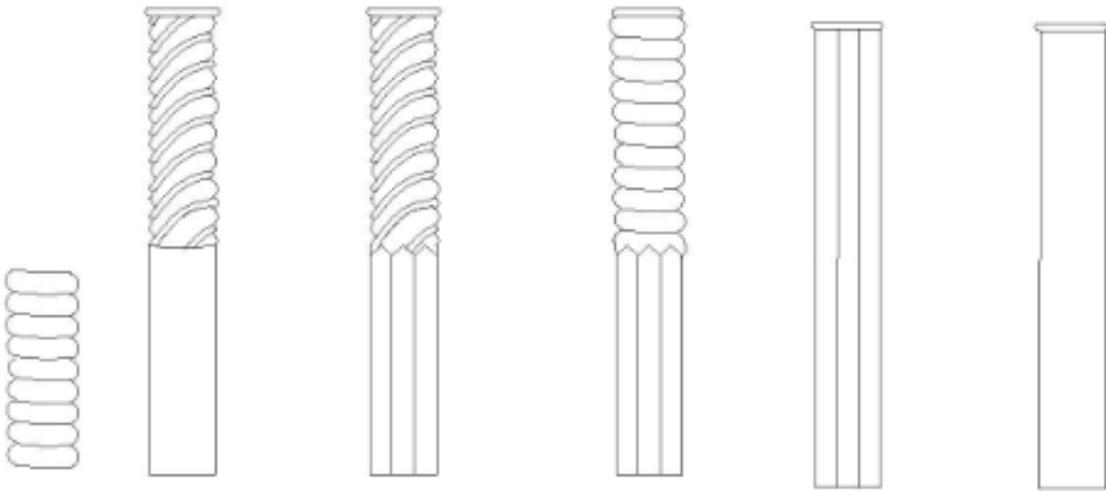
كما نلاحظ في هذه الزوايا وجود الأعمدة المجموعة كالثنائية، والثلاثية، والرباعية ، إلى جانب الفردية التي احتوت عليها كل الزوايا.

- الأعمدة الثنائية: استعملت في زاوية سيدي محمد. (شكل 22)
 - الأعمدة الثلاثية: وجدت في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي. (شكل 23)
 - الأعمدة الرباعية: استعمل هذا النوع كحزم في الزاوية المختارية.
 - أبدان الأعمدة: (شكل 18).
- تتوعد الأبدان من حيث الشكل، فمنه الأسطوانية، والمثمثة والمركبة:
- الأبدان الأسطوانية: نجدها تقريبا في معظم الزوايا. (شكل 21)
 - الأبدان المثلثة: وجدت في زاويتي تماسين وقمار
 - الأبدان المركبة: استعمل هذا النوع في زاوية باش تارزي ، وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف.
 - قواعد الأعمدة: (شكل 19، 20).
- تتوعد قواعد الأعمدة في أشكالها، منها المستديرة، والمستطيلة، وقواعد بجزء مربع يعلوه قاعدة مستديرة مدرجة، كما توجد بعض الأعمدة بدون قواعد، كالزوايا الموجودة في الجنوب.
- القواعد المستديرة: نجدها في زاوية سيدي أحمد بن يوسف
 - القواعد المربعة: نجدها في زاوية عين ماضي.
 - القواعد بجزء مربع تعلوه قاعدة مستديرة مدرجة: استعمل هذا النوع في زاوية سيدي محمد شريف، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف، وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي.
 - القواعد المستطيلة: نجدها في زاوية سيدي محمد.

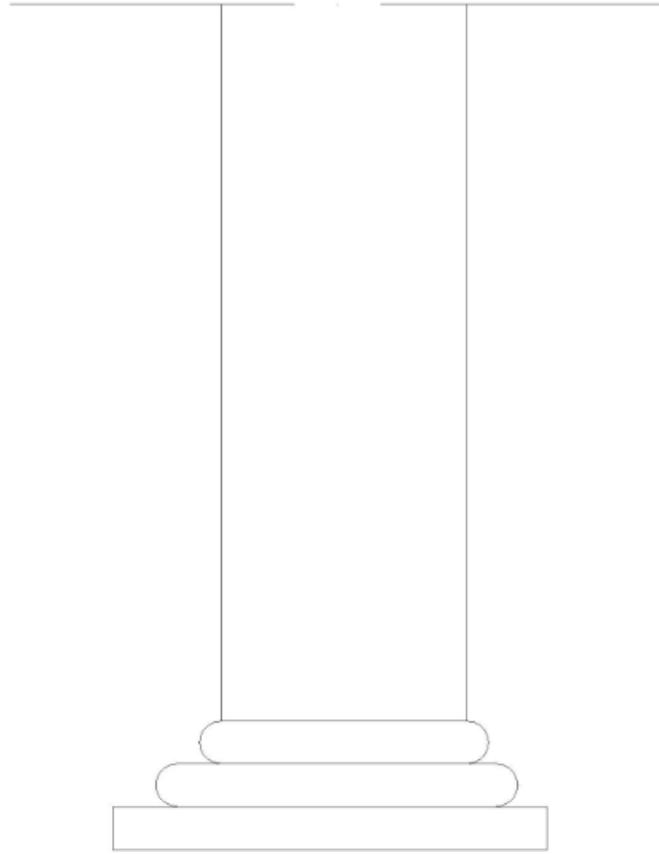
■ تيجان الأعمدة:

إستعملت أنواع عديدة من التيجان في زوايا الجزائر خلال العهد العثماني، كما توجد بعض الأعمدة بدون تيجان:

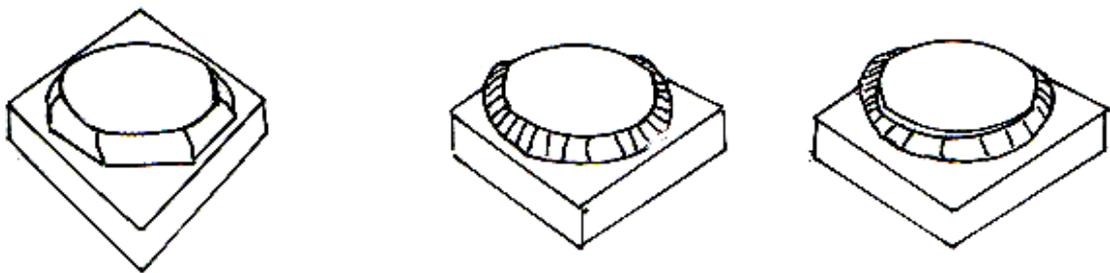
- تيجان تزينها أوراق: نجد هذا النوع في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف.
- تيجان بلفائف جانبية: موجودة في زاوية سيدي محمد.
- تيجان بلفائف جانبية مصحوبة بأوراق: استعمل هذا النوع في زاوية سيدي محمد.
- تيجان تزينها ورقة الأكتاس: وجد في زاوية سيدي أحمد بن يوسف وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي.
- تيجان بسيطة: نجدها في زاوية سيدي محمد شريف وزوايا الجنوب كزاوية تماسين، وزاوية قمار. (شكل 24)
- تيجان مركبة: نجدها في زاوية باش تارزي. (شكل 25)



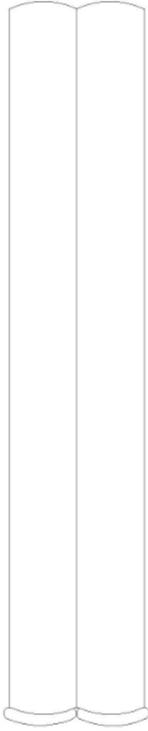
شكل 18/ أنواع الأبدان.



شكل 19/ زاوية محمد شريف - قواعد الأعمدة



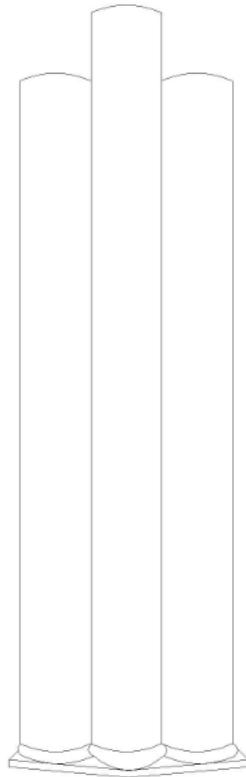
شكل 20/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - ثلاثة نماذج من قواعد الأعمدة .



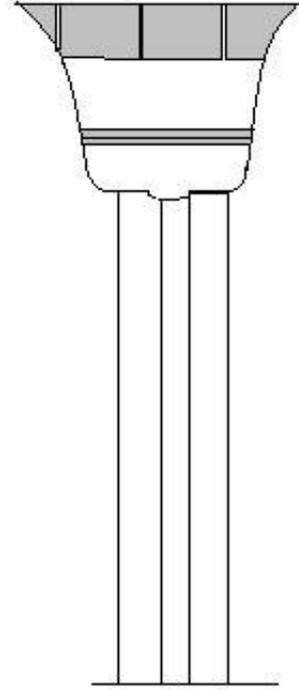
شكل 22/ زاوية سيدي محمد
- الأعمدة الثنائية



شكل 21/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف
- بدن أسطواني



شكل 23/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - الأعمدة الثلاثية



شكل 24/ الزاوية المخطارية - التاج البسيط شكل 25 / زاوية باش تارزي _ التاج المرك

■ العقود:

العقد في العمارة يعتبر عنصرا معماريا وزخرفيا، إستعان به المعماري في الرفع والتقليل من ثقل السقف المسطح أو المقبب، ويوفر للمبنى القوة والارتكاز، وكسر الرتابة التي تنتسب فيها عادة الجدران ومختلف الواجهات المسطحة التي تترك في نفس المشاهد الملل والسقم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فلهذه العقود وظائف أخرى في غاية الأهمية حيث تسمح بمرور الهواء إلى الداخل، كما تسمح أيضا بفضل فتحاتها تجديد الهواء الداخلي. واستعملت العقود عند معظم الحضارات السابقة، غير أنّ فضل ابتكاره يعود إلى حضارات الشرق القديم. وقد يجمع علماء الآثار أنّ العقود قد نشأت في الأصل في الأراضي الرخوة، تتمثل في حزم من القصب تغرس في الأرض بصورة مستقيمة أو منحنية إلى الداخل¹.

Golvin (L.), Essai sue l'architecture religieux musulmane, T1, Paris,1970,p.92.

والجزائر تزخر بتنوع كبير في العقود، حيث استعملت بأشكالها المتنوعة سواء في المباني المدنية كالقصور والدور، وخاصة في المساجد والأضرحة والزوايا. فعقود الزوايا جاءت على أنواع مختلفة:

■ العقد المنكسر المتجاوز:

إنّ هذا النوع من العقود ظهر في المشرق لأول مرة، وذلك بمسجد الجامع بحران وقصر الأخيضر¹، إنّ العقد المنكسر المتجاوز، هو نتيجة هندسية لتقاطع دائرتين، ويرتكز الأساس الهندسي لرسمه على تحديد مركز وليكن (م) ثمّ تحديد مركزين آخرين (م1) و(م2) حيث تكون المسافة م 1 متساوية للمسافة م 2 ويرسم العقد انطلاقاً من هاتين النقطتين². (شكل 15)

■ العقد النصف دائري:

إنّشر هذا العقد في العمارة العربية الإسلامية، كما كان منتشرًا في جميع الطرز المعمارية في العالم القديم والوسيط والحديث. كان هذا العقد قبل الفتح الإسلامي يتقدم فيه الانكسار والتجاوز لنصف دائرة، أمّا بعد الفتح الإسلامي، أخذ يتطور تدريجياً ويتخذ أشكالاً أخرى وأخذت فتحاته تتخذ حدوداً تختلف عن نصف دائرة بحيث كان منتشرًا في العمارة الساسانية والرومانية، أمّا في العمارة الإسلامية فأقدم مثل له نجده في قبة الصخرة، أمّا في العهد العثماني فهو في انتشار دائم، ثم عوض بعقود أخرى كالعقد المنكسر المتجاوز والعقد المفصص³.

1 Golvin (L.), Op.cit, p.93.

2 Bourouiba(R.), Apport de l'Algérie à l'architecture religieuse O.P.U, arabo-islamique, Alger,1986, p.131.

3 أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، مصر، 1965، ص102.

■ العقد المفصص:

العقد المفصص هو العقد الذي قص بطنه أو حافته الداخلية إلى أنصاف دوائر اتخذت إمّا لأغراض معمارية أو زخرفية¹، أصل هذا العقد مشرقي، وقد ظهر أول ما ظهر كشكل زخرفي نجده يحيط بحنية العقد العظيم لطاق كسرى الساساني، أمّا العقود المفصصة في العمارة الإسلامية فمن المرجح أنّها ظهرت في العمارة الأموية وذلك في قصر خربة المفجر، حيث لوحظت عدة عقود كبيرة ذات حنيات تزيينها سلسلة من الفصوص الصغيرة، وفي العصر العباسي نجدها بقصر الأخيضر ومسجد الجامع بسامراء في حوالي منتصف القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي 234هـ / 848م.

إلا أنّه رغم ما نلاحظه من أن العقد المفصص ظهر في المشرق أولاً، فإنّه لم يبلغ ذروة تطوره في موطنه المشرقي وإنّما بلغ ذلك في المغرب الإسلامي².

موطنه الأول المغرب الإسلامي كان في الأندلس في مسجد قرطبة، وكانت هذه العقود بمثابة غابة حقيقية، لكنّها في غاية من الأتقال والجمال، حيث جعلت العقود المفصصة تتقاطع وتتراكب فيما بينها، وفي مزجها أحياناً بالعقود المتجاوزة في تناسق وتوازن، بينما في الجزائر نجد عدة نماذج قبل الفترة العثمانية في المساجد المرابطية كمسجدي الكبير بالجزائر وتلمسان.

■ العقد الحذوي:

أقدم مثال استعمل فيه هذا النوع من العقود يرجع إلى العصر المسيحي في الشام وآسيا الصغرى وقد شهد هذا العقد ازدهاره في مسجد قرطبة، فهي تمثل شكل حذوة الفرس، كما

¹ عبد الجبار موسى الغزاوي، "مزايا العقد والقبو في العمارة العربية في العراق"، المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية تونس، 1985، ص94.

² أحمد فكري، مساجد القاهرة.....، ص98.

ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعمارة الإسلامية المغربية الأندلسية خاصة العمارة الدينية الأغلبية، والتي عرفت باسم العقود المنفوخة¹.

شاع استعماله في بلاد المغرب ، فظهر على المحاريب المرابطية والزيبانية و المرينية.

■ العقد المفطح:

يسمى أحيانا بالعقد المستطيل، وهو بين استقامة نصف المستطيل وشكل البيضة المفطح²، ولقد تضاربت أصل وتسمية هذا العقد، يطلق عليه جورج مارسيه بعقد مقبض القفة ويشير الى أن هذا النوع من العقود وجد في القرن السابع عشر للميلاد في شبه جزيرة البلقان³، بينما يرى الأستاذ دوكالي أن تاريخ ظهور هذا العقد في الجزائر يعود الى القرن السادس عشر⁴.

يبدو أن الجزائر تنفرد به دون غيرها من البلدان الإسلامية، ولا يستعمله المعمارون لا في تونس ولا في المغرب الأقصى ولا في الأندلس⁵.

استخدم هذا العقد بشكل كبير في العمارة المدنية الجزائرية، حيث يعلو مقاعد المصاحف، وفي الخزائن الجدارية، والمقاعد التي تكتنف السلام، كما هو الحال في قصر مصطفى باش في القصبة السفلى، ويعلو النوافذ التي تتوزع في جدران الإيوان.

¹ عبد الحميد سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الأسكندرية، د.ت، ص214.

² محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص175.

³ Marçais (G.), L'architecte musulmane d'Occident, Paris.,p.450.

⁴ Dokali (R.), Les mosquée de la période Turque, SNEP, Alger,1974, p.45.

⁵ محمد عقاب، المرجع السابق، ص178.

▪ عقود الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني:

▪ عقود زاوية سيدي محمد شريف:

المقاسات:

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.90م عرض: 2م باطن العقد: 0.35م

تتكون منها البائكة الموازية لجدار القبلة، وهي من النوع العقد المنكسر المتجاوز.

▪ عقود زاوية سيدي محمد:

المقاسات:

النموذج الأول: (صورة 66).

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.33م عرض: 2.32م باطن العقد: 0.35م

وجدت هذه العقود في البائكة المكونة لجدار القبلة، وهي من النوع الحذوي المنكسر كما

وجد العقد الحذوي المكون للمدخل الرئيسي لبيت الصلاة.

النموذج الثاني: (صورة 67).

فتحة العقد: الإرتفاع: 0.90م عرض: 1.60م باطن العقد: 0.36م

هذه العقود تتقدم قاعة الضريح، وهي من النوع المتجاوز المدبب.



صورة 66/ زاوية سيدي محمد - عقد منكسر



صورة 67/ زاوية سيدي محمد - العقد الحذوي

■ عقود زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي:

المقاسات:

النموذج الأول:

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.40 م عرض: 2.15 م باطن العقد: 0.41 م

توجد في الأركان التي تقوم عليها القبة، وهي من النوع النصف دائري.

النموذج الثاني:

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.40 م عرض: 2.41 م باطن العقد: 0.70 م

يكون هذا العقد حنية بالجدار الأيمن على المحراب، أسفل أحد أضلاع القبة.

■ عقود زاوية سيدي أحمد بن يوسف:

المقاسات:

النموذج الأول:

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.42 م عرض: 2.15 م باطن العقد: 0.41 م

توجد في الأركان التي تقوم عليها القبة في قاعة الضريح، وهو من النوع النصف دائري.

النموذج الثاني:

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.25م عرض: 1.80م باطن العقد: 0.41م

يوجد في صحن الزاوية، المكون لأروقة، وهو من النوع العقود المنكسرة.

النموذج الثالث: (صورة 68).

المقاسات:

طول: 0.90م العرض: 0.58م

إستعمل هذا النموذج من العقد في قاعة الضريح، وهو من النوع العقد المفطح. (صورة

69).



صورة 68/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - عقد منكسر



صورة 69/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - العقد المفلطح.

■ عقود الزاوية المختارية:

المقاسات:

النموذج الأول: (صورة 70).

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.44م عرض: 2.30م باطن العقد: 0.50م

يكون هذا العقد المدخل إلى باب الضريح، وهو من النوع العقد الحدوي.

النموذج الأول: (صورة 71).

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.55م عرض: 2.38م باطن العقد: 0.52م

إستعمل هذا النموذج من العقد في قاعة الصلاة ، وهو من النوع العقد المنكسر.



صورة 71/ الزاوية المختارية

- عقد نصف دائري



صورة 70/ الزاوية المختارية

- عقد نصف دائري

■ عقود زاوية عين ماضي:

المقاسات:

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.70 م عرض: 2.79 م

نجد هذه الأعمدة في قاعة الصلاة، وهي من النوع العقد المدبب، كما نجد العقد المفصص مدمج في جدار قاعة الضريح. (صورة 72)



صورة 72/ زاوية عين ماضي - العقد المفصص

■ عقود زاوية تماسين:

المقاسات:

فتحة العقد: الإرتفاع: 2.80 م عرض: 3.70 م

استعملت في زاوية تماسين أنواع متعددة من العقود، منها العقد النصف دائري الذي نجده في مداخل الشوارع والأزقة، وفي داخل ملحقات البيوت، وبداخل المخزن، كما استعمل العقد المتجاوز كثيرا، حيث نجده في بيت الصلاة محمول على الدعائم، ونجد أيضا العقد المنكسر المتجاوز، نجده في بيت الصلاة، في أعلى المحراب، كما يتصدر مدخل المقبرة.

■ عقود زاوية قمار:

المقاسات:

فتحة العقد: الإرتفاع: 2.02م عرض: 2.70م

استعملت في زاوية قمار أنواع متعددة من العقود، منها العقد النصف دائري الذي نجده في ملحقات البيوت، وفي الدعامات المحيطة بالصحن، وفي بعض مداخل غرف الضيوف، كما نجد العقود الحذوية في قاعة الصلاة. (صورة 73).



صورة 73/ زاوية قمار - عقد منكسر

■ عقود زاوية بوسمغون:

استعمل في هذا الزاوية العقد الحذوي الذي نجده في في المصلى وفوق المحراب.

■ الدراسة التحليلية للعقود:

استعملت في زوايا الجزائر خلال العهد العثماني، أنواعا عديدة من العقود، تتمثل في:

■ العقود النصف دائرية: نجد هذا النوع تقريبا في جميع الزوايا، كثير الإنتشار. (شكل 26)

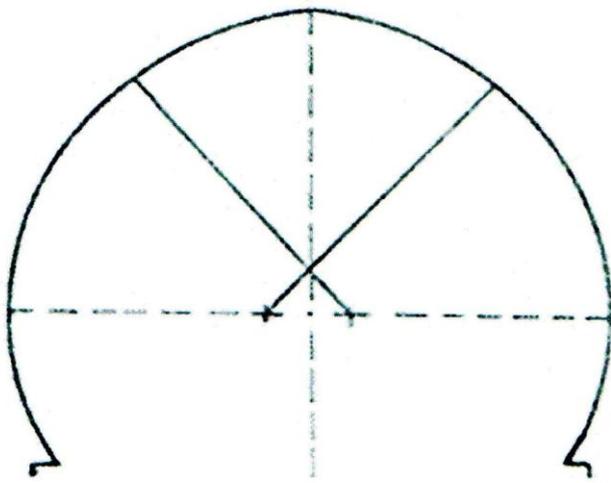
■ العقود الحذوية: استعمل هذا النوع في الزاوية المختارية، وزاوية بوسمغون

■ العقود الحذوية المنكسرة: وجد هذا النوع في زاوية سيدي محمد .

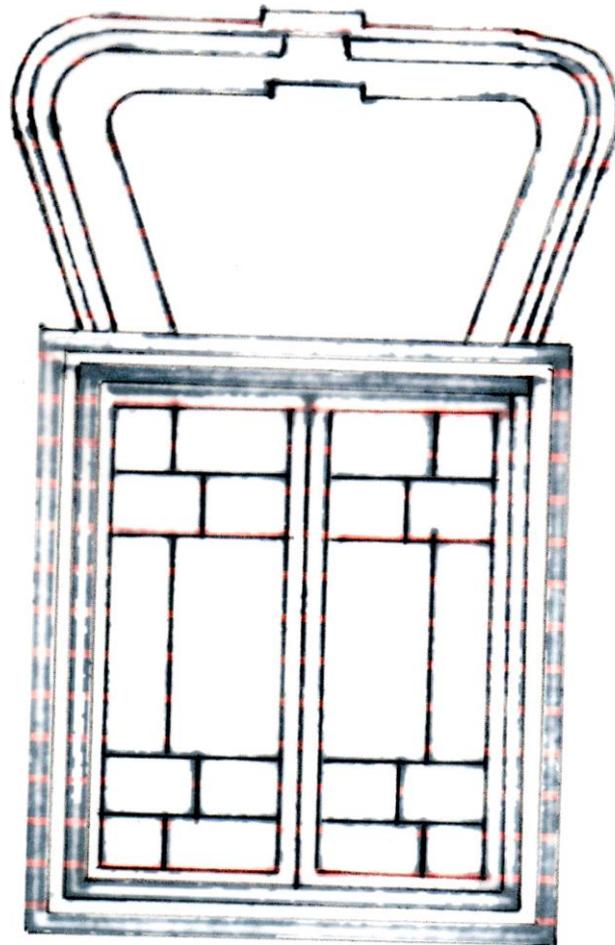
- العقود المنكسرة المتجاوزة: نجدها في زاوية سيدي محمد شريف وفي زاوية تماسين وزاوية قمار، وفي زاوية سيدي أحمد بن يوسف. (شكل 27)
- العقود المدببة: استعمل هذا النوع في زاوي عين ماضي.
- العقود المفالطة: نجد هذا النوع وحيدا في زاوية سيدي أحمد بن يوسف. (شكل 28)



شكل 26/ زاوية تماسين - العقد الدائري



شكل 27/ العقد المتجاوز المنكسر



شكل 28/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - العقد المفلطح.

■ مناطق الانتقال:

هي كل وسيلة تسمح للشكل المربع بالانتقال إلى الشكل الدائري، ولهذه المناطق أشكال عدة يتم استعمالها تبعاً للتوسع في استعمال القباب وأنصافها، ولقد عرفت الجزائر في الفترة العثمانية أشكالاً من وسائل الانتقال:

■ الحنايا الركنية:

هي الدخلة المعقودة غير النافذة التي تكون أعلى زوايا جدران البناء التي تكون أعلى زوايا جدران البناء المربع لحمل القبة، وعملت لغرض وظيفي في غالب الأحيان ولغرض جمالي تزييني في أحيانا أخرى¹.

فهي الأكثر استعمالاً في المغرب الإسلامي، وتعتبر وسيلة لتحويل القاعدة المربعة إلى المثلثة يسهل ارتكاز القبة فوقها، ويرجع البعض إلى أن هذه الطريقة قد وجدت في بادئ الأمر في بلاد فارس واستخدمت في قاعات بعض القصور الساسانية الموجودة في فيروز آباد وسرستان وقصر شيرين وكان ذلك في القرن الثالث الميلادي، ومن ثم انتقلت إلى الأقاليم الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن الخامس الميلادي وإلى أرمينيا في القرن السابع². وقد ظهر استعمال هذه الطريقة في عهد العباسيين في العراق في مدخل باب العامة لقصر الخليفة المعتصم في سامراء في القرن 3 هـ / 9 م، كما استعملت أيضاً في عدة أجزاء من قصر الأخضر العباسي في العراق وأيضاً في جامعي الأزهر والحاكم بمصر³.

ثم انتشرت هذه الحنايا الركنية في شمال إفريقيا والأندلس، وأغلب مناطق البحر الأبيض المتوسط، ومن أجمل هذه الأمثلة ما شوهدت في تحويل القبة التي تتقدم المحراب في مسجد القيروان

¹ عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 26، 27.

² كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 80.

³ نفسه، ص 79.

ولقد استعملت هذه الوسيلة في زاوية سيدي محمد شريف في قاعة الضريح وفي زاوية عين ماضي في قاعة الضريح. (صورة 74، 75، 76، 77).



صورة 75/ زاوية عين ماضي - حنية ركنية



صورة 74/ زاوية سيدي محمد شريف - حنية ركنية

■ المتثلثات الكروية:

هي عبارة عن كتل بنائية تملأ الأركان الأربعة، تهبط من مستوى ركيزة القبة إلى الأسفل بنفس المنحنى، حيث ترتكز القبة على قاعدة المتثلث في حين يكون رأسه متدلّيا للأسفل، وأطلق عليها اسم العناصر المتدلّية¹.

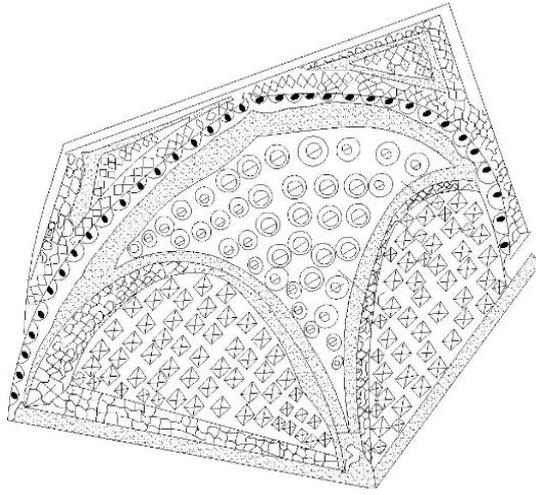
لها وظيفة معمارية وزخرفية، وهي فريدة من نوعها في بلاد الجزائر، نجدها في الجامع الجديد بمدينة الجزائر، وكذلك في زاوية سيدي محمد، وفي الزاوية المختارية في قاعة الضريح.

(شكل 29)

¹ ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1994، ص32، 33.



صورة 76/ زاوية سيدي محمد - مثلثات كروية



شكل 29/ انموذج من المثلثات الكروية



صورة 77/ الزاوية المختارية - المثلثات الكروية

7. وسائل التسقيف:

■ القباب:

القبّة هي البناء الدائري المقعر من الداخل المقبب من الخارج، تقام مباشرة فوق مسطح أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية، أو على حنايا ركنية أو مثلثات كروية أو مقرنصات

لتسهيل الانتقال من المربع إلى المثلث ثم إلى الدائرة، وقد تكون القبة كبيرة أو صغيرة أو بيضاوية أو نصف دائرية، أو بصليية أو مخروطية أو مضلّعة¹.

استعمل هذا العنصر المعماري كوسيلة للتسقيف في العهد العثماني، ونجده بمساجد عديدة وهي على نوعين منها المضلّعة وهي النوع السائد وكذا البيضاوية.

وأنّ قلة الخشب في المناطق الصحراوية وغلاء أثمانها، حتمّ على البناء الصحراوي باستخدام طرق أخرى، غير مكلفة، وذلك باستخدام القباب في مختلف الوحدات المعمارية دون إهمال المزايا وما توفره هذه القباب من التغطية في تلطيف الجو (إحساس في انخفاض درجة الحرارة في فصل الصيف).

بالإضافة إلى توفير الضوء من خلال الفتحات المزودة بها، سواء على شكل نوافذ أو فتحات صغيرة مغطاة بزجاج ملون.

■ القبة التي تتقدم المحراب:

انتشرت في كافة المساجد الإسلامية منذ القديم، بالجامع الأموي بدمشق، والجامع الكبير بالقيروان ويرجع وجوده إلى نوع من التأكيد المعماري على مكان المحراب وتغطيته بسقف مخالف لسقف المسجد، إضافة إلى أنّ هذا المكان كان يخصص للخليفة².

كما نجدها في المساجد المرابطية كالمسجد الكبير بالجزائر ومسجد الكبير بتلمسان، أمّا في العهد العثماني بمدينة الجزائر فنجدها فقط بمسجد الداوي للقصبية الداخلي و بمسجد عين البيضاء بمعسكر.

¹ عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 222.

Bourouiba(R.), Apport.....p.225.

واعتبرت هذه القبة عنصرا معماريا هاما في العمارة الإسلامية، غير أنّها انعدمت في بعض المساجد الجزائرية، نجدها في زاوية سيدي محمد، وهي القبة التي تتقدم المحراب (صورة78).

■ الأقبية:

نجد هذه الوسيلة جنبا إلى جنب مع القباب المركزية، مثل ما هو عليها في الجامع الجديد وهي

على ثلاثة أشكال:

■ الأقبية البرميلية:

نجد هذا النوع من الأقبية في الجامع الجديد حيث تحيط بالقبة المركزية من أربع جهات ويمتد أحدها بطول ثلاثة أساكيب، وهي كبيرة المقاسات، بينما نجدها في زاوية سيدي عبد الرحمان بأقبية مهدية صغيرة الحجم.

■ الأقبية المتقاطعة:

هي عبارة عن تداخل وتقاطع قباين مهدين لهما نفس الارتفاع¹. طريقة التسقيف هذه أخذها المسلمون أيضا عن العمارة الساسانية ، فقد وجدت قبل ذلك في الكرخ في طاق إيوان ، واستعملت في العصر الأموي في قصر عمرا في الغرفة الدافئة وفي حمام الصرخ².

أما في المغرب فنرى أول مبنى مسقوف بطريقة الأقبية في قاعة الصلاة في الدور العلوي لرباط سوسة (206هـ / 82 - 822م)، كذلك جامع أبي فطاطة بسوسة

(223 - 226هـ / 838 - 841م) الذي يعتبر ثاني مسجد أقيم في شمال إفريقيا

كما أنّه يعتبر الأساس الذي أنه يعتبر أساس الذي أنشئ على نمطه الجامع الكبير بسوسة (236هـ / 850 - 851م) وذلك من حيث طريقة التسقيف بالأقبية في شمال إفريقيا³. كما

1 Blanc (C), L'architecture... p.206.

2 كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص144.

3 كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص145.

وجد عند الزيريين و الموحدين، مما يعني أنه عنصر محلي استمر في الوجود¹. كما استعملت في زاوية سيدي محمد، حيث نجدها في تسقيف بيت الصلاة . (صورة 79،80) و(شكل30)، وأيضا في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية تماسين وزاوية قمار.



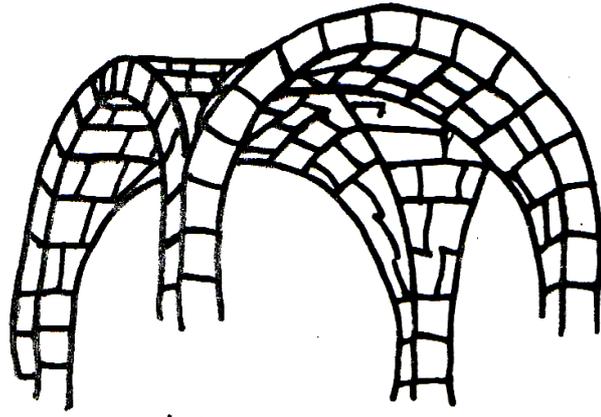
صورة 80/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي
- القبو المتقاطع

صورة 79/ زاوية سيدي محمد - القبو المتقاطع



صورة 78/ زاوية سيدي محمد - القبة التي تتقدم المحراب

Golvin (L.), Op.Cit, p.160.



شكل 30/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - القبو المتقاطع

- القباب في زوايا الجزائر خلال العهد العثماني:
 - القباب في زاوية سيدي محمد شريف:
- تقوم القبة التي تعلو قبر سيدي محمد شريف (حاليا غير موجود)، على حنايا ركنية، حيث فتحت بها أربع شمسيات.
- القباب في زاوية سيدي محمد:
- تقوم القبة التي قبر الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن على شكل مثلثات كروية، كما تحتوي على زخارف جصية، كما فتحت بها أربع شمسيات محورية، ويوجد أيضا قبتان أخرتان بقاعة الصلاة، لكنها بسيطة، وقباب متقاطعة.
- القباب في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي:
- هي عبارة عن قبة مضلعة، تظهر من الخارج مزينة بفتحات بارزة معقودة، أما من الداخل فهي مفرغة بزخارف قوامها شجرة السرو التي كانت مفضلة لدى الأتراك، كما نجد الأقبية المتقاطعة في الزاوية. (صورة 81).



صورة 81/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - القبة من الخارج.

■ القباب في زاوية باش تارزي:

هي قبة مزلعة موجودة في بيت الصلاة، وبالضبط في البلاطة العمودية على جدار القبلة ، مزدانة بزخارف جصية جميلة. (صورة 82).



صورة 82/ زاوية باش تارزي - القبة من الداخل

■ القباب في زاوية سيدي أحمد بن يوسف:

والقبة في زاوية سيدي أحمد بن يوسف نجدها تغطي سقف قاعة الضريح، إذ أن شكلها من الخارج يختلف عن شكلها من الداخل، القبة من الداخل بها ثمانية أضلاع، خالية من أي زخرفة، لها ثلاث فتحات للتهوية وإنارة قاعة الضريح، يحيط بالقبة من الأسفل إفريز من الخطوط المستقيمة، البارزة والمتدرجة.

والملاحظ في هذه القبة، أن تحويل المربع إلى المثلث، لم يكن من صنع الحنايا الركنية أو المثلثات الكروية، التي عرفت بها العمارة العثمانية بالجزائر، وإنما تم بوضع عقودا ترتكز على عمودين حلزونيين، في كل ركن من أركان القاعة المربعة، أما من الخارج فتبدو لنا القبة بارزة ببدن مضلع، تتخلل أضلاعه عقودا صماء تفتح بها فتحات بالتناوب، سقفه هرمي الشكل، مغطى بقرميد أخضر اللّون.

إن طريقة تسقيف هذه القبة تشبه إلى حد كبير طريقة تسقيف زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وضريح سيدي بومدين، وكذا سيدي الحلوي بتلمسان، يقول النقيب كوفالت أن مثل هذه القباب كانت من اختراع أندلسي، ثم انتقلت إلى شمال إفريقيا لتنتشر في كثير من عمائرنا بالأخص

في المناطق التي تكثر فيها الأمطار، إذن فإنّ تسقيف قبة ضريح سيدي أحمد بن يوسف ما هي إلاّ نتيجة فرضتها الظروف الطبيعية بالمنطقة. (صورة 83، 84). (شكل 31).

■ القباب في الزاوية المختارية:

كما نجد القبة في الزاوية المختارية في وسط قاعة الصلاة، تحف بها قباب أصغر حجماً. يبلغ عدد القباب في كل من المسجد والضريح اثنتا عشر قبة، عمد المعماري أن يكون النظام التوازني فيها.

حيث يرتكز هذا النوع من القباب على رقبة القاعدة كواسطة بين المربع والشكل الدائري الضروري لتكوين القبة، كما تنتقل القبة من الشكل المربع الى الثماني بواسطة حنايا ركنية. (صورة 85)، (شكل 32).



صورة 84/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي

- طريقة الانتقال

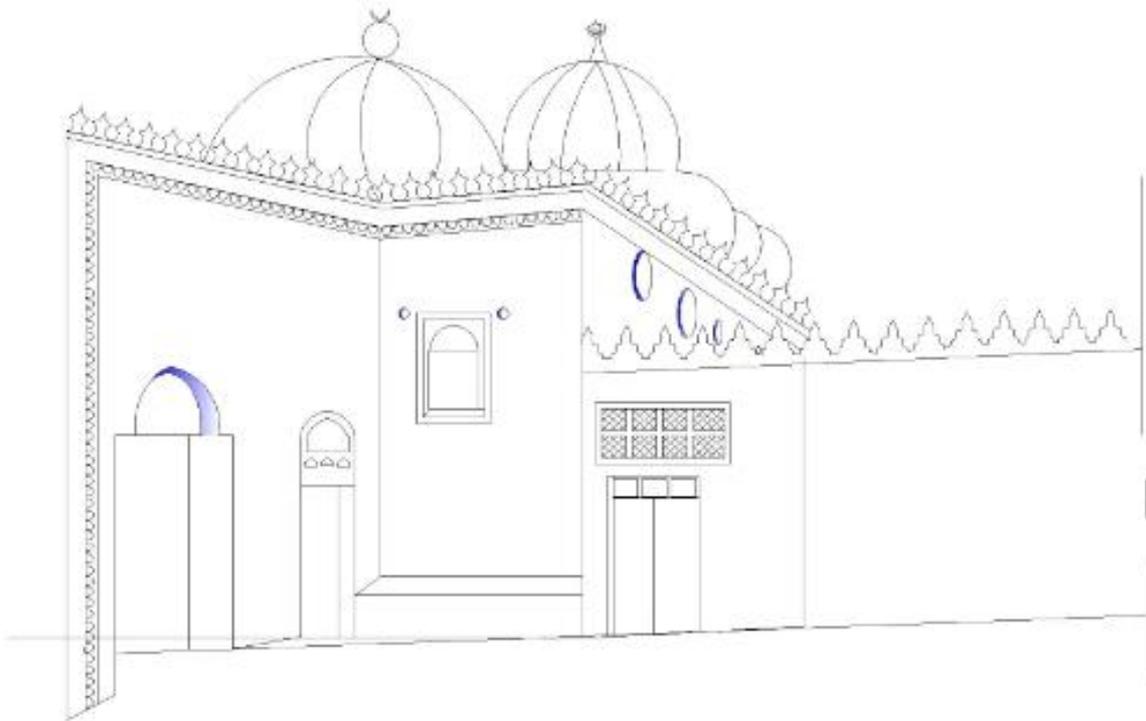


صورة 83/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف

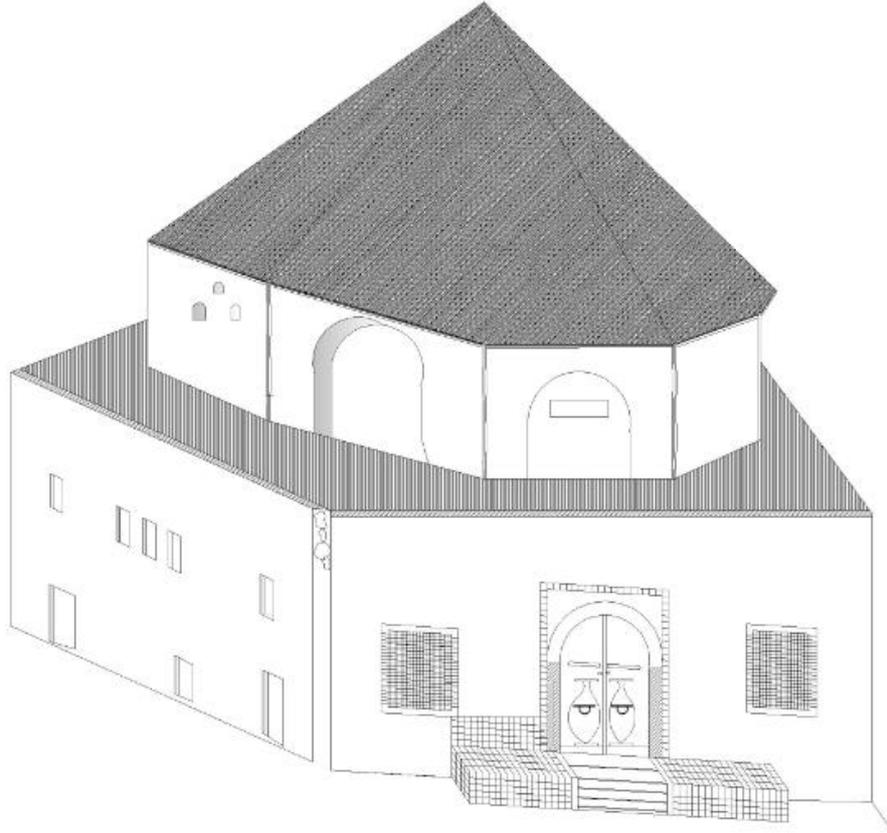
- طريقة الانتقال



صورة 85/ الزاوية المختارية - القبة من الداخل



شكل 31/ الزاوية المختارية - الواجهة الخارجية لشكل القباب



شكل 32/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - قبة الضريح

■ القباب في زاوية عين ماضي:

تمت تغطية الضريح بقبة حديثة العهد، تزينها زخارف هندسية ونباتية في غاية من الروعة والإتقان. تقوم القبة على قاعدة مربعة يتم تحويلها الى المثلث بواسطة مقرنصات. (صورة 86، 87).

■ القباب في زاوية تماسين:

إنّ القباب الموجودة في الزاوية على نوعين، نوع يتمثل في قبة الضريح، ونوع آخر يتمثل في القباب النصف دائرية. وقد زينت قبة الضريح بزخارف جصية، وزخارف بالألوان، مع الزخارف الكتابية، وهندسية. كما استعملت الأقبية بالزاوية في تسقيف أروقة وغرف بعض البيوت، بحيث أنّ بعضها يحمل على عقود متجاوزة ترتكز على دعائم ضخمة. (صورة 88).

وتتخذ القباب المضلعة مكانها في الزوايا التيجانية ، بحيث نجدها في كل من مسجدي وضريحي الزاويتين تماسين وقمار، وان اختلفت فيما بينها بعض الشيء من حيث الحجم والتفاصيل المعمارية والفنية، وقد زينت هذه القباب من الداخل بزخارف غاية في الروعة والجمال. (صورة 89).

■ القباب في زاوية قمار:

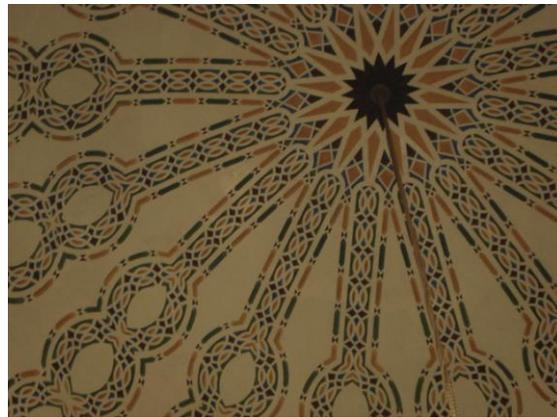
استعملت في هذه الزاوية نوع من القباب النصف دائرية، في بيت الصلاة أو في بعض الغرف، فهي ذات أشكال أحجام صغيرة، وأشكال بسيطة، مقارنة بالقباب المضلعة الضخمة. كما نجد نوع من القباب الهرمية التي كانت تغطي إحدى الغرف من مجمع قصر الضيافة. (صورة 90).



صورة 87/ زاوية عين ماضي - القبة من الخارج



صورة 86/ زاوية عين ماضي - القبة من الداخل



صورة 88/ زاوية تماسين - القبة من الداخل



صورة 89/ زاوية تماسين - القبة من الخارج



صورة 90/ زاوية قمار - القبة من الخارج

■ التسقيف المستوي:

عرف هذا النوع من التسقيف خاصة بمادة الخشب في العصور القديمة كالعصر الإغريقي والروماني والمسيحي المبكر في إيطاليا وفي الأقطار الشرقية، كما استعمل في العصر الإسلامي المبكر، إذ نجده يغطي أروقة المسجد الأموي بدمشق وغيره من المساجد الأموية¹.

وهذا النوع من التسقيف نجده في:

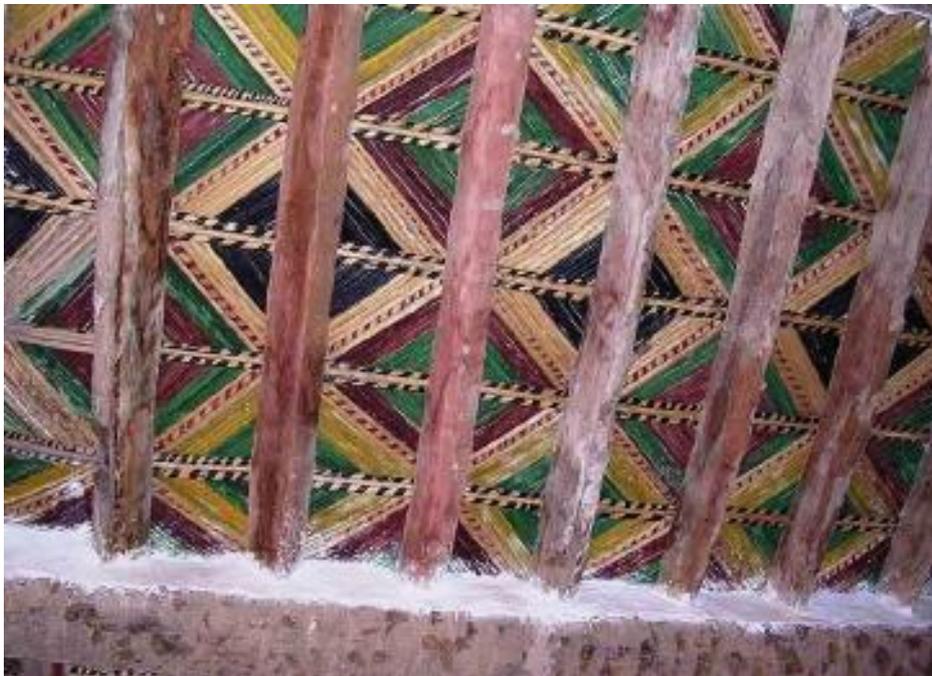
- زاوية سيدي محمد الشريف: بيت الصلاة، والغرف والمخزن.
- زاوية سيدي محمد: بيت الصلاة.
- زاوية سيدي أحمد بن يوسف: بيت الصلاة، والغرف .
- زاوية عبد الرحمن الثعالبي: بعض الغرف الصغيرة والمطبخ.
- الزاوية المختارية: في بعض ملحقات الزاوية كالغرف للطلبة، وحجرة التعبد لشيخ الطريقة. (صورة 91).

- زاوية عين ماضي: في غرف الطلبة والمحاضرة.
- زاوية بوسمغون: في المصلى والغرف المحيطة بها . (صورة 92)
- زاوية تماسين: في الغرف والمطبخ، والمخزن.
- زاوية قمار: في بعض ملحقات الزاوية كالغرف والمخزن والمطبخ. (صورة 93).

¹ كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص150.



صورة 91/ الزاوية المختارية - انموذج من التسقيف



صورة 92/ زاوية بوسمغون - انموذج من التسقيف



صورة 93/ زاوية قمار - نموذج من التسقيف المستوي.

■ النوافذ والكوات:

■ النافذة:

تطلق كلمة نافذة على الفتحة التي تخترق الجدار لأغراض ثلاثة وهي (التهوية، والإضاءة والرؤية). واقتصر العرف على بعض الفتحات المستطيلة والصغيرة، ففي المسكن الإسلامي كانت النوافذ تطل على الصحن الداخلي، والنوافذ الضيقة توضع على الجدران الخارجية، وذلك لأغراض مناخية ودينية، واجتماعية، حيث لا يجوز أن يتعرض داخل الدار لأنظار الفضوليين أو المارة¹.

وقد عرفت العمارة الإسلامية أنواعا مختلفة من النوافذ، كان منها المستطيل، والمربع، والدائري، والبيضوي.

أما في المناطق الصحراوية فتم استخدام فتحات خارجية مفتوحة محددة، تكون صغيرة بالواجهة الخارجية، بينما الفتحات الكبيرة تفتح على الفناء الداخلي، وتكون النوافذ ضيقة من

¹ محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني، ص150.

الداخل واسعة من الخارج لتوسيع زاوية الرؤية من جهة ، وتخفيف كمية النور ومنع الأشعة المباشرة من جهة أخرى¹.

نجد هذه النوافذ في:

- زاوية سيدي محمد الشريف: في الجدار الخارجي للزاوية، تتخللها غرف، عددها يتعدى التسعة، تظهر النوافذ على هيئة عقدين نصف دائريين، يفصلهما عمود بسيط. (صورة94).

- زاوية سيدي محمد: هذه النوافذ موزعة في الجدار الخارجي للزاوية، وهي على شكل عقدين نصف دائريين، يفصلهما عمود بسيط. (صورة95،96)

- زاوية سيدي أحمد بن يوسف: تظهر النوافذ على شكل عقدين نصف دائريين، يفصلهما عمود بسيط، نجده في الجدار الخارجي لبيت الصلاة، ولدنا نوع آخر من النوافذ البسيطة المربعة والمستطيلة، فهي موجودة على الغرف المطلة على الصحن. (صورة97،98)

- الزاوية المختارية: ما يميز هذه النوافذ شكلها الضيق، فتحت في أجزاء مرتفعة من الجدران، يبلغ قطرها حوالي 25سم، وترتفع الى علو أربعة أمتار تقريباً.

فيوجد أيضاً النوافذ الصغيرة فهي تتوزع في بيت الصلاة، منفذ واحد في الجدار الغربي وثلاثة نوافذ في الجدار الشمالي وأربعة على الجوانب في القبلة، كما في الضريح عدة نوافذ مماثلة.

- زاوية قمار: نجد في هذه الزاوية نوافذ صغيرة الحجم، في الغرف المخصصة للإستقبال، وغرف التخزين، وبعض غرف النوم، تتراوح ماقاساتها ما بين 60 الى 80سم.

وأنّ هذه النوافذ خاصة المفتوحة على المستوى الخارجي مزودة بشبابيك حديدية تختلف أشكالها من غرفة إلى أخرى.

- زاوية تماسين: نجد النوافذ في أضلاع القباب سواء في المساجد أو في الأضرحة، وهي عبارة عن نوافذ صغيرة الحجم مفتوحة بالتناوب.

¹ محمد هديبي، المرجع السابق، ص 141.

- زاوية بوسمغون: شكل النوافذ مربعة الشكل، وبسيطة، تتوزع خاصة في الغرف المطلة على الصحن للتهوية والإضاءة.

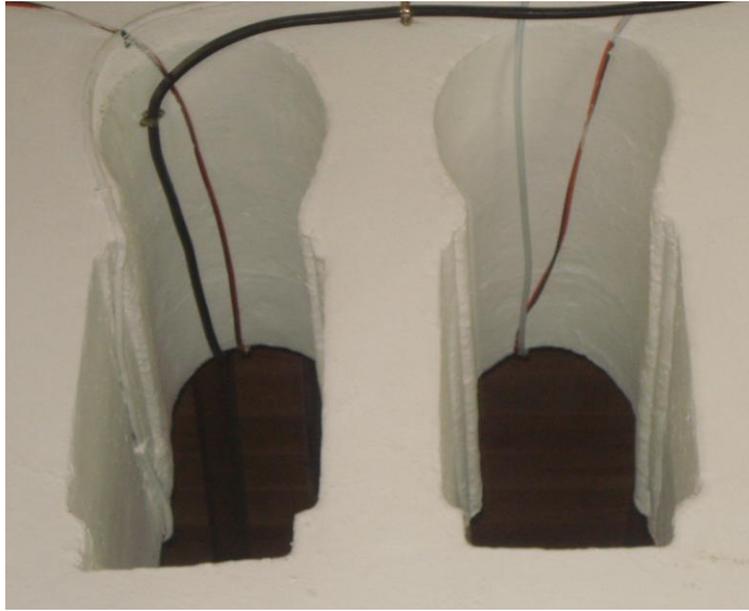
■ الكوات:

هي عبارة عن تجاويف غير نافذة في الجدران الداخلية، وتشغل حيزا معتبرا من جدران العمائر الدينية والمدنية على السواء. وجدت من أجل وظائف محددة، واستعمالاتها كثيرة كوضع الكتب بداخلها، ووسائل الإنارة، وأدوات الزينة للمرأة وكذلك وضع الصبوغ، أشكالها متنوعة، المثلثة، والمربعة والمستطيلة، نجدها في المباني الدينية والمدنية موزعة في الغرف حسب الحاجة إليها. في الزوايا نجدها في:

- زاوية سيدي محمد شريف: نجدها على جانبي قاعة الضريح، مثلثة الشكل وبسيطة.
زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي: وجدت في الرواق الفاصل بين الضريح والغرف الممتدة حتى المطبخ، وهي مربعة الشكل.

- زاوية قمار: هذه الكوات موجودة داخل الرواق على الجدار الخارجي لضريح الشيخ أحمد عمار، وفي غرفة القبة الهرمية، وهي تتراوح ما بين 30 إلى 60سم، وهي مخصصة لوضع حاجيات والأغراض الخاصة كل حسب موقعها.

- زاوية تماسين: وجدت في بعض الغرف، خاصة في غرف الخاصة بالضيافة، بأشكال مختلفة المربعة والمستطيلة.



صورة 94/ زاوية سيدي محمد شريف - نافذة



صورة 96/ زاوية سيدي محمد - نافذة



صورة 95/ زاوية سيدي محمد - نافذة



صورة 97/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - نافذة



صورة 98/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - نافذة

الفصل الخامس

مواد البناء والزخرفة

أولاً. مواد وتقنيات البناء:

1. مواد البناء.
2. تقنيات البناء.

ثانياً. مواد وتقنيات الزخرفة والعناصر الزخرفية:

1. مواد الزخرفة وتقنياتها.
2. العناصر الزخرفية:
 - العناصر الزخرفية النباتية.
 - العناصر الزخرفية الهندسية.
 - العناصر الزخرفية الكتابية.
 - العناصر الزخرفية الرمزية.

أولاً. مواد وتقنيات البناء:

1. مواد البناء:

كانت وما زالت مواد البناء من العناصر المؤثرة على العمارة والتحكم في توجيهها ومن المتعارف عليه أنّ الإنسان منذ العصور الغابرة حاول استغلال المواد المتوفرة حوله والتي تتلاءم مع الظروف المناخية لبناء مسكنه، وهذا من خلال محاولتنا لمعرفة مواد البناء المستعملة في بناء الزاوية، والتي هي في معظمها مواد محلية محضّة أدخلت عليها بعض التعديلات من حرق أو تجفيف أو تشذيب لتصبح في الأخير صالحة للاستعمال.

ولقد اعتمد الفنان والمعماري في بناء الزوايا بالمناطق الجنوبية، على ما تتوفر عليه البيئة الصحراوية من مواد بناء مختلفة واستغلالها أحسن استغلال في إنجاز و تزيين كل العمائر، ولم يلجأ إلى استيراد المواد من الخارج على غرار ما فعله الفنان والبناء العثماني في المناطق الشمالية.

1.1. الحجارة:

تعد الحجارة من أهم مواد التي استخدمت في العمارة على مر العصور، كما تم استخدامها في تشييد وتزيين أنواع العمائر الإسلامية، ومن المعروف أن الجدران وبعض العناصر المعمارية المبنية من الحجارة تكون ثقيلة، ممّا يتطلب أساسيات قوية وسميكة وعميقة، لتقوى على حمل ضغط الثقل العلوي، مقارنة بالجدران المبنية بالأجر أو الطابية¹. وتستخدم الحجارة أيضا في بناء الأساسات والأبراج، وكذا لأسوار، ويحرق بعض أنواعها للحصول على الجبس أو الجير، اللذان يستخدمان في عملية البناء، وفي طلاء الجدران.

¹ عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في

الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999، ص635.

نجد أصناف من الحجارة، حجر البازلت وحجر الغرانيت، وقد استعمل في زوايا مدينة الجزائر وزاوية سيدي أحمد بن يوسف الحجر الكلسي المتوفر بكثرة في الجزائر وهو متصلب ذو لون أصفر قشدي، يتكون من حبيبات دقيقة من الرّمْل و الصدف والقواقع البحرية، وهو على نوعين:

- الحجر الكلسي شديد الصلابة: وهو موجود بالجهة الشرقية للجزائر العاصمة بين العناصر والقبة، الأبيار وساحة أول ماي.

- الحجر الكلسي قليل الصلابة: نجده بضواحي الأبيار¹.

والعناصر التي شكلت من هاته المادة في هذه الزوايا نذكر منها: أطر المداخل أعمدة بيت الصلاة بقواعدها وتيجانها.

ولدينا أيضا الحجارة المسامية وهي حجارة رسوبية هشة يطلق عليها اسم الحجر المحلي لوفرته وسهولة تشكيلها، نجدها على مستوى إقليم الصحراء ككل، ففي زاوية تماسين استخدمت هذه الجدارة بشكل واسع، فكانت تجلب من محاجر بنواحي تقرت وهي مشهورة باسم حجرة ورقلة، استعملت في تشكيل القباب والعقود والأقبية، ونوع آخر من الحجارة وهي الحجارة الصلبة، تجلب إما عن طريق كسر الصخور الغرانيتية والكوارتزيتية من الجبال الصخرية، كما نجدها بكثرة في زاويتي عين ماضي وتماسين، في أسس الجدران وفي بناء الأعمدة والدعامات².

¹ علي خلاصي، قصبة الجزائر (القلعة وقصر الداوي)، رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة، الجزائر، 1985، ص 328.

² مراد هديبي، المرجع السابق، ص 169، 170.

2.1. الطين:

معروف الوحل، وطان الحائط والبيت والسطح طينا، طلاه بالطين¹.
هو عبارة عن صخر متماسك، ومادة دقيقة الذرات مقطوعها من سليكات الألمنيوم له
خاصية الاحتفاظ بالماء. يستعمل لبناء الحيطان والسطوح والبيوت بشكل عام وما شابهها أو
تطلى به خاصة في المناطق الجنوبية الصحراوية².

والمعروف أن الطين لا تستعمل في حالتها الطبيعية، بل تخلط ببعض المواد النباتية
(التبن)، أو المعدنية (الصلصال، الحصى.....)، مما يقلل عوامل التجفيف، ويضفي على
البناء نوعا من المقاومة.

والعمارة الطينية تسمح بتحقيق، عدة إيجابيات منها:

- إنّ العماير الطينية ذات مناخ صحي معتدل، باردة صيفا ودافئة شتاءا.
- إنّ مادة الطين من أفضل المواد البيئية، لأنها لا تشكل أي تلوث بيئي أثناء التصنيع
أو التنفيذ أو التعديل، وحتى في حالة الهدم المبني وإعادة بنائه، فمصدرها من الأرض وإليها
تعود.
- يعمل الطين على تخزين الحرارة والبرودة والرطوبة، مما يؤدي إلى تحسين المناخ،
وبإضافة مواد رابطة وينسب معروفة نصل إلى تحقيق المتانة والعزل اللازمين في البناء.
- لوحظ بالتجربة أنّ الجدران المصمتة الخارجية السمكية، تحقق أكبر قدر من التأخير
الزمني في الناقلية الحرارية، وأنّ جدران الطين بسمك 40 سم تؤخر الحرارة 15 ساعة،

¹ أبو الفضل ابن المنظور، لسان العرب، ج5، دار صادر، بيروت، 1968، ص95.

² عبد الرحمن غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت، 1988، ص265.

وبالمقابل نجد أن الجدران الإسمنتية بسبك 20 سم لا تؤخر الحرارة سوى خمس ساعات وست دقائق فقط¹.

وهي المادة المتوفرة بكثرة في المناطق الصحراوية، والتي تستعمل في صناعة ما يعرف بالطوب وذلك بطريقة تقليدية سهلة، إذ يتم خلط التربة بالماء وزيادة في تماسكها يضاف للخليط سعف النخيل أو التبن، ثم يسكب في قوالب خشبية صنعت خصيصا لهذا الغرض، وبعد الإنتهاء من هذه العملية يتم تجفيفها تحت أشعة الشمس لمدة معينة، ويكثر استعمالها في المناطق الصحراوية، لعدة أسباب ، منها:

- توفر المادة الأولية بالمنطقة.
- قلة تكلفتها، إذ يتم تشكيلها بطريقة سهلة.
- الخصائص التي يمتاز بها الطوب من حيث تأقلمه مع المناخ.

3.1. الملائم:

هو عبارة عن خليط متصلب من مادة لاحمة تتكون من حبيبات دقيقة من الرّمل والطينة والماء يدعم الكل بإضافة الجير كمادة لاحمة و يذكر شاو Shaw " أن عبارة عن خليط مكون من مقدارين من رماد الخشب، وثلاثة مقادير من الجير ومقدار واحد من الرّمل الناعم، وتغريل هاته المواد بعد مزجها ببعضها البعض، بعد ذلك يدق هذا الخليط بمطارق خشبية لمدة ثلاثة أيام و ثلاثة ليالي متتالية مع إضافة الماء و الزيت بالتناوب وبفترات محددة حتى يتحصل على المتانة المطلوبة"².

¹ بن عبد الله نور الدين، قصور منطقتي توات الوسطى والقورارة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2010/2009، ص184.

ويختلف تركيبه من منطقة إلى أخرى ويدعى كذلك التبشمت في الأوساط المحلية وخاصة في المناطق الصحراوية.

ويوجد نوعان من الملاط:

النوع الأول: ملاط يتميز بلونه الوردى المائل للحمرة، وهو مصنوع من الرمال الحمراء وكمية من التربة بحيث تتفاوت نسبتها حسب نوعيتها.

النوع الثاني: يتميز هذا النوع من الملاط بلونه الأبيض يتخلله بقع رمادية اللون وهو مكون أساسا من الرمل ومن حجارة صغيرة، ويذكر روزي " أن الملاط الجزائري يتكون من الجير والطين الأحمر المشبع بالأمطار¹.

وللملاط أهمية كبيرة في البناء، ذلك لمميزاته العديدة والمتمثلة في:

سرعته في التصلب، التحامه الجيد مع مواد البناء، مقاومته للضغط والتأثيرات المناخية، غير مسامي بحيث يحمي البناء من الرطوبة، واستعمل هذا النوع في زوايا مساجد على أبدان المآذن لتثبيت قطع البلاطات الخزفية، وكذا في تكسية الجدران.

4.1 الأجر:

هو عبارة عن مادة اصطناعية مملوءة ذات مقاسات وأبعاد مختلفة، استعملت منذ القدم في البناء، ويحصل عليها بعد تحضير عجينة خاصة وقولبتها ثم تجفيفها وحرقتها تحت درجة معينة في أفران خاصة، ويعود انتشارها الواسع في البناء إلى متانتها العالية وإمكانية تحملها مع الزمن ضد العوامل المتلفة، وتزخرف به الجدران حيث يتخذ أشكالا وأوصافا مختلفة وألوان عديدة في حالة طلائه.

¹ Rozet (M.), *Voyage dans la régence d'Alger, et description du pays occupé par l'armée française en Afrique*, T.3, Paris, 1833, p.94.

يتميز الأجر بخصائص هامة، فهو أكثر مسامية من الحجر مما يتيح له القدرة على جذب الجبس وبالتالي إعطاء نتيجة إيجابية في التصاقه بين القطع الآجرية، كما أنه لا يتأكسد أثناء الحرق. وفي بعض المناطق استعمل فيها الأجر كمادة مكملة للحجر أو كمادة أساسية لندرة الحجر أو لرداءة نوعه في تلك المناطق¹.

ويعد الأجر من المواد الرئيسية المستعملة في الزوايا الجزائرية خلال العهد العثماني حيث اهتم بها البنّاءون وأنشئوا عدة أفران لإنتاج هذه هاته المادة الأولية. واستعمل الأجر ذو الأبعاد التالية: عرض الآجرة : 11سم، الطول: 22سم، أمّا السمك: 4سم، والبعد بين كل آجرة وأخرى يقدر ب 1,5سم هذا الفراغ يشغله الملاط الذي يعتبر المادة الرابطة².

واقترن استعمال الأجر بزوايا سيدي أحمد بن يوسف في مدخل المسجد، كما نجده في زاوية تماسين في تزيين واجهة المدخل الشرقي للزاوية، وفي تشكيل القباب (صورة 99).

¹ Quatremere de Quincy, Encyclopédie méthodique, architecture, Paris, p.320.

² نقاش نقولا ، دائرة المعارف، ج1، بيروت، 1955، ص77.



صورة 99 / زاوية سيدي أحمد بن يوسف - مادة الأجر.

5.1. القرميد:

وهو من المواد الطينية الصلصالية، يشكل بواسطة قوالب تصنع بالحصص ثم حرقها يبدوا على شكل قناة أو نصف قناة مخروطية، توضع عند البناء بشكل محدب بالتناوب واحدة على البطن والثانية على الظهر ويثبت بواسطة مادة لاحمة مثل الملاط، ويطلى الجزء الأمامي لقطع القرميد باللون الأخضر الزرعي¹.

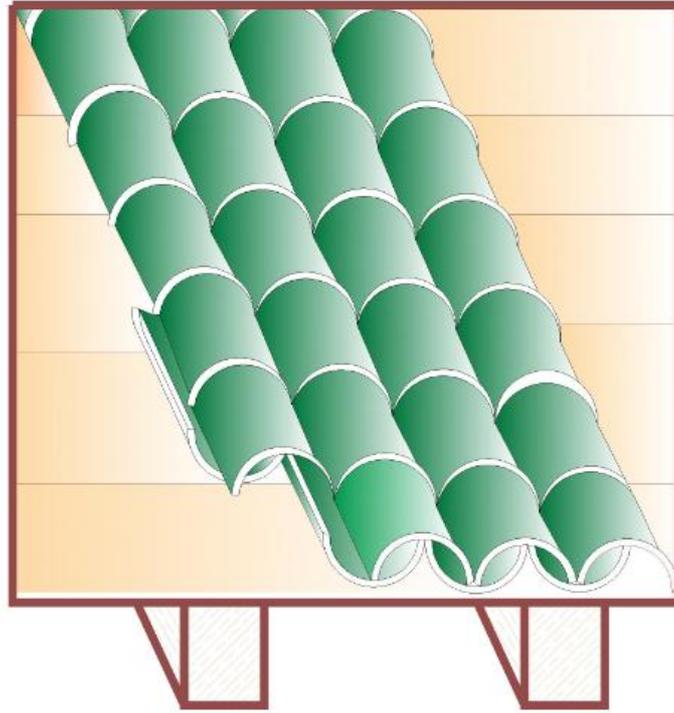
تجمع الطينة الصافية ثم تصنع منها أشكالاً لقنوات مخروطية أو أواني بواسطة الدولاب، ثم تترك لتجف تجفيفاً أولياً ثم تقطع طولياً بواسطة آلة لتعطي لنا زوجين من القرميد.

Oliver(E.), Technologie des matériaux de construction, T.II, Paris, 1976, p.27

تختلف مقاساتها حسب الطلب وحسب المنطقة والفترة التاريخية التي صنعت فيها يحتاج الصانع في ذلك مجموعة من الأدوات يستخدمها لضغط وضبط العجينة المسوّاة وأخيرا يوضع القرميد في الفرن تحت درجة حرارة معينة¹.

لقد أصبح القرميد كعنصر تزييني في المباني بالجزائر خلال العهد العثماني، كما أنّه يمنع قطرات المطر من التسرب إلى الجدران التي تغطي الأروقة، وتدفع بمياه الأمطار إلى الصحن. (شكل 33)

نجده القرميد في زوايا الجزائر بشكل محدود، استعمل في زاوية سيدي محمد شريف، بحيث يكوّن ما يسمى بالظلة للمدخل الرئيسي، وفي زاوية سيدي أحمد بن يوسف. (صورة 100)



شكل 33/ طريقة التسقيف بالقرميد

¹ بكار أندرية، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، ترجمة: سامس جرجس، ج1، نشر أتولية إيطالية، 1974،



صورة 100/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - مادة القرميد

6.1. جذوع النّخيل:

إنّ توفر أشجار النّخيل بالمنطقة الصحراوية، جعلت البناء الصحراوي يستغل هذه المادة في بناء العمائر، سواء في عملية تدعيم الجدران أو التسقيف أو لإنجاز السلالم ويمكن تحضير هذه المادة بأنّ يتم قطع النّخيل غير المنتج من الأعلى إلى الأسفل بأبعاد متناسبة ومتطلبات البناء، وطريقة التسقيف بواسطة جذوع النّخيل من أوسع الطرق المنتشرة في الجنوب الجزائري، إذ استعملت في معظم القصور والزوايا، ومع أنّ هذه الطريقة معروفة في المناطق الشمالية، فإنّ الاختلاف يكمن في نوعية الخشب المستعمل ففي بعض بيوت القصبة وزواياها في الجزائر نجد خشب العرعار التي استعملت فيه الروافد الخشبية¹.

¹ الروافد الخشبية: من المواد الأولية التي استعملت جذوعا وأغصانا ثمّ خشبا في البناء، وقد عرفت خصائصه منذ القدم كمادة مقاومة للضغط وعازل للحرارة، استغل في الفترة العثمانية لتوفر البلاد على الأشجار، ومن الأنواع المستعملة شجر الأرز والعرعار، فقد عثر عليه مدمج في بناء الجدران في شكل فواصل بين المداميك، والغرض من ذلك جعل حاجز في الجدار لكي لا تتعرض للشقوق الكبيرة، نجد ذلك في بيت الصلاة لزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، لمزيد من المعلومات : أنظر، راجعي زكية، المرجع السابق، ص198، 199.

فالنوع المحبذ من النخيل للبناء هو النخلة غير المثمرة ذات الجذوع الضخمة، حيث يستعمل جذعها عوارض للسقف، فيقطع ساقتها بشكل طولي إلى نصفين متساويين، ثم إلى أربعة أقسام متساوية حيث تعطينا في الأخير وجهها المسطح، طول هذه العوارض 2م إلى 3م، فنجدها متمثلة في سقوف المنازل، وصناعة الأبواب، ووسائل الدعم في مباني القصور كقصر بوسمغون وزاويته، وزاوية عين ماضي، وزاوية تماسين وزاوية قمار¹.

■ **الجريد:** هي أغصان النخيل المفصصة، تحضر بطريقة تقليدية، حيث تتم عملية تهيئته بنزع أشواكه ثم تعرض لأشعة الشمس حتى تجف، وهو يحجب أشعة الشمس جزئياً فتترشح خيوط الضوء مخففة من خلال الأغصان، وباختلاف الحرارة ما بين الداخل والخارج يتولد تيار في المكان بمساعدة فجوات جريد السقف فيتسرب الهواء الحار من خلاله ليحل محله الأقل حرارة. ويستعمل الجريد في العديد من الأغراض كالتسقيف وصناعة الأثاث².

■ **الكرناف:** تطلق هذه التسمية على الجزء العريض من جريد النخل، فهو خشبي صلب يوضع بين جذوع النخيل ثم يأتي فوقه الليف، ثم يوضع عليه التبن الممزوج بالطين والذي يمثل مادة قوية ومدعمة للطين.

■ **الليف:** تعرف أيضا " بالفدام "، يستعمل لإفراش السقف حتى لا يسمح بتسرب الماء والتراب، خاصة في زاوية تماسين في تدعيم بعض درجات السلالم وتثبيتها ، واستعمل أيضا في تسقيف قصور بوسمغون بالبييض³.

¹ عبد الرحمن غالب، المرجع السابق، ص 119

² نفسه، ص 120.

³ منى دحمون ، المرجع السابق، ص 220.

2. تقنيات البناء:

لقد اختلفت أساليب البناء في العمارة في العهد العثماني، وتنوعت حسب الحاجة والبيئة والمكان، وقد تتشابه طرق البناء وقد تختلف من عصر إلى عصر ومن تقنية إلى تقنية، ولقد اعتمد البناء الجزائري عدة طرق للبناء كانت معروفة منذ القدم، ولكن بخبرته وتجربته طوّرها واستعمل واختار التقنية الأنسب والأنجع لضمان سلامة المبنى واستقرار أجزائه.

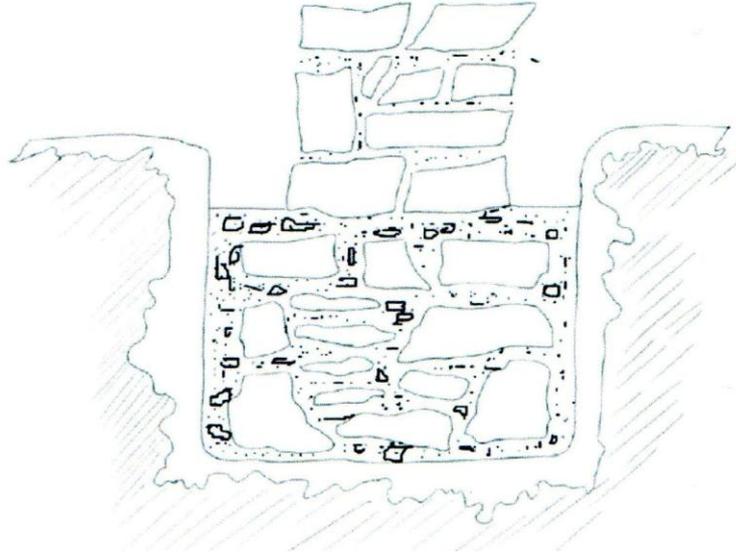
■ تقنية بناء الأساسات:

يعتبر الأساس هو ثاني خطوة بعد التخطيط، واسمه يدل عليه، فأول ما يشرع به البناء هو الأساسات، ودوره يتمثل في حمل ثقل المبنى وتوزيعه على الأرضية بانتظام والتساوي، وتتنجز الأساسات تبعا للأرضية، بحيث يتباين ذلك بين الأراضي المستوية والتي تكون أساساتها مستوية خاصة المباني والزوايا الصحراوية، وبين الأراضي المنحدرة التي يتبع الأساس شكلها أيضا كزوايا مدينة الجزائر ومدينة مليانة، أما المواقع الصخرية فتحفر الأساسات على الصخر كزوايا مدينة قسنطينة منها زاوية باش تارزي¹.

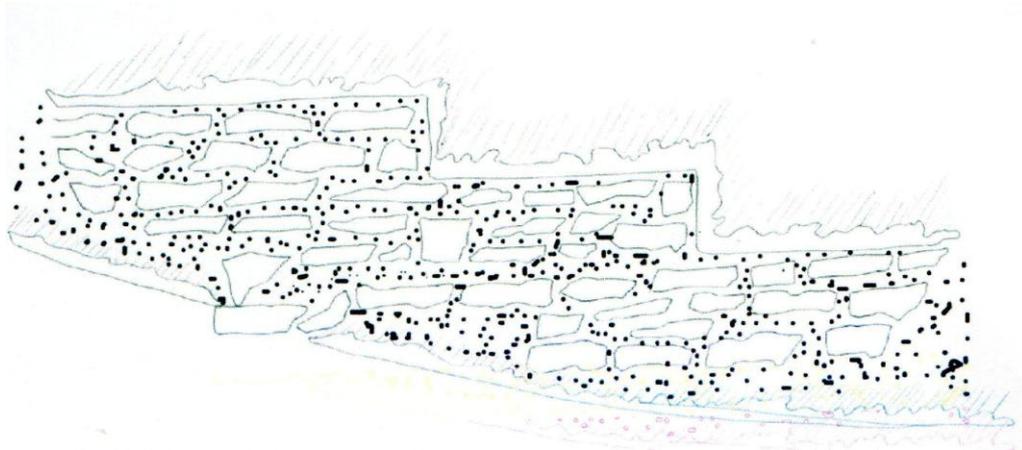
ففي مدينة الجزائر لا توجد في الغالب أساسات للمباني لأن أرضيتها أو طبوغرافيتها تتميز بشدة الإنحدار، وهي بذلك تمثل أساس وقاعدة حجرية صلبة يرتكز عليها الجدار بطريقة مباشرة فيحدث توازي البناء الجديد مع الإنحدار، وهذا ما نجده في زاوية سيدي محمد شريف وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي. وإذا كانت الأرضية تستدعي أساسات فإنها تبنى بحفر خنادق صغيرة وتملاً بأحجار كبيرة وغير مهذبة، بحيث تغمر بالملاط المتكون من

¹ عبد العزيز محمود لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية... ص 655.

التراب الطيني بكمية كبيرة للتماسك، وتقدر سمك طبقة الأساسات من حوالي 80 سم إلى غاية 120 سم¹. (الشكل 34، 35)



الشكل 34/ طريقة بناء الأساسات البسيطة



الشكل 35/ طريقة بناء الأساسات على أرضية منحدرية

عن: سعيد مهيل

¹ رفيقة لعزاري عتيق، مواد وتقنيات البناء خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013/2012، ص 83.

■ تقنيات بناء الجدران:

استخدمت هذه التقنية التي تستلزم وضع الأجر مع الدبش المهذب في البناء، ويلمس بالملاط. وينفذ ذلك بوضع صف من حجارة الدبش، ثم تليها صفين إلى أربعة صفوف من الأجر بعدها تأتي الحجارة مرة أخرى والتي تتوضع عليها مباشرة صفوف من الأجر المشكل على طريقة السنابل، وهكذا دواليك، بحيث يملس الحائط بمونة تتكون من الجير والرماد، ويطلّى في الأخير بطبقة من الجير.

أما في المناطق الصحراوية فيتم فيها بناء جدران الزوايا فوق الأسس مباشرة باستعمال صفوف الحجارة بوضع الواحدة فوق الأخرى، وأحيانا نجد صفين من الحجارة الصغيرة الحجم، ويتم التركيب بينها بواسطة الملاط الطيني أو التيمشمت، وتتخلل الفتحات التي يتركها وضع أحجار صغيرة لشد الفتحة، وتملأ الجوانب الموجودة بين كل قطعة بالملاط الطيني الذي يلعب دورا كبيرا في عملية البناء، إذ يتراوح سمكه ما بين 50 إلى 60 سم، وهكذا تستمر هذه التقنية في بناء الجدران إلى أن يرتفع العلو المراد بناءه، وهذه التقنية نجدها في زاوية تماسين بنقرت وزاوية سيدي سالم بوادي سوف وزاوية بوسمغون بالبييض وزاوية قمار.

■ تقنيات بناء الأعمدة والدعامات:

استخدمت الأعمدة والدعامات كعنصر حاملة للسقف في زوايا الجزائر، وتظهر تقنيات البناء بالحجارة المنظمة والموحدة، على حسب شكل الدعامات سواء المربعة منها أو المستطيلة أو المتعامدة الأضلاع، فنلاحظ أن صفوف الحجارة مبنية بنفس الوضعية التي لاحظناها في كل من الجدران والأسوار، وخاصة دعامات الزوايا المناطق الصحراوية والتي جلها تخلو من القواعد والتيجان، إذ تتصل مباشرة بالأرض، وتستقبل مباشرة الأقواس، كما تتعدم فيها الزخارف، وتكون هذه الدعامات في بعض الأحيان عريضة في أسفلها تدعيما

للأساس، كما يمكن أن تكون أكثر عرضا في أعلاها، إذا كانت حاملة لعوارض النخيل حتى يكون التوازن في الثقل وتكون طبقة التلبيس في الدعامات بالتمشمت أكبر منها في الجدران لإعطائها أكثر صلابة ومقاومة¹.

■ تقنيات بناء العقود:

استعملت العقود ككل البنايات الإسلامية في الفترة العثمانية كعنصر في العمارة بأنواعه المختلفة، فمثلا في زوايا الجزائر ظهرا استعمالات العقد المتجاوز والنصف دائري وعقد مقبض القفة أو الإهليجي والعقد الحذوي، ويرجع اقتصارهم على استعمال هذه العقود الى أنها سهلة نوعا ما ومتداولة في تلك الفترة بكثرة حيث أنّ المعماري تعود عليها. ولإنشاء هذه العقود، اعتمد المعماري على طريقتين، أولهما:

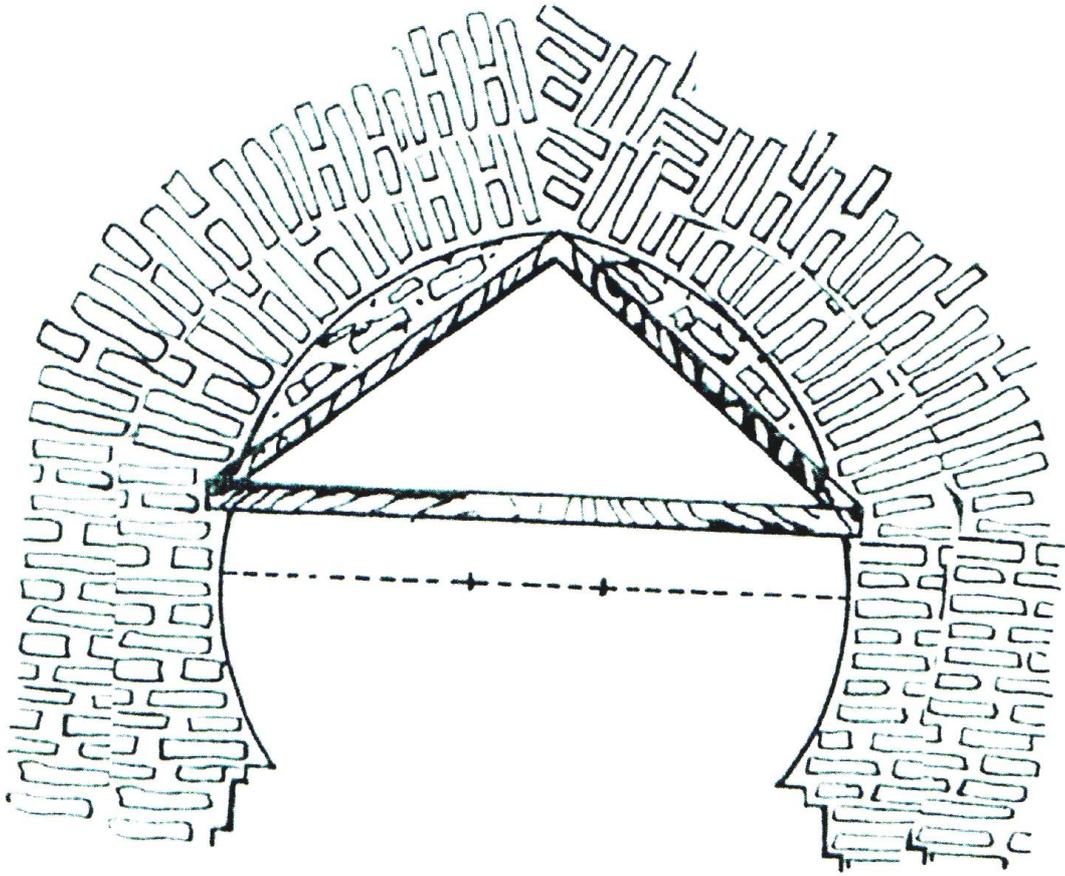
أن يعمد إلى وضع صخرة كبيرة بشكل منفتح للخارج، توصل بين الدعامتين أو العمودين، ثم على بناء الجدار فوق هذه الصخرة، مكونا بذلك عقدا منحنيا، حسب انحناء الصخرة المختارة، ثم بعد الجفاف، يعمل على تلبيسه بملاط ديني ليحصل على الاستدارة اللازمة والحقيقية لبطن العقد، وهذه الطريقة تستعمل لإقامة العقود ذات الأقطار الصغيرة كعقود النوافذ وغيرها².

أمّا العقد الداعم للسقف يبني بعد تمام بناء الجدارين المتقابلين في القاعة أو في الغرفة الواحدة، فيضع مجموعة من الحجارة على هيئة تلة، أو قطع خشبية تصل إلى منتصف الجدارين، وانطلاقا منها يشرع في بناء جدار باللبن الطيني، شريطة أن يلحمه بالرمل المبلل بالماء، ليسهل نزعه فيما بعد، وعندما يتجاوز هذا الجدار الوسيط، حدود الجدارين

¹ مراد هديبي، المرجع السابق، ص 177 .

² بن عبد الله نور الدين، المرجع السابق، ص 196.

الأساسيين، بمسافة 50 سم، يقوم بتغطيته بطبقة من الرمل المبلل بالماء، حتى يأخذ شكلي العقد، حينها يشرع البناء ببناء العقد بالحجارة أو باللبن الطيني واصلا بين الجدارين. وبهذه الطريقة يتم تماسك العقد وفق مبدأ الضغط بين نقطتي مركزه، ليوزع بذلك ثقل السقف على الأركان والجدران الحاملة¹. (الشكل 36)



الشكل 36/ طريقة بناء العقود

¹ بن عبد الله نور الدين، المرجع السابق، 197.

■ تقنيات بناء الأسقف:

لقد أعطى المعماري الجزائري في الفترة العثمانية الأهمية القصوى للتسقيف، ومزج في هذه العملية بين وظيفتين أساسيتين وهما المتانة والصلابة، والرونق والجمال للمعلم. ومن خلال دراسة القباب التي وجدت في الزوايا، فإنها استخدمت لتغطية المساحات الواسعة.

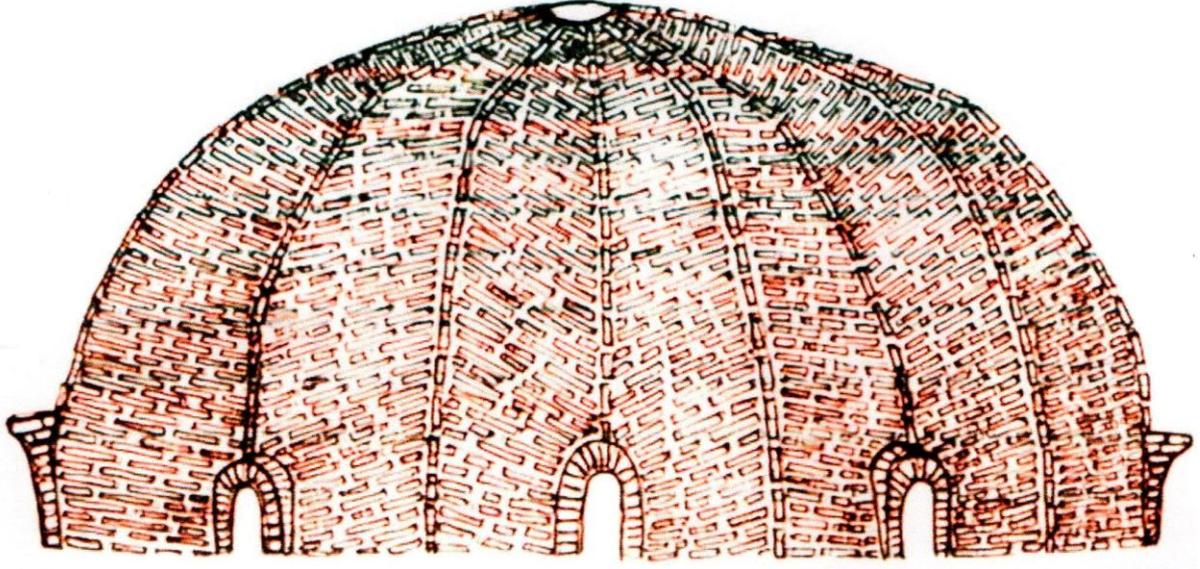
- تقنية بناء القبة:

ومن خلال دراسة القباب التي وجدت في الزوايا، خاصة في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سدي أحمد بن يوسف، وضريح الزاوية المختارية وزاوية تماسين وزاوية قمار، فإنها استخدمت لتغطية المساحات الواسعة، فإذا كانت المساحة المربعة يلزم تحويل المربع إلى دائرة بإقامة مثلثات كروية أو حنايا ركنية في منطقة انتقال القبة.

يتم عملية بناء القبة ثمانية الأضلاع، بوضع جدران ذات أسس مربعة الشكل، والتي سيتربع عليها المجسم الدائري للقبة، وهذه الجدران متكونة من وحدات الأجر التي توضع بطريقة " طوليا وعرضي"، كما يراعي البناء فيها عدم اختلال الصفوف والمداميك عن طريق عمود من الخشب لف حوله خيط وهو بمثابة أداة قياس وبناء في آن واحد، بحيث يكون طول الخيط يساوي ارتفاع القبة المراد صنعها، كما يراعي البناء فتحات القبة أثناء الأشغال¹. (الشكل 37).

¹ إبراهيم عميري، مواد وتقنيات العمارة القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 2010،

ص 182، وانظر أيضا: رفيقة لعزازي عتيق، المرجع السابق، ص 92.



شكل 37/ عملية بناء القباب - القبّة المركزية

عن: ربيعة لغزالي

■ التسقيف المسطح:

استعمل التسقيف في الفترة العثمانية بالجزائر، ذلك لأنّها لا تتطلب الكثير من الوقت والمهارة والجهد، ويكون الخشب فيها هو الأساس، ونجد هذه الطريقة في مباني زوايا الجزائر سواء زوايا المنطقة الشمالية أو في زوايا المناطق الجنوبية الصحراوية، نجدها في جميع الغرف والقاعات والأروقة والمطابخ والمخازن وبعض السالام.

يتشكل هذا النوع من لتسقيف أساسا من الروافد الخشبية مكعبة أو مستديرة الشكل تثبت بطريقة مستعرضة ومنظمة واحدة تلوى الأخرى، كما رعي دمج نهايتها مع الجدار أمّا عن الخشب المستعمل في هذا النوع فكان من شجر العرعار، وهذا راجع لمقاومته وصموده للإنكسار وزيادة على توفره، توضع في أعلى الرافدات السالفة الذكر، ألواح خشبية مستطيلة الشكل ومسطحة تثبت بطريقة مخالفة لها، وهي تحمل مواد مختلفة أهمها المونة المختلطة بأشقف القرميد والفقار وتضاف إليها مادة التراث الجيري، وبعد مداميك من الآجر، ثمّ

طبقة من الملاط الصلب الذي يمنع تسرب المياه، وبتجانس هذه المواد وتلاحمها مع بعضها البعض، تكسب قدرة على طرد أو تقليل المؤثرات الطبيعية المختلفة¹.

أما في المناطق الصحراوية الحارة، فقد استخدمت في عملية السقف المسطح أجود جذوع النخل، كما استخدمت كل أجزاء النخلة (الليف والجريد...)، تم وضع فوقها طبقة من القش، ويعلو ذلك كله طبقة من الطين، وبعد أن يبس الطين تضاف طبقة عازلة من الجير الأبيض، وهذا لأن الطين والجير من المواد العازلة للحرارة².

■ تقنية بناء المئذنة:

كما نعلم أن مآذن الزوايا الجزائر خلال العهد العثماني جاءت بشكلين، الشكل المربع والشكل المثلث.

سنأخذ انموذجا في تقنية بناء المئذنة، وهي المئذنة المربعة لزواية سيدي سالم بوادي

سوف:

إنّ البناءات التي تعتمد على الجبس والحجارة والجدران الحاملة، لا بد أن يكون للأرضية فيها اعتبار هام، لذا فإنّ تحديد عمق الأساس يكون متناسبا مع أهمية البناء بغرض البحث عن صلابة الأرضية الحاملة للقواعد والأساس التي تحمل كامل ثقل البناء وبالتالي فإنّ العمق الذي تم حفره لوضع أساس هذه المئذنة هو 2 م، وكذلك عرض الأساس مع أنّ سمك الجدران الحاملة في الأسفل يقدر بـ 80 سم³.

وتعد تقنية الجدران الحاملة من بين خصائص البناء التقليدي المنجز بالجبس والحجارة في ذلك القرن، وأنّ مدى علو الشاهق للمئذنة يبني على مدى صلابة الجدران الحاملة التي

¹ علي حملاوي، المرجع السابق، ص 296. وانظر أيضا: سعيد مهيبيل، مواد وتقنيات البناء بقلعة الداوي في العهد العثماني، مذكرة لنيل الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009، ص 84.

² نور الدين بن عبد الله، المرجع السابق، ص 198.

³ رشيد سامي، منارة سيدي سالم بوادي سوف، معلم وتراث، ط1، مطبعة مزوار، وادي سوف، 2009، ص 18.

تحمل كامل ثقل ما يعلوها من البناء ليوزع بعد ذلك على الأساس، وقد اختير الشكل المربع للتجانس مع الأساس، وهو حسن ضبط المحور الطولي للجدران الحاملة فوق المحور الطولي لجدار الأساس لضمان توازن البناء، وهو الإلمام التام والتحكم في الوسائل التقنية لضبط المستويين الأفقي والشاقولي¹.

تعتبر الأبعاد الهندسية لهذه المئذنة متناسقة ومتجانسة، فنسبة طول القاعدة 4.90م بالنسبة للإرتفاع 18.75م، وهي أبعاد تحقق شرط تجاوز النسبة 1 إلى 5، أي أنّ الإرتفاع لا ينبغي أن يتجاوز 5 مرات طول القاعدة.

كما أنّ الحزام الرابط بين الجزئين السفلي والأوسط للمئذنة له دور فعال في التقليل من الإنفراج الذي قد يؤثر في البناء Phénomène de Flombement وهو الإحناء الطبيعي الذي يمس المباني العالية.

إنّ شدة السرعة للرياح لا تؤثر على استقرار المئذنة لأنّ شرط نسبة لم يتجاوز بالإضافة الى أنّ مساحة ملامسة الرياح للجزء الأوسط من المئذنة (فوق الحزام) المقدر بـ 31.40 م² تم تحقيقها من خلال التخفيض في سمك الجدران الحاملة العلوية بما سمح من تخفيض نسبة 12 بالمائة من المساحة المعرضة للرياح وهي نسبة أمنية هامة جدا تعمل بدورها على التخفيض من شدة العزم الإحنائي Moment de Flexion الذي يؤثر على نقطة الإرتكاز الواقعة بين أسفل الجدار الحامل وأساس المئذنة، لأن الأساس يعتبر نقطة عديمة الحركة، وإنّ الجزء العلوي (جوسق المئذنة) لا تؤثر فيه الرياح لأنّه يشمل على ثمانية أقواس مفتوحة على قوسين متقابلين بما يسنح بعدم وجود مساعد للصد².

¹ رشيد سامي، المرجع السابق، ص 19.

² رشيد سامي، المرجع السابق، ص 24، 25.

ثانياً. مواد وتقنيات الزخرفة والعناصر الزخرفية:

برع المسلمون العثمانيون عن جدارة في شتى الفنون والصناعات المتعددة التي ورثوها عن الحضارات في البلدان الشاسعة التي فتحوها وامتد إليها نفوذهم السياسي والديني، بعد أن أضافوا إليها بصماتهم الخاصة وأنماطهم ذات الأساليب الراقية والطابع الإسلامي المميز. وإن كان فن العمارة أكثر الفنون اتصالاً بالإقليم الذي يقوم به، فإن تبادل العناصر الفنية وتأثر بعضها ببعض كان أسهل في ميدان الفنون الزخرفية، وصناعات المنسوجات والسجاجيد النفيسة، وإنتاج الخزف والخشب والمعدن والزجاج والعاج. استخدمت في الزخرفة العديد من المواد المختلفة والتي نفذ عليها أجمل العناصر الزخرفية، ومن هذه المواد التي استعملت في الزوايا نجد كل من الجص، والرخام والخشب، المعادن، والبلاطات الخزفية وغيرها من المواد الأخرى التي سنخصصها بالدراسة.

1. مواد الزخرفة وتقنياتها:

1.1. الجص:

هو مسحوق أبيض، في وجود الماء يأخذ مقاومة فيصبح عجينة لدنة سريع التصلب وهو نوع من أنواع الحجر الرسوبي الكلسي يستخرج في محاجر خاصة وقد تجده على شكل كتل كبيرة أو على شكل جيس رملي¹، ويذاب في الماء وتطلى به الأبنية من الداخل والخارج، ويصب لزجا في قوالب وتغطي به الجدران والأسقف بعد اكتمال جفافه. ويشير ابن خلدون إلى هذه الصناعة بالقول: "ومن صنائع البناء أيضا أن يجلل الحيطان بالكلس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر يعتدل مزاجه عن

¹ العظمي خالد خليل حمودي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، العراق، 1980، ص121.

إفراط النارية المفسدة للإلحام، فإذا تم له يرضاه من علاه من فوق الحائط وذلك إلا أن يلتحم"¹.

وقد عرفت العمارة الإسلامية استخدام هذه المادة في البناء والزخرفة منذ العصر الأيوبي كما حدث في قصر الحير الغربي، واستمر استخدامها في العصر العباسي خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، كما حدث في كل من مدينة سامراء بالعراق وجامع ابن طولون بمصر، ثم انتقلت هذه الصناعة بعد ذلك إلى الشمال الإفريقي كما حدث في جامع القيروان وفي فاس بالمغرب خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ومنها إلى الأندلس فبلغت فيها القمة والدقة والكمال في واجهات قصر الحمراء بغرناطة خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، حيث نجد فيه نماذج رائعة من الزخارف الجصية سواء كانت كتابات كوفية أو عناصر نباتية أو هندسية².
ومن مميزات الحص:

- مسامي لا يمكن استعماله في الأماكن المعرضة للرطوبة.
- لا يستعمل مباشرة بعد الحرق.
- لا يترك مدة طويلة من غير استعمال

أمّا عن استعماله فنكون داخل البناء أي في الغرف والأبواب والقباب، وهذا راجع إلى التأثير الشديد بالرطوبة والماء.

وتعتبر الزخرفة الجصية بصفة خاصة في كساء العلوي للجدران وهذا حتى لا تتعرض للّمس المستمر، والذي يعرضه للإتلاف³.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ط3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ص727.

² عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مذبولي، مصر، 2000، ص64.

³ عبد الله حمد علي، الزخرفة الجصية في الخليج، ط1، مركز التراث الشعبي، 1985، ص122. لمزيد من المعلومات، وانظر أيضا: سعيد مهيبيل، المرجع السابق، ص46، 47.

استخدم الجص كسائل لطلاء الجدران والسقوف، كما استعمل كمادة لكسوة الجدران حتى يعطيها قوة التماسك واستخدم كزخارف مقولبة أو مخزّمة.

استعمل الجص بكثرة في مجال الزخرفة، حيث شكّلت به الأفاريز والأشرطة التي تتصل بأسفل السقوف وعلى واجهات أروقة الصحن، كما نجدها في كوشات العقود ويطونها، وقد صنعت منه الشمسيات والقباب والحنايا الركنية ورقاب القباب، وكسيت به أيضا قبيبة المحراب ذات العروق وهذا ما نجده في زاوية باش تارزي بقسنطينة، واستعمل كثيرا في الزوايا التيجانية بالجنوب كزاوية بوسمغون بالبيض وزاوية تماسين بتقوت وزاوية قمار بالوادي وزاوية عين ماضي بالأغواط. (صورة 101، 102، 103، 104).



صورة 101/ زاوية سيدي محمد - الزخارف الجصية في قبة الضريح



صورة 103 / زاوية باش تارزي - الزخارف الجصية



صورة 102/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف

- الزخارف الجصية



صورة 104/ زاوية تماسين - الزخارف الجصية.

- مجالات استخدام الجص في الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني:
وقد كسيت عدة مساحات في الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني:

العناصر الزخرفية	مكان الزخرفة	المبنى
المتلثات - دوائر	قبة الضريح	زاوية سيدي محمد
دوائر - أطباق نجمية	القمريات	زاوية سيدي أحمد بن يوسف
أخاديد - وأشربة	تجويفة المحراب	زاوية باش تارزي
دوائر، أنصاف مراوح، متلثات - معينات - أطباق نجمية	الجدرن - قبة الضريح	زاوية تماسين
دوائر. معينات	قبة الضريح	زاوية عين ماضي
دوائر. معينات - أطباق نجمية	قبة الضريح	زاوية عين ماضي

2.1. الرّخام:

كانت الاستعمالات الرّخامية بالجزائر في العهد العثماني واسعة وشاسعة، خاصة في مجال العمارة، وفي المناطق الشمالية لتوفر مادة الخام، مجالات استعمال الرّخام يتم في درجات السلالم والبلاطات الأرضية والأعمدة والتيجان وأطر الأبواب والمنابر، إلى جانب استعماله في شواهد القبور والألواح الخاصة بالكتابات التذكارية.

كانت العرب تقول للنشأة إذا ابيضّ رأسها واسود سائر جسدها الرخماء، كما أن الترخيم هو تليين الصوت وترقيقه. وبناء على هذا فإن الرّخام اشتق اسمه من هاتين الخاصيتين، البياض واللّين¹.

وأطلق كل من الإغريق والمصريين القدامى والرومان على الرخام اسم "مارمور" وقصدوا به المادة القابلة لأن تصبح ناعمة².

وهو حجر مكلس صلب يتكون من كربونات الكالسيوم المتبلورة الموجودة في الطبيعة، أو من بلورات معدن الكليست أو "Métamorphoses" الدولوميت، وبواسطة عملية " الانمساخ " أو التحول للصخور الكلسية بسبب ضغط أو ارتفاع درجة الحرارة في باطن الأرض ، يفقد الكلس خصائصه ويتحول إلى بلورات كلسية، بحيث تضيق المسامات التي كان يحتويها قبل التحول، وبهذا يصبح أكثر مقاومة.

يتكون الرّخام أساسا من عناصر كلسية تحت ضغوط كبيرة في طبقات السفلى للأرض غالبا ما يوجد بلون واحد ناصع البياض، كما تتغير ألوانه، منها الوردي والأصفر

1 جمال الدين ابن منظور لمسان العرب، مادة "رخم"، ج15، ط01، دار صادر، بيروت، 1992، ص126.

2 Lambertie (R.M), *L'industrie de la pierre et du marbre*, presse universitaire de France, 1962 p.29.

والأحمر والأسود، أهم ما يمتاز به الرّخام، الدّقة في الجزئيات، الصلابة، فقد يبلغ مقاومة الضغط حوالي 3000سغ/سم² كما أنّه جد مقاوم للتأثيرات المناخية¹.

وكانت الصناعات في مدينة الجزائر، ممثلة في الوحدات النقايبية، تمتهن الحرف اليدوية التقليدية، حيث نجدها متمركزة في نهجي باب عزون وباب الوادي²، ومن بين النقابات الحرفية نجد نقابة الرّخامين، التي اقتصرتها مهمتها في تشكيل وزخرفة بعض الأشكال البسيطة.

ومن بين مصادر استيراد الرّخام إلى الجزائر، التبادل التجاري مع تركيا والجمهوريات الإيطالية، وبالضبط مقلع كرامة (Carrara)، الشهير برخامه الأبيض³ وإلى بعض القطع الرخامية التي كانت تغتم في المعارك البحرية الحربية، وقد تكون كهدايا أرسلت في شكل منتجات فنية إلى سكان شمال إفريقيا مقابل الخدمات الجليلة التي تقدمها الأساطيل العثمانية لتلك الدول⁴.

وكانت تتم عملية استيراد القطع الرخامية، وفق الوظيفة والحالة المستعملة لها حيث تجلب وهي على هيئة قطع أو كتل تتم تنقيتها وزخرفتها حسب المكان الموجّهة له وتتطلب عملية تثبيت دقيقة ومتناسقة في الأماكن المستعملة فيه، وتتم زخرفتها من قبل فنانين محليين أو أسرى مسيحيين أو أن تجلب هذه القطع مشكّلة ومزخرفة وفق مطالب متفق عليها تتماشى وطبيعة البلاد المستوردة⁵، حيث يقوم النّقاش بفرزها معتمدا في ذلك على المميّزات الخاصة لكل قطعة، فالقطع ذات الذرات الناعمة والدقيقة والجميلة اللّون فغالبا ما تتوج لصناع أطر

¹ Foucault (A), Raoult (J. F.) *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1996 , p208.

² عبد القادر نورالدين ، المرجع السابق، ص127-129 .

³ Marçais (G.), *L'architecture musulmane ...*,p.44.

⁴ علي خلاصي المرجع السابق، ص324.

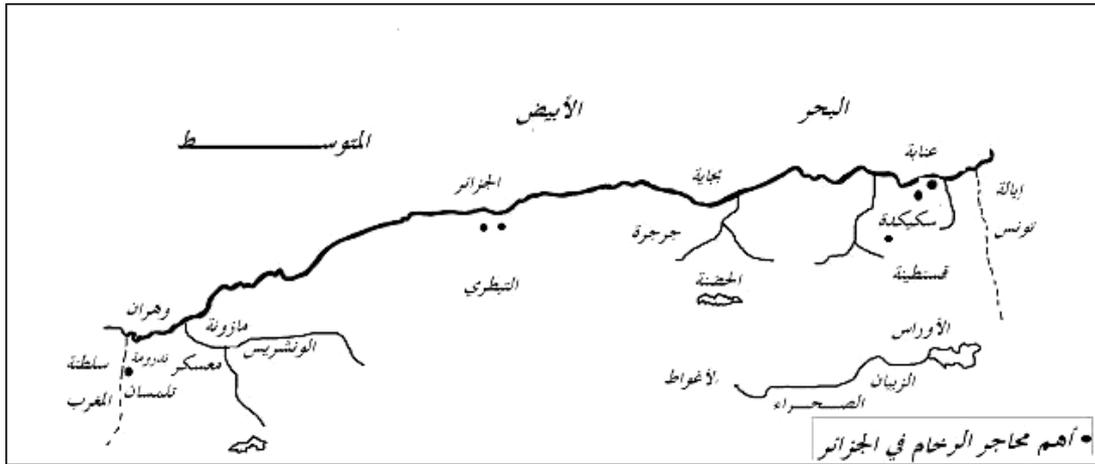
⁵ نفسه، ص325

الأبواب، الأعمدة والمنابر أمّا الأنواع الأخرى وخاصة ذات الذرات الخشنة فتكون موجهة إلى تلبيط الساحات العمومية والساحات الرئيسية، بالإضافة إلى الألواح التذكارية.

إلى جانب ذلك، فقد تم استغلال مقالع الجزائر، ولكن بنسبة قليلة جدا، رغم وجود مقالع كبيرة تتوزع على مختلف أنحاء البلاد، عرفت منذ القدم، وهي تتميز بجودة نوع الرّخام، وكذا تنوعه وتعدد ألوانه، أهمها : محجر عين تاقبالت بنواحي تلمسان تتميز خاماته بنوعه الرائع **Onyx** استغل منذ الوجود الروماني في الجزائر، وبعده من طرف أهالي تلمسان خلال العهد العثماني، تقدر مساحته ب100هكتار ومحجر بضواحي ندرومة رخامه من اللون الأصفر الشفاف¹ ، أمّا أهم محاجر الرخام بمدينة الجزائر، نجد محجر شنوة بتبازة يبعد عن شرشال ب18كلم، يتميز رخامه بحفر صغيرة وثغرات وأيضا محجر برج البحري الذي يقع على ضفة البحر، فهو مشابه للذي سبق ذكره، وبرج البحري بينما محاجر الشرق الجزائري، فنجد محجر فليفلة المعروف بسكيكدة ذي شهرة عالمية، يقع على بعد 8كلم من ميناء سكيكدة، يتربع على مساحة 53هكتار، يتميز رخامه بأنه كلسي، تعددت أنواعه، نذكر منها الأبيض الذي استعمل في صناعة التماثيل والوردي والأسود والأخضر والأصفر، استغلّه الرومان قديما في صناعة التماثيل والأعمدة، ومحجر بواد العناب بعنابة الذي يقع على بعد 28كلم غرب عنابة، ذو ألوان مختلفة منها لون رمادي يميل إلى الأبيض، وأبيض تتخلّله بعض البقع الصفراء والزرقاء². (خريطة3).

¹ Dussert (D.), et Bettier (G.), *Les mines et les carrières*, Paris, 1932, p.47.

² Dussert (D.), et Bettier (G.), *Op.Cit*, p.49.



خريطة 3/ أهم محاجر الرخام في الجزائر

عن: سعيدوني - بتصرف

تتطلب عملية تقنية الصناعة الرخامية عامة، الكثير من الوقت، كما أنها تمر بعدة مراحل قبل الحصول على الشيء الجاهز بشكله النهائي، وأولى هذه المراحل تكون في المحجر نفسه، وهي مكان استخراج الرخام، وفي معظم الأحيان تجهز المحاجر بمصهرة من أجل صيانة أدوات استخراج الرخام، التي تتآكل حوافها¹، وللحصول على كتل الرخام يعمد إلى حفر ممرات خاصة في الصخور الكلاسية، باستعمال أدوات خاصة كالشوكة والشاقور وأداة ذات حدين، والتي بفضلها نتحصل على قطع مصقولة وجاهزة مبدئياً للقطع، وقد يصل طول هذه الكتل إلى أحيانا 2م.

وبعد استخراج الكتلة الرخامية من المقالع، فإن الاستفادة منها تكون إما في المحجرة ذاتها وإما يتم نقلها إلى ورشات معالجة الرخام، فأما ما يتم الاستفادة منها في المقالع فقط 20 % من الكتلة الرخامية المراد صنع شيء ما منها، وذلك أثناء عملية النحت، وأما بقية

Revares (J.), *L'habitation Tunisoise, pierre, marbre et fer dans la construction et le décor*, ¹ Paris, 1978, p.84-88.

الكتلة فإنه يتم رميها بعد أن تصبح غير صالحة للاستغلال، وهذا ما يفسر غلاء ثمنه، بالإضافة طبعا إلى صعوبة استخراجها لأنّ معظم مقالع الرّخام تقع في الجبال¹.

تأتي بعدها مرحلة الصقل بعد إنجاز القطعة المنقوشة في شكلها النهائي، والصقل عملية دقيقة ورقيقة، تستوجب الصبر وتتم بواسطة المبرد، فهو يزيل النتوءات ويجعل السطح أملسا، فنتحصل على اللّوح إذا كان العمل يتم في الورشة.

■ مجالات استخدام الرخام في الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني:

- أطر الأبواب: لم تستخدم مادة الرخام في صناعة أطر المداخل، وخاصة الرئيسية، بل استخدمت الحجارة بشكل واسع.
- الأعمدة: استخدمت مادة الرخام في صناعة الأعمدة، فنجدها كأعمدة المحراب في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية باش تارزي بقسنطينة.

3.1. الخشب:

هي مادة أكثر استعمالا في البناء، نظرا لتوفر الغابات الجزائرية على هاته المادة الطبيعية، فهي عبارة عن نسيج عضوي يحتوي على نسبة عالية من السليلوز، ومن أهم الأنواع المستعملة، شجر العرعار، الطقسوس، السندوس، والأرز. ومن ايجابيات هذه المادة، خفتها وسهولة تشكيلها، أمّ من سلبياتها أنّها لا تقاوم الحريق، محدودة العمر، لا تستخدم في العراء لأنّها معرضة للتآكل².

Lambertie (R.M.), Op. cit, p.58.

1

² أبو بكر نعمات، فن النجارة والخشب، في كتاب الفن العربي الإسلامي، ج3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997، ص322.

ومن بين مجالات استعماله العمارة، حيث يلاحظ في سقوف المباني والحوامل والروابط والركائز، وقد أستعمل بشكل أوتاد مشدودة توضع عموديا على السقف ثم توضع عليها ألواح أخرى بشكل أفقي.

ويستعمل الخشب بكثرة في المناطق الشمالية لوفرة الغابات المجاورة للمدينة من التل والهضاب العليا، ويعتبر شجر الأرز المتوفر في قمم الجبال العالية إلى يزيد علوها عن 1500م، وينمو في غابات شاسعة تمتد من الشرق الجزائري إلى غربه في كل من المعاضيد والشريعة وجرجرة وثنية الحد بالونشارييس، وأيضا أشجار الزيتون وخشب الصنوبر الذي استعمل بكثرة في الفترة العثمانية ومنه أنواع تميل إلى اللون الأحمر ويمتاز بالتعريق، يستعمل في البناء والنجارة¹.

إلى جانب استعماله الرئيسي في العمارة فقد استعمل كذلك في المجال الزخرفي، وفي صناعة الأبواب والنوافذ والدرابزين، وهذا راجع إلى مقاومته الكبيرة والجيدة وصلابته للتقلبات الجوية التي كانت تتميز بها البلاد، كما استخدم أيضا في الرفوف والخزائن الجدارية وأبواب الخزائن ومحاور الأبواب الكبرى للغرف، زيادة على الأوتاد الحلزونية التي تربط بين العقود.

■ تقنية الزخرفة:

تقنية الزخرفة التي استخدمت في الصناعات الخشبية هي:

- **طريقة الحفر:** تنوعت طريقة الحفر المستخدمة في زخرفة الأخشاب منها: الحفر

البسيط، والحفر المشطوف، والحفر الغائر، هذه التقنية الأخيرة استخدمت في تنفيذ الزخارف على حشوات الأبواب والنوافذ والخزائن الجدارية.

¹ خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني...، ص 353، 354.

- **طريقة التجميع والتعشيق أو النقر واللسان:** تعرف هذه الطريقة عند الأتراك باسم كوندكاري Kundekari، والمعروفة بتعشيق النقر واللسان، وهي طريقة لتوصيل الحشوات ببعضها البعض، استخدمت هذه التقنية في السقوف الخشبية¹.

- **طريقة الخرط:** تتم تركيب أجزاء صغيرة من الخشب، وتضم إلى بعضها البعض لتؤلف شبكات وحواجز مفرغة تزيّن زخارف جميلة، وتتم عملية الخرط بواسطة أزاميل حادة والدولاب اليدوي الذي يحرك لتشكيل بعض الخطوط المتدرجة حول الأشكال المراد خرطها، استخدمت هذه التقنية في تنفيذ الدرابزين الخشبية المطوقة للطوابق العليا للدور².

واستعمل الخشب أيضا في المناطق الجنوبية ولكن بنسبة قليلة، حيث استخدم في الزوايا التيجانية في الجنوب بكثرة جذوع النخيل لما تتوفر عليه المنطقة، فنجده في تدعيم الجدران، أو في التسقيف أو كهيكل لبناء العقود والقباب أو لإنجاز الأبواب والسلالم أو الأوتاد المغروزة في الجدران، وتتميز منطقتي وادي ريغ ووادي سوف باحتوائها واحات نخيلية هائلة، أدى ذلك إلى الإستفادة من هذا النخيل واستعماله على نطاق واسع، لذا نجد النخلة لها دورا أساسيا في ميدان العمارة الصحراوية.

يتم إعداد وتحضير جذوع النخيل انطلاقا من بدن النخلة، فبعد أن تقطع النخلة الطاعنة في السن تنظف من الشوائب، يتم تقسيمها طوليا إلى أقسام على حسب وظيفتها في المبنى، ثم تترك تحت أشعة الشمس لضمان جفافها وزيادة صلابتها وقوتها، ومن ثم تصبح صالحة للاستعمال³. (شكل 38، 39، 40، 41، 42، 43).

¹ لطيفة بورابة، التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية (حلب)، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 267.

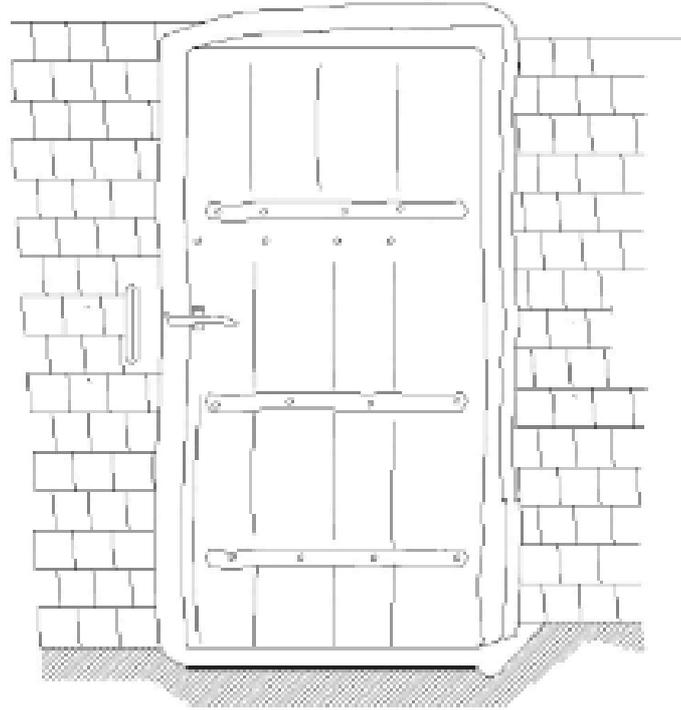
² أبو بكر نعمات، المرجع السابق، ص 332.

³ مراد هديبي، المرجع السابق، 175، 176.

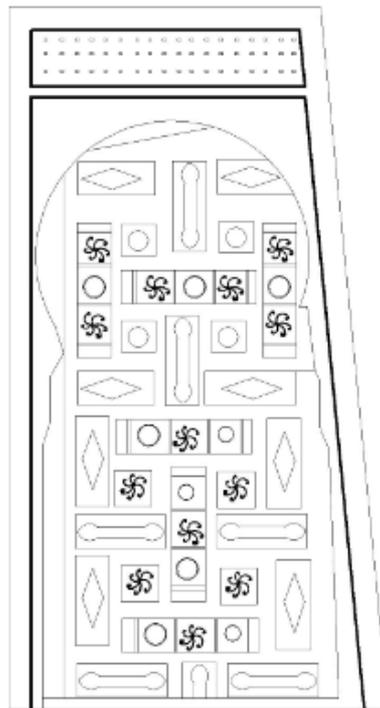
استعملت جذوع النخيل في زاوية قمار في عملية تسقيف الغرف والحجرات والأزقة، وفي صناعة الأبواب، كما هو الحال في زاوية تماسين وزاوية عين ماضي بالأغواط وزاوية بوسمغون. (صورة 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113).

■ مجالات استخدام الخشب في الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني:

العناصر الزخرفية	مكان الزخرفة	المبنى
ورود ذات بتلات - معينات - ودوائر صغيرة - مثلثات	باب مدخل قاعة الضريح	زاوية سيدي أحمد بن يوسف
معينات - وأوراق وأزهار محورة	باب مدخل الزاوية	زاوية باش تارزي
معينات - دوائر صغيرة - مثلثات ومربعات	باب مدخل الضريح	الزاوية المختارية
مستطيلات - مربعات - معينات - نجوم - مزهريات	أبواب قاعة الضريح	زاوية تماسين
مربعات - وردة متعددة البتلات - أوراق نباتية	باب قاعة الصلاة وباب قاعة الضريح	زاوية قمار



شكل 38/ زاوية قمار - باب تقليدي ذو مصرع واحد



شكل 39/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - باب مزخرف



صورة 105/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - باب خشبي لمسجد الزاوية



صورة 106/ زاوية تماسين - باب خشبي لقاعة الضريح



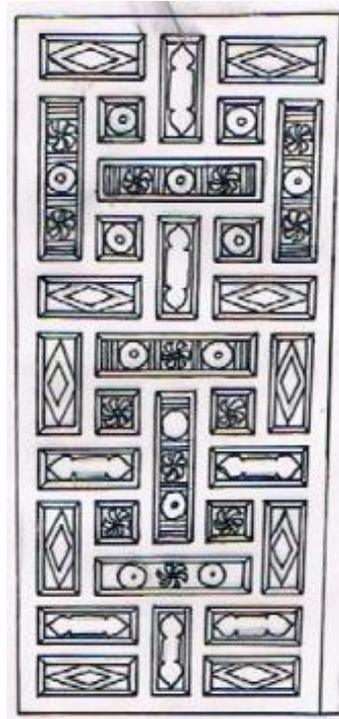
صورة 107/ زاوية باش تارزي - باب خشبي لمدخل قاعة الصلاة والضريح



صورة 108/ زاوية عين ماضي - عوارض خشبية



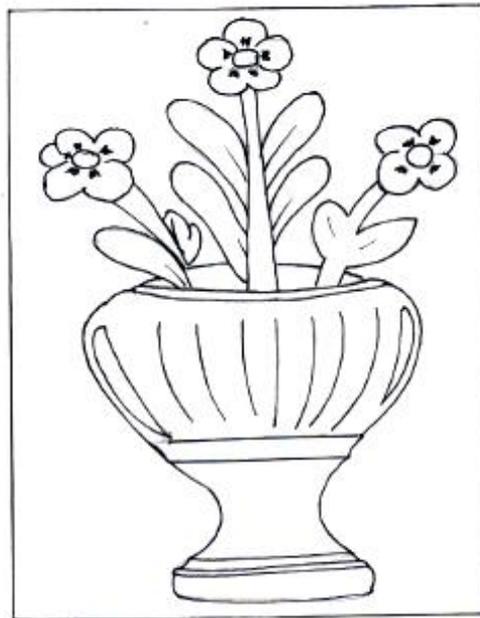
صورة 109/ الزاوية المختارية - باب خشبي لمدخل قاعة الضريح



شكل 40/ الزاوية المختارية - الزخرفة على الخشب.



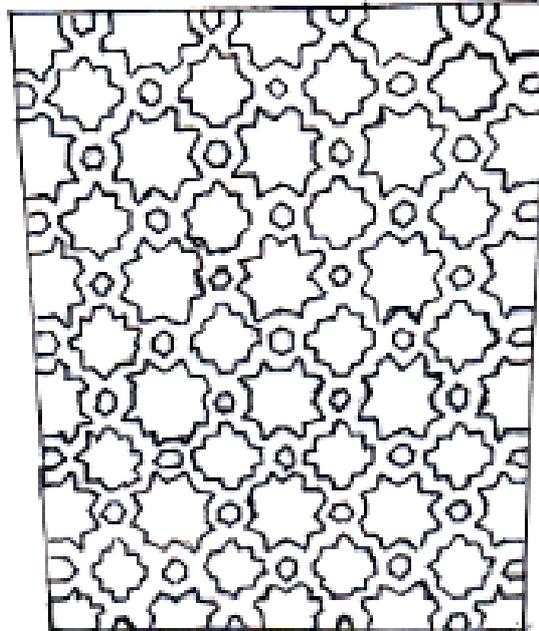
صورة 110/ زاوية تماسين - زخرفة على الخشب



شكل 41/ زاوية تماسين - مزهرية قوامها ثلاثة ورود



صورة 111/ زاوية تماسين - زخرفة على الخشب



شكل 42/ زاوية تماسين - معينات ودوائر صغيرة



صورة 112/ زاوية عين ماضي - الزخرفة على الخشب



شكل 43/ زاوية عين ماضي - خطوط منحنية



صورة 113/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - داعمة العقود

4.1. المعادن:

عرفت صناعة المعادن تطورا كبيرا عبر الزمن، فاستعملت عدة طرق في تشكيلها كما عرفت أساليب متنوعة في زخرفتها، كطريقة الدق أو الضغط والحفر والزخرفة بالمناء والتكفيت¹.

ومن المعادن المستعملة، نجد الحديد فهو أصلب المعادن وأقواها وأكثر ما قدرت على مقاومة النار، ولكنه أسرعها صدا، ويتآكل بفعل الأحماض، إذا امتزج بقشرة الرمان طازجة

¹ يعتبر التكفيت من بين التقنيات التي عرفها الإيرانيون منذ القدم في زخرفة المعادن، وتعود أصوله إلى العهد الساساني، فقد قاموا بتكفيت البرونز بالنحاس الأصفر والأحمر، والفضة بالذهب، والتكفيت أو التطبيق مصطلح فني يقصد به تزيين معدن بمعدن آخر أثنى منه، كتزيين النحاس أو البرونز بالذهب أو الفضة أو النحاس الأحمر. لمزيد من المعلومات، انظر: بن حليلة حذبي، الصناعات المعدنية الإسلامية من خلال مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة، كتالوج المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر، 2009، ص31.

يسيل منه سائلا أسودا، وإذا امتزج بالخل سال منه سائل أحمر، وبالملح سائل أصفر، أمّا الزرنيخ فيجعله أبيضاً ناعماً¹.

وقد صنّف الحديد إلى نوعين رئيسيين، الأول مؤنث، وهو لين ويدعى بالبرماهي ومنه الفولاذ، وأمّا الثاني فهو مذكر ويسمى بالشابرقان لصلابته، والحديد نجده منفصل أو خليط مع الكربون أو معادن أخرى، ولصناعته يتم صهره في بوتقة مغلقة ثمّ يصب في لقالب ليصير كتلة ملتبهة بيضاء، ثمّ تسحب الكتل بين المكسب إلى الأشكال المراد الحصول عليها².

ولقد اقتصر استعمال الحديد في الزوايا على أقفال الأبواب المعروفة باسم المزليج التي تمسك الأبواب، إضافة إلى تسييج شبابيك النوافذ المطلة إلى الخارج أو على الأروقة، كما استعمل في ربط المصارع إلى الإطار الخشبي وكوات ومقابض الأبواب. (شكل 44) (صورة 114، 115، 116، 117، 118، 119).

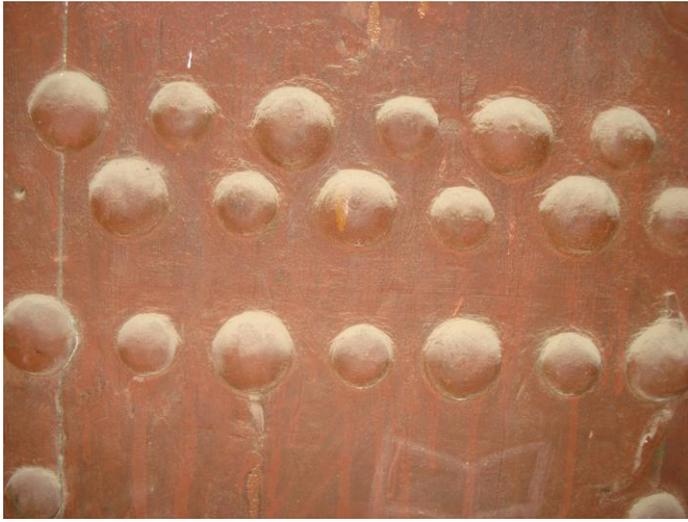
واستعمل أيضا معدن النحاس بكثرة في التزيين، كونه سهل ولا يتطلب درجة حرارة عالية للانصهار من أجل التصنيع، وإذا مزج معه معدن القصدير ينتج لنا نوع آخر من المعادن وهو البرونز³.

ولم يتم العثور كثيرا على هذا المعدن بكثرة في الزوايا، إلاّ أنّه استعمل لتزيين الأبواب الخارجية لزواوية سيدي أحمد بن يوسف وزاوية قمار بالوادي. كما استعمل معدن الرصاص منصهرا، حيث ملئت به الحروف المحفورة للكتابات الأثرية.

¹ دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السابع، ص 350.

² زهران محمد أحمد، فنون أشغال المعادن والتحف، مكتبة الأجلو مصرية، 1965، ص 8، 9.

³ لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة ماجستير، الحلقة الثالثة، الجزائر، 1990، ص 64، 65.



صورة 115/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف
- كوات الأبواب



صورة 114/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف
- مصرع الباب



صورة 117/ زاوية قمار - زخرفة المعادن



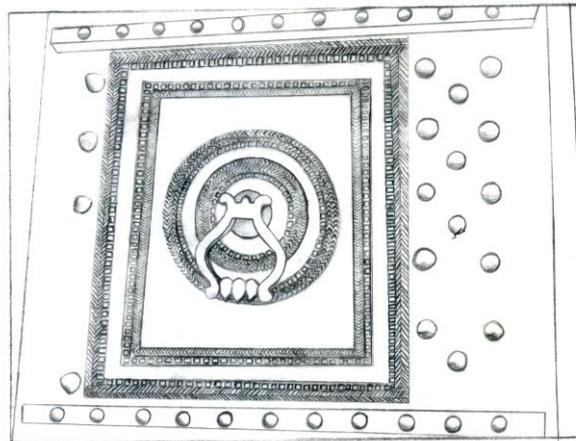
صورة 116/ زاوية قمار - زخرفة المعادن



صورة 118/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف - مقبض الباب



صورة 119/ زاوية قمار - زخرفة المعادن



شكل 44/ زاوية قمار - مربعات ودوائر ومقبض الباب.

■ مجالات استخدام المعادن في الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني:

العناصر الزخرفية	مكان الزخرفة	المبنى
مسامير مقببة - مربعات ومستطيلات	باب مدخل قاعة الضريح وأبواب المداخل	زاوية سيدي أحمد بن يوسف
معينات - مسامير مقببة - دوائر مكررة	باب مدخل الزاوية	زاوية قمار
معينات - دوائر صغيرة - مثلثات ومربعات	باب مدخل الضريح	الزاوية المختارية

5.1. الخزف - البلاطات الخزفية:

تعددت مصطلح البلاطات الخزفية من منطقة لأخرى، فنجدها باسم بلاط خزفي وتربيغات قاشاني¹، كل ما عمل آنية من الطين أو الصلصال وشوي بالنار فصار فخارا ثم غطى بطبقة من الزجاج وأعيد حرقه فصار خزفا، ومنه الأواني الخزفية والبلاطات الخزفية ونحوها².

ويطلق عادة على البلاطات الخزفية في شمال إفريقيا مصطلح زليج، والتي تعددت تفسيرها حول أصل هذه التسمية، ويرجع أنها من أصل إسباني وترجع لكلمة Azulejo أي اللون الأزرق، بينما في المعاجم العربية تعطي تعريفا آخر لهذه الكلمة إذ تعني الصخر

¹ سمي القاشاني، نسبة إلى مدينة قاشان بإيران التي نالت شهرة واسعة في الصناعة الخزفية، وانظر أيضا: عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص160.

² عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص37.

الأملس لأن الأقدام تنزلق عنها، فالصخور الملساء تشبه في طبيعتها البلاطات الخزفية الملساء¹.

لم يلجأ الإنسان على هذا النوع من التكسيات الجدارية عفويا وإنما كانت تقف وراءه عدة دوافع واعتبارات، فالبلاطات الخزفية لها القدرة على حفظ الحرارة، حيث تخزن حرارة الشمس في الشتاء خلال النهار لتبثها ببطء أثناء الليل، وفي الصيف تساعد على تبريد المساحة المتواجدة فيها، وإذا كانت الكسوات الخزفية في الجدران غير معرضة لنور الشمس فإنها تحافظ على البرودة.

كما أنّ جدران المباني وأرضيتها تتعرض للماء أو الرطوبة، وهو ما يؤثر سلبا على ديمومتها واستمراريتها، وتأخذ في التآكل، ومن ثمّ يتم اللجوء إلى استعمال البلاطات الخزفية لما لها من خاصية تجعلها مقاومة للماء والرطوبة.

ومن مميزات البلاطات أنّها سهلة التنظيف، ولها دور جمالي في إضفاء منظرا فنيا جماليا ترتاح له النفوس، وتقوي فيهم الإحساس والذوق الفني، وهي بذلك تستجيب لطبيعة النفس البشرية، التي فطرها الله سبحانه وتعالى على حب الجمال والأناقة في ذات الإنسان وما يحيط به².

ويعود السبب في تفضيل العثمانيين لطريقة كسوة الجدران بالبلاطات الخزفية إلى كراهيتهم للزخرفة بالإيقونات، والتكاليف الباهضة والوقت الطويل والخبرة الفنية العالية التي كانت تحتاجها الفسيفساء الخزفية، لذا لجأ الخزافون إلى طريقة أسرع وأوفر، فاتّجهوا نحو

¹ علي بن بلة، ومحمد المقراني، "دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة في المتحف الوطني للآثار القديمة"، حوليات المتحف، العدد 4، الجزائر، 1994، ص 11 - 14.

² أحسن عرسان الرباعي، جداريات الجامع الأموي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000، ص 48. لمزيد من المعلومات، انظر: زهيرة حمدوش، البلاطات الخزفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 12 - 15.

صناعة البلاطات الخزفية المربعة وشجّعهم على ذلك أيضا، إقبال السلاطين والأمراء على زخرفة قصورهم ومساجدهم وحتى قبورهم بهذا الأسلوب.

تحتوي مباني الجزائر ومتاحفها على عدد كبير من بلاطات المربعات الخزفية ترجع إلى العهد التركي، وتتنوع هذه البلاطات من حيث مصدرها وقيمتها الفنية، كما أنّها تعتبر وثائق حية تشهد على تعدد علاقات الجزائر في هذه الفترة مع بلدان إسلامية وأوربية. وقد كانت هذه المربعات إحدى الموضوعات التي احتقلت بها فرنسا بمناسبة مرور مائة سنة على احتلالها لبلادنا، إذ كلفت أحد باحثيها العسكريين (وهو الجنرال بروسو) لدراستها أو تقديم مصنف يجمع أنواعها وأشكالها، فقد استجاب ذلك الباحث، ووضع مصنفا لها، حدد بعض المربعات، وترك البعض الآخر دون هوية¹.

ورغم أنّ الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني، بدءا من حسن الوزان (ليو الإفريقي 1520) إلى هايدوا وفانتور ذي بارادو (1789)، قد أشاروا إلى أنّ مساكن الجزائر ومساجد وحمامات كلها تزدان بالمربعات الخزفية، حتى أنّ أحد الباحثين، وهو كافولت، قد ذكر أن بقصر مصطفى باشا وحده يحتوي على خمسمائة ألف مربعة، وأثناء زيارته لأحد البيوت بالقصبة، وجد به أكثر من ثلاثين نوعا من المربعات. للأسف هذا البيت لم يعد له وجود بالقصبة².

■ تقنية الصناعة:

تصنع البلاطات الخزفية من نفس المواد التي تصنع منها الأواني الفخارية، تتكون الطينة من مواد مرنة قد تكون طبيعية أو مضافة، لتتنقص من حدة مرونة الطينة، وهذه

¹ محمد الطيب عقاب، " من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل (المربعات الخزفية) "، مجلة الدراسات الأثرية، العدد2، جامعة الجزائر، 1992، ص 66.

² محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص67.

المواد المتعددة تتمثل في الرمل والمواد العضوية وحتى فخاريات قديمة مدششة بالإضافة إلى الماء الذي هو نوعين، الأصلي في الطينة والمضاف وتساعد عملية الحرق على تبخر الماء المضاف وجزء من الماء الأصلي ممّا يقلص من حجم التحفة، ثمّ عملية الحرق في نفس الأنواع من الفرن في صناعة الواني الفخارية، وهي من نوع الأفران المسماة " ذات الاتصال المباشر بالنار"¹ A. flammes nues.

وتعد عملية الحرق الخطوة الأخيرة في تشكيل الأواني والبلاطات الخزفية قبل الزخرفة، فتتحول من طينة جافة إلى خزف، وتحرق في درجات حرارة مختلفة كل حسب تركيب طينته، وتحرق البلاطات الخزفية عدة مرات في بعض الأحيان بعد دهانها بالطلاءات المختلفة.

ثمّ تأتي مرحلة الطلاء وزخرفتها، فالخزف يحتاج قبل الزخرفة إلى طلائه غالباً ما يكون أبيض اللون لكي تظهر عليه الزخارف الملونة واضحة، هذا الدهان الذي يعرف باسم البطانة، وهي عبارة عن طينة سائلة تطلّى بها البطانات الخزفية والواني قبل حرقها أو بعدها ومن ثم يتم تنفيذ الزخارف².

وبدأت صناعة هذه البلاطات في أوائل العصر العثماني في القرن الرابع عشر الميلادي، فكانت ذات لون واحد ودون زخرفة هامة، وما إن جاء القرن الخامس عشر الميلادي حتى أصبحت هذه البلاطات الخزفية تزدان بمعظم العناصر المختلفة (النباتية الهندسية، الكتابية، الرمزية.....)³.

¹ علي بن بلة، ومحمد المقراني، المرجع السابق، ص 13 - 15.

² سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ط2، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص24.

³ عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، ب.ت، ص220.

ونظرا لانعدام أو قلة صناعة المربعات الخزفية في الجزائر أدى الى استيراد العديد منها من مصادر مختلفة كانت أبرزها إزنيق وكتاهية وبروسا من تركيا وتونس وإيطاليا وإسبانيا وهولندا¹.

واحتوت الزوايا الجزائر في العهد العثماني على عدد كبير من البلاطات الخزفية التي استخدمت في تغطية الجدران بأجزائها، ويمكن تقسيم هذه البلاطات إلى عدة مجموعات:

▪ مجموعة المصنوعة بتركيا:

تعتبر هذه المجموعة من أحسن الأمثلة من حيث الصناعة والزخرفة، أهم مراكزها إزنيق وكتاهية وبروسا، واستعملت بكثرة في جدران زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وهي تتميز بخصائص فنية وصناعة متماثلة².

▪ مجموعة المصنوعة بتونس:

عرفت صناعة البلاطات الخزفية بتونس انتشارا كبيرا خلال العهد العثماني وكانت تصدر منها إلى بلدان عديدة من بينها مصر والجزائر، وقد اشتهر مركزها الصناعي بحي القلايين بمدينة تونس أكثر من غيره، وبالإضافة إلى حي القلايين، اشتهرت بتونس مدينة نابل، فهي الأخرى عرفت صناعة البلاطات الخزفية في القرن 16م، على يد حرفيين من جربة قبل أن يتوافد عليها الأندلسيون خلال القرن 17م، وانتشرت بها هذه الصناعة وتوسعت ليصل عدد المعامل بها سنة 1896م ما لا يقل عن 53 مصنع³.

¹ علي خلاصي، القصة.....، ص339.

² بن بلة خيرة، المرجع السابق، 336 - 343

³ عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

1990، ص65.

■ مجموعة المصنوعة بأوروبا:

- وصناعة البلاطات الخزفية بإسبانيا ترجع إلى الفترة الإسلامية، والتي شهدت خلالها أزهى أيامها خاصة في عهد بني الأحمر، وبعد سقوط غرناطة سن 1492م ورث الإسبان أساليب هذه الصناعة وطوروها، فانتشرت عبر مختلف أقاليمها وظهرت مراكز عديدة بها مثل مانيسيس وأرقونة وكتالونا وإشبيلية، وقد تأثرت البلاطات الإسبانية بأساليب عصر النهضة، فضلا عن التقاليد الإسلامية التي استمرت طوال القرنين 16 و 17 الميلاديين¹.
- وترجع صناعة البلاطات الخزفية بإيطاليا إلى القرن 10هـ/16م، وقد اشتهرت فيها مراكز عديدة مثل فاينزا، نابولي، صقلية، فلورنس، وكذلك تأثرت هذه المراكز منذ القرن 10هـ/16م بأساليب عصر النهضة، وسادت فيها أقواس السهام وأنصافها وعناصر نباتية حلزونية، ثم تلتها مرحلة ثانية تميزت بتقليد الصور الزيتية في رسومها.
- كما تعد إيطاليا من أهم الدول التي تبادلت معها الجزائر تجاريا، كانت تصدر موادا مختلفة كالزجاج والمرايا ومواد البناء كالرخام والبلاطات الخزفية وغيرها.
- ويرجع إنتاج الخزف بهولندا إلى بداية القرن 10هـ/16م، وكانت تضم عدة مراكز صناعية ضخمة توزعت عبر معظم وأكبر المدن الرئيسية، حيث تعتبر دلف من أهم المراكز الصناعية وأكبرها بهولندا وأكثرها انتشارا بأوروبا، كما تأثرت الصناعة الخزفية بدلف بتصاميم الصناعة الخزفية الشرقية من خزف البرسلين الصيني والياباني والذي اكتسب شهرة لا مثيل لها خلال القرن 17 و18 الميلاديين، وبلغ درجة عالية من المهارة والإتقان².

¹ عبد لعزیز لعرج، المرجع السابق، 172.

² نفسه، 126، 127.

■ مجالات استعمال أنواع وأشكال البلاطات الخزفية في الزوايا الجزائرية خلال العهد العثماني:

- زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي: استخدمت البلاطات الخزفية في تزيين تجويفات المحراب، وفي جدران قاعة الضريح وفي واجهة المئذنة، حيث لعبت دورا فنيا وجماليا كبيرا، فقد تعددت أنواعها تبعا لتعدد مصادرها، غير أن أبرز هذه الأنواع البلاطات من النوع التركي العثماني، ثم النوع التونسي، ثم النوع الأوربي، وتقوم الزخارف فوق أرضية بيضاء ناصعة، وتتكون التشكيلة اللونية في زخارف من الأخضر النحاسي والأزرق الكوبالتي والبنّي والأرجواني والأصفر، وأكثرها ثراء وفخامة ولمعانا باللون الأحمر الطماطي، وشملت مواضيع متنوعة مست العناصر النباتية والهندسية والكتابية والعناصر الرمزية، أهم المواضيع الخزفية تتمثل في أغصان وبراعم ومراوح نخيلية شديدة التحوير، وأوراق مختلفة الأشكال كورقة الأكننتس والأوراق المفصصة والمسننة، وأنواع من الأزهار كزهرة القرنفل واللاله وزهريات على شكل مشكاة، مع أشكال من النجوم والمعينات والمثلثات، ونوع من الكتابات بخطوط مختلفة كالخط النسخي والتلث. (شكل 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54،) و (لوحة 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 11، 12، 13).

- زاوية سيدي محمد: استخدمت البلاطات الخزفية في تزيين قاعة الصلاة، نجدها بأساليب زخرفية معينة، أهم مواضيعها: أغصان ومراوح نخيلية، وأزهار كزهرة القرنفل والنسرين. (شكل 55، 56، 57) و (لوحة 14، 15، 16، 17).

- زاوية سيدي محمد الشريف: استخدمت البلاطات الخزفية في تزيين واجهة المئذنة باللونين الأبيض والأسود.

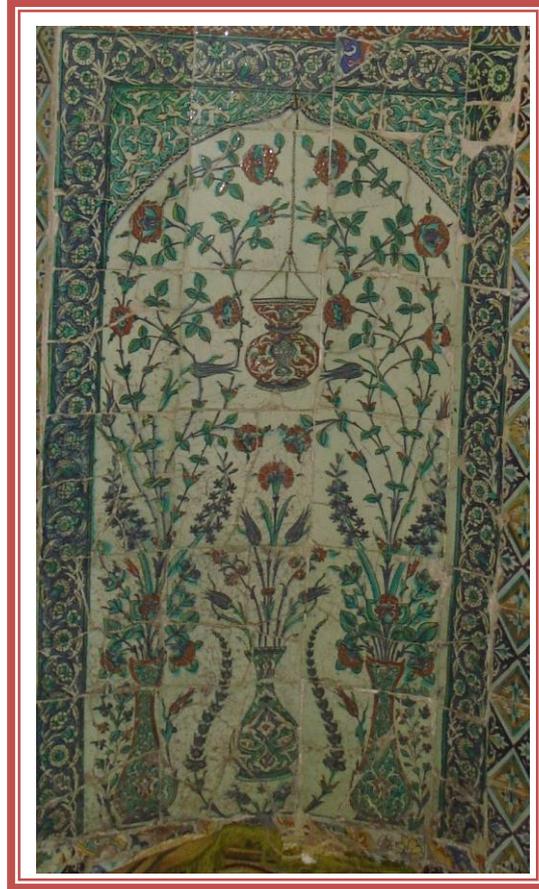
- زاوية سيدي أحمد بن يوسف: استخدمت البلاطات الخزفية في تزيين قاعة الصلاة وخاصة تجويفة المحراب، وأكثرها انتشارا في قاعة الضريح، حيث نجدها بأشكال وأنواع

وبأساليب فنية رائعة، أهم مواضيعها: المراوح النخيلية وأنصافها، الأوراق النباتية، وزهرة القرنفل، وأشكال المثلثات باللون الأبيض والأسود بالتناوب، وأكثر الألوان استعمالاً هو اللون الأصفر. (شكل 58، 59، 60) و(لوحة 18، 19، 20).

- **الزاوية المختارية بأولاد جلال:** استخدمت البلاطات الخزفية في قاعتي الصلاة والضريح، نجدها بأساليب معينة، أما فيما يتعلق بتقنية تركيبها فقد تضمنت ثلاث تقنيات، إما على شكل قطعة من بلاطة استعملت من أجل تكوين مواضيع هندسية، وإما على شكل بلاطة واحدة مستقلة الموضوع، وإما على شكل تجميعة زخرفية قوامها أربع بلاطات تمثل في مجملها موضوعاً موحداً، وتعتبر هي الغالبة على بلاطات قاعة الصلاة، ومما يلاحظ على هذه التقنية أنه لم يراع فيها دائماً حسن التركيب، حيث جاءت نقطة المركز منحرفة عن المظهر الذي أراده له الفنان، وفيما يتعلق بزخارف تلك البلاطات فإنها تنوعت ما بين النباتية والهندسية إلا أن الأولى كانت هي الغالبة.

أهم مواضيعها: مراوح نخيلية، وأغصان وزهور كزهرة القرنفل، وشكل نجمة ثمانية الأضلاع، واستعمل اللون الأصفر بكثرة. (شكل 61)(لوحة 21).

- **زاوية قمار:** نجد انموذج واحد في قاعة الضريح، على شكل نجمة ثمانية الأضلاع. (شكل 62)(لوحة 22).



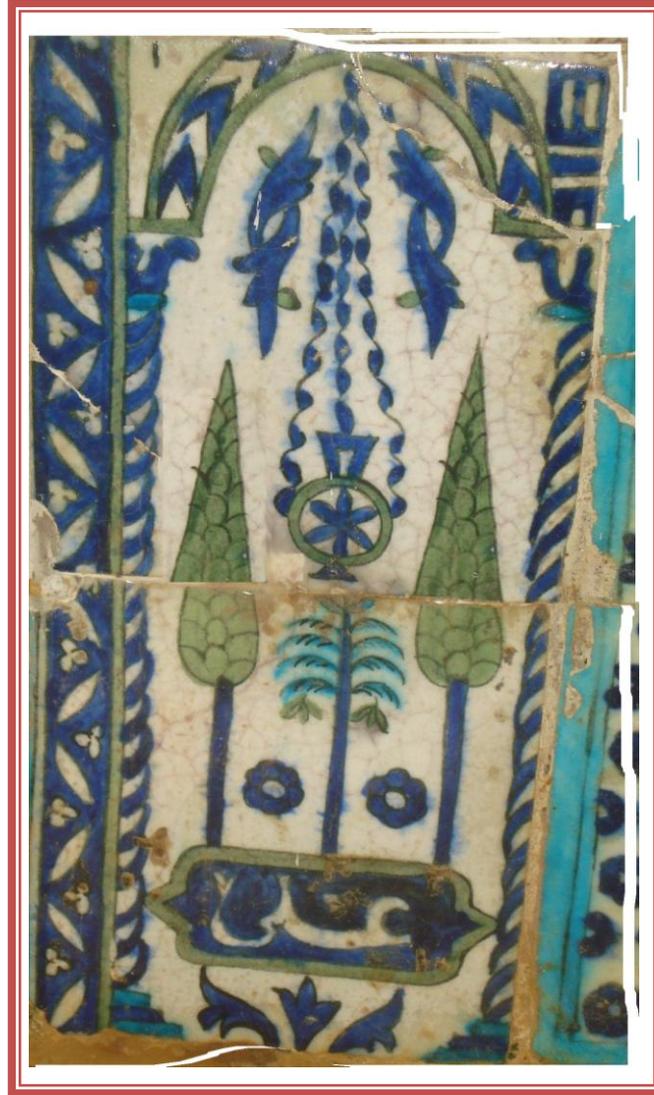
لوحة 1/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية المحراب



لوحة 2/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية المحراب



لوحة 3/ بلاطة خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 4/ بلاطة خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 5/ بلاطة خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 6/ بلاطة خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 7/ بلاطة خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 8/ بلاطة خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 9/ بلاطة خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران

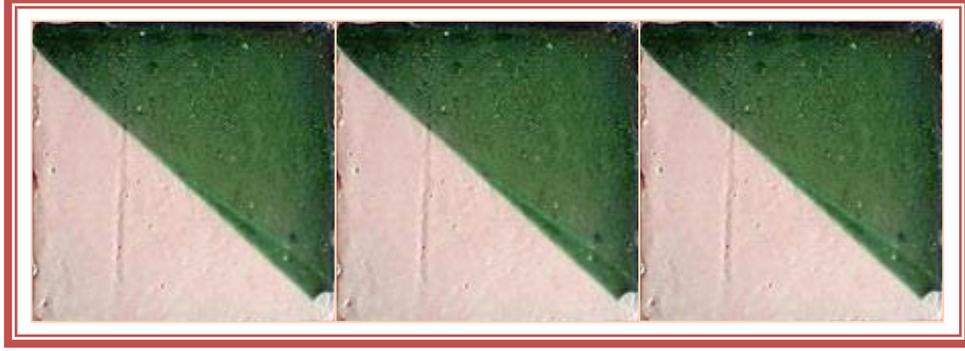


لوحة 10/ بلاطة خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 11/ بلاطة خزفية
زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 12/ بلاطة خزفية
زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 13/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



لوحة 14/ بلاطات خزفية، زاوية سيدي محمد - تكسية الجدران



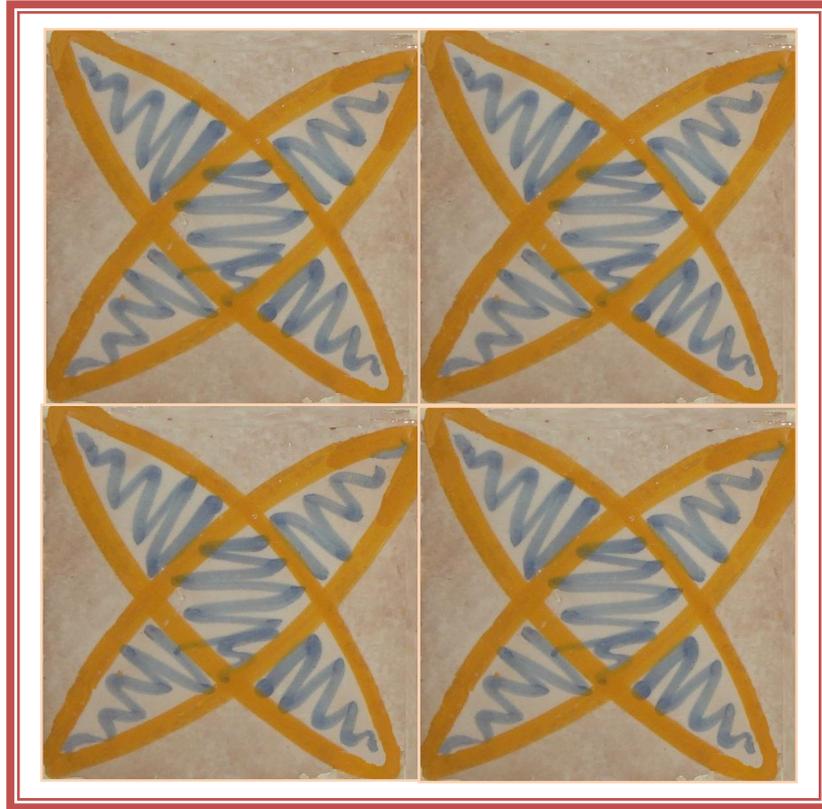
لوحة 15/ بلاطات خزفية، زاوية سيدي محمد - تكسية الجدران



لوحة 16/ بلاطات خزفية، زاوية سيدي محمد - تكسية الجدران



لوحة 17/ بلاطات خزفية، زاوية سيدي محمد - تكسية الجدران



لوحة 18/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي أحمد بن يوسف - تكسية الجدران



لوحة 19/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي أحمد بن يوسف - تكسية الجدران



لوحة 20/ بلاطات خزفية

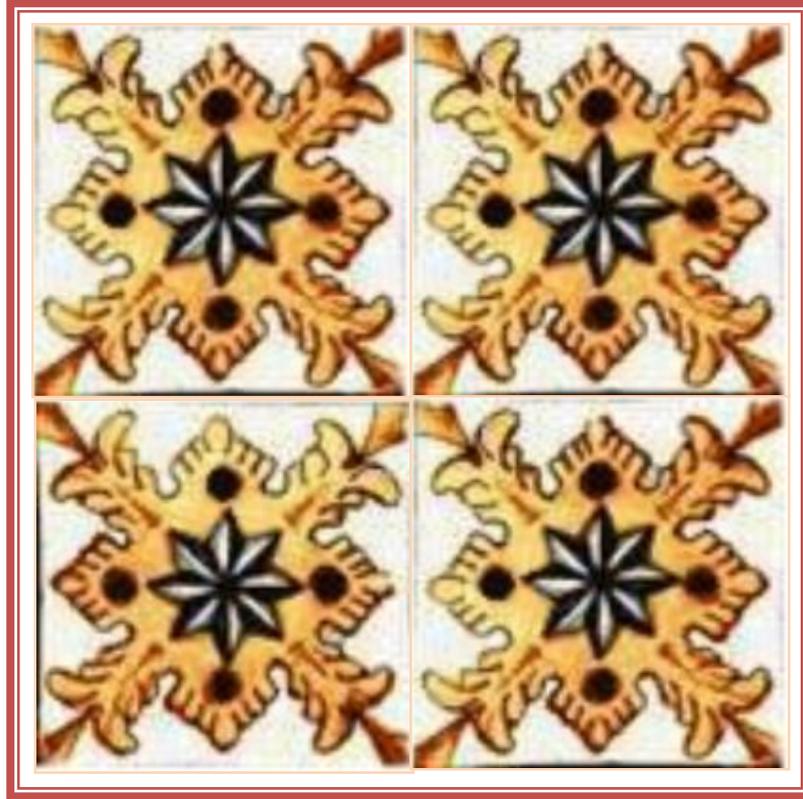
زاوية سيدي أحمد بن يوسف - تكسية الجدران



لوحة 21/ بلاطات خزفية
زاوية سيدي أحمد بن يوسف - تكسية الجدران



لوحة 22/ بلاطة خزفية
الزاوية المختارية - تكسية الجدران



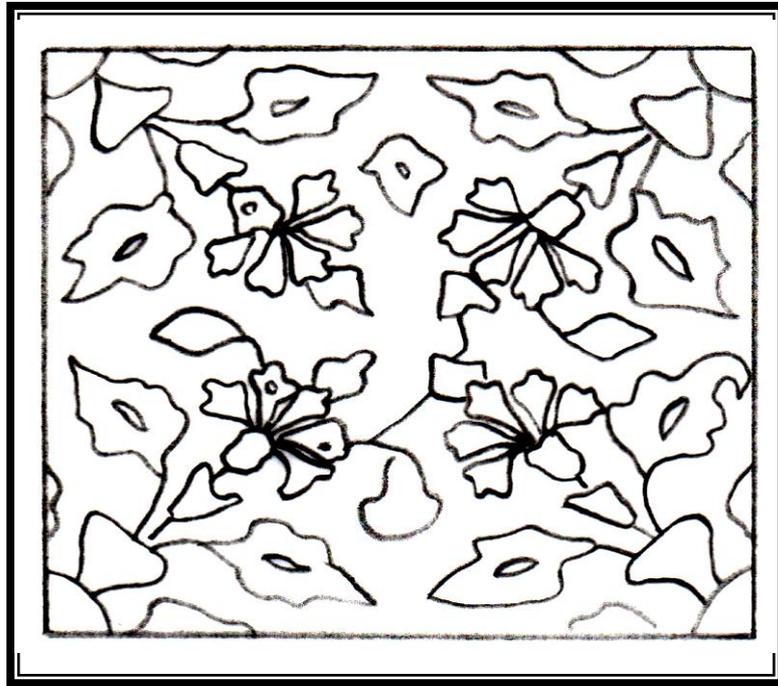
لوحة 23/ بلاطة خزفية، زاوية قمار - تكسية الجدران



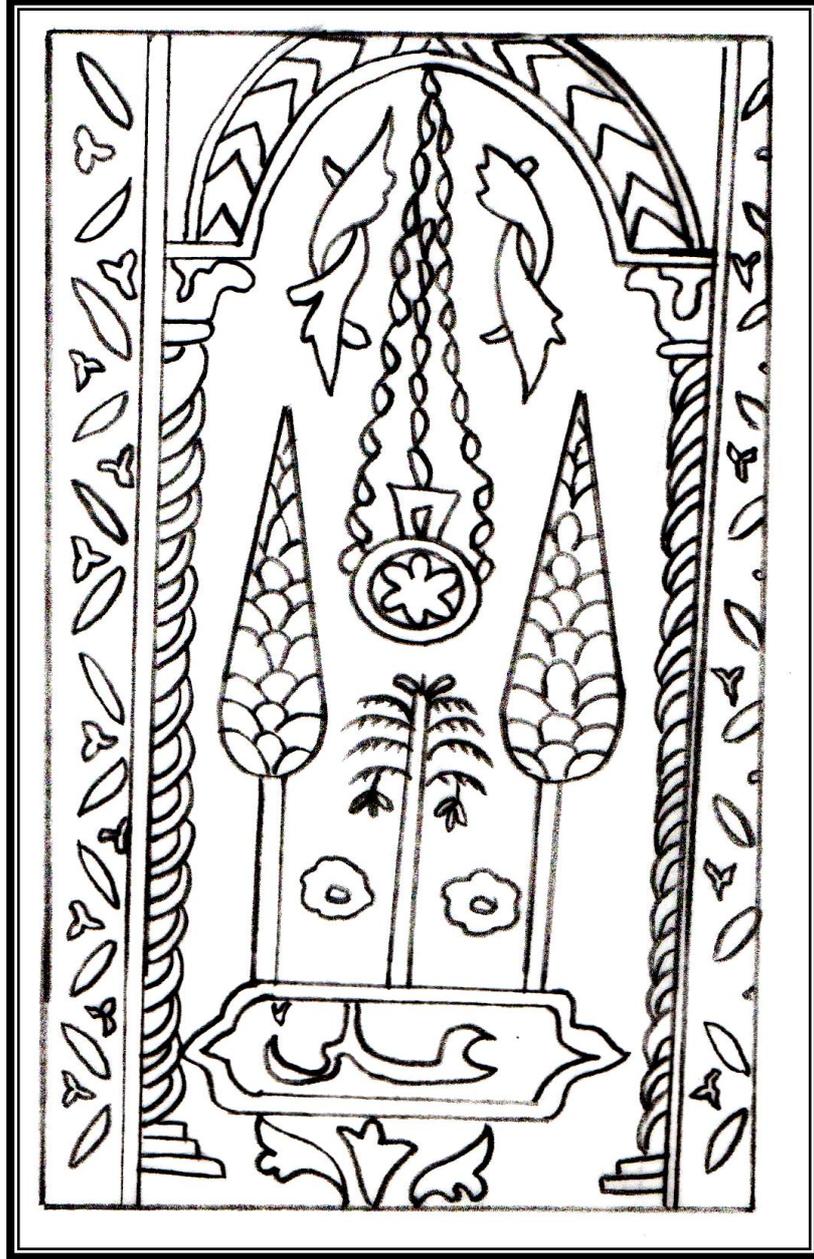
شكل 45 / بلاطات خزفية قوامها: مزهريات، وأزهار وورود



شكل 46/ بلاطة خزفية ذات زخرفة قوامها : مزهرية



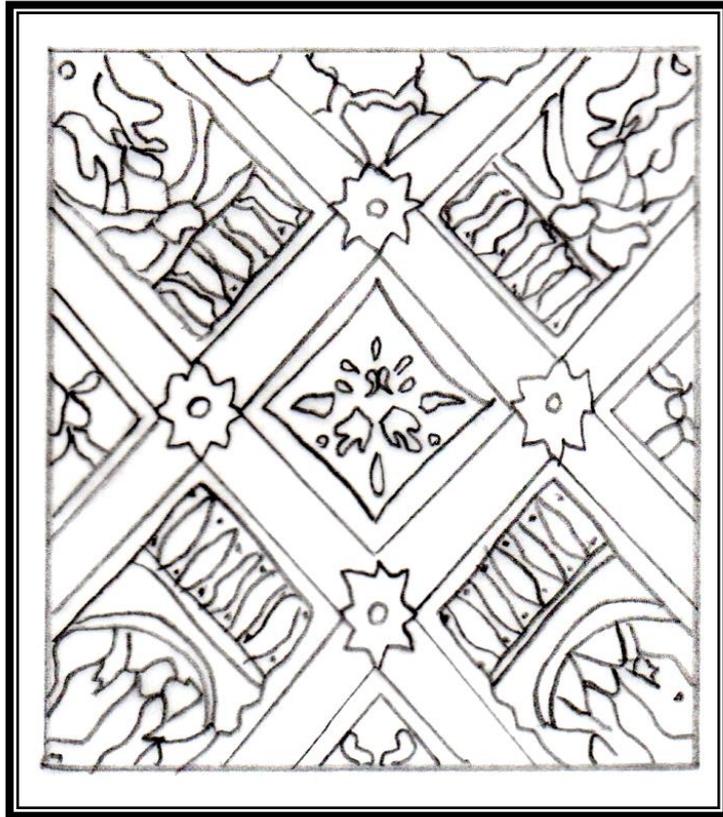
شكل 47/ بلاطة خزفية ذات زخرفة قوامها :زهرة القرنفل، ووريقات صغيرة



شكل 48/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: شجرة السرو، ودوائر.



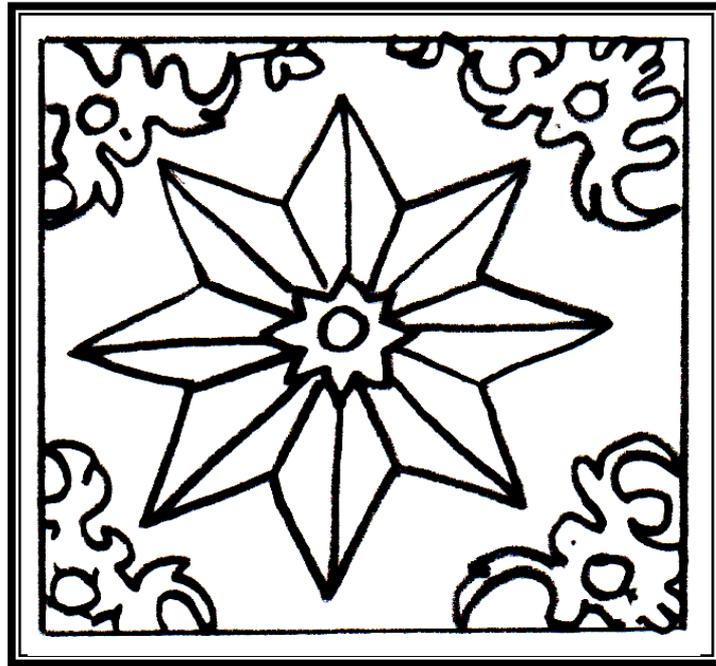
شكل 49/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: أوراق العنب



شكل 50/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: مربعات ومثلثات وورود



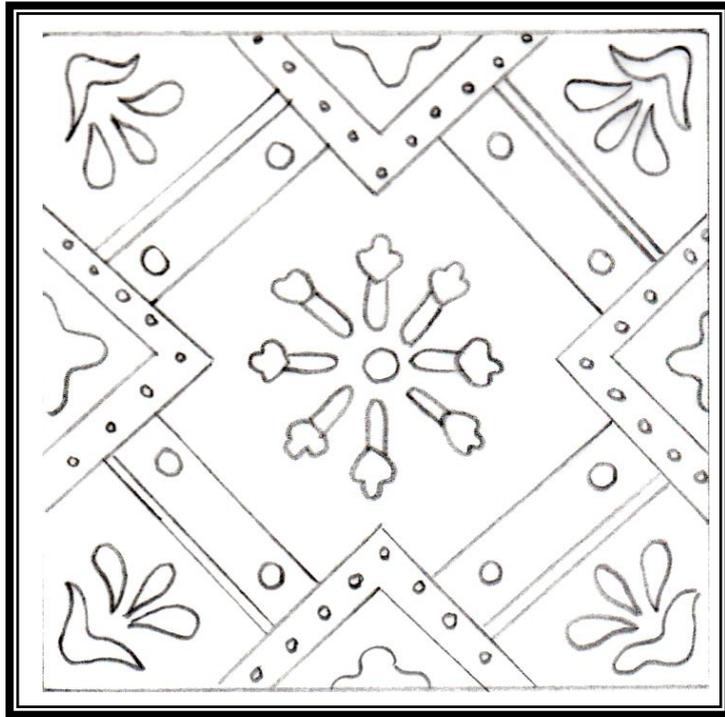
شكل 51/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: مراوح نخيلية وأنصافها.



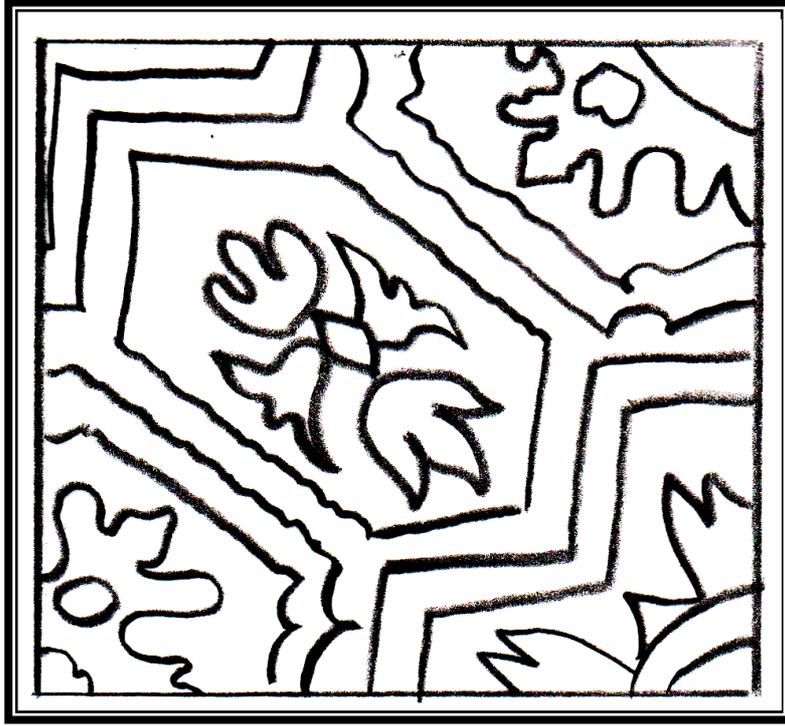
شكل 52/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: نجمة ثمانية الأضلاع.



شكل 53/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: وريادات ودوائر صغيرة



شكل 54/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: معينات ووريقات صغيرة



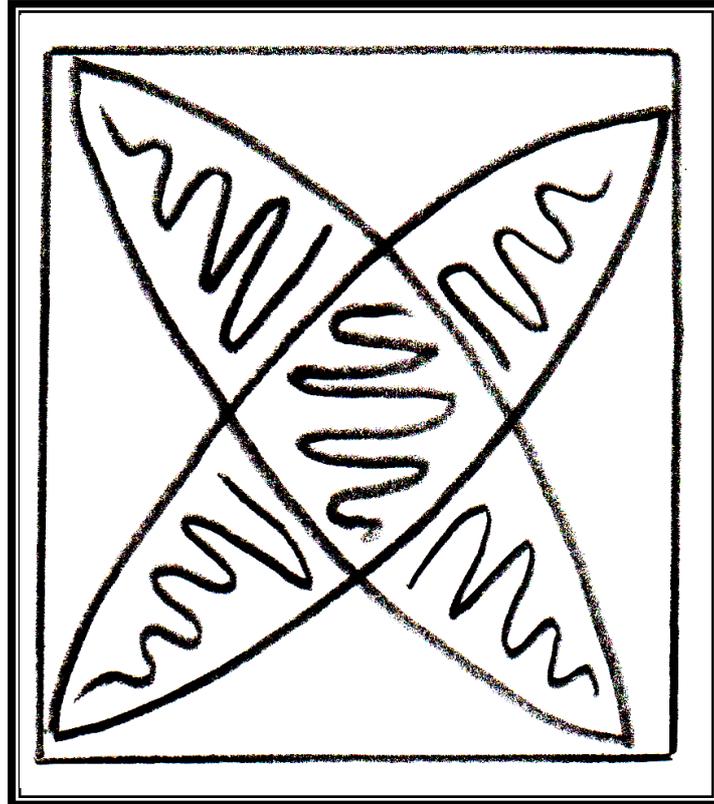
شكل 55/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: مربعات ومثلثات وورود



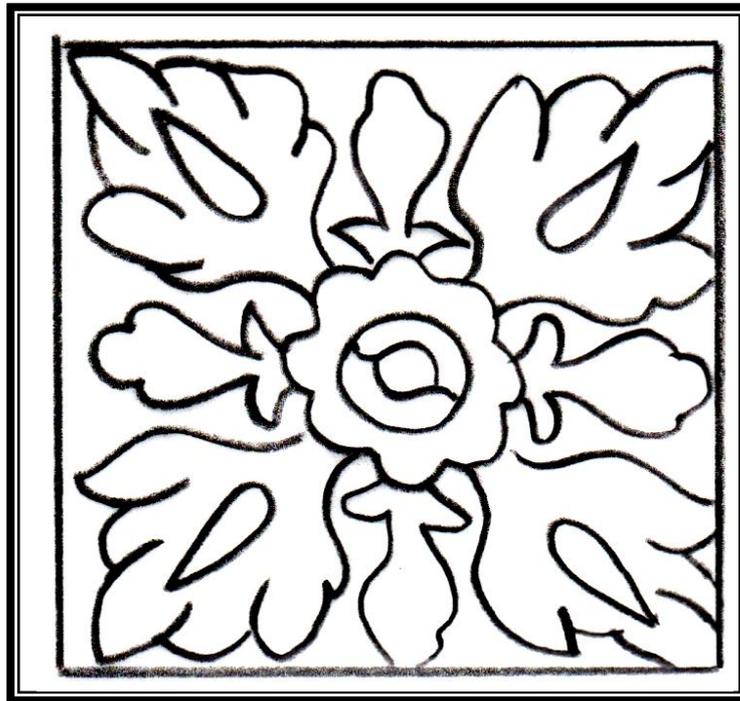
شكل 56/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: أوراق منحنية



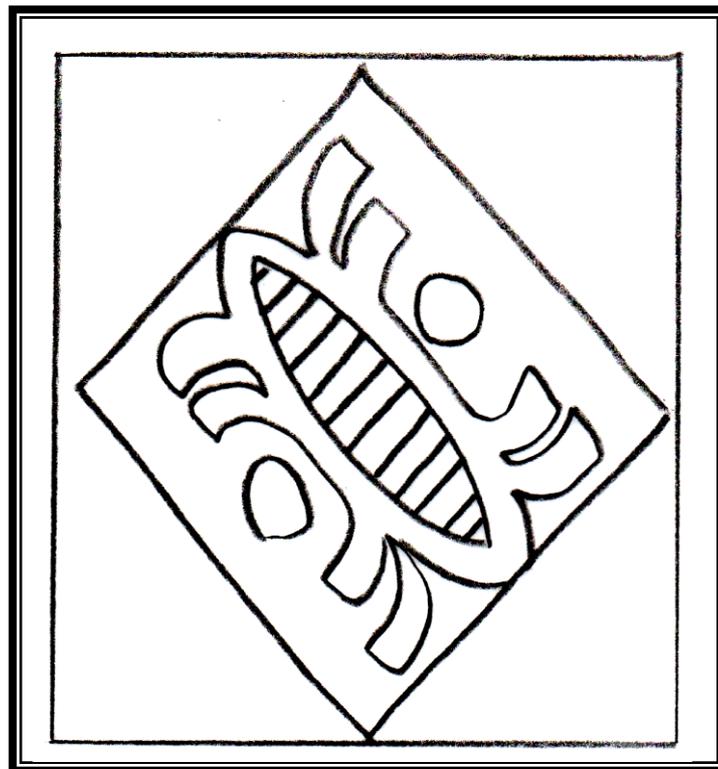
شكل 57/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها: زهرة القرنفل



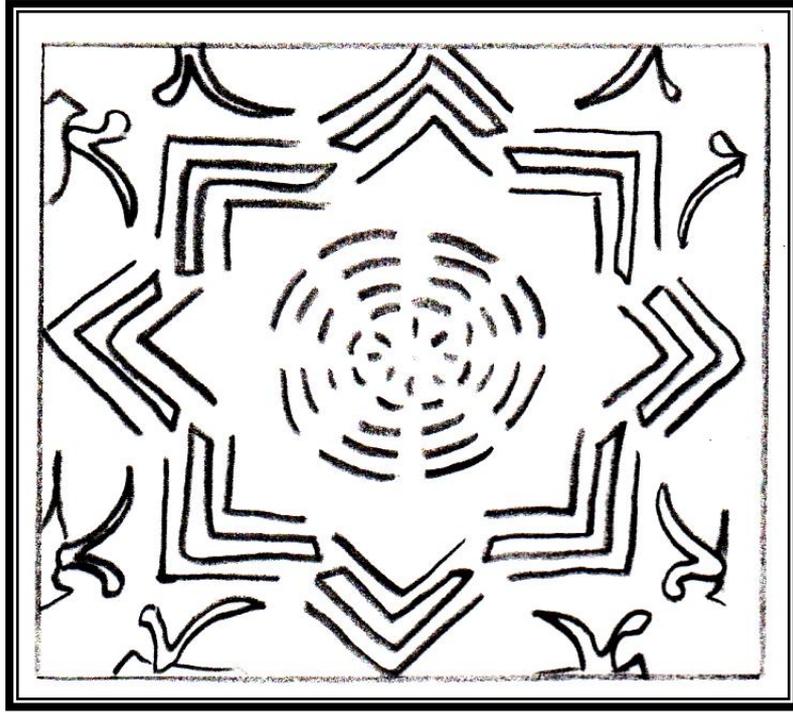
شكل 58/ بلاطة خزفية ذات زخارف قوامها: خطوط متقاطعة و متموجة



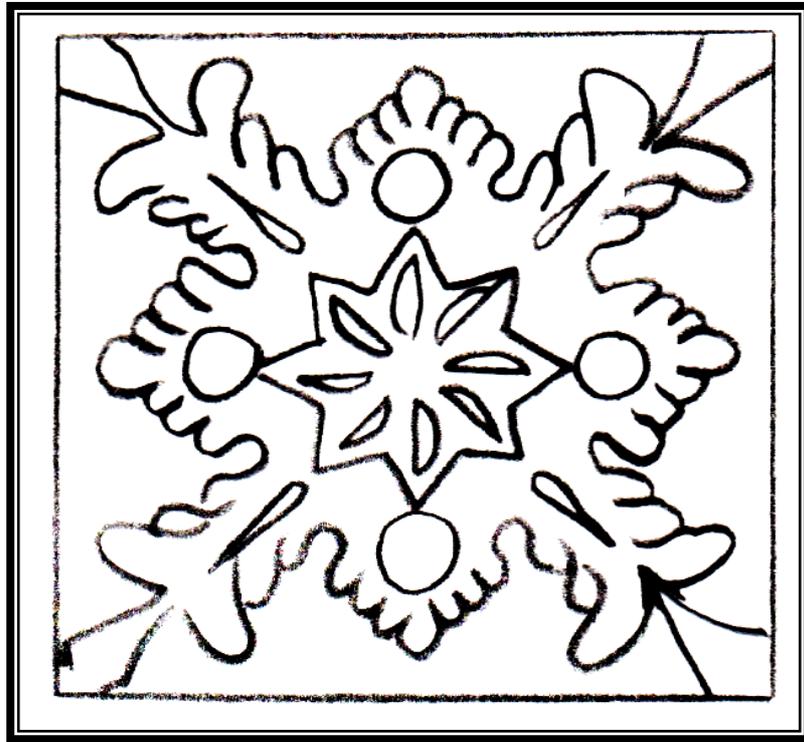
شكل 59/ بلاطة خزفية ذات زخرفية قوامها:الأوراق النباتية



شكل 60/ بلاطة خزفية ذات زخارف قوامها: مربعات وخطوط محورة



شكل 61/ بلاطة خزفية ذات زخارف قوامها: نجمة ثمانية الأضلاع وأنصاف المراوح النخيلية



شكل 62/ بلاطة خزفية ذات زخارف قوامها: نجمة ثمانية الأضلاع ودوائر صغيرة

2. دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية:

لا يكاد يخلو أثر من الآثار الإسلامية من زخرفة أو نقش تزييني فقد كانت من لوازم العمل الفني الإسلامي، لأن الفنانين المسلمين كانوا يكرهون الفراغ ويرغبون في تغطية السطوح والمساحات بالزخرفة، وقد اقتبس المسلمون عناصر زخرفتهم من العناصر النباتية، أو من الخطوط الهندسية، أو من الكتابة العربية، أو حتى من العناصر الرمزية. ولم تقتصر زخرفة العمائر، خاصة منها المساجد والزوايا على عهد معين، بل عرفتها جميع عصور الفن الإسلامي، منها العمائر العثمانية ومن ضمنها الزوايا.

1.2. العناصر الزخرفية النباتية:

تعتبر الزخارف النباتية من بين المواضيع الأكثر استعمالاً، لبلوغها درجة راقية من الجمال الفني، إذ نجدها مرسومة بأسلوب متميز، أمّا من حيث التصميم فإنّ هذه الزخرفة تنطلق من التكوين الهندسي في إيقاع متجدد، فقد نجدها تارة تقوم بتغطية الفراغ الناتج من تقاطع الأشكال الهندسية، أي أنّها تلعب دوراً ثانوياً في التصميم، وفي أحيان أخرى تغطي العناصر النباتية عامة التصميم وتختفي الوحدات الهندسية، وتصبح العناصر النباتية بذلك هي العنصر الأساسي في الزخرفة.

ولقد لجأ الفنان المسلم إلى العناصر النباتية بتوجيه من العقيدة، بالرغم من أنّه لم يبتكر وحدات زخرفية جديدة، ولكنّه أحسن رسمها وتوزيعها وتنسيقها والتأليف بينها بطريقة تبدو جديدة، وهذا لكونه أضفى عليها لمستى الفنية وفلسفته ومفهومه للجمال¹.

تتميز الزوايا في الجزائر بتنوع عناصرها النباتية والتي تتمثل في الأزهار بأنواعها البسيطة والمركبة والأشجار والأوراق والحليات النباتية والفروع المورقة والمزهرة، بعد أن حوّرها تحويراً شديداً، بحيث فقدت من خلالها شكلها الطبيعي، أعتمد فيها على التكرار اللانهائي فكوّنت

¹ محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق، ص55.

امتدادا لزخرفة وتصميم يكمل بعضه البعض في جميع الاتجاهات، لدرجة يصعب معرفة بداية التكرار ونهايته في بعض الأحيان، كما أنّها تميزت بعدم ترك الفراغات، بحيث تغطي الأرضية كلها وهي بذلك تخضع للتماثل الذي يعتبر من أهم القواعد التي تقوم عليه العناصر أو التكوينات الزخرفية، وبهذه التكوينات نتجت أساليب معينة بسيطة ومنها أسلوب الباروك و الرّوكو¹.

1.1 الأزهار:

■ زهرة القرنفل:

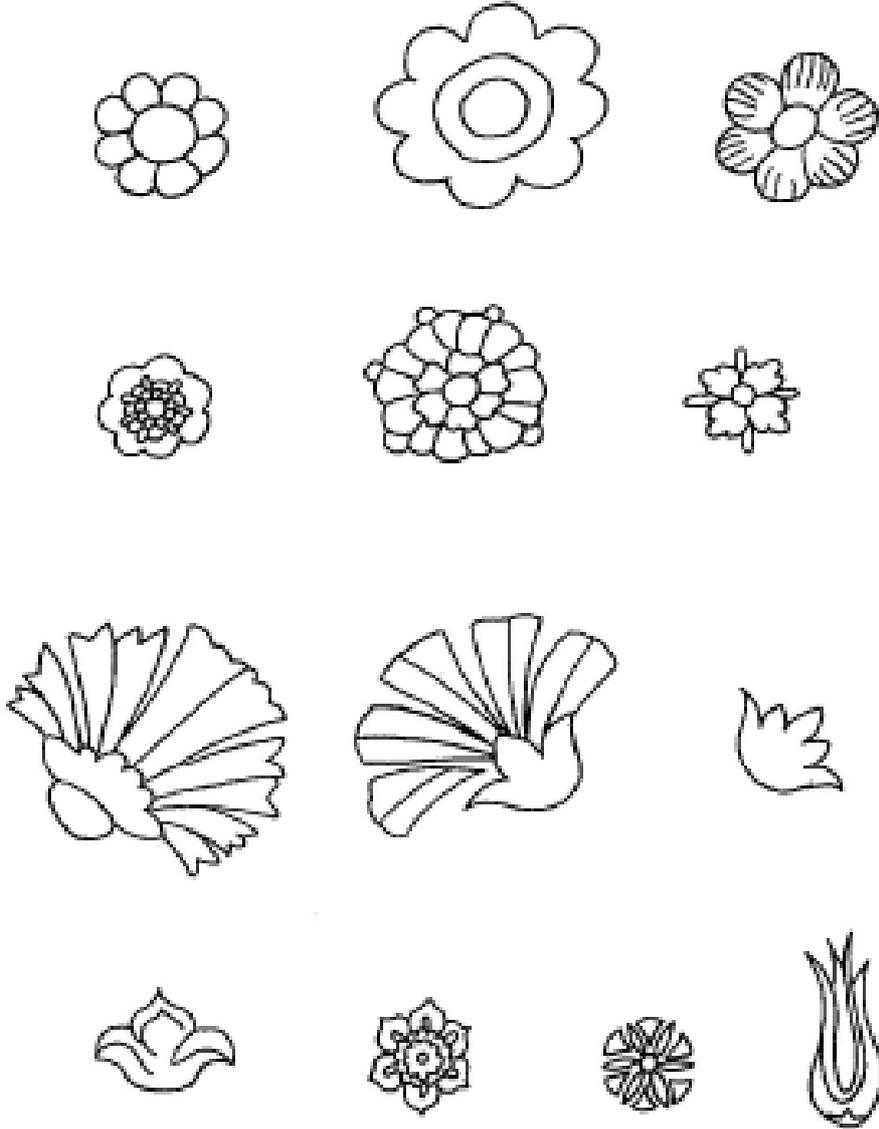
ذكرت تسمية القرنفل في المصادر الإسلامية كأحد أهم المستوردات من بلاد الشرق الأقصى، حيث كانت تجلب من اندونيسيا وبالذات من سومطرة².
والبعض يؤكد أنّ أصلها مجهول، ومن المحتمل تكون من الصين أو إيران، وقد حظيت هذه الزهرة بعناية خاصة من طرف الأتراك، حيث كان يزرع منها باستانبول أكثر من مائتي نوع بمختلف الأشكال والأنواع، كما انتشرت هذه الزهرة على الفنون التطبيقية للمناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية كمصر وشمال إفريقيا، وتجاوز تأثيرها إلى أوروبا³.
(شكل 63).

¹ الباروك: مشتق من لفظة باروك البرتغالية التي تعني اللؤلؤة ، ذات الشكل غير متناسب، ثم أطلقت هذه الكلمة على الأسلوب الزخرفي الذي ساد بعض العمائر في بعض البلدان الأوربية في القرن 11هـ / 17م، و العناصر الرئيسية المكونة لهذا الطراز هي الأصداف و القواقع، و الشماعد و الأوراق المعقوفة و قرون الرّخاء، و الجامات. أمّا الرّوكو، فاستمد اسمه من الباروك، ازدهر في فرنسا، و تطوّر في أوائل القرن 12هـ / 18م، حيث يميل إلى الرّقة و الرشاقة، واعتمد في عناصره على الأوراق و الفروع النباتية، و هو مثل الباروك يمتاز في زخارفه بكراهية استخدام الخطوط المستقيمة و حبه للخطوط الحلزونية وانظر أيضا: كتاب مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص.56 .

² لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص.173.

³ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص.288.

وتجسّدت هذه الزهرة في زخرفة المربعات الخزفية التي كسيت بها جدران ومحاريب الزوايا بشكل محور، كزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد وزاوية سيدي أحمد بن يوسف والزاوية المختارية بأولاد جلال. (شكل 64).



شكل 63/ أنواع الأزهار المستعملة في الزخرفة النباتية

عن: سعاد ماهر - بتصريف



شكل 64/ تصميم زخرفي قوامه رباعيات البتلات وزهرة القرنفل كعنصر أساسي.

■ زهرة اللاله (شقانق النعمان):

حظيت زهرة اللاله بعناية كبيرة من طرف العثمانيين وخاصة في عهد السلطان أحمد الثالث (1703 - 1730م) والذي عرف عصره بعصر زهرة اللاله، حيث كانت أحب الأزهار إلى نفسه وإلى نفوس العثمانيين، الذين زرعوها بصورة واسعة، وتعرف عند الأتراك باسم Lale¹.

¹ عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص 53، 54.

ولا يعود هذا الاهتمام لجمال هذه الزهرة فقط، وإنما أيضا راجع للمعنى الذي تحمله حروفها المشكّلة من نفس حروف اسم الجلالة الله، بالإضافة أنّها إذا قرأت من اليسار إلى اليمين فهي تتشكل من نفس حروف كلمة هلال، الذي هو رمز من رموز الدولة العثمانية¹. ولهذه الزهرة تاريخ عريق عند العثمانيين، حيث يذكر أرسفان في كتابه السابق بأنّها أدخلت إلى تركيا عن طريق الهولنديين في القرن 18م في عهد السلطان أحمد الثالث على يد السفير الهولندي في اسطنبول².

وتجسّدت هذه الزهرة في زخرفة المربعات الخزفية التي كسيت بها جدران الزوايا والمحاريب بشكل محور، كزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد وزاوية سيدي أحمد بن يوسف والزاوية المختارية بأولاد جلال. (شكل 65).

واستعمل الفنان العثماني أيضا زهرة الورد والياقوتية وعباد الشمس، والرمان والزنبق، وزهرة الحوذان ذات خمس بتلات، وأزهار بسيطة سداسية البتلات وثمانية البتلات.

استعملت هذه الأزهار في زاوية سيدي محمد حيث زينت عقود وعضادتي المدخل الرئيسي وأحد المداخل الثانوية بوريدات بسيطة التنفيذ والمظفر.

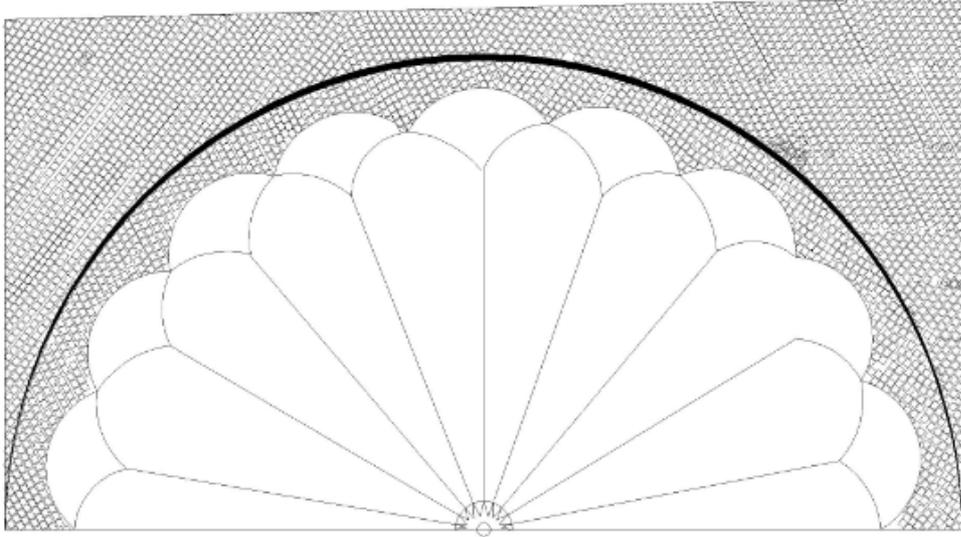
كما نجد زهرة الزنبق في زاوية محمد شريف، التي زينت بها عقود وعضادتي المدخل الرئيسي بتقنية الحفر البارز، واستعملت الأزهار بشكل مفرط في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، إذ نجد هذه الزهور مجسدة في البلاطات الخزفية تغطي بها المحراب وتكسية الجدران، ونفس الشيء نجد أيضا في الزاوية المختارية بأولاد جلال.

Arseven (C.E.), Les arts décoratifs Turcs, Istanbul, 1952p. 59-60.

1

Ibid,p.60

2



شكل 65/ الزاوية المختارية - زهرة مركبة بالجدار الغربي لقبة الضريح

ومن العناصر النباتية نجد:

1. 2. الأوراق:

■ المراوح النخيلية:

تعتبر من أبرز العناصر في الزخرفة، واستعملت في الفنون القديمة بشكل كثيف، وعرفها فنانو العصور المختلفة واستعملوها بأساليب متنوعة، حيث شاع استعمالها في العصر الهلنستي، ثم تواصل استخدامها في الطرز الرومانية، ثم الساسانية، والبيزنطية، وأخيرا استعملت في الفن الإسلامي العربي¹.

المراوح النخيلية على نوعين: المراوح البسيطة والمزدوجة، وتضم أشكالا مختلفة منها المجزأة والمجمعة، وتظهر أحيانا منفردة ومتقابلة تضم ساقا مرنة تلتصق في أغلب الأحيان بنهايات الحروف حيث تتداخل وتتشابك مثل الورقة النخيلية التي تشكل شبكة من الزخارف قوامها سيقان ومراوح نخيلية مشبكة، وأحيانا تمتزج مروحتان نخيليتان معا حيث تجمع بين

¹ فريد الشافعي، المرجع السابق، ص 221.

مروحة ملساء ذات فص واحد واستعملت كأرضية لمروحة ذات فصين إضافة إلى استعمالها كأرضية للزخارف الكتابية¹.

وقد تتخذ المروحة النخيلية أشكالاً صغيرة مزينة بزخارف الحواف تشبه الحلزون كما تزين بزهورات ومثلثات صغيرة.

ومن العناصر النباتية السيقان، ومع المراوح النخيلية تشكل موضوع زخرفي بشكل متضامن ومتداخل، وهذا النوع من الزخرفة يعرف باسم الرقش العربي أو ما يعرف بالأرابسك الذي يقوم على العناصر النباتية أخرى، من فروع نباتية وجذوع متشابكة ومتتالية تحتوي على رسوم محوّرة، ترمز إلى الوريقات والزهور والمراوح وأنصاف المراوح، أمّا عن أصول هذا الأسلوب الزخرفي فينسب إلى الطراز الثالث من طراز سامراء والذي يرجع عناصره كما ذكرنا سابقاً إلى الأصول الهلنستية والساسانية مروراً بالطراز الأموي الذي يعتبر همزة وصل بين الزخارف النباتية الكلاسيكية والزخارف النباتية الإسلامية².

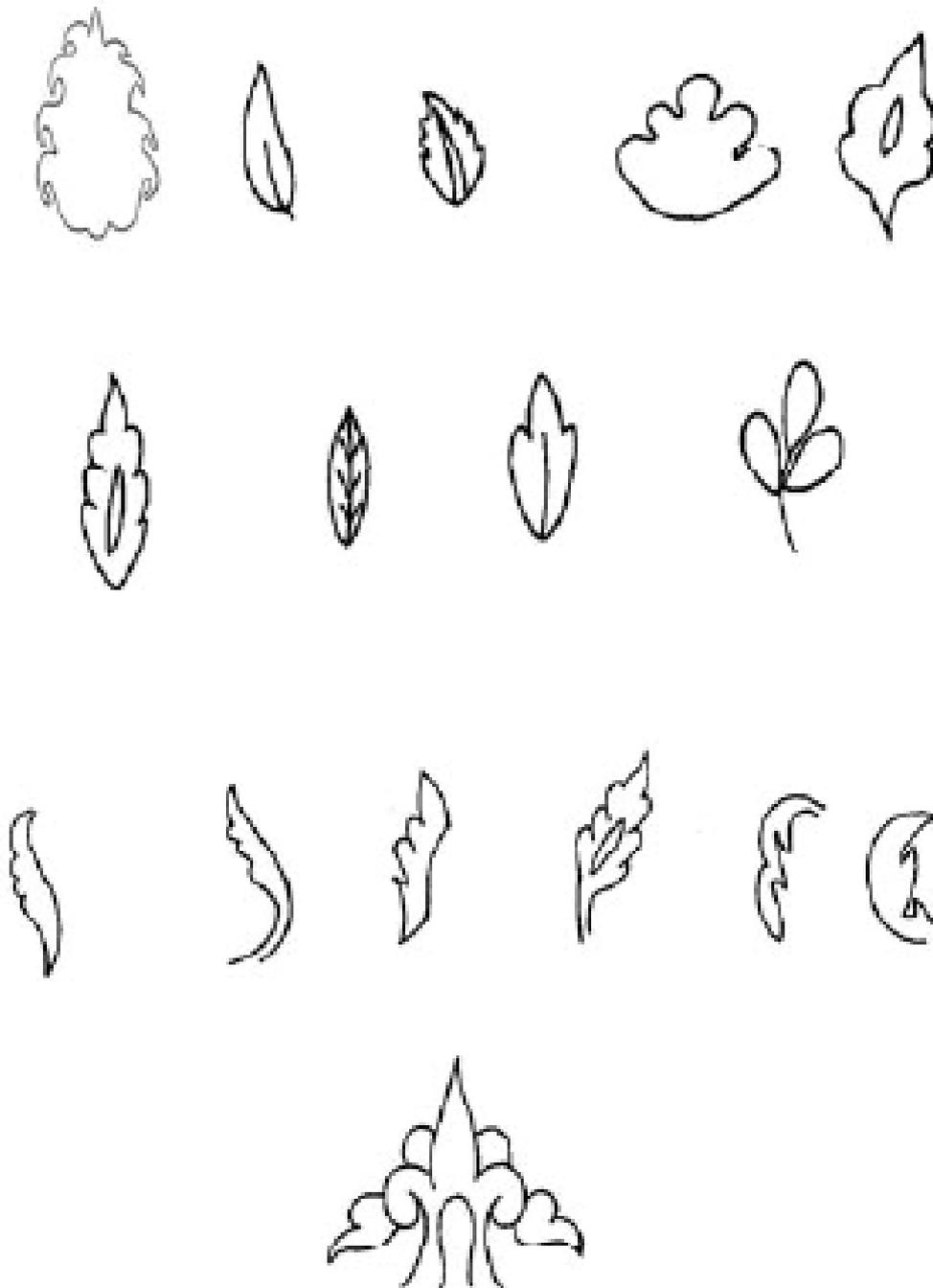
1 Caillé (J.), La mosquée de Hacen à Rabat, Paris, 1954, p.105.

2 فريد الشافعي، المرجع السابق، ص251.

وقام السلاجقة فيما بعد بتطوير هذا التوريق تطويرا عظيما في إيران ويشهد على ذلك زخارف آثارهم المعمارية، والفنية، فأدخلوه إلى آسيا الصغرى، واستخدموه بكثرة وأتقنوه إتقانا شديدا حتى أصبح أسلوبا يتبع، ويطلق الأتراك على هذا النوع مصطلح " الرومي "، وإذا أردنا تعريفه فقوام زخرفته فروع نباتية مخالفة للطبيعة، لذلك نستطيع تسميته بزخرفة التوريق العثمانية أو الأرابسك العثمانية¹. (شكل66).

استخدم هذا النموذج في زوايا عديدة في الجزائر، خاصة في زاوية سيدي محمد وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي على المربعات الخزفية، وزاوية سيدي احمد بن يوسف على جدران قاعة الضريح، كما نجد هذا النوع في زاوية باش تارزي بقسنطينة على الخشب في زخرفة باب خشبية لمدخل الزاوية. (صورة120)

¹ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص198. لمزيد من المعلومات، انظر: بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص379، 380.



شكل 66/ أنواع الأوراق والمراوح النخيلية وأنصافها

عن: سعاد ماهر - بتصريف



صورة 120/ زاوية باش تارزي - المراوح النخيلية والأسلوب الرومي

وقد استعمل أيضا الفنان التيجاني عنصر الأغصان في مختلف الزوايا بنسب متفاوتة وفي إطار محدود أملته الضرورة الزخرفية، نفذت جلها بالألوان المائية الذي يغلب عليها اللون الأخضر، كما نجد أوراق في وضعيات مختلفة وفي أماكن متفرقة كالتي نراها تنمو من سيقان مزهرية أو تشكل باقة ورود. (صورة 121).



صورة 121/ زاوية تماسين - الزخرفة على الخشب.

■ ورقة الأفتنة (الأكانتس):

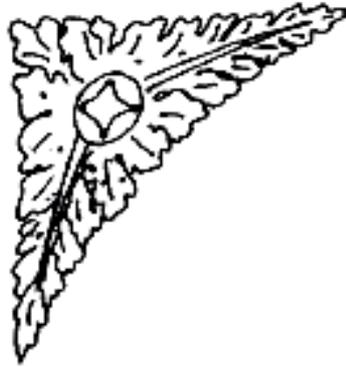
تعتبر ورقة الأكانتس من أبرز العناصر الزخرفية التي تميز التاج الإسلامي، وهو نوع من أنواع الأوراق النباتية المعروفة منذ أقدم العصور التاريخية ضمن مجموعة العناصر النباتية. وتعرف أيضا بأسماء عديدة أهمها شوكة اليهود، حيث تجرد وتحور في شكلها حتى أصبحت بعيدة عن أصلها المأخوذ عن تيجان الأعمدة الإغريقية، والرومانية والبيزنطية، والساسانية¹.

بينما نجدها في الفترة الإسلامية خاصة في التاج الأغلي حوّرت إلى ورقة ملساء مسطحة، وقلّ عدد الصفوف والأوراق بحيث وصل إلى ورقتين على شكل حرف لاتيني تتحني قمته قليلا نحو الأسفل ومنها ما تتخذ شكل قرون، وهذا الأسلوب في تركيب الزخارف دليل على عدم تحرير الفنان المسلم من التأثيرات القديمة.

ويظهر في نفس الفترة شكل آخر لورقة الأكانتس إذ تكون معقوفة القمة، ولا تصل هذه الورقة إلى حلقة التاج، وهذا النوع من الزخرفة استمر في التيجان الفاطمية دون أن يتخلى الفنان المسلم عن إنجاز التيجان الشبيهة بالطراز القديم والتي تمثلت في الطراز المركب². انتشرت أوراق الأكانتس في تيجان رخامية بزواية باش تارزي بقسنطينة، وكذلك في تيجان زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي أحمد بن يوسف، حيث جاءت بشكل معقوف. (شكل 67)(صورة 122).

¹ عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 239.

² زكية راجعي، " أثر الزخارف في تطور التاج المغربي الإسلامي "، مجلة الدراسات التراثية، العدد 1، يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2007، ص 108.



شكل 67/ انموذج من ورقة الأكانتس

عن: سعاد ماهر - بتصريف



صورة 122/ زاوية باش تارزي - ورقة الأكانتس

1. 3. الأشجار:

رسمت الأشجار بمكوناتها الثلاث، الجذوع والفروع والأوراق، حيث أتقنها الفنان أيما إتقان، ومنه شكّلت زخرفة تجمع بين الجمال والتحوير، وقد نجدها أيضا في مواضيع زخرفية متنوعة، فهي إما منفردة وإما في منظر طبيعي.

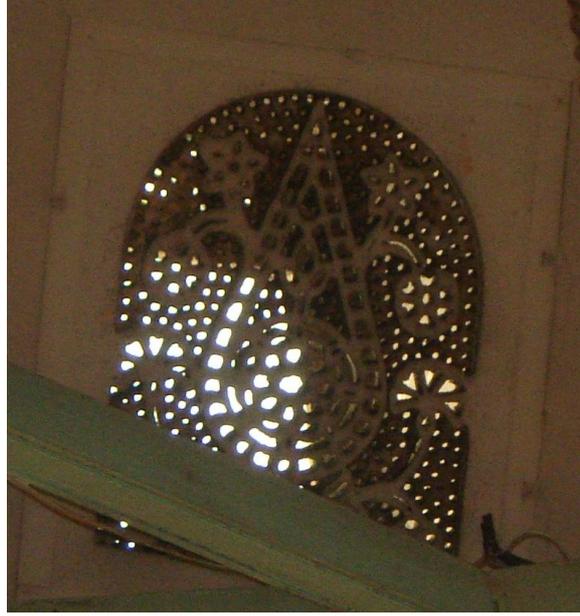
ومن الأشجار الأكثر انتشارا نجد:

▪ شجرة السرو:

تعرف عند الأتراك باسم Selvi وهي متنوعة الأشكال، تعتبر من بين الأشجار التي تزرع في الجبانات وذلك قصد قضائها على الروائح الكريهة المنبعثة من جنث الموتى فهي حسب اعتقادهم رمز الخلود لدوام خضرة أوراقها طوال فصول السنة، وتعبير عن الحياة المتجددة والخالدة¹.

¹ عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني.....، ص38، 39.

وهي ذات شكل رمحي منتفخ في الأسفل يتضايق باتجاه أعلى لينتهي بقمة دقيقة تتخذ عدة أشكال منها ما رسمت بجذعها، والبعض من دونه، ومنها ما رسمت بأسلوب الحفر تحددها أشرطة ذات عناصر هندسية في شكل مثلثات متقابلة تتوسطها معينات. انتشر هذا العنصر الزخرفي في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وذلك بتزين اللوحة الجصية المخزومة التي تشكل شمسيات قبة الضريح، مصحوبة ببعض الأزهار. (صورة123).



صورة123/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - شجرة السرو.

■ شجرة النخيل:

لها معنى ديني عند الأتراك، باعتبارها شجرة من أشجار الجنة، فقد ذكرت في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة، فضلا عن الأحاديث النبوية الشريفة، ومن تم كان ظهورها في الفن الإسلامي مبكرا منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي، مثلما هو الحال في زخارف قبة الصخرة (691/هـ - 692 م) ، وأبدع الفنان في رسم هذه الشجرة فجعلها بصورة

محورة حيث جمع بين الجمال والتعقيد والتحوير، كما استعمل في الزخرفة ورقة الزمان في بعض المواضيع الخزفية ولكنها بطريقة محتشمة¹. (شكل 68)

4.1. الثمار:

فهي قليلة الاستعمال، ولا نجدها إلا في بعض البلاطات الخزفية مرسومة بالألوان، وتتمثل هذه الثمار في العنب، وهي من العناصر المألوفة منذ القدم، ولبعضها معاني رمزية، كما هو الحال بالنسبة للعنب الذي يرمز عند المسيحيين إلى السيد المسيح أو دمه أو الخمر المقدس، وفي الإسلام يعد من فواكه الجنة والمذكور في القرآن الكريم وفي السنة النبوية². استخدم هذا النوع من الثمار في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي على المربعات الخزفية تزين بها جدران قاعة الضريح. (شكل 69) (لوحة 24).



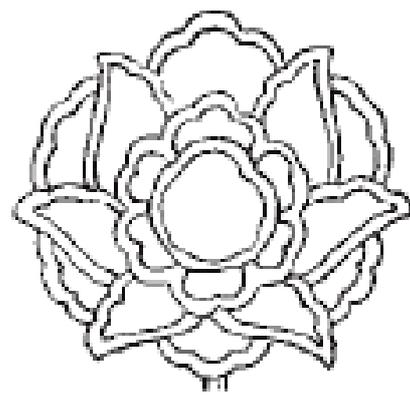
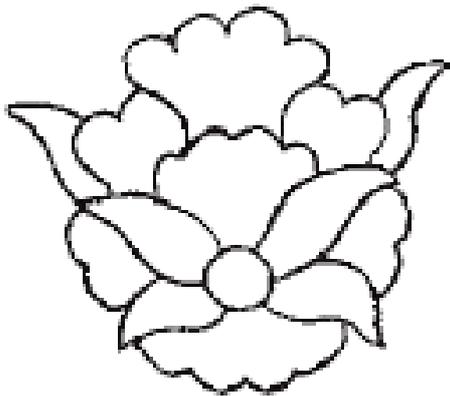
لوحة 24/ بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - ورقة العنب.

¹ عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية (دراسة في ميتافيزيقيا الفن الإسلامي)، ط1، مكتبة زهراء الشرق، 2006، ص120.

² عبد الناصر ياسين، المرجع السابق، ص47 - 75.



شكل 68/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي بلاطة خزفية ذات زخرفة قوامها: عنقود العنب وورود وأزهار محورة



شكل 69/ ورقة الرمان

عن: سعاد ماهر - بتصريف

2.2. العناصر الزخرفية الهندسية:

تعتمد الزخارف الهندسية على ما يطلق عليه " تكرر الوحدة "، أي أنّ الفنان يعتمد إلى تصميم وحدة زخرفية، يتم تكرارها حسب الحاجة، و أيضا أن الصانع يبحث عن تكوين جديد مبتكر، يتولد عن اشتباكات قواطع الزوايا، ومزاوجة الأشكال الهندسية، لتحقيق الجمال الرّصين الذي يسبغه على التحفة.

و نجد أن هذه الزخارف الهندسية تنقسم إلى قسمين:

النوع الأول استعملت فيه الزخارف الهندسية كعنصر من مجموعة عناصر التصميم العام، أما النوع الثاني فتقوم فيه بصورة مستقلة بذاتها، و تكون العنصر الرئيسي مع تفاصيل ثانوية من أوراق نباتية¹.

ومن العناصر الهندسية، نجد الدوائر المتماسكة والمتجاورة، والنقاط، والجداول والخطوط المنكسرة، المائلة، المتموجة والمتشابكة، و الأشكال الحزونية، والبيضاوية، والصفائر الغليظة و الرفيعة، بالإضافة إلى أشكال المثلث والمربع والمعين، كما شكلت نجوما سداسية وهذا بتقاطع مثلثين، وأطباق نجمية.

■ الأشكال المضلعة والخطوط والدوائر:

تشمل الأشكال المضلعة كل من المربعات والمستطيلات والمعينات والمثلثات والأشكال الشبه منحرفة، والمتعددة الأضلاع، السداسية والثمانية منها وغيرها، بينما تتمثل الخطوط في الخطوط المستقيمة والمنكسرة والمتقاطعة والمتوازية والمظفرة، نجدها إمّا منفردة أو مزدوجة أو ثلاثية، أو نجدها تشكل الأطر التي تكون بداخلها تشكيلات زخرفية متنوعة، استعملت خصيصا في ملئ الفراغات والمساحات المتبقية عن التراكيب الزخرفية والنباتية

¹ ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة، 2001، ص127.

والكتابية، ولقد تنوعت وتعددت الأشكال الدائرية حيث نجد دوائر تامة ذات مركز واحد، ودوائر بيضوية وأخرى مفصصة، كما استخدم الفنان الدائرة الأحادية أو المزدوجة أو ثلاثية الخطوط، سواء بالألوان المائية أو بالنقش على الجص في وضعيات وأماكن عديدة ومتفرقة¹.

وهذه العناصر لا غنى عنها في تشكيل كل اللوحات الفنية على الخشب أو المعدن أو الرخام، أو في البلاطات الخزفية والتي استخدمت في تأطير التصاميم الزخرفية في كثير من الأحيان وكمواضيع أحيانا أخرى وهذا ما نجدها في الزوايا التالية: زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد، وزاوية سيدي احمد بن يوسف، وزاوية باش تارزي، والزاوية المختارية في بيوت الصلاة وفي قاعات الأضرحة، أو على الجص أو تلك المنفذة بالألوان المائية كزاوية عين ماضي وزاوية قمار وزاوية تماسين مجسدة خاصة في قاعات الضريح سواء على الجدران أو على القباب.

■ الأطباق النجمية:

تعتبر الأطباق النجمية روح الزخرفة الهندسية الإسلامية وقلبها النابض، بل هي إحدى أهم الزخارف في الفن الإسلامي ككل، وأكثرها تعقيدا ومشقة، خاصة على البلاطات الخزفية ومصارع الأبواب والأسقف والقباب الخشبية والمسطحات الجدارية².

عرفت تطورا كبيرا ابتداء من السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين على عهد المرينيين في فاس وتلمسان، كما انتشرت بمصر خلال حكم المماليك

¹ ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص 127

² عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 162.

فاستخدمت في زخرفة التحف الخشبية والنحاسية، وفي الصفحات الأولى للمصاحف القرآنية¹.

ويمكن أن نجد عدة أشكال رئيسية تشكل الحشوات التي استخدمت شكل الطبق النجمي وهي:

- نجمة بثمانية الرؤوس ويمكن مضاعفة عدد رؤوسها، فمنها باثنتي عشرة رأساً، ومنها ما يتشكل من ستة عشرة رأساً.

- حشوة يشكل سداسي غير منتظمة وبزاويا غير متساوية، تشغل الفراغات بين الأشكال اللوزية، بحيث تقع زاويتها الحادة بين اللوزات والنجمة².

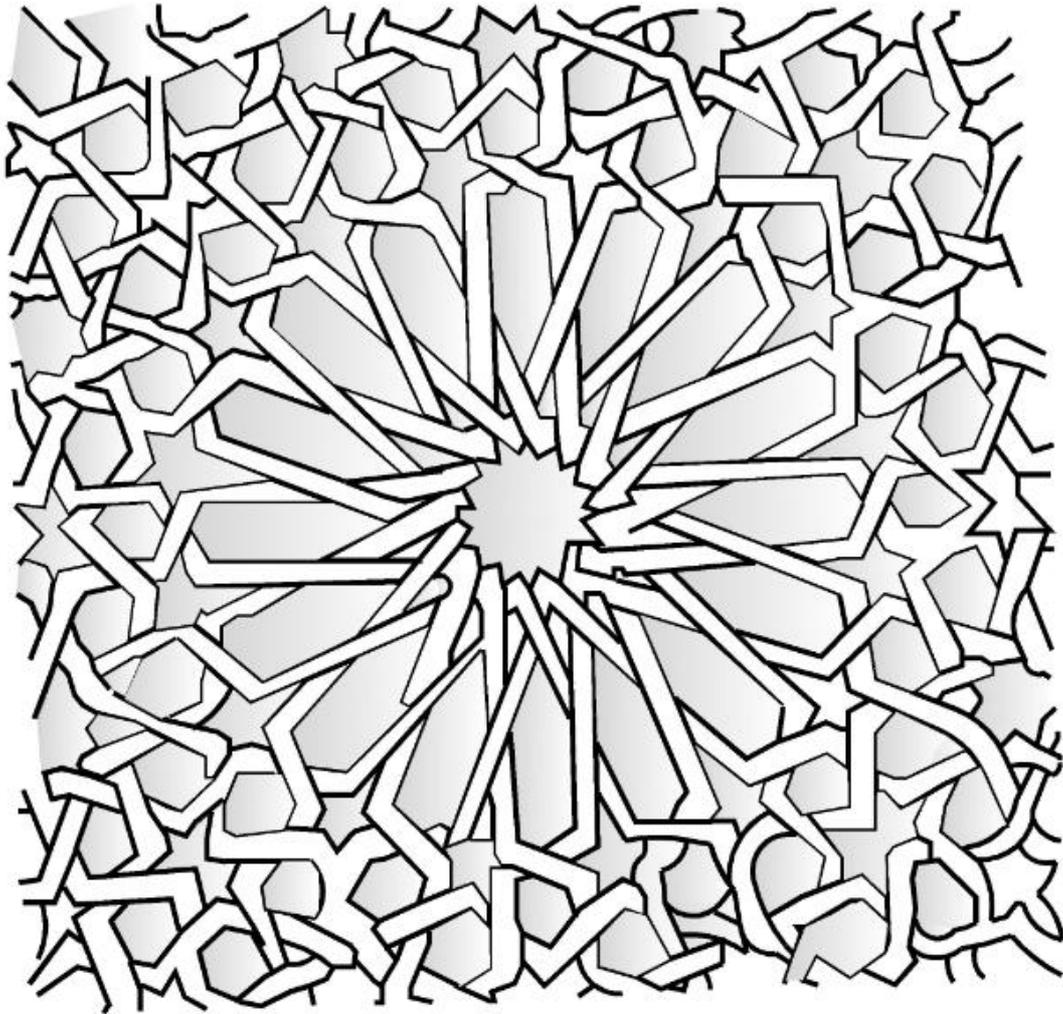
استخدم هذا العنصر في الزخرفة بالزوايا التيجانية بالجنوب بشكل ملفت للانتباه، خاصة في زاوية قمار وتماسين، وتتألف كلها من نجمة تتعدد أضلاعها المحيطة بها وتتنوع على حسب عدد الرؤوس النجمية، وينحصر هذا النوع، في مناطق انتقال القباب أمام المحاريب في الزاويتين المذكورتين سابقاً، كما نجدها في زاوية تماسين على باب الضريح، أما طبق النجمي الذي يزين سقف قبة الضريح فهو بدوره ينطلق من طبق نجمي ثماني الرؤوس، تمتد منه خطوط مستقيمة لتشكل أشرطة تتضمن بدورها زخارف هندسية ونباتية. (صورة 124).

واحتفظت الزاوية التيجانية بقمار بالعديد من الأطباق النجمية ذات الرؤوس المتعددة، حيث نجدها تتعدد من ستة إلى ستة عشر رأساً، جزء منها نجدها على الجدران بأجنحة دار

¹ محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 182.

² بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص 202، 203.

الضيافة، نفذت بواسطة الألوان المائية الداكنة، التي يغلب عليها الأزرق والأخضر¹. (شكل 70، 71).

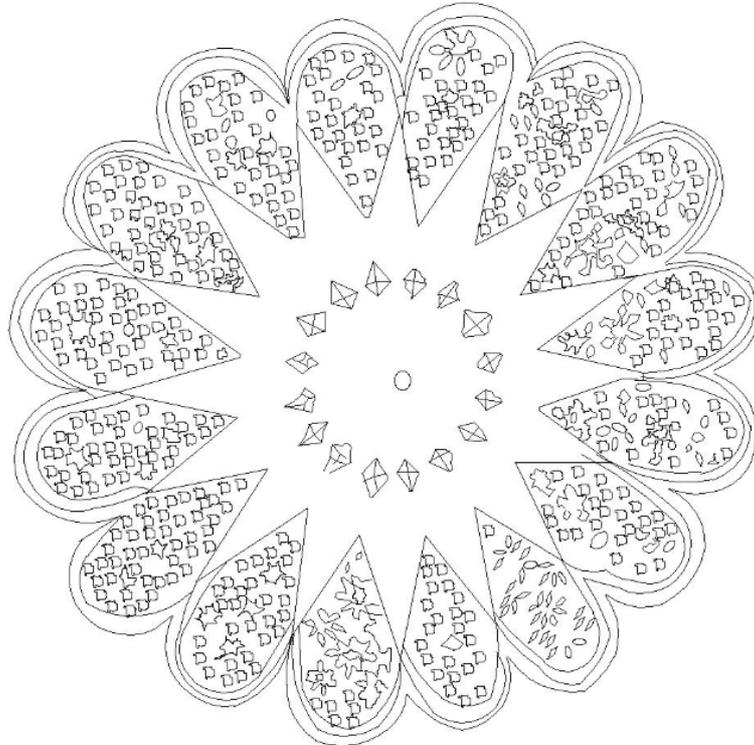


شكل 70/ زاوية تماسين - الطباق النجمي

¹ مراد حديبي، المرجع السابق، 201، 202.



صورة 124/ زاوية تماسين - الطبقة النجمي



شكل 71/ زاوية قمار - طبق نجمي بسقف الشارع الشرقي

3.2. العناصر الزخرفية الكتابية:

يعتبر الخط العربي فرعاً من الفنون العربية الإسلامية وأحد روافدها الأساسية الذي شق طريقه نحو التطور والازدهار شأنه في ذلك شأن الزخرفة النباتية (الأرابسك)، وقد سخر هذا الخط لخدمة الدين الإسلامي والرسالة السماوية التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي نزل بها حتى تكتمل بذلك جمالية الخط العربي بقديسية القرآن الذي يعتبر وعاءه.

■ الخط العربي وتطوره عند العثمانيين:

لقد اهتم الأتراك العثمانيون كثيراً بالخط العربي، حيث مرّ بثلاث مراحل، مرحلة التقليد، ثمّ مرحلة التحسين، ومرحلة الابتكار.

قدّم العثمانيون الخط الكوفي*، ثمّ اتخذوا خطوطاً أخرى واستعملوها كثيراً في جل منشآتهم كالخط النسخ والتث، والتوقيع، والريحاني، وخط الرقعة¹، وخاصة خطي النسخ والتث اللذين لعبا دوراً بارزاً في العمائر والمخطوطات العثمانية حتى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، فبعد هذا التاريخ، يظهر في اسطنبول نوع جديد من الخط

¹ الخط الكوفي هو الخط الحجازي الجاف، بعد أن طوّره أهل الكوفة وأصبح يسمّى باسمهم، وهو سيد الخطوط العربية بدون منازع، والذي تربع على عرش الكتابة العربية سواء على الورق كالمصاحف خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى أم على المواد الصلبة كالجص والخشب والحجارة والرّخام لفترة طويلة. لمزيد من المعلومات، أنظر: - عبد الحق معزوز، " قراءة في كتابة كوفية على درهمنين موحدين محفوظين بمتحف تلمسان " ، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، العدد العاشر الجزائر، 2001، ص5.

² هو كتابة سهلة قاعدية مسارها السطر لاينزل عنه إلاّ حروف (ج ح خ ع غ م) وجميع حروفه مطموسة ما عدا الفاء والقاف الوسطى، ولقد وضع قواعد هذا الخط ممتاز بك في عهد السلطان عبد المجيد 1280هـ / 1862م . للمزيد من المعلومات، أنظر: محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، مصر، 1974، ص165.

نقله العثمانيون عن الإيرانيين وأصبح له مكانة ممتازة هو خط التعليق، يمتاز بليونته واستدارة حروفه واستلقائها¹.

ولقد عرف لهذا الخط كثير من الخطاطين العثمانيين، منهم محمد أسعد يساري أفندي، حيث جعل هذا الخط يتماشى مع الذوق العثماني، حتى أصبح يطلق عليه " خط التعليق العثماني " ثم تجاوز الخط العثماني مرحلة التقليد إلى مرحلة التحسين، حيث اعتبر الخط فناً قدسيا لا يقدم على مزاولته إلا إذا تظهر بالوضوء وخاصة إذا كان مقبلاً على نسخ كلمات الله.

ويتجلى تحسين العثمانيين للخط العربي في ذلك النوع المعروف بالخط الجلي الذي ابتكره الياقوت المستعصي ، الذي يمتاز بكبر حجمه، فكان يستعمل كثيرا في الكتابة على جدران العمائر، كما أنهم تفتنوا فيه، وهذا ما نجده على اللوحات الكبيرة، كتبوا عليها اسم الجلالة وأسماء النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - و الصحابة².

تفنن بعدها الخطاط العثماني في " الخط الغباري " و " الخط المثنى "، فيعتبر الأول صورة مصغرة من خط النسخ، ولكن الخط الغباري يمتاز بالدقة والصغر كما يدل عليه اسمه الغبار، و بعض الخطاطين الذين أحسنوا كتابة هذا الخط، قد نقشوا القرآن الكريم على حبة من الأرز، وبعضهم نقشه على بيضة دجاج³ ، أما الخط المثنى أو الكتابة المنعكسة التي كانت تقرأ طرداً أو الكتابة المرآتية كما يسميها العثمانيون، فهو يكشف عن مهارة الخطاط العثماني وعبقريته، حيث يكتب العبارة الواحدة مرتين ويمكن قراءتها من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، ويمزج بين حروفها بحيث يخرج من هذا المزج شكلاً زخرفياً جميلاً،

³ محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية، ص170.

² نفسه، ص178.

³ نفسه، ص180.

كما تفنّن الخطاط العثماني بخط الطغراء* تفنّننا يبعث على الدهشة والإعجاب، حيث اتّخذوه بصورة تختلف عن الشكل السابق وكان يستعمل في الأوراق الرّسمية في قصور السلاطين¹. ثمّ دخل الخطاط العثماني مرحلة جديدة بكتابات وأشكال مميّزة للكتابة العربية تظهر لأول مرة في العصر العثماني، أهمها الخط الديواني**.

و من أهم الخطاطين العثمانيين الذين برزوا نجد:

علي يحي الصوفي في أيام السلطان محمد الفاتح وقد كان من المبدعين للخط المثني² ، وحمد الله الأملسي في عهد السلطان بايزيد الثاني وأحمد قره حصاري حيث أتقن الخط المحقق والخط الريحاني نجد ذلك في كتابات قبة جامع السلمانية باسطنبول، وبعده إسماعيل أفندي، فقد ظهر في أواخر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وهو يتميز بالدقّة والرّوعة.

واتّخذ السلاطين العثمانيون والوزراء من الخط العربي كهواية لهم، يقومون في مزاولتها في أوقات فراغهم، ويتعلمون أصوله، ومن مشاهير رجاله السلطان بايزيد الثاني

* هو تزاوج بين خطي الديواني والأجازة، وآخر من تفنّن في تكوين الطغراء، هو مصطفى راقم واسماعيل حقي، انظر: بهنسي عفيف، الفن العربي الإسلامي، ج3، تونس، 1997م، ص72، لمزيد من المعلومات أنظر: بن بلة خيرة، المرجع السابق ص8-22.

¹ محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق، ص182

** وهو نمط تركي خالص، ويسمى بالخط السلطاني، وضع قواعده إبراهيم منيف(860هـ / 1455م)، وهو يكتب على السطر كالرقعي بشكل مائل، استخدمه العثمانيون في كتابة الأوامر السلطانية والقرارات الرّسمية، التي كانت تكتب بصورة مزدحمة منعا لأية محاولة للتغيير أو التبديل في النص. للمزيد من المعلومات، انظر: اوقطاي أصلانآبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى، إستانبول، 1987، ص312.

² محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق، ص174.

الذي تعلّم الخط على يد الخطاط الشيخ حمد الله الأملسي، والسلطان مصطفى الثاني الذي تعلم الخط على يد الخطاط حافظ عثمان¹.

■ أنواع الخطوط المستعملة:

- خط النسخ:

المقصود به الخط المدور، وقد سمي بعدة تسميات منها، البديع والمحقق. وسمي بهذا الاسم لاستخداماته في المراسلات و المعاملات التجارية واستنساخ الكتب. وقد ذهب جمهور من الباحثين إلى أنّ الخط النسخي (اللّين) كان مرادفاً للخط الكوفي (اليابس) وذهب آخرون إلى أنّه مأخوذ من الخط الكوفي.

وقد ازدهر هذا النوع من الخط في العصر العباسي، حيث ترجمت به واستنسخت وألّفت العديد من الكتب في كافة العلوم، ومن أشهر الخطاطين، الضحاك بن عجلان، وإسحاق ابن حماد واعتبر عصر خليفة المأمون ، فترة ازدهار الخط النسخي² .

وفي نهاية القرن 3 وبداية القرن 4هـ / 9 و 10 م، وصل خط النسخ إلى درجات متقدمة من الإتقان على يد ابن مقلة (325 هـ / 936م)، وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ثمّ جوّده الخطاط ابن البواب أبو الحسن علي بن هلال (ت.414هـ / 1022م)، وهذا الخط أسهل من الثلث، وازدهر في عصر الأتابكة (545هـ / 1150م) ثمّ برع الخطاط جمال الدين ياقوت المستعصي البغدادي (ت.671هـ / 1272م) في تجويد واستعمال الخط حيث بلغت شهرته الآفاق وكان ذلك في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

¹ محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص189.

² كامل سليمان الجبوري، أصول الخط العربي، بيروت، 2000، ص95.

وممن أجاد فيه من الخطاطين الأتراك، الشيخ محمد بن مصطفى الأماصي ومصطفى أفندي¹.

والظاهر أنّ خط النسخ في بلاد المغرب، ظهر قبل الموحدين، وقد ثبت بالأدلة الأثرية أنّ ظهوره في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) يتمثل في كتابة قبة المسجد الكبير بمدينة تلمسان المؤرخة في عام 530هـ / 1135م، وهذا ما يثبت أنّ الخط النسخي ظهر في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أيام حكم الدولة المرابطية ولما قامت الدولة الموحدية استعملوه على أوسع نطاق في مختلف المجالات الفنية².

واستعمل خط النسخ في العديد من المرات في المباني الدينية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، والمجالات التي استخدم فيها نذكر:

كتابة مسجد خير الدين، الكتابة الأولى والثانية لمسجد علي باشا، الكتابة الأولى والثانية لجامع صفر، كتابة جامع الجديد، الكتابة الأولى والثانية لجامع البراني، الكتابة الأولى والثانية لجامع الداوي الكتابة الأولى والثانية لضريح سيدي عبد الرحمان.

- خط الثلث:

وهو أصعب الخطوط وأكثرها جمالا، يمتاز بالمرونة ومتانة التركيب وحسن توزيع الحروف، كان مخصصا للمصاحف ثم حلّ محلّه الخط النسخي³، وقد سمي كذلك حجمه يساوي حجم النسخ الكبير الذي كان يكتب على الطومار، والطومار هو الدرج أو الملف المتخذ من البردي أو الورق.

¹ كامل سليمان الجبوري، المرجع السابق، ص 96.

² عبد الحق معزوز، " قراءة في كتابة كوفية على درهمنين موحدين محفوظين بمتحف تلمسان " ، المرجع السابق، ص 7.

³ عفيف بهنسي ، الفن العربي الإسلامي ، ج3، تونس، 1997، ص 71.

وتتميز حروف خط الثلث بالرّصانة والإسترسال والتّنوع في ضخامتها، وقابلية حروفه للتركيب¹، وشهد تحسينا كبيرا على أيدي الخطاطين والفنانين فبلغ غاية في الجودة على أيديهم، فأخذ مكان الخط الكوفي في تزيين جدران المساجد وساعدت سلاسته وليونته على تركيب كلمته فوق بعضها، وتداخلها دون أن تخرج الحروف عن مقاسيها الجمالية التي وضعت لها².

كما تنوعت الخطوط والكتابات بالزوايا تنوعت أيضا من حيث المواد المحفورة فيها، وهي تتمثل في الرخام الذي شكلت به اللوحات التأسيسية، ذلك في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي محمد وزاوية سيدي محمد شريف.

واستخدم الجص على نطاق واسع، حيث شكلت فيه النقوش الكتابية في شكل أشرطة ممتدة أفقيا، وأحيانا أخرى راسية على الجدران، وإلى جانب هذه المواد زخرفت البلاطات الخزفية أيضا بالكتابة تشمل مواضع مختلفة زينت بها جدران ومحاريب الأضرحة للزوايا المدروسة.

■ مجالات استعمال الخطوط في الزوايا:

ضمت الكتابة في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي على شكل خراطيش أو بحور تحتلها كتابة بخط الثلث عثمانى الرّشيق، أو بالخط الفارسي من نوع النستعليق، وشكلت الحروف بطريقة مركبة احتفظت فيها الكتابة بخط التنظيم السفلي، وركبت بعض الكلمات في الأجزاء العليا من كلمات أخرى، وكتبت فيها الحروف باللون الأزرق الكوبالتي البراق على أرضية بيضاء ناصعة أو باللون الأبيض الناصع على أرضية زرقاء كوبالتية لامعة.

¹ عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص 175.

² عفيف بهنسي، المرجع السابق، ص 73.

وتحتوي الكتابة على نصوص شعرية وعبارات دينية وأقوال مأثورة جوهرها قصيدة البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام البوصيري، ومنها الشهادة والصلاة على النبي الكريم¹. (شكل 72، 73، 74، 75)، و لوحة (25، 26، 27، 28) ومن الصيغ والعبارات:

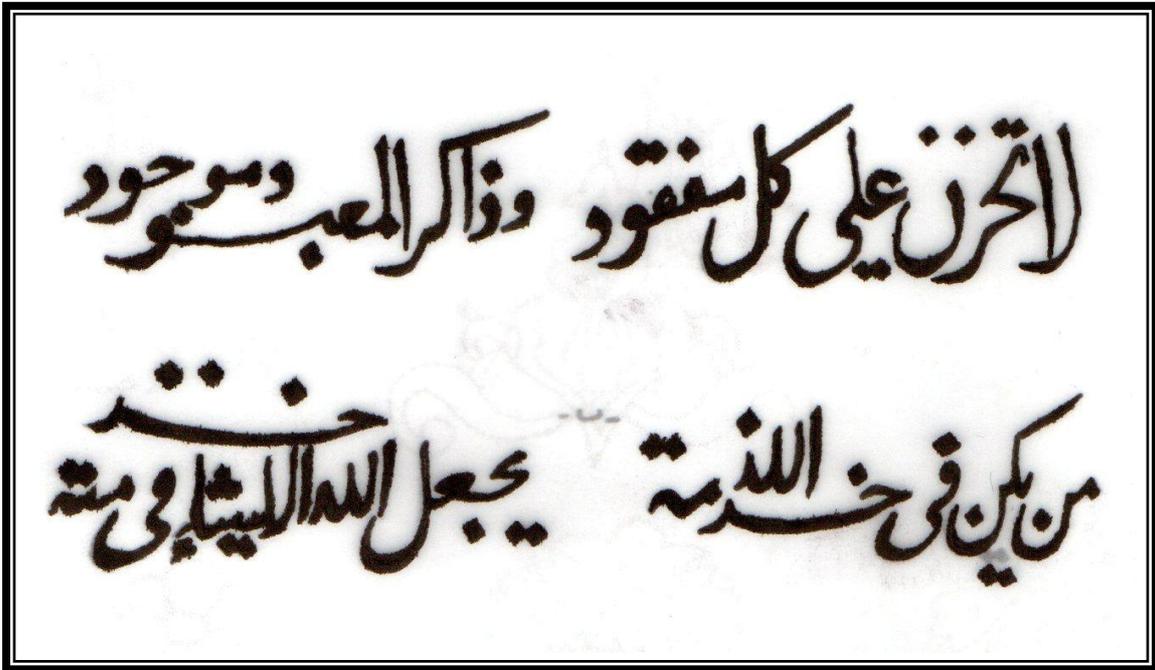
- أبشر يا فتى إنَّ الفرج قد أتى.
- لا تحزن على كل مفقود وذاكر المعبود موجود
- من يكن في خدمة الله يجعل الله خير الأشياء في خدمته
- الدنيا كلها غرور.
- كل نعيم دون الجنة فان.
- الإيمان في التقوى.
- العزة لله
- لا شرف أعلى من الإسلام.
- وفي زاوية سيدي أحمد بن يوسف، على يمين المحراب لوحة من البلاطة الخزفية ، عليها كتابة بخط الثلث، رسمت باللون الأبيض والأزرق، نصها:
- لا إله إلا الله الملك الحق.
- وعلى يسار المحراب نحد عبارة " محمد رسول الله صادق الوعد الأمين "

¹ عزة بنت عبد الرحيم محمد بن شاهين، الإبداع المعماري والفني في الأضرحة الجزائرية، " ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي انموذجا" (786-875هـ) (1383-1479)، مجلة تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج 1، أعمال ملتقى دولي بتلمسان أيام 3،4،5 أكتوبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص284، 285.



لوحة 25/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



شكل 72/ زخرفة كتابية قوامها أبيات شعرية



لوحة 26/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



شكل 73/ زخرفة كتابية



لوحة 27/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



شكل 74/ زخرفة كتابية



لوحة 28/ بلاطات خزفية

زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران



شكل 75/ زخرفة كتابية

- أمّا في المناطق الجنوبية، وخاصة في الزوايا التيجانية نجد أنّ معظم وحداتها المعمارية مزخرفة بالعديد من الصيغ الدينية والأدعية والآيات القرآنية، وإن نفذت في مجملها عن طريق الألوان المائية بأسلوب بسيط، ومن هذه العبارات:
 - أسماء الله الحسنى، ونجدها تقريبا في جميع الزوايا التيجانية انطلاقا من زاوية عين ماضي، وكذا زاويتي تماسين وقمار، ولكن في أشكال وأحجام وألوان وأماكن مختلفة.
 - وجود بسملة كاملة في أماكن متفرقة في زاوية تماسين وزاوية قمار وخاصة داخل المساجد والأضرحة.
 - كما نجد في زاوية تماسين عبارات الصلاة والسلام على النبي الكريم وأسماء الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم)، وفي زاوية قمار توجد أسماء طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنهم).

4.2. العناصر الزخرفية الرمزية:

الرمز هو لغة تشكيلية، يقوم الفنان باستعمالها في الفنون للتعبير عن أحاسيسه وأحاسيس المجتمع، والتعبير عن انفعالاتهم نحو كل شيء يمس مشاعرهم من معتقدات وأحداث.

■ النجوم:

ظهرت النجوم بمختلف أشكالها وأحجامها، منها الخماسية والسداسية والثمانية الأضلاع، فهذه النجوم إلى جانب كونها من العناصر الهندسية إلا أنها أدرجت ضمن العناصر الرمزية وذلك لما تحمله من دلائل ومعاني.

وهناك من يرى أنّ الأضلاع الخمسة للنجوم تمثل الاتجاهات الخمسة للكرة الأرضية والمقصود بها الشرق والغرب والشمال والجنوب بالإضافة إلى المركز، كما أنّ وجود الزوايا الخمسة للنجمة يتماشى مع العدد " خمسة " الذي هو رمز لحماية المكان والإنسان من عين الحسود¹.

واستعملت النجوم لمعرفة مسار الضالين في الليل الحالك سواء في البر أو البحر لقوله سبحانه وتعالى " وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقد فصلنا الآيات لقوم يعلمون "².

واستعملت في الحضارة السومرية والبابلية والأشورية والساسانية، وتعود أقدم الشواهد الفنية للنجوم تعود إلى العهد الأموي في فسيفساء قبة الصخرة (72هـ/691م) ببيت المقدس. وتواصل استخدام النجوم خلال فترة حكم المماليك بمصر، ثمّ انتشرت بشكل واسع في بلاد المغرب خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

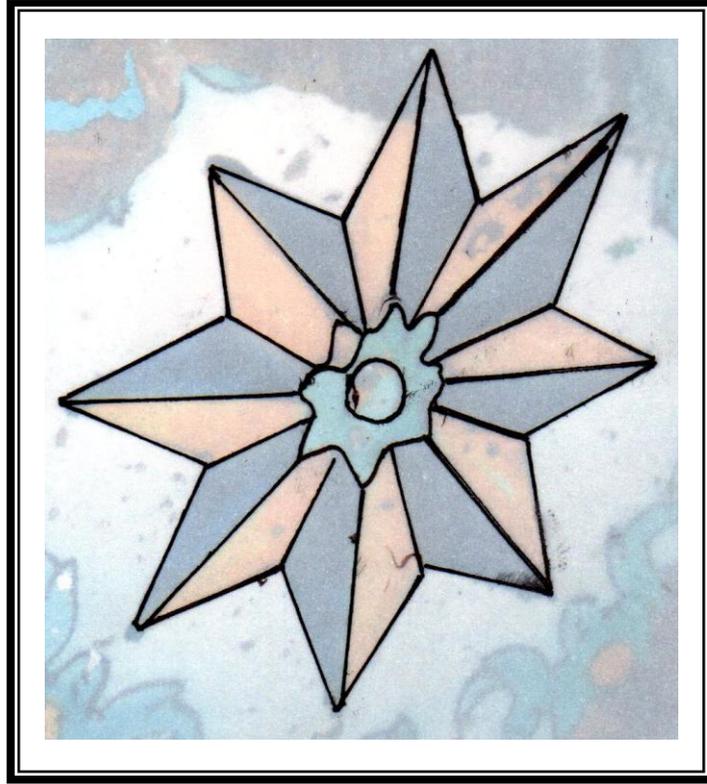
Arseven (C.E.), Op.cit., p.88.

1

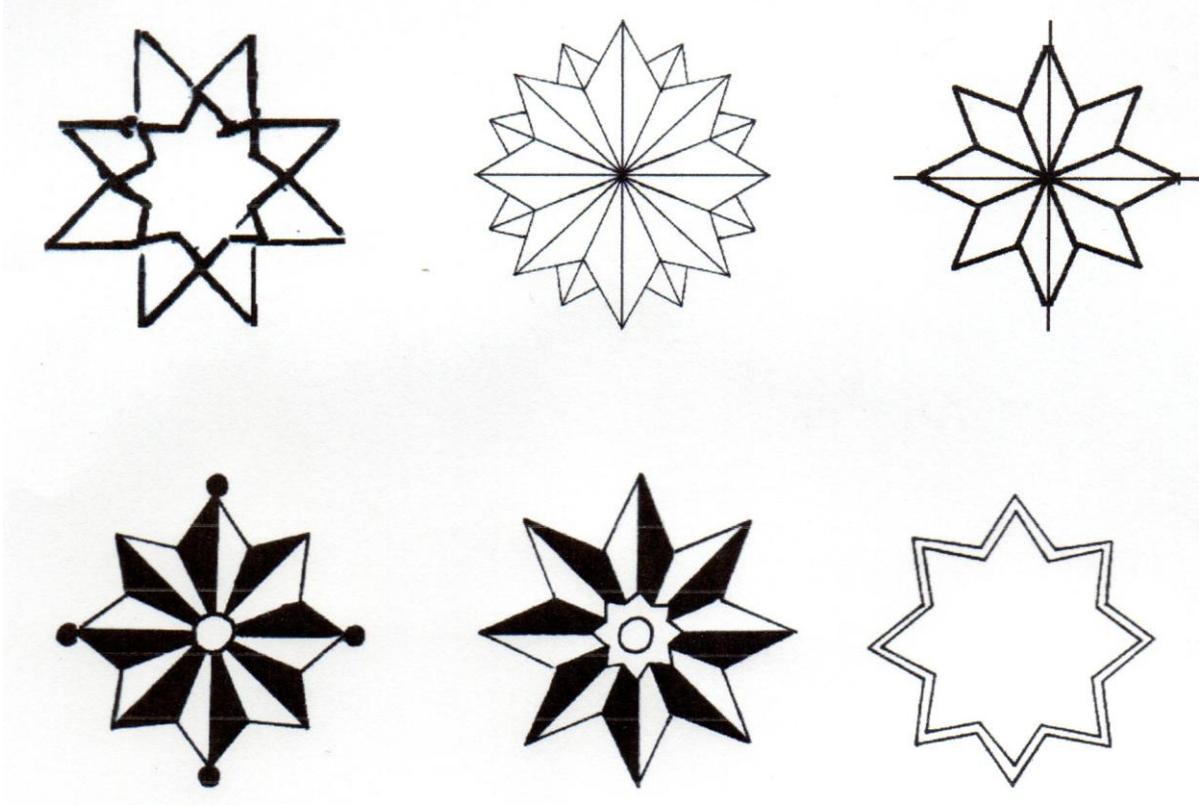
² سورة الأنعام، الآية 97.

وعرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية استخدام النجوم، وهو ما نجده في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي احمد بن يوسف الزاوية المختارية على البلاطات الخزفية تزدان جدران قاعة الضريح، بينما في زاوية سيدي محمد نجدها تتوسط الهلال في الباب الخشبي بالمدخل المؤدي إلى قاعة الضريح. **شكل**

كما نجده بكثرة في مختلف الزوايا التيجانية، كزاوية قمار مرسومة بنوعها الخماسية والسداسية، نفذت بواسطة الألوان المائية الداكنة، ونجدها أيضا في زاوية تماسين على الإطار الذي يعلو مدخل بيت الصلاة. (**شكل 76، 77**)



شكل 76 / نجمة ثمانية الأضلاع.



شكل 77 / أشكال النجوم وأنوعها

■ الأهلة:

يعتبر الهلال من العناصر الزخرفية التي تفنن الفنان المسلم في نقشه، سواء على التحف، أو على واجهات المباني العثمانية خاصة في مدينة الجزائر، نجده في المباني الدينية، المدنية، والعسكرية .

أمّا رمز الهلال عند المسلمين، فقد كان يستدل به على بعض التواريخ كالحج وبداية ونهاية شهر رمضان المعظم، ويقول سبحانه وتعالى " يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للنّاس و الحجّ " ¹.

¹ سورة البقرة، الآية، 189.

أمّا ظهور الهلال كشعار في الفن الإسلامي فيعود إلى مرحلة مبكرة، حيث نجده على النقود الساسانية التي ضربت سنة 75هـ / 695م¹.

أمّا عند العثمانيين، فيمثل الهلال الخلافة العثمانية حيث اتخذته شعارا لها، ظهر على المباني والمساجد، كما ظهر على البنايات الحربية، كما اتخذته الدول التابعة للخلافة العثمانية شعارا لدولتها كالجزائر.

وتعدد أشكال الهلال من حيث استدارته وسمكه، وتفنّن الفنان في تشكيله والتلاعب بهيئته، وتنويع صورته، فيتخذ شكل قوس متجاوز لنصف الدائرة، وتضييق فتحة أيضا وتغلق أحيانا لأخرى، شكّله الفنان برقة كبيرة ورشاقة.

استعمل الهلال في زاوية سيدي امحمد، إذ نجده مصنوع من النحاس يزين أعلى دفة الباب الخشبي بالمدخل المؤدي لقاعة الضريح، كما نجده في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي فوق قبة المركزية للضريح من الخارج، وفي زاوية تماسين يزين إطار العقود المحيطة بمدخل أحد البيوت الملحقة للزاوية. (شكل 78).



شكل 78/ أنموذج عن الأهلة.

الخاتمة

الخاتمة:

إنّ دراسة الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني جعلنا نستنتج النقاط التالية:

- مدينة الجزائر وعلى غرار المدن الأخرى المدروسة - في نشأتها وتطورها من حيث تصميم خططها وتشكّل نسيجها العمراني ومبدأ الحرمة في البناء وتوزع مساكنها وكثرة مساجدها وزواياها - كان الدين الإسلامي هو الموجه الرئيسي في ذلك كله.
- الزاوية هي مجموعة من البنايات ذات طابع ديني بحت، مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل والمسافرين، بها مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام وتشمل على بيوت للصلاة وضريح صاحب الطريقة أو مجموعة الأضرحة تضم رفات أفراد عائلته، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم المختلفة، وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية، والعلف للحيوانات.
- الزاوية لها أهمية كبيرة ومكانة اجتماعية ودينية بالجزائر، حيث تعتبر مركز شعائري والنواة الرئيسية أين نجد روح العادات والتقاليد الشعبية التي مازال الزائرون متمسكين بها إلى حد الآن.
- اهتمام الزوايا بعدة جوانب منها: تحفيظ القرآن الكريم، ونشره بصورة مكثفة واحتضان اللّغة والثقافة العربية الإسلامية وتعليمها بشكل واسع، ونشر الدين الإسلامي في جميع أصقاع العالم، وخرن الكتب والمخطوطات والدواوين في مختلف العلوم والفنون.
- الوثائق الأرشيفية العائدة إلى الفترة العثمانية تمثل رصيда تاريخيا أثريا وحضاريا هاما، لا يستغني عنه أي باحث في كتابة تاريخ الجزائر.
- دمج المعماري الجزائري بين الأساليب والتقاليد المغربية الذي يعرف بالطراز المحلي وبين الأساليب المعمارية التي جلبها العثمانيون والذي يسمّى بالطراز الوافد، حيث نجد تعايشا

بين الطرازين جنبا إلى جنب، كزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي الذي له تخطيط من الطراز الوافد في قاعة الضريح، والطراز التقليدي المحلي المغربي يظهر في عنصر المئذنة المربعة.

■ توفير المعماري في بيت الصلاة وقاعة الأضرحة أفضل الحلول المناسبة لإعطاء ما يسمّى بالوحدة المكانية وذلك بتقليصها من عدد الأعمدة والدعامات التي كانت تحمل بوائك البلاطات والأسايب ليظهر بيت صلاة بقبة مركزية ضخمة على غرار زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي أحمد بن يوسف.

■ اعتماد المعماري في زاوية سيدي أحمد بن يوسف على وسيلة أخرى غير الحنايا الركنية والمثلثات الكروية لتحويل المربع إلى مثنى، وهي وضع عمودين في كل ركن من الأركان الأربعة لمربع القاعة يحملان عقودا تؤدي دور التحويل إلى شكل المثنى.

■ استخدام البلاطات الخزفية على نطاق واسع في المحاريب وتكسية الجدران خاصة في الزوايا الموجودة في المناطق الشمالية كزاوية سيدي محمد وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي أحمد بن يوسف، واستعمال الألوان المائية في قاعات الضريح بشكل واضح في كل من زاوية تماسين بتقوت، وزاوية قمار بالوادي، وزاوية عين ماضي بالأغواط، باستثناء الزاوية المختارية بأولاد جلال حيث استخدم الفنان البلاطات الخزفية والألوان المائية جنبا إلى جنب.

■ قاعة الضريح المربعة في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي هي تقريبا نفسها في قاعة الضريح لزاوية سيدي أحمد بن يوسف من خلال المخطط المعماري.

■ تنوع عمائر الزوايا في تخطيطها العام، وتخطيط وحداتها ومختلف أجزائها وعناصرها المعمارية والفنية، وهو التنوع الذي لم يسبق وأن عرفته الجزائر قبل العصر العثماني، وهو يعكس مدى تأثير المعماري والفنان بالتقاليد التركبية في شتى المجالات، وتظهر تلك التأثيرات في ما يلي:

- استخدام القباب المركزية المضلعة، ونجد ذلك في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر وفي قاعة الضريح لزويتي سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، والزاوية المختارية بأولاد جلال.
- شكل المآذن المثلثة، في كل من زاوية سيدي محمد شريف بمدينة الجزائر، وزاوية عبد الرحمن باش تارزي بقسنطينة.
- استخدام البلاطات الخزفية على نطاق واسع في المحاريب، وتكسية الجدران.
- استخدام أساليب وعناصر زخرفية عثمانية، مثل الأسلوب الرومي، وعناصر الأزهار مثل زهرة اللاله والقرنفل، والأشجار كشجرة السرو، وبعض الأشكال الرمزية كالأهلة والنجوم.
- الزوايا من الجانب الفني لم تتأثر بالتقاليد التركية العثمانية فحسب، وإنما أيضا بتقاليد أوربية، وهي تظهر في بعض المواد المستوردة منها، على غرار البلاطات الخزفية التي ترجع صناعتها إلى تونس وإيطاليا وإسبانيا وهولندا، وهذا ما نجده خاصة في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي محمد وزاوية سيدي أحمد بن يوسف والزاوية المختارية.
- وإلى جانب التقاليد الفنية والمعمارية الواردة استمرت التقاليد المغربية المحلية التقليدية خلال العهد العثماني، نتاج عدة عوامل تضافرت معا في الإبقاء على ذلك الطراز، وقد انبثقت بعض هذه العوامل من خلال ما يمكن أن يطلق عليه اسم فلسفة الحكم العثماني، فقد ساهمت سياسة العثمانيين وهي الخاصة بإبقاء الأوضاع على ماهية عليه، في محافظة المجتمع الجزائري على طابعه العربي الإسلامي وسماته الرئيسية، وتقاليد وأعرافه ومعتقداته المختلفة، وهذا يعني أن العثمانيين لم يفرضوا ذوقا أو طرازا معماريا خاصا بهم، على اعتبار أن المغلوب يقتدي دائما بالغالب، والناس على دين ملوكهم كما يقال، ومن تم احتفظت العمارة الجزائرية المغربية الإسلامية منها الزوايا بطابعها المحلي الموروث، ويظهر ذلك في:
- وجود الصحن والأفنية في كل الزوايا، وهي من التقاليد المتجذرة في العمارة الجزائرية والمغرب الإسلامي عامة.

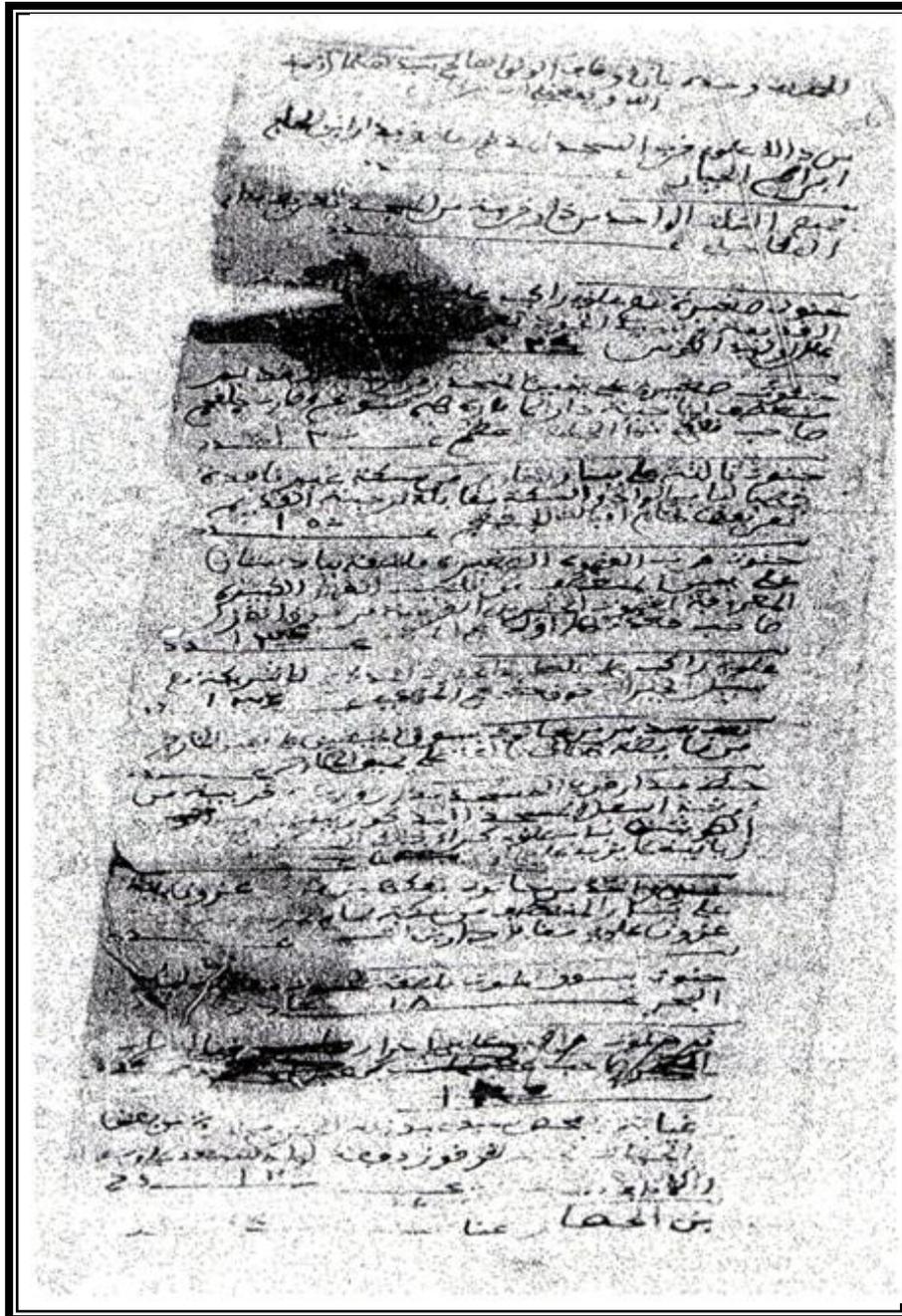
- استخدام المحاريب النصف دائرية والمضلعة.
- شكل المآذن المربعة، في كل من زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، وزاوية سيدي سالم بوادي سوف.
- القبيبات المشعة بالنسبة للمحاريب، وهذا ما نجده في محراب زاوية باش تارزي بقسنطينة.
- العقود على اختلاف أنواعها النصف الدائرية والمنكسرة والحدوية والمفصصة، والعقد الجزائري الذي يأخذ هيئة مقبض القفة الذي يعد ابتكارا جزائريا خلال العهد العثماني.
- استخدام عناصر زخرفية كانت معهودة في بلاد المغرب قبل العصر العثماني، منها المراوح النخيلية وورقة الأكانتس وورقة العنب، ومختلف الأشكال الهندسية الدائرية والمضلعة.
- الزاوية العثمانية بطولقة هدمت عن آخرها وأعيد بنائها من جديد، حيث لم يبق منها إلا التابوت.
- الهندسة العمرانية لزوايا الجنوب منسجمة مع روح العمارة والبيئة الصحراوية، حيث برع أهل الزاوية في تشييد المبنى وفق سعيهم إلى التغلب على مصاعب الطبيعة وقساوتها فاستعملوا في البناء مواد مؤهلة لذلك، منها: الطين والحجر وجذوع النّخيل والجص، وكلها تتوفر على قدر من المناعة الملبية لهذه الغاية، وجميعها يقتنى محليا، ومتوفر بهذا المحيط الطبيعي الواسع.

ملحق الوثائق

ملحق رقم 01 : وقفية ضريح سيدي هلال بدوي ، بخ ، وهو وقف دار للزاوية والضريح .

ب 132 - 133 ، وثيقة رقم 98 .

المصدر : الأرشيف الوطني ، وثائق المحاكم الشرعية .



قراءة للملحق رقم 01¹

- الحمد لله بيان أوقاف الولي الصالح هلال رحمه الله ونفعني الله به أمين
- جميع العلوي قرب مسجد الشيخ المذكور والملاصق بدار الحاج إبراهيم الجيار
 - وجميع الثلث الواحد من دار قريبة من المسجد تعرف بدار المكاحلي
 - وحنوت صغيرة على يمين المنحدر من الرحبة القديمة منعطف لناحية دار الإمارة كانت معدة لبيع الصابون وصارت حلقجي وصاحب قعدتها جانب الجامع الأعظم عدد عنايها 12 ريال
 - حانوت قريب القهوة الصغيرة ملاصقة ببادستان على يمين المنعطف من ناحية القهوة الكبيرة المعروفة بقهوة الخضرين القريبة من سوق الغزل صاحب قعدتها أولاد الحاج مهدي عدد عنايها 13.5 ريال
 - علوي راكب على الحانوت المذكورة مشترك مع سبل الخيرات فوق حانوت الحاج مهدي عدد عنايها 13.5
 - نصف سدس من حانوت بشوق الخياطين على يمين الخارج من مايضة هناك وهي الثالثة على اليمين
 - حظ من دار قرب المسجد تعرف بدار وريدة القريبة من كوشة أسفل المسجد المذكور بينهما وبين الكوشة باب علوي كراء ذلك الحظ ثلاث دنانير زيانية لا يزيد ولا ينقص
 - ثمان اثنان من حانوت بفكاهين باب عزون على يسار المنعطف من سكة حمام حمزة خوجة باب عزون علوي مقابل دار برات
 - وحنوت بسوق الحوت ملاصقة لحنوت مقابلة لباب البحر عدد قيمتها 18
 - غيابة بفحص سيدي عبد الله الحمزي مجاورة من بعض جهاتها لجنة قرقوز دفعت لولد السعدي على وجه العناء باثني عشر وستة أثمان
 - عناء يؤخذ من ابن الحصار قدره 4.5 هذا ما وجد بتذكرة المتضمنة الأماكن المحبسة على ضريح سيدي هلال.

¹ تم قراءة هذه الوثيقة والوثائق الأخرى بالتنسيق مع زملاء وأصدقاء من أساتذة وموهبين في اللغة والخط العربي، وأيضا بالإعتماد على مذكرة الماجستير، للسيد ياسين بودريعة، بعنوان: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، في التاريخ الحديث، من جامعة الجزائر 2، 2007/2006.

قراءة للملحق رقم 02:

كان السيد علي بن محمد الشريف عرف ابن جامع تملك جميع الدار الكاينة على مقربة من باب الجزيرة داخل البلد المذكور بالشراء الصحيح من إبراهيم ريس العشيبي الأندلسي وأشهد المشتري المذكور أن شراءه للدار المذكورة ينتفع بها مدة حياته وإن رزقه الله بذرية فتكون الدار المذكورة وقفا على ذريته إلى الانقراض وبعد ذلك تكون له واشترط النحبس المذكور أن يدفن في أحد بيوتها بتاريخ ربيع الأول سنة 1069

2- مناب من دار كاينة بحومة سيدي والي دادة مكترات بيد شارل ورسم الكراء المبدل القيمة موسيو شارل عام 1248

موضوع مع أوقاف سيدي أبي التقى نومروا 4 والقيمة مبينة برسم الكراء المزبور

3- هذه نسخة نقلت من جريدة تتضمن الأماكن الموقوفة على زاوية

القشاش وغيره ويتكلم على صدور قسمة أحباس الزاوية المذكورة في ليلة عرفة سنة 1250 على ثلاثة عشر سهما لكل واحد سبعة عشر ريالا

دram أخذ الوكيلان منابهما وأخذ الوكيل السهام الابقية ليفرقها عليهم و باقي لهم فاضلا على القسمة خمسة وثلاثون ريالا وأما القبض قبض

من كراء سي عبد الرزاق وبن باسيط ما قدره 24

قبض تعجيلا من كراء حانوت سوق الجديد 198.25 من كراء الدويرة

قبض من حانوت الحداد ما قدره 7.5

قبض عناء دويرة فوق بئر الجباح 84

قبض من كراء ديويرة بحمام المالح جمادى ورجب ما قدره 7

بلغ ابن القايد على نيابة عن المرأة الاسكنة في دار صاباط القطط 302.5

ويتكلم على عنان من دويرة الفروي فوق والي دادة سنة 1251 24.37

ويتكلم على حضوض دار بسوق السمن 42

ويتكلم على قبض كراء دار بعين السباط

ويتكلم على عناء حانوت بالقنداقجية 6

ويتكلم على كراء دار قرب حمام الكباش 18

وعلى كراء ريع دار الفروي أعلا كجاوة كراء ستة أشهر 45

وعلى قبض كراء من دار العمل على يد الوكيل 15

وعلى نصف حانوت بسوق السمن يقبض الوكيل 24

4- وبعد أن كان ما تعين حسبنا ووفقا من أوقاف جامع القشاش جميع الدويرة الكاينة بحومة القهوة الكبيرة و الحاج علي أمين الجيجيلية

بالسكة المقابلة [كذا] لزاوية أيوب الثانية على يسار الداخل للسكة المذكورة حسبما ذلك يتضمنه بوقفية كان بن محمد

المسجد الأعظم ووقف عليه شهيداه وتهدم بعض الدويرة وأهوى بعضها للسقوط وعجز إمام المسجد وهو

السيد قدور بن السيد محمد الحسيني هن إقامتها ودفعها بالعناء للمكرم أحمد منزول آغة بن محمد بما

قدره خمسة وسبعون ريال دراهم صغار في كل عام آت من تاريخه وذلك بتاريخ أواسط شعبان 1237 ثم أن أحمد منزول آغة المذكور باع الدويرة التي أحدثه بها للسيد الحاج علي أمين الجيجيلية كان حسبما ذلك

مبين برسم مؤرخ بأواخر ربيع الثاني 1240

5- رسم يتضمن قبض كراء لدار الكاينة بحومة عين الساباط وبسكة غير نافذة المحبسة على جامع زاوية القشاش رجب 1256

قراءة للملحق رقم 03:

الحمد لله بيان الأوقاف المحبسة على زاوية مولاي حسن بيد وكيلها السيد عبد الرحمن بن الشيخ بن جعدون —، — رقم 37 بتاريخ أواخر رمضان سنة 1248		
6	أوله كوشة الروي حجي شرط رقم 18	1
36	أعلى الروي داموي رقم 1 مهود	2
10.5	حانوت طريق باب الواد رقم 370	3
6	حانوت الروي لكرون رقم 6	4
6	حانوت الروي لكرون رقم 60	5
9	الروي جبني رقم 16	6
9	حانوت الروي جبني رقم 1	7
18	حانوت الروي جبني رقم 13	8
18	فرن الروي جبني رقم 1	9
90	ادوير الروي جبني رقم 11	10
10.5	حانوت دي ديوان رقم 41	11
10.5	حانوت الروي دي ديوان رقم 43	12
10.5	حانوت الروي دي ديوان رقم 4	13
72	بيتين بفندق الروي دي ديوان رقم 46	14
18	حانوت بطريق باب الوادي رقم 228	15
225	حمام الروي بودان رقم 21	16
72	دار الروي لابرت نوف رقم 290	17
108	دار الروي افريقية رقم 5 تعطي	18
54	ادويرة الروي افريقية رقم 5 تعطي	19

480	20 حانوت خارج باب عزون انهدموا	20
21	حانوت في المقاييسية مهدودة	21
7.5	حانوت الروي دي ديوان رقم 10	22
36	حانوتين في السقالة بباب الجزيرة رقم 90	23
7.5	حانوت باب الواد رقم 19	24
12	حانوت باب الواد نومر 29	25
15	حانوت باب عزون نومر 369	26
300	حانوت باب عزون نومر 171	27

قراءة للملحق رقم 04:

الحمد لله بعد أن خلص للمعظم الإمام الفخر الهمام من أطلق عنان القلم واستعار ما نطقت به العرب نظما ونثرا واتخذ البحر مداد المدادة الكاتب البليغ السيد محمد خوجة بدار الإمارة العلية في التاريخ تولى الله بالخير جزاءه، وحقق أماله، ورجاءه، ولا زالت سيادته وخصاله المرضية متسفة النظام منتشرة الأعلام مسرورة بالبقاء، والدوام جميع الفندق، والعلوي المذكورين معه في الرسم أعلاه يليه الكاينتين بحومة كجاوة، وبمقتضى ما قيد حيث أومى وفيما أحيل عنه الخلوص التام، وكان ذلك كذلك أشهد الآن السيد محمد خوجة دفتر دار المالك المذكور شهيديه على نفسه الكريمة أنه حبس ووقف وأبد الله تعالى بنية سنوية على أسس من التقوى مبنية، جميع ساحة الفندق والعلوي المذكورين، على أن يبني هناك مدرسة مشتملة على خمس بيوت يسكنها الطلبة للقراءة، واشتغال العلم، وعلى مسجد يقيم فيه الصلوات الخمس الطلبة المذكورون، وغيرهم من المسلمين، ويكون المسجد، والبيوت بأعلى الفندق المذكورة راكبين على بيوت أخرى بأرض الفندق معدة للكراء لمن أراد السمن بها أو البيع أو الشراء فيها والبيوت السفلية المذكورة تبني فيما فضل من الساحة عن بناء مطهرة أو مطهرتين لوضوء عامة الطلبة والمسلمين وأوقف لذلك ماء البير الموجود هناك وإن يسر الله لمعاوضة خيط ماء من ماء الحامة للشرب والوضوء يضاف لذلك وتكون غلة البيوت السفلية المذكورة للمسجد المذكور مضمونة لأوقافه التي تركزى إن شاء الله وعين المحبس المذكور ألف دينار واحد كلها ذهبنا عينا سلطانية يبني بها المسجد، والمدرسة المسطورة على الصفة المتقدمة المسطورة، أخرجها من ماله وأبانها عن كسبه ووضع عليها يد الحيازة لبناء ما ذكر بحيث إن أطال الله عمره ومدّ الله في حياته يكون صرف ذلك على يده وهو المتولي لإقامته على ما يقتضيه نظره السيد، أو من يصلح من ذريته بعده وإلا قام مقامه من يتعين لذلك على نظر أهل الفضل والصلاح ممن ترضى أمانته أو يعينه المحبس المذكور واشترط أن يرتب للمسجد المذكور إمام يؤذن به ويؤم به على ما جرت به العادة في نظاريه من مساجد الجزائر وتقام به الصلوات الخمس وأن يرتب أيضا به مدرس حنفي المذهب ويدرس العلوم عقبيها ونقليها وفرعيها وأصليها وأدبيها وجدليها إن وجد من يحسن ذلك وإلا فمثل من يحسن بعضها وأن يرتب به أيضا خمسة من الطلبة يقرؤون الحزب ظهرا وعصرا وأن يقرأ به تنبيه الأنام في الصلاة على النبي والسلام في كل يوم قبل الغروب من يصلي لذلك من إمام وغيره وأن يرتب لذلك فيما يتفقد مصالح المدرسة والمسجد من كنس وفرش وحصر وإصلاح مطهرة وغيرها، وعين المحبس المذكور من أوقاف المسجد التي تركزى للمدرس به دينار واحد محبوب في كل شهر وللإمام دينار واحد سلطاني في كل شهر ولكل واحد من قراء الحزب ريال

واحد دراهم في كل شهر ولقارئ تنبيه الأنام كذلك ولقيم الإصلاح ريال واحد صحيح بعينه في كل شهر وللطلبة الساكنين ببيوت المدرسة نصف ريال بعينه في كل شهر وأن يشتري أيضا في كل شهر رمضان ما يكفيه لإقامة التراويح وأن يشتري أيضا في كل شهر لأهل المسجد نصف قنطار من الزلابية كما هي العادة في غيرها وما حبسه السيد محمد خوجة المذكور أصلح الله حاله وبلغه في الدارين آماله على المدرسة والمسجد المذكورين جميع الدار الكائنة قرب زاوية الأندلس مع جميع الدار القريبة من باب الجديد سند الجبل مع جميع الدار الكائنة بحومة سباط القايد قاسم سند الجبل مع جميع الدار الكائنة بحومة كوشة علي سند الجبل أيضا حسبما تحبب كل منها مبين في رسمها بشهادة شهيديه مبين فيها البيان التام يخرج من غلة الأماكن المذكورة جميع ما ذكر من المصاريف مفصلا بعد التبديية بما يستدام به منفعة الحبس المذكور بما لذلك من حد وحق داخلا وخارجا وما عد منه وعرف به ونسب قديما وحادثا إليه وما فضل من بقية الغلة يجمع ويضم بعضه إلى بعض فإن حصل ما يشتري به موضع آخر ويوقف على ما ذكر حين أدى الحبس المذكور وما فضل عن ذلك كله وزاد فيصرف في الخيرات المؤبدة لعامة المسلمين على ما يقتضيه نظر القايم بالمدرسة والمسجد من ذرية المحبس إن وجد وعلا فالنظر لسبل الخيرات بالبلد المذكور تحببسا تاما مؤبدا ووقفا مخلدا لا يبيد عن حاله ولا يغير عن سبيله ومنواله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدل أو غير فأنه حسيهوسايله ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي و رفع المحبس المذكور عن الحبس المسطور ووضع بل يد الملك ووضع يد النظر للوقف المسطور ثم سال السيد محمد خوجة المحبس المذكور الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة قاضي المالكية ومحرر القضايا الدينية بمحروسة الجزائر في التاريخ أحسن الله إليه ورحم أبويه وهو عبد الله السيد [كذا] وسدده الحكم له بصحة الحبس المذكور على الوجه المسطور فأجابه إلى ذلك وأشهد شهيديه على نفسه الكريمة أنه حكم له بصحة ما ذكر حكما تاما أنفذه وأمضاه وسوغه وارفضاه وأوجب العمل بمقتضاه صح عنده موجب و تم لديه سببه شهد على السيد القاضي تعالى بما نسب فيه وعلى من ذكر بما ذكر على نحو ما بين فيه وسطر في أحواله الجائزة شرعا وعرفه بتاريخ أواسط شهر شعبان الميارك من علم إحدى ومائتين وألف.

ملحق رقم 05 : عقد تحبيس: دار تقع بحومة كوشة علي من طرف السيد الحاج امحمد

بوشمايم على زاوية وضريح محمد الشريف الزهار وزاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي.

علبة رقم: 82، وثيقة رقم: 23

المصدر: الأرشيف الوطني، وثائق المحاكم الشرعية.

هذا عقد تحبيس بين السيد الحاج امحمد بوشمايم على زاوية وضريح محمد الشريف الزهار وزاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي
والمصدر: الأرشيف الوطني، وثائق المحاكم الشرعية.

قراءة للملحق رقم 05:

الحمد لله بعد أن كان السيد الحاج امحمد التاجر ابن السيد بوشمايم به شهر حبس الله تعالى جميع الدار المذكورة في الرسم أعلاه يليه ابتداء على نفسه مدة حياته مقلدا في ذلك بعض أئمة مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وعن ساير الأئمة ثم بعد وفاته على ذريته إن قدر الله بذلك من الذكور والإناث على أن يكون بينهم للذكر مثل الأنثيين ثم على ذريتهم وذرية ذريتهم ما تناسلوا في الإسلام ومن مات منهم عن ذرية فلذريتهم ومن لم يخلف ذرية رجع نصيبه لمن هو في درجته ومن مات قبل وصول الحبس إليه عن ذرية فذريته تقوم مقامه فإن انقرضوا عن آخرهم ولم يبق واحد منهم فيرجع شطر الحبس المذكور على ضريح الولي الصالح سيدي محمد الشريف الزهّار نفعنا الله ببركاته أمين والشطر الباقي على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا الله ببركاته أمين والشطر الباقي على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا الله ببركاته أمين والشطر الباقي على ضريح سيدي عبد الرحمن المذكور يضاف ذلك لساير الأوقاف الموقوفة عليهم بعد التبديعية بإصلاح ما تستدام به منفعة الحبس المذكور حسبما التحبببببب المذكور ثابتا لدى الشيخ الإمام العالم العلامة القدوة الفهامة وهو السيد [كذا] وسدده وأعان على ما أولاه وقلده وإلى كل قول وعمل صالح ألهمه رشده بشهادة العدلين المرضيين وهما السيد موسى بن السيد عبد العزيز والسيد محمد المنور بن السيد أحمد الثبوت التام وتوفي الحاج محمد المحبس المذكور عن زوجة الولية الحرة التركية السيدة بنت الفقيه السيد عبد الرحمن بن الشيخ البركة السيد محمد بن الحفاف وعصبه ولدا أخيه وهما السيد على الحرار والسيد الفاسي نسبا لا غير في علم من علمه قام الآن السيد الحاج محمد وكيل ضريح محمد الشريف المذكور على السيد على الحمال في حقه وحق الورثة المذكورين يروم اخذ الحبس المذكور لكون المحبس المذكور حبس جميع الدار المذكورة ابتداء على نفسه ثم على ذريته ما تناسلوا في الإسلام ثم على المرجع المذكور ومات المحبس المسطور ولم يعقب ولم يكتب له رسم الحبس المذكور لمماطلته وذلك في السالف عن التاريخ بنحو ثلاثة أشهر ونيف وأنكره في ذلك السيد على المذكور إنكارا كليا محتجا عليه وأن عمه السيد الحاج محمد حبس في مرضه الذي مات فيه وكثر النزاع والخصام فما كان إلا أن ترافعا معا في شأن ما ذكر إلى الشيخ الإمام العالم العلامة السيد محمد قاضي المالكية كان ابن السيد إبراهيم وسدده وأدلى كل واحد منهما بدعوته المرقومة لديه أسعده الله تعالى كما ذكر فظهر للسيد القاضي المشار إليه

لازال مشارا إليه بخير بدليل الشرع القويم والصراط الواضح المستقيم حيث ثبت ما ذكر لديه كما سطر فالحبس صحيح لا سبيل لنقضه و لا موجب لحل منبرم عقده وأن ما ادعاه السيد علي المذكور في حقه وحق من ذكر باطل لا يلتفت إليه ولا يعول عليه طال الزمان أو قصر أصلا بوجه ولا حال ثم ترافعا من ذكر إلى المجلس العلمي المنعقد بالجامع الأعظم داخل البلد المذكور لدى السادات العلماء الأعيان ومصاييح الزمان من مفت وقاض المنعقد بهم المجلس المذكور كأعلموه بما ذكر كما ذكر فحينئذ أخبر بذلك السيد محمد بن السيد إبراهيم القاضي المذكور السادات العلماء المشار إليهم ولم يكتب له رسم ما ذكر وحكم بصحته كما سطر وذلك سألنا من التاريخ كما ذكر وكان ذلك كذلك طلب الآن السيد الحاج محمد المذكور من السيد القاضي في التاريخ الموافقة على ما حكم به السيد إبراهيم المشار إليه فأجابه إلى ذلك وأشهد شهيديه على نفسه الكريمة أنه حكم له بذلك حكما تاما أنفذه وأمضاه وسوغه وارفضاه وأوجب العمل بمقتضاه صح ما عنده موجه وتم لديه سببه وشهد على السيد القاضي حفظه الله تعالى بما نسب إليه فيه وعلى من ذكر بما ذكر على نحو ما بين فيه وسطر في أحواله الجائزة شرعا وعرفه بتاريخ تقدم فيه ما ذكر بنحو شهرين اثنين وتأخر الكب على اواخر حجة الحرام متم شهور الذي عـ1232ـام اثنين وثلاثين ومائتين وألف.

ملحق رقم 06 : عقد تحبیس خاص بالسيدة دومة بنت أحمد على ضريح عبد الرحمن الثعالبي.

علبة رقم 14، وثيقة رقم 50

المصدر: الأرشيف الوطني، وثائق المحاكم الشرعية.

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين والحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين
الشيخ فاضل الدين شيخنا الميرزا محمد باقر الخليلي الميرزا محمد باقر الخليلي
الميرزا محمد باقر الخليلي الميرزا محمد باقر الخليلي الميرزا محمد باقر الخليلي
وغير ذلك من اولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا
ووفقت لله تعالى جميع فرائضنا الشرعية على وجه التمام والتمام والتمام
انتموا اليه رضي الله تعالى عنه ونفعنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا
ينفع به عن طريق اولادنا الصالحين المذكورين وغير ذلك ورضعت يد الملك ووضعت
يد اختياره ليركب على اولادنا الصالحين المذكورين واولادنا واولادنا واولادنا
وانتقلنا الى ارضنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا
المجسدة المذكورة في اصل الحبر المذكور على ان الغرض من المذكور ان احتياجنا للاصلاح
مقتضى ديننا وديننا وديننا وديننا وديننا وديننا وديننا وديننا وديننا
في رصع بلعة الخانات المذكورة حسب ما ذكرنا في شهادة شهير يد ابونا انتموا
وقضت على من ذكرنا من اهل بيوتنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا
وغيرها الى ارضنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا
انتموا بغير اولى من اهل بيوتنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا
وغيرها الى ارضنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا واولادنا

قراءة للملحق رقم 06 :

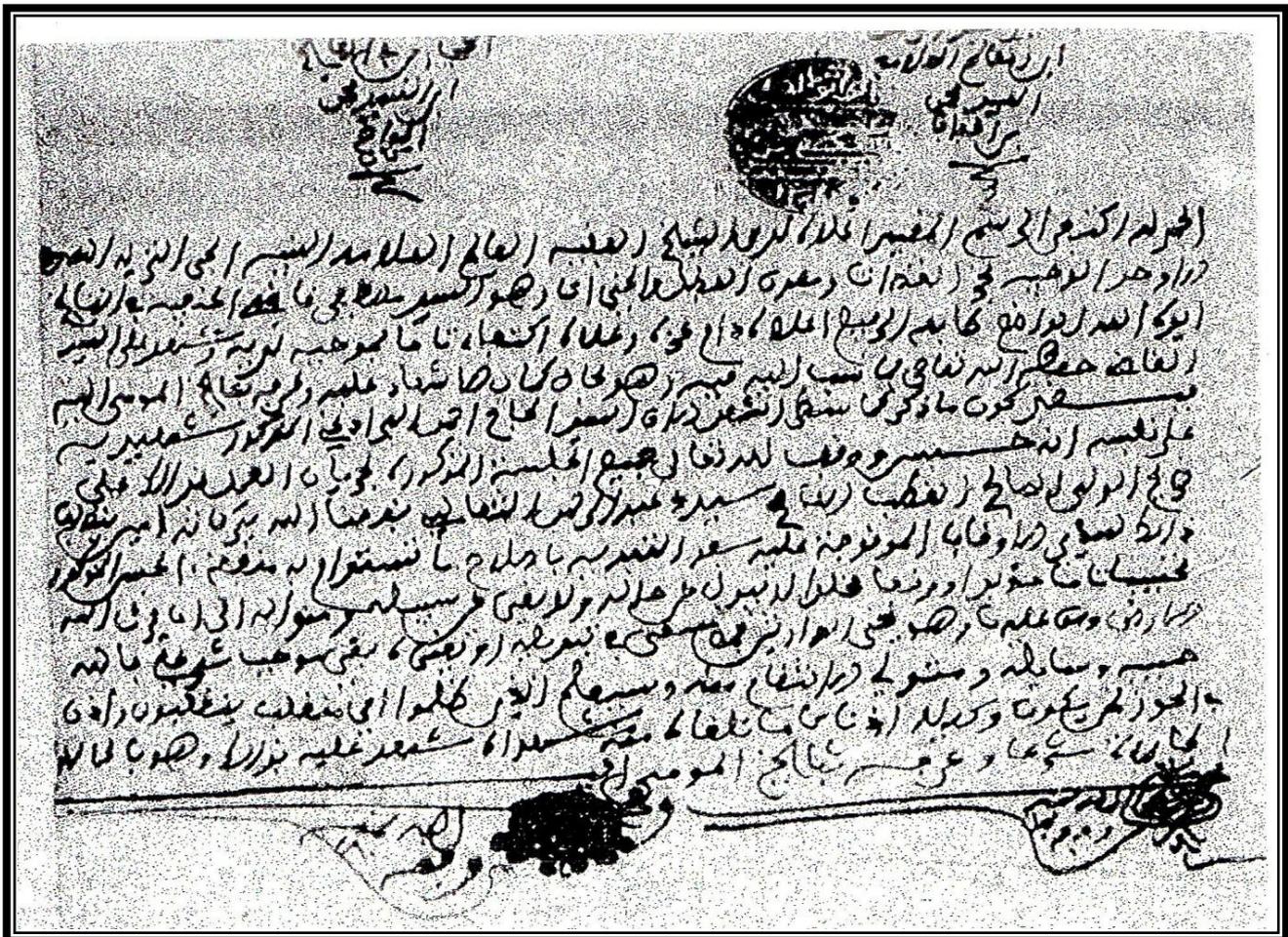
الحمد لله حضرت بمحضر شهيديه وبالمحكمة المالكية من بلد الجزائر المحمية بالله تعالى أمام قاضيها الشيخ الإمام الهمام العالم العلامة القدوة الفهامة المدرس المحقق المدقق المسمي نفسه فيه معلما به أحسن الله إليه وهو {كذا} وسدده الولية دومة بنت أحمد وأشدهما على نفسها أنها حبست ووقفت لله تعالى جميع قزانها من النحاس على ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه، ونفعنا وإياكم ببركاته وبركة أمثاله أمين ينتفع به عند ضريح الولي الصالح المذكور من طبخ والنظر له فيه من حوز واستغلال إلى أن يرث الله القزان المذكور إن احتاج للإصلاح من تقزير وترقيع وغير ذلك من كراء جلسة حانوتها الكاينة بكشاوة كما هو مبين ومسطر في رسم جلسة الحانوت المذكورة حسبما ذلك كله بشهادة شهيديه البيان التام وشهد على من ذكر بما ذكر على نحو ما بين فيه وسطر...بتاريخ أواخر محرم الحرام فاتح شهر عام أحد وأربعين ومائتين وألف.

ملحق رقم 07 : عقد تحبیس خیری من طرف السيد الحاج أحمد البرادعي لجلسة حانوت

على زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي سنة 1246هـ/1830م.

علبة رقم: 132-133 ، وثيقة رقم: 5

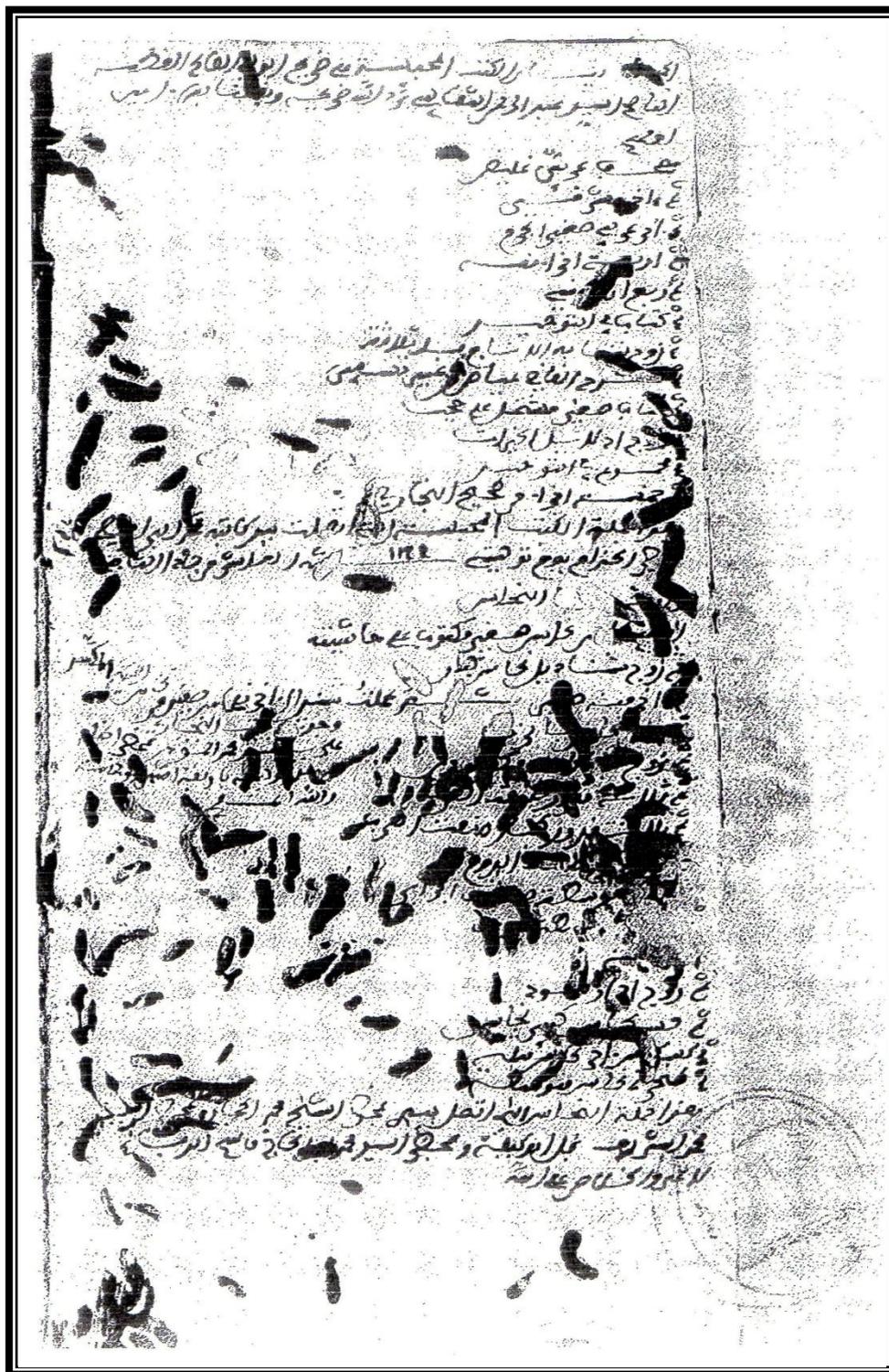
المصدر: الأرشيف الوطني، وثائق المحاكم الشرعية.



قراءة للملحق رقم 07:

الحمد لله اكتفى الرسم المقيد أعلاه لدى الشيخ الفقيه العالم العلامة النبيه الحبر النزيه [كذا] الوجيه فخر القضاة ومعد الفضل والخيرات وهو السيد مصطفى قاضي الحنفية في التاريخ لأيده الله الواضع طابعه الرفيع أعلاه دام عزه وعلاه اكتفاء تاما بموجبه لديه وشهد على السيد القاضي حفظه الله تعالى بما نسب إليه فيه وهو بحال كمال الأشهاد عليه وعرفه بتاريخ المومي إليه [كذا] كون ما ذكر كما سطر أشهد الآن السيد الحاج أحمد البرادعي المذكور شهيديه على نفسه أنه حبس ووقف لله تعالى جميع الجلسة المذكورة لجريان العمل بذلك على ضريح الولي الصالح القطب الناصح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله ببركاته أمين ينضاف ذلك لسائر الأوقاف الموقوفة عليه بعد التبديية بإصلاح ما تستدام به منفعة الحبس المذكور تحببسا تاما مؤبدا ووقفا مخلدا لا يبيد عن حاله ولا يغير عن سبيله ومنواله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فمن سعى في تبديله أو تغييره بغير موجب شرعي فانه حسيبهوسايله ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأذن في الحوز لمن يكون وكيله إذنا تاما تلقاه منه شهيداه شهد عليه بذلك وهو بالحالة الجائزة شرعا وعرفه بتاريخ المومي إليه.

ملحق رقم 08: بيان أوقاف ضريح عبد الرحمن الثعالبي من الكتب وأشياء أخرى يوم 10 جمادى الثانية 1144هـ/1731م بيت المال والبايلك ، سجل16، ورقة:03 .
المصدر: الأرشيف الوطني، سجلات بيت المال والبايلك



قراءة للملحق رقم: 08

الحمد لله بيان الكتب المحبسة على ضريح الولي الصالح القطب الناصح عبد الرحمن
الثعالبي برّد الله ضريحه ونفعنا به أمين

أولهم

مصحف عربي غليظ

ثم آخر شرقي

ثم آخر عربي صغير الحجم

ثم أربعة أجزاء منه

ثم ربع.....

ثم كتاب في التوحيد

ثم زوج تنبيه الأنام بل ثلاثة

ثم شرح القاضي عياض.....

ثم كتاب صغير يحتوي علىحجب

ثم زوج ادلائل الخيرات

ثم زوج مجموع في التوحيد

ثم مجموع أجزاء من صحيح البخاري

هذه جملة الكتب المحبسة التي اتصلت ببيد كاتبه محمد الخدام يوم توليتي
سنة 1244 العاشر من جمادى الثانية

..... النحاس

زوج من نحاس صغير مكتوب على حاشيته

ثم زوج شناديل نحاس كبار

ثم آخر منه صغير ثم عملت منه شنдал آخر نحاس صغير ونحاس الشيخ المكسر وجدت في
بيت النجار.....

ثم ثلاثة قدور صنعة العرب

ثم ثلاثة قدور كبار صنعة العرب

ثم.....

ثم.....

ثم.....

ثم.....

ثم زوج.....

ثم كسكاس كبير نحاس

ثم كسكاس آخر نحاس مثله

ثم طنجرة نحاس متوسط

هذا جملة النحاس التي اتصل بيدي بمحضر محمد الحجار وبمحضر سيدي الشريف نجل
الوكيلة وبمحضر السيد الحاج قاسم الدباغ لا غير والخلص على الله.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً. قائمة المصادر والمراجع باللّغة العربية.

ثانياً. قائمة المصادر والمراجع باللّغة الأجنبية.

أولاً. قائمة المصادر والمراجع باللّغة العربية:

1. المصادر /

❖ القرآن الكريم.

- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر)، كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: ابن شنب، ، ط2، الجزائر، 1919.
- ابن الحوقل (أبو القاسم التنصيني)، كتاب صورة الأرض، ج1، 1938.
- ابن الخطيب (السلماي لسان الدين)، تاريخ اسبانيا أو كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، دار الكشوف، بيروت، 1956.
- ابن تيمية، موسوعة فقه السنة (فقه التصوف)، ج3، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شقيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.
- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد)، الرحلة، سلسلة الأنيس، دار موفم للنشر، الجزائر، 1988
- ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6، بيروت، 1992.
- ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومنى عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
- ابن مرزوق (أبو عبد الله) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياذ، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981.
- الإدريسي (أبو عبد الله شريف)، وصف افريقية الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المطبعة الرسمية،الجزائر، 1957.

- الأنصاري (محمد بن القاسم) ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبنة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1969.
- البكري(عبيد الله)، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المأخوذ من كتاب المسالك والممالك، الأردن، 1911.
- بن السائح (العربي محمد)، بغية المستفيد لشرح منية المرید، تصحيح: عبد الوارث محمد علي، ط،2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- بن ميمون (محمد الجزائري)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
- التلمساني ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- حمدان (خوجة)، المرأة، وزارة الثقافة، 2007، ص120.
- الرازي (الإمام فخر الدين الرازي)، مختار الصحاح، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى البغا، ط،4، دار الهدى للطباعة، الجزائر، 1990.
- الزبيدي (محب الدين مرتضي) ، تاج العروس، تحقيق: علي يسري، دار الفكر، بيروت، 1994.
- الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة بيروت 1995.
- الزمخشري، (جار الله محمود)، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- الشنقيطي (محمد الخضر الجكني)، مشتهى الخارق الجاني، في رد زلقات التيجاني الجاني، ط،1، دار البشير، عمان، 1985.

- العبدري البنسي(محمد)، الرّحلة المغربية، تحقيق: أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية مطبعة البعث، الجزائر، 1974.
- العسكري (أبو الحسن بن عبد الله) ، كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه، الجزء الأول، القاهرة، 1808
- العنتري (محمد الصالح) ، تاريخ قسنطينة، تقديم: يحي بوعزيز، الجزائر، 1991.
- العياشي (أبي سالم)، الرّحلة العياشية، ماء الموائد، ج،1، ط،1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.
- القشيري (عبد الكريم بن هوازن)، الرسائل القشيرية، حققها وعلق عليها وترجمها: فير محمد حسن، باكستان، المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية، بدون تاريخ.
- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، لندن، 1906.
- المقرئزي (تقي الدين أبو العباس)، كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج،2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ب.ت.
- النّووي (محي الدين) ، شرح مسلم، المجلد، 3، بيروت، 2000.
- الوزان (حسن بن محمد الفاسي)، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد الأخضر، ج،2، بيروت، 1983.
- الونشريسي (أحمد)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب ج1، ط1 ، بيروت، 1981.
- اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن واضح)، وصف افريقيا الشمالية من كتاب البلدان، ط2 ، لندن 1892.

2. المراجع/

- أبو رحاب (محمد السيد محمد)، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر أشرف السعديين، ط،1، دار القاهرة، 2008.
- أبو زهرة (محمد) ، محاضرات في الوقف، الفكر العربي، القاهرة، 1772.
- أحمد توفيق (المدني)، كتاب الجزائر، ط،2، دار المعارف، الجزائر، 1963.
- أحمد فؤاد (عبد الفتاح)، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، ط،1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006.
- أصلان آبا (اوقطاي)، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى، استانبول، 1987.
- الأمير عبد القادر، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، جمع وتحقيق: زكريا صيام، الجزائر، 1988.
- أندرية (بكار) ، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، ترجمة: سامي جرجس، ج،1، نشر أتولية إيطالية، 1974.
- البابا (كمال)، روح الخط العربي، ط،3، دار العلم للملايين، بيروت، 1994.
- باشا (حسن) ، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، مصر، 1979.
- باغلي (سيد علي)، الجزائر - سلسلة فن وثقافة، ط،2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982..
- بالهادف (ابن سالم بن الطيب)، سوف تاريخ وثقافة، مطبعة الوليد، الوادي، 2008.
- بغوغ (محمد)، الزاوية الدرقاوية بحاضرة آسفي ومريدها من العلماء، تقديم: محمد الظريف، ط،1، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، 2006.
- بل (الفريد)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

- بلهادف (بن سالم)، سالمى(رشيد)، زاوية سيدي سالم الرّحمانية قلعة القرآن الكريم في ريوخ سوف، من إصدارات زاوية سيدي سالم، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر.
- بن العطار (أحمد بن مبارك)، تاريخ حاضرة قسنطينة، تعليق: عبد القادر نو الدين، الجزائر، 1952
- بن حموش (مصطفى) ، المدينة والسلطة في الإسلام، ط1، دبي، 1999.
- بن حموش (مصطفى)، مساجد مدينة الجزائر، زواياها و أضرحتها في العهد العثماني، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007.
- بن عزيزة (كمال)، " المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لمنطقة تماسين " ، مكتب الدراسات والإنجازات في التعمير، باتنة، 2008.
- بهنسي (عفيف)، الفن العربي الإسلامي، ج3، تونس، 1997.
- بورويبة (رشيد)، قسنطينة، سلسلة فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، 1978
- بوعزيز (يحي)، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، " ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2002.
- بوغفالة (ودان)، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينتي المدينة ومليانة في العهد العثماني، ط1، الجزائر، 2009.
- بونابي(الطاهر)، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجري الموافق 12 و13م، دار الهدى عين الملية، الجزائر، 2004.
- التر (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
- ترمجهام (سبتسر)، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997.
- التلمساني (أحمد بن هطال)، رحلة محمد " باي الغرب الجزائري " إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم الناجر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969.

- التليدي (عبد الله)، المطرب في مشاهير أولياء المغرب، الطبعة الثانية، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، 1987.
- توفيق (عبد الجواد)، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج3، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1972.
- الجبوري (كامل سليمان)، أصول الخط العربي، بيروت، 2000.
- الجيلالي (عبد الرحمان)، تاريخ الجزائر العام، ج1، لمطبعة العربية، الجزائر، 1984.
- الجيلالي (عبد الرحمان)، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط6، دار الثقافة، 1984.
- حاجيات (عبد الحميد)، تاريخ الجزائر السياسي في العهد الموحد، ضمن مجموعة الجزائر في التاريخ، ج3، الجزائر، 1984.
- حجي (محمد)، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ج2، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، 1999.
- الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، ط2، دار القاهرة، القاهرة، 2004.
- حداد (محمد حمزة إسماعيل)، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993.
- حرز الله (محمد العربي)، منطقة الزاب، قرن من المقاومة، مطبعة السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- حركات (إبراهيم)، السياسة والمجتمع، القاهرة. د.ت.
- حركات (إبراهيم)، السياسة والمجتمع في العهد السعودي، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، 1987.
- حساني (مختار)، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- حسن (حسن علي)، الحياة الدينية في المغرب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985.

- الحسيني (علي رضا)، زاوية علي بن عمر، الجزائر، د.ت.
- الحفناوي (محمد)، تعريف الخلف برجال السلف، ط،2، مؤسسة الرسالة، بيروت،1985.
- حلّمي (عبد القادر)، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، الجزائر، 1972.
- حملاوي (علي)، نماذج من قصور منطقة الأغواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006
- حمودي (العظمي خالد خليل)، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، العراق، 1980.
- حيدر (كامل)، العمارة العربية الإسلامية، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي، ط،1، دار المكر اللبناني، بيروت، 1995
- خليفة (ربيع حامد) ، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة، 2001.
- الدولاتي (عبد العزيز)، مدينة تونس في العهد الحفصي، ترجمة: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي دار سراس للنشر، تونس، 1978.
- دونوفو (إيدوارد) ، الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة: كمال فيلالي، دار الهدي عين مليلة، الجزائر، 2003.
- الرباعي(أحسن عرسان)، جداريات الجامع الأموي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000.
- الرياحي (عبد القادر)، العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها في سورية، ط،2، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 1988.
- ريمون (أندريه)، العواصم العربية، عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب: قاسم طوير، دمشق، 1986.
- الزبيري(محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في العهد العثماني، الجزائر، 1967

- زغلول(عبد الحميد سعد)، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.
- زهران(محمد أحمد)، فنون أشغال المعادن والتحف، مكتبة الأجلو مصرية، 1965.
- الزويي(ممدوح)، الطرق الصوفية، ظروف النشأة وطبيعة الدور، ط،1، الأهالي للتوزيع، دمشق، 2004
- زوزو (عبد الحميد) ، الأوراس إبان فترة الاستعمار، الجزائر، د.ت.
- زيدان (يوسف محمد طه)، عبد القادر الجيلاني، دار الجيل، بيروت، 1991
- سالمى (رشيد)، منارة سيدي سالم بوادي سوف معلم وتراث، ط،1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2009
- سامح (كمال الدين) ، العمارة الإسلامية في مصر، ط،2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983.
- سامح (كمال الدين)، العمارة الإسلامية في مصر، 1987.
- السحمراني (أسعد)، التصوف، منشؤه ومصطلحاته، دار النقاش، ط،2، بيروت، 2000
- سعد الله (فوزي)، قصبة الجزائر، الذاكرة الحاضر والخواطر، الجزائر، 2007.
- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج،1، بيروت، 1999.
- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 إلى 1930، ج،2، بيروت، 1969.

- سعيدوني (ناصر الدين) و بوعبدلي (مهدي)، *الجزائر في التاريخ*، ج4، الجزائر، 1984.
- سعيدوني (ناصر الدين)، *النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية*، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985.
- سعيدوني (ناصر الدين)، *دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر*، الجزائر، 1985.
- سليمان كامل (الجبوري)، *أصول الخط العربي*، بيروت، 2000.
- سويدي (جمال)، *الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم (القديم إلى 1830م)*، منشورات التل، الجزائر، 2007.
- شارل (أندي جوليان)، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، ج1، تعريب:، محمد مزالي، والبشير بن سلامة بيروت 1989.
- الشافعي (فريد)، *العمارة العربية في مصر الإسلامية*، مج1، القاهرة، 1970.
- شالر (وليام)، *مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر*، تعريب وتعليق: إسماعيل العربي الجزائر، 1982.
- شهبي (عبد العزيز) ، *الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر*، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007..
- شيميل (آنا ماري)، *كتاب الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية*، ترجمة: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، بغداد، 2006.
- صادق (محمد حاج)، *مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964.
- الصلابي (محمد علي)، *الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط*، ط1، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت، 2007.
- عبد الرؤوف الفقي (عصام الدين) ، *تاريخ الفكر الإسلامي*، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، ب،ت.

- عبد الستار (محمد عثمان)، المدينة الإسلامية، ط، 1، دار الآفاق العربية، لقاهاة، 1999
- عبد الكريم (محمد)، التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران، د.ت
- العجيلي (التليلي)، الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي في البلاد الفرنسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992.
- عقاب (محمد الطيب) ، مساكن قصر القنادسة الأثرية، دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- عقاب (محمد الطيب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر 2007.
- عكاشة (ثروت)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، القاهاة، 1994.
- العكرمي (حسن)، حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام، دار الهدى عين المليلة، 2008
- عميري (إبراهيم)، مواد وتقنيات العمارة القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 2010.
- غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، الجزائر، 2007.
- فكري (أحمد)، مسجد القيروان، القاهاة، 1936.
- فكري (أحمد)، مساجد القاهاة ومدارسها، ج1، مصر، 1965.
- فويال (سعاد)، المساجد الأثرية في مدينة الجزائر، الجزائر، 2006.
- فيلالي (مختار)، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن للطباعة، باتنة، الجزائر، 1976.
- قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الجزائر، د.ت.

- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، نشر وتصحيح آرثر جون أوبري، مصر، مكتبة الخانجي، سنة 1352هـ - 1933م.
- لعرج (عبد العزيز)، الزليج في العمارة الإسلامية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، بيروت، 1990.
- لمعي(صالح مصطفى)، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت.
- لومبيز(إيلي)، تطور العمارة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال وشمال إفريقيا، دار آسيا، بيروت، 1985
- ليفشر (رايمون)، تكايا الدراويش، ط1، ترجمة: عبلة عودة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011.
- مؤيد (صلاح العقبي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002
- مؤيد (صلاح)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002
- مارسيه(جورج)، الفن الإسلامي، ترجمة: عفيفي بهنسي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1968.
- مالتاس(فون)، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج3، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، د.ت.
- ماهر (سعاد)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحين، ج1، القاهرة.
- ماهر(سعاد)، الخزف التركي، القاهرة، 1972.
- ماهر(سعاد)، الفنون الإسلامية، ط2، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- محمد العربي حرز الله، أولاد جلال أصالة، حضارة وتاريخ، الجزائر، 2012.

- المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- مرزوق (محمد عبد العزيز)، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، القاهرة، 1974.
- مرزوق (محمد عبد العزيز)، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، د.ت.
- معروز (عبد الحق) ، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، الجزائر، 2007
- مفتاح (عبد الباقي) ، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، الجزائر، 2004.
- مفتاح (عبد الباقي)، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
- المنوفي (محمود أبو الفيض) ، المدخل إلى التصوف، القاهرة، الدار القومية، بدون تاريخ.
- الملي (مبارك بن محمد)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1975.
- النجار (عامر)، الطرق الصوفية في مصر، ط، 3، دار المعارف بمصر، 1986.
- نجيب (محمد مصطفى)، العمارة في العصر العثماني، القاهرة، تاريخها، فنونها، وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970.
- نسيب (محمد) ، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت.
- نعمات (أبو بكر)، فن النجارة والخشب، في كتاب الفن العربي الإسلامي، ج3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997.
- نور الدين (عبد القادر)، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ط2، الجزائر، 2007.
- ولي (طه)، المساجد في الإسلام، ط1 دار العلم للملايين، بيروت، 1988.

- ياسين(عبد الناصر)، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية (دراسة في ميتافيزيقيا الفن الإسلامي)، ط،1، مكتبة زهراء الشرق، 2006.

3. المقالات والمحاضرات/

- الغزاوي (عبد الجبار موسى)، " مزايا العقد والقبو في العمارة العربية في العراق "، المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية، تونس.1985.
- بلحميسي (مولاي)، " مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية " ، مجلة الأصالة، العدد8، الجزائر، 1972.
- بلحميسي (مولاي)، " مدينة مليانة عبر العصور "، مجلة الأصالة، العدد8، الجزائر، 1972.
- بلحميسي (مولاي)، " نهاية الدولة الزيانية "، مجلة الأصالة، العدد26، الجزائر، 1975.
- بن حموش (مصطفى أحمد)، " الوقف وتنمية المدن من التراث إلى التحديث، ندوة الوقف الإسلامي"، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، 6-7 ديسمبر 1997.
- بن شاهين (عزة بنت عبد الرحيم محمد) ، الإبداع المعماري والفني في الأضرحة الجزائرية، ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي انموذجا (786-875هـ) (1383-1479)، مجلة تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج 1، أعمال ملتقى دولي بتلمسان أيام 3،4،5 أكتوبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.
- بوعزيز (يحي)، " أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين "، مجلة الثقافة، العدد63، 1981.
- بوعزيز (يحي)، " تهريب الأسلحة عبر حدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الإحتلال " محاضرة قدمت في الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة أول نوفمبر 1954 بالوادي من 19 - 20 مارس 1999ن الجزائر.
- بونار (رابح)، " مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية " ، مجلة الأصالة، العدد8، 1972.

- جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار، في ملتقى أيام 14 - 15 - 16 ماي 1998، بالمركز الثقافي في مدينة أدرار.
- الحداد (محمد حمزة إسماعيل) ، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر، من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي (926 - 1265 هـ/1517-1848م)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2005.
- حلّمي (عبد القادر)، " أصول النشأة لمدينة الجزائر"، مجلة الأصالة، العدد 8، الجزائر، 1972.
- حوتية (محمد)، توات والأزواد خلال القرنين 12 و 13 الهجريين، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- راجعي (زكية)، " أثر الزخارف في تطور التاج المغربي الإسلامي"، مجلة الدراسات التراثية، العدد 1، يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2007.
- سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ط 1، بيروت، 1999.
- سعيدوني (ناصر الدين) " الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر أثناء القرنين (16 - 17) " حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، الجزائر 1993.
- سعيدوني (ناصر الدين) وبوعبدلي (مهدي) ، الجزائر في التاريخ، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- سعيدوني (ناصر الدين)، " نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر ومكانتها في تاريخ الجزائر الحديث"، مجلة التاريخ، العدد 04، الجزائر، 1976.
- شلتوت (وليد)، الأنماط المعمارية في العمران الصحراوي، المؤتمر الهندسي الثاني، كلية الهندسة، جامعة عدن، اليمن، 30، 31، مارس، 2009.
- شهبّي (عبد العزيز)، " بسكرة عاصمة الزيبان نشأة المدينة وتطورها"، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، مديرية التراث الثقافي، تندوف من 19 إلى 24 أبريل، الجزائر، 1996.

- عزوق (عبد الكريم) ، " الأضرحة ببجاية - دراسة انموذجية - " ، مجلة دراسة تراثية، العدد، 1، يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2007.
- عقاب (محمد الطيب)، " المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر " المؤتمر العاشر للآثار، تلمسان، 1982.
- عقاب (محمد الطيب)، " من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل (المربعات الخزفية) " ، مجلة الدراسات الأثرية، العدد2، جامعة الجزائر، 1992.
- غطاس (عائشة) ، " إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني " ، مجلة التاريخية المغاربية، العدد 86، 1997.
- غطاس (عائشة)، " سجلات المحاكم الشرعية، وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمدينة الجزائر العهد العثماني "، إنسانيات، العدد03، الجزائر، 1979.
- فقيقي (محمد الكبير)، " تأسيس الطرق الصوفية في إقليم الساورة "، دار علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، ملتقى بشار، العدد2، سلسلة القوافل العلمية، 2010.
- قرمان (عبد القادر) ، " المؤسسات التعليمية بتلمسان خلال العهد العثماني "، مجلة تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، لأعمال الملتقى الدولي بتلمسان أيام 3،4،5 أكتوبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.
- لبسيس (محمد)، " ومضات تاريخية من تماسين " ، مجلة النسيم الثقافي التماسيني، العدد التجريبي، مطبعة تقرت، ورقلة، 1998.
- لعرج (عبد العزيز) ، " النظام المعماري لمدارس المغرب، دراسة أثرية تحليلية "، مجلة الآثار، العدد8، دار الملكية للنشر والتوزيع والإعلام، يصدرها معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009.
- لعرج (عبد العزيز)، " مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر "، المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي 3، الندوة العلمية الرابعة، القاهرة، 2002.

• معزوز (عبد الحق) ، " قراءة في كتابة كوفية على درهمين موحدتين محفوظين بمتحف تلمسان " حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، العدد العاشر، الجزائر، 2001.

• مغلي محمد البشير الهاشمي، " التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي "، مجلة المصادر، العدد 6، مارس 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث من الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ، الجزائر، 1954.

• مياسي (إبراهيم)، " أضواء على تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة "، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، مديرية التراث الثقافي، تندوف من 19 إلى 24 أبريل، الجزائر، 1996 .

4. المذكرات والرّسائل الجامعية /

4.1. رسائل الدكتوراه:

- بن بلة (خيرة)، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008/2007.
- بن عبد الله (نور الدين)، قصور منطقتي توات الوسطى والقورارة، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2010/2009.
- بورابة (لطيفة)، التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية (حلب)، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008.
- خلاصي (علي)، قصبة الجزائر (القلعة و قصر الداوي)، رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985.
- دحدوح (عبد القادر)، مدينة قسنطينة خلال لعهد العثماني، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2010/2009.
- غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700 – 1830)، رسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2001/2000.
- لعرج (عبد العزيز)، المباني المرينية في تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999.

4.2. مذكرات الماجستير:

- بن كردرة (زهية)، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، رسالة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2000/1999.
- بودريعة (ياسين)، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2007/2006.

- حديبي (محمد)، الزوايا التيجانية بالجنوب الجزائري، مذكرة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012/2011.
- حسونة (عبد العزيز) ، النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف، مذكرة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2010/2009.
- حمدوش (زهيرة)، البلاطات الخزفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008.
- خليل (وهيبة)، أطلس المعالم الدينية لمدينة الجزائر خلال العهد الإسلامي، معهد الآثار، مذكرة الماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة للجزائر 2009/2008 .
- خنوق (اسماعيل)، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1844-1931)، مذكرة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر بباتنة، 2011/2010.
- دحمون (منى)، قصر بوسمغون بولاية البيض، مذكرة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005/2004.
- درياس (لخضر)، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة الماجستير الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1990.
- سالم (مصطفى)، الأطلس الأثري لإقليم الزاب في العهد الإسلامي بسكرة (انموذحا)، مذكرة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008.
- شطة (عطية)، البعد التربوي والروحي للزوايا، مذكرة الماجستير في علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر 2، ، 2008/2007.
- طويل (العبيدي) ، الزوايا الريفية بمنطقة سطيف، مذكرة التخرج لشهادة الماجستير في الآثار الريفية الصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011/2010.
- قرمان (عبد القادر) ، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني، مذكرة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008.

- لعزازي (رفيقة عتيق) ، مواد وتقنيات البناء خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2013/2012.
- مهيبيل (سعيد)، مواد وتقنيات البناء في قصر الداوي بقلعة الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008.
- موشموش (محمد)، مساجد مدينة تنس، مذكرة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار، الجزائر 2009/2008.

5. الموسوعات والقواميس /

- ابن منظور ، لسان العرب، مادة "رخم" ،ج15، ط1، دار صادر، بيروت ، 1994
- ابن منظور، لسان العرب، ج7، ط1، دار صادر، بيروت، 2000
- ابن منظور، لسان العرب، ج4، ط18، بولاق، 1900م.
- أبو حجر (أمتة) ، موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003
- بن عباد (إسماعيل) ، المحيط في اللّغة، ج5، ط1، تحقيق: حسن آل ياسين، دار الكتب، بيروت، 1991.
- عاصم (محمد رزق)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2000.
- غالب (عبد الرحيم)، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت، 1988.
- فيروز الأبادي (مجد الدين) ، قاموس المحيط، المجلد الثالث، دار الفكر، بيروت، 1983.
- قاجة (أحمد جمعة) ، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط1، لبنان، 2000،
- نقولا (نقاش) ، دائرة المعارف، م1، بيروت، 1955.

أولاً. قائمة المصادر والمراجع باللّغة الأجنبية:

1. المصادر /

- Le Docteur Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit par J.Mac Carthy, Chez Merlin, Editeur, Paris, 1830.
- Venture de Paradis ; Alger au XVIII° siecle, Topographie Adolphe Jourdan, Alger,1898.

2. المراجع /

3. المقالات والمحاضرات /

- Arseven (C.E.), Les arts décoratifs Turcs, Istanbul, 1952.
- Aumerat (A.), « La propriété urbaine », In Revue Africaine, Alger,1898.
- Ballu (A.), « Quelques mots sur l'art musulman en Algérie », IN *Revue Africaine*, Alger, 1904.
- Baron de saint Denys, Considération sur la régence d'Alger, Delaumary Libraire, Paris, 1831.
- Depont (O.) et Coppolani (X.), Les Confréries religieuses musulmanes, Adolphe Jourdan, 1897.
- Bloch (A.), « Etude sur le nom de Miliana », IN Bulletin d'Archéologie Algériennes », T.6, Alger, 1980.
- Bordin (M.), « Notes et question sur Sidi Ahmed Ben yousef », IN *Revue Africaine*, Alger, 1925.
- Bourouiba (R), Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique, O.P.U. Alger. 1986.

- Bourouiba (R.), *L'art religieux musulmane en Algérie*, Alger, 2eme édition, 1981.
- Brosselards, *Les Khouans de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie*, imprimerie de la Boguet, Alger, 1952.
- Caillé (J.), *La mosquée de Hacén à Rabat*, Paris, 1954.
- Cauvet (C.), « Les marabouts, petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique », *In Revue Africaine*, Paris, 1923.
- Colin (G.), *Corpus des inscriptions arabes et Turques de l'Algérie*, Paris, 1920.
- Delpech, (A.) « La Zaouia de sidi Ali ben moussa », *IN Revue Africaine*, N :18,1874, OPU, 1986.
- Delphin Gorges, « Histoire des pachas d'Alger de 1515 à 1745 », *IN Journal Aziatique*, Edition Ernest Leroux, Paris.
- Dermenghem, (E.), *Le Culte des sains dans l'islam magrébin*, Gallimard, Paris, 1954.
- Devoulx (A.), « Les édifices religieux de l'ancien Alger », *IN Revue Africaine*, Tome 6, 1898.
- Devoulx (A.), « Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger », *IN Revue Africaine*, Alger, 1867.
- Devoulx (A.), « Les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger » *IN Revue Africaine*. Alger, 1865.
- Devoulx (A.), « Notes historiques sur les mosquées et autres édifices d'Alger », *IN Revue Africaine*, Alger, 1861.

- Devoulx (A.), *Les édifices religieux de l'ancien Alger*, Typographie Bastide, Alger, S.D.
- Dokali (R.), *Les mosquée de la période Turque*, SNEP, Alger, 1974.
- Dussert (D.), et Bettier (G.), *Les mines et les carrières*, Paris, 1932.
- Ekrem(A.), *L'art en Turki*, Paris, 1981.
- Fagnan (E.), « Un chant Algérien du XVIII siècle), *IN Revue Africaine*, Alger,1894.
- Foucault (A),Raoult (J. F.) *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1996 .
- Gabriel (A.), « Les mosquées de Constantinople », *IN Syria*, T7, Paris, 1926.
- Ginette Aumassip, *Le Bas – Sahara dans la préhistoire*, 1986.
- Golvin (L.), *Essai sue l'architecture religieux musulmane*, T1, Paris, 1970.
- Gonzales (J.), *Essai chronologique sur les musulmans célèbre de la ville d'Alger*, Alger, 1886.
- Haedo(D.), « Topographie et histoire générale d'Alger », *IN Revue Africaine*, Alger, 1870.
- Kaddache (M), *L'Algérie durant la période Ottomane*, O.P.U, Alger, 1991, p.127.
- Klein(H.), *Les feuillets Del - Djazair*, Paris,1937 .
- Lambertie (R.M), *L'industrie de la pierre et du marbre*, presse universitaire de France, 1962.
- Le Glay (M.) « A la recherche d'Icosium », *IN Antiquités Africaines*, T2, Alger, 1968.

- Lespes (R), « *Variations de la population d'Alger avant 1830* », IN *Armée d'Afrique* n11, Alger, 1925.
- Lewis (B.), *Le monde de l'islam*, Paris, 1976.
- Louis Rinn, *Marabouts et Khouans étude sur L'islam en Algérie*, Alger, Adolphe, Jourdan, 1988.
- Maguelone (M.J.), « *Monographie historique et géographique de la tribu des Ziban* », Recueil des notices et mémoires de Constantine, N44, Constantine, 1910.
- Marçais (G.), *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.
- Marçais (G.), *L'art en Algérie*, imprimerie Algérienne, Alger, 1906.
- Marcel (P.), *La qibla et le mihrab*, Alger, 1972, p.13.
- Marchand (H.), « *Bulletin de la société préhistorique Française* », Volume 36, N6, Paris, 1936.
- Missoum (S.), *Alger à l'époque Ottomane – La médina et la maison traditionnelle*, INAS, Alger, 2003, p.73.
- Oliver (E.), *Technologie des matériaux de construction*, T.II, Paris.
- Pareja (F.M.), *Islamologie*, Beyrouth, 1957-1963.
- Philippe (p.), *Etapas Sahariennes*, Alger, 1980.
- Raymond (A.), *grandes villes arabes à l'époque Ottomane*, Paris, 1985.
- Revares (J.), *L'habitation Tunisoise, pierre, marbre et fer dans la construction et le décor*, Paris, 1978.
- Roches (L.), *Trente deux ans à travers l'Islam (1832-1864)*, Librairie de Firmin Didot, Paris, 1884.

- Roger Duvollet, *D'Alger à Tamanrasset*, Tome3, 1983.
- Roger Duvollet, *Villages d'Algérie et oasis du Sahara*, Tome7, 1987.
- Rozet (M.), *Voyage dans la régence d'Alger, et description du pays occupé par l'armée française en Afrique*, t.3, Paris, 1833
- Sabag (P.), *La grandes mosquées de Kairouan*, Delphale, 1963.
- Steirlin (H.), *Comprendre l'architecture universelle*, office du livre, Paris, 1977.
- Ulyavogt(G.), *Turquie Ottomane*, Suisse, 1965.
- Zaccone (J.), *De Batna à Touggourt et au Souf*, Paris, 1865.
- Zarar Cherif, « Le Marabout de belcourt, lieu de pèlerinage au tombeau d'un sain », *IN Alger revue*,1955.

4. الرسائل الجامعية والموسوعات/

- Cherif (M.), *Les dynamique actuelle sur Sidi Ahmed Ben youcef à Miliana*, doctorat 3^{ème} sicle, Paris, 1976.
- *Encyclopedie de l'Islam* : Article « Hilal » , Nouvelle ed,T8,Paris, 1986.
- Nahoum Weissman, *Les Janissaires*, Thèse de doctorat université des lettres, Librairie Orient édition, Paris, 1964.
- Quatemère de Quincy, *Encyclopédie méthodique, architecture*, Paris,1985.

الفهارس

فهرس الخرائط

■ فهرس الخرائط/

الصفحة	عناوين الخرائط	رقم الخريطة
28	التقسيم الإداري للجزائر في الفترة العثمانية	خريطة رقم 1
98	المدن والأقاليم المنتشرة فيها الطريقة التيجانية	خريطة رقم 2
370	أهم محاجر الرخام في الجزائر	خريطة رقم 3

فهرس المخططات والأشكال.

أ. فهرس المخططات.

ب. فهرس الأشكال.

أ. فهرس المخططات/

الصفحة	عناوين المخططات	رقم المخطط
33	أبواب مدينة الجزائر	مخطط 1
44	أسوار وأبواب مدينة مليانة	مخطط 2
45	تطور مدينة مليانة من بداية العهد العثماني إلى الفترة الفرنسية	مخطط 3
194	زاوية بايزيد - أنطاكيا (تركيا)	مخطط 4
195	زاوية مراد الأول - أنطاليا (تركيا)	مخطط 5
196	تكية الأحمدية - استانبول	مخطط 6
197	زاوية رضوان بك - القاهرة	مخطط 7
198	زاوية الشيخ سعود - القاهرة	مخطط 8
199	زاوية محمد درغام - القاهرة	مخطط 9
200	زاوية حسن الرومي - المحجر (القاهرة)	مخطط 10
201	التكية السليمانية - دمشق	مخطط 11
237	زاوية سيدي هلال - مدينة الجزائر	مخطط 12
237	زاوية سيدي هلال - السطح	مخطط 13
238	زاوية سيدي الجودي	مخطط 14
239	زاوية سيدي والي داه	مخطط 15
240	زاوية مولى حسن	مخطط 16

241	زاوية سيدي أحمد بن عبد الله	مخطط 17
242	زاوية شخطون	مخطط 18
243	زاوية سيدي محمد شريف - مدينة الجزائر	مخطط 19
244	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - مدينة الجزائر	مخطط 20
245	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - مخطط الضريح سنة 1696	مخطط 21
246	زاوية سيدي محمد بوقبرين - مدينة الجزائر	مخطط 22
247	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - مليانة.	مخطط 23
248	زاوية ياش تارزي - قسنطينة	مخطط 24
249	زاوية تماسين - تقرت.	مخطط 25
250	زاوية قمار - وادي سوف.	مخطط 26
251	زاوية شيخ المختار - أولاد جلال	مخطط 27
252	زاوية بوسمغون - البيض.	مخطط 28

ب. فهرس الأشكال/

الصفحة	عناوين الأشكال	رقم الشكل
173	زاوية قمار - وادي سوف	شكل 1
178	زاوية سيدي سالم - وادي سوف	شكل 2
256	زاوية سيدي محمد - مدخل الزاوية	شكل 3
258	زاوية سيدي احمد بن يوسف - مدخل قاعة الضريح	شكل 4
260	زاوية بوسمغون - المدخل الرئيسي	شكل 5
260	زاوية بوسمغون - المدخل الثانوي	شكل 6
276	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - المحراب	شكل 7
276	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - المحراب	شكل 8
277	زاوية سيدي محمد - المحراب	شكل 9
277	زاوية باش تارزي - المحراب	شكل 10
278	زاوية بوسمغون - المحراب	شكل 11
278	زاوية بوسمغون - المحراب	شكل 12
287	زاوية سيدي محمد شريف - المئذنة المثلثة	شكل 13
288	زاوية باش تارزي - المئذنة المثلثة	شكل 14
288	زاوية سيدي محمد - المئذنة المثلثة	شكل 15

289	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - المئذنة المئمنة	شكل 16
289	زاوية سيدي سالم - المئذنة المربعة	شكل 17
307	أنواع الأبدان	شكل 18
308	زاوية محمد شريف - قواعد الأعمدة	شكل 19
309	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - ثلاثة نماذج من قواعد الأعمدة	شكل 20
309	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - بدن أسطواني	شكل 21
309	زاوية سيدي محمد - الأعمدة الثنائية	شكل 22
309	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - الأعمدة الثلاثية	شكل 23
310	الزاوية المختارية - نماذج من التاج البسيط	شكل 24
310	زاوية باش تارزي - النموذج للتاج المركب	شكل 25
321	زاوية تماسين - انموذج من العقد الدائري	شكل 26
322	العقد المنكسر المتجاوز	شكل 27
322	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - انموذج من العقد المفلطح	شكل 28
325	انموذج من المثلثات الكروية	شكل 29
329	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - القبو المتقاطع	شكل 30
333	الزاوية المختارية - الواجهة الخارجية	شكل 31
333	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - قبة الضريح	شكل 32

351	طريقة التسقيف بالقرميد	شكل 33
355	طريقة بناء الأساسات البسيطة	شكل 34
351	طريقة بناء الأساسات على أرضية منحدرية.	شكل 35
358	طريقة بناء العقود	شكل 36
376	عملية بناء القباب - القبة المركزية	شكل 37
376	زاوية قمار - باب تقليدي ذو مصرع واحد	شكل 38
376	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - باب مزخرف	شكل 39
379	الزاوية المختارية - الزخرفة على الخشب	شكل 40
380	زاوية تماسين - مزهية قوامها: ثلاثة ورود	شكل 41
381	زاوية تماسين - معينات ودوائر صغيرة	شكل 42
382	زاوية عين ماضي - خطوط منحنية	شكل 43
386	زاوية قمار - مربعات ودوائر - مقبض الباب	شكل 44
418	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: مزهريات وأزهار وورود	شكل 45
419	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: مزهية	شكل 46
419	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: زهرة القرنفل ووريقات صغيرة	شكل 47
420	بلاطات خزفية قوامها: شجرة السرو ودوائر	شكل 48
421	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: أوراق العنب	شكل 49

421	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها:مربعات ومثلثات وورود	شكل 50
422	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: مراوح نخيلية وأنصافها	شكل 51
422	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: نجمة ثمانية الأضلاع	شكل 52
423	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: وريقات ودوائر صغيرة	شكل 53
423	بلاطات خزفية قوامها: معينات ووريقات صغيرة	شكل 54
424	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: مربعات ومثلثات وورود	شكل 55
424	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: أوراق منحنية	شكل 56
425	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها:زهرة القرنفل	شكل 57
425	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: خطوط متقاطعة ومنعرجة	شكل 58
426	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: الأوراق النباتية	شكل 59
426	بلاطات خزفية قوامها: مربعات وخطوط محورة	شكل 60
427	بلاطات خزفية قوامها:نجمة ثمانية الأضلاع وأنصاف المراوح النخيلية	شكل 61
427	بلاطات خزفية ذات زخرفة قوامها: نجمة ثمانية الأضلاع ودوائر صغيرة	شكل 62
430	أنواع الأزهار المستعملة في الزخرفة النباتية	شكل 63
431	تصميم زخرفي قوامه رباعيات البتلات وزهرة القرنفل كعنصر أساسي	شكل 64

433	الزاوية المختارية - زهرة مركبة بالجدار الغربي لقبة الضريح	شكل 65
436	أنواع الأوراق والمراوح النخيلية وأنصافها	شكل 66
439	انموذج من ورقة الأكانتس	شكل 67
443	بلاطات خزفية قوامها: عنقود العنب وورود وأزهار محورة	شكل 68
443	ورقة الرمان	شكل 69
447	انموذج من الطبق النجمي	شكل 70
448	زاوية قمار - طبق نجمي بسقف الشارع الشرقي	شكل 71
456	زخرفة كتابية قوامها: أبيات شعرية	شكل 72
457	زخرفة كتابية	شكل 73
458	زخرفة كتابية	شكل 74
459	زخرفة كتابية	شكل 75
462	نجمة ثمانية الأضلاع	شكل 76
463	أشكال النجوم وأنواعها	شكل 77
464	انموذج من الأهلة	شكل 78

فهرس الصور

الصفحة	عناوين الصور	رقم الصورة
29	منظر لمدينة الجزائر	صورة 1
34	باب عزون - مدينة الجزائر	صورة 2
35	باب الوادي من خارج المدينة	صورة 3
36	باب الديوانة تحت الجامع الجديد	صورة 4
50	الحي القديم - مدينة قسنطينة	صورة 5
51	مدينة قسنطينة - سوق رحبة الصوف	صورة 6
57	الزاوية المختارية - رحبة السوق في اتجاهها الغربي	صورة 7
58	صورة قديمة للرحبة	صورة 8
61	المدينة القديمة - عين ماضي	صورة 9
68	قصر بوسمغون	صورة 10
142	الكتابة التأسيسية الأولى لزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي	صورة 11
142	الكتابة التأسيسية الثانية لزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي	صورة 12
143	الكتابة التأسيسية الثالثة لزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي	صورة 13
143	حبوس على زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - طبق من النحاس الأخضر	صورة 14

155	الزاوية العثمانية حديثا	صورة 15
165	الزاوية المختارية	صورة 16
167	منزل مسقط أحمد التيجاني - عين ماضي بالأغواط.	صورة 17
175	صورة قديمة - زاوية سيدي سالم بوادي سوف	صورة 18
214	زاوية سيدي يعقوب	صورة 19
215	زاوية سيدي السعدي	صورة 20
155	زاوية سيدي محمد شريف - المدخل الرئيسي	صورة 21
155	زاوية سيدي محمد شريف - بنية عقد	صورة 22
256	زاوية سيدي محمد - مدخل الزاوية	صورة 23
258	زاوية سيدي أحمد بن وسف - المدخل الرئيسي	صورة 24
258	زاوية سيدي أحمد بن وسف - مدخل قاعة الصلاة	صورة 25
259	زاوية سيدي أحمد بن وسف - مدخل قاعة الضريح	صورة 26
259	زاوية بوسمغون - المدخل الرئيسي	صورة 27
259	زاوية بوسمغون - المدخل الثانوي	صورة 28
261	زاوية قمار - المدخل الرئيسي	صورة 29
261	زاوية عين ماضي - المدخل الرئيسي	صورة 30
366	زاوية سيدي محمد شريف - الصحن	صورة 31

366	زاوية سيدي أحمد بن وسف - الصحن	صورة 32
367	زاوية بوسمغون - الصحن	صورة 33
270	زاوية سيدي محمد شريف - المحراب	صورة 34
270	زاوية سيدي محمد - المحراب	صورة 35
272	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - المحراب	صورة 36
272	زاوية سيدي أحمد بن وسف - المحراب	صورة 37
272	زاوية باش تارزي - المحراب	صورة 38
273	زاوية بوسمغون - المحراب	صورة 39
281	زاوية سيدي محمد شريف - المئذنة المثلثة	صورة 40
282	زاوية سيدي محمد - المئذنة المربعة	صورة 41
282	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - المئذنة المربعة	صورة 42
284	زاوية سيدي أحمد بن وسف - المئذنة المربعة	صورة 43
284	زاوية باش تارزي - المئذنة المثلثة	صورة 44
286	زاوية سيدي سالم - صورة لمدينة قديمة	صورة 45
291	زاوية سيدي أحمد بن وسف - دعامات المسجد	صورة 46
292	زاوية عين ماضي - دعامات بيت الصلاة	صورة 47
294	زاوية بوسمغون - دعامة مدمجة في الجدار	صورة 48

296	زاوية سيدي محمد شريف - القواعد	صورة 49
296	زاوية سيدي محمد شريف - البدن	صورة 50
297	زاوية سيدي محمد - انموذج من القواعد	صورة 51
297	زاوية سيدي محمد - انموذج من القواعد	صورة 52
297	زاوية سيدي محمد - بدن العمود	صورة 53
298	زاوية سيدي محمد - أعمدة ثنائية	صورة 54
298	زاوية سيدي محمد - تيجان الأعمدة	صورة 55
298	زاوية سيدي محمد - تاج العمود	صورة 56
298	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - انموذج من القواعد	صورة 57
299	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - انموذج لتيجان الأعمدة	صورة 58
301	زاوية سيدي أحمد بن وسف - انموذج من القواعد	صورة 59
301	زاوية سيدي أحمد بن وسف - انموذج من القواعد	صورة 60
302	زاوية سيدي أحمد بن وسف - بدن العمود	صورة 61
302	زاوية سيدي أحمد بن وسف - أبدان العمود	صورة 62
303	زاوية سيدي أحمد بن وسف - ورقة التين تتدلى من تحت القرون	صورة 63
304	الزاوية المختارية - أعمدة ثنائية	صورة 64

304	الزاوية المختارية - تاج العمود	صورة 65
314	زاوية سيدي محمد - عقد منكسر	صورة 66
315	زاوية سيدي محمد - العقد الحذوي	صورة 67
316	زاوية سيدي أحمد بن وسف - عقد منكسر	صورة 68
317	زاوية سيدي أحمد بن وسف - العقد المفلطح	صورة 69
317	الزاوية المختارية - عقد نصف دائري	صورة 70
317	الزاوية المختارية - عقد نصف دائري	صورة 71
318	زاوية عين ماضي - العقد المفصص	صورة 72
319	زاوية قمار - عقد منكسر	صورة 73
323	زاوية سيدي محمد شريف - حنية ركنية	صورة 74
323	زاوية عين ماضي - حنية ركنية	صورة 75
324	زاوية سيدي محمد - مثلثات كروية	صورة 76
324	الزاوية المختارية - مثلثات كروية	صورة 77
328	زاوية سيدي محمد - القبو المتقاطع	صورة 78
327	زاوية سيدي محمد - القبة التي تتقدم المحراب	صورة 79
327	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - القبو المتقاطع	صورة 80
329	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - القبة من الخارج	صورة 81

330	زاوية باش تارزي - القبة من الداخل	صورة 82
331	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - طريقة الإنتقال	صورة 83
331	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - طريقة الإنتقال	صورة 84
332	الزاوية المختارية - القبة من الداخل	صورة 85
334	زاوية عين ماضي - القبة من الداخل	صورة 86
334	زاوية عين ماضي - القبة من الخارج	صورة 87
334	زاوية تماسين - القبة من الداخل	صورة 88
335	زاوية تماسين - القبة من الخارج	صورة 89
335	زاوية قمار - القبة من الخارج	صورة 90
337	الزاوية المختارية - انموذج من التسقيف	صورة 91
337	زاوية بوسمغون - انموذج من التسقيف	صورة 92
338	زاوية قمار - انموذج من التسقيف	صورة 93
341	زاوية سيدي محمد شريف - نافذة	صورة 94
341	زاوية سيدي محمد - نافذة	صورة 95
341	زاوية سيدي محمد - نافذة	صورة 96
342	زاوية سيدي أحمد بن وسف - نافذة	صورة 97
342	زاوية سيدي أحمد بن وسف - نافذة	صورة 98

350	زاوية سيدي أحمد بن وسف - مادة الأجر	صورة 99
352	زاوية سيدي أحمد بن وسف - مادة القرميد	صورة 100
366	زاوية سيدي محمد - الزخارف الجصية في قبة الضريح	صورة 101
366	زاوية سيدي أحمد بن وسف - الزخارف الجصية	صورة 102
366	زاوية باش تارزي - الزخارف الجصية	صورة 103
367	زاوية تماسين - الزخارف الجصية	صورة 104
377	زاوية سيدي أحمد بن يوسف - باب خشبي	صورة 105
377	زاوية تماسين - باب خشبي لقاعة الضريح	صورة 106
378	زاوية باش تارزي - باب مدخل قاعة الصلاة والضريح	صورة 107
378	زاوية عين ماضي - عوارض خشبية	صورة 108
379	الزاوية المختارية - باب خشبي لمدخل قاعة الضريح	صورة 109
380	زاوية تماسين - الزخرفة على الخشب	صورة 110
381	زاوية تماسين - الزخرفة على الخشب	صورة 111
382	زاوية عين ماضي - الزخرفة على الخشب	صورة 112
383	زاوية سيدي أحمد بن وسف - داعمة العقود	صورة 113
385	زاوية سيدي أحمد بن وسف - مصرع الباب	صورة 114
385	زاوية سيدي أحمد بن وسف - كوات الأبواب	صورة 115

385	زاوية قمار - زخرفة المعادن	صورة 116
385	زاوية قمار - زخرفة المعادن	صورة 117
386	زاوية سيدي أحمد بن وسف - مقبض الباب	صورة 118
386	زاوية قمار - زخرفة المعادن	صورة 119
437	زاوية باش تارزي - المراوح النخيلية والأسلوب الرومي	صورة 120
437	زاوية تماسين - الزخرفة على الخشب	صورة 121
440	زاوية باش تارزي - ورقة الأكانتس	صورة 122
441	زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - شجرة السرو	صورة 123
448	زاوية تماسين - الطبق النجمي.	صورة 124

فهرس اللّوحات.

فهرس اللّوحات/

الصفحة	عناوين الألواح	رقم اللّوحة
395	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 1
296	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 2
397	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 3
398	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 4
399	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 5
400	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 6
401	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 7
402	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 8
403	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 9
404	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران	لوحة 10
405	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 11
406	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 12
407	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي- تكسية الجدران	لوحة 13
408	بلاطات خزفية - زاوية سيدي محمد - تكسية الجدران	لوحة 14

409	بلاطات خزفية - زاوية سيدي محمد - تكسية الجدران	لوحة 15
410	بلاطات خزفية - زاوية سيدي محمد - تكسية الجدران	لوحة 16
411	بلاطات خزفية - زاوية سيدي محمد - تكسية الجدران	لوحة 17
412	بلاطات خزفية - زاوية سيدي أحمد بن يوسف - تكسية الجدران	لوحة 18
413	بلاطات خزفية - زاوية سيدي أحمد بن يوسف - تكسية الجدران	لوحة 19
414	بلاطات خزفية - زاوية سيدي أحمد بن يوسف - تكسية الجدران	لوحة 20
415	بلاطات خزفية - زاوية سيدي أحمد بن يوسف - تكسية الجدران	لوحة 21
416	بلاطات خزفية - الزاوية المختارية - تكسية الجدران	لوحة 22
417	بلاطات خزفية - زاوية قمار - تكسية الجدران	لوحة 23
442	بلاطة خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - ورقة العنب	لوحة 24
456	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران	لوحة 25
457	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران	لوحة 26
458	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران	لوحة 27
459	بلاطات خزفية - زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي - تكسية الجدران	لوحة 28

فهرس الوثائق

الفهرس العام

إهداء

شكر و عرفان

أ - د مقدمة

الدراسة التمهيدية

الإطار الجغرافي والتاريخ

14 1. أصل الدولة العثمانية

16 2. التواجد العثماني بالجزائر

18 3. تاريخ وعمران مدن موضوع الدراسة

18 1.3 مدينة الجزائر

38 2.3 مدينة مليانة

46 3.3 مدينة قسنطينة

52 4.3 مدينة طولقة

53 5.3 مدينة أولاد جلال

58 6.3 مدينة عين ماضي

62 7.3 مدينة تماسين

63 8.3. مدينة قمار
64 9.3. مدينة وادي سوف
66 10.3. مدينة بوسمغون

الفصل الأول

التصوف والطرق الصوفية

70أولا. أصول التصوف الإسلامي
70 1. مفهوم التصوف لغة واصطلاحا
75 2. التصوف في المشرق والمغرب الإسلاميين
76 3. الحضور الصوفي في الجزائر خلال العهد العثماني
81ثانيا. الطرق الصوفية
81 1. مفهوم الطريقة لغة واصطلاحا
82 2. الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأة وانتشار الصوفية بالجزائر
85 3. أهم الطرق الصوفية بالجزائر
85 ■ الطريقة القادرية
88 ■ الطريقة الشاذلية
90 ■ الطريقة الزروقية واليوسفية

91 الطريقة العيساوية	▪
92 الطريقة الدرقاوية	▪
93 الطريقة السنوسية	▪
94 الطريقة الطييبة	▪
94 الطريقة الرحمانية الخلوتية	▪
96 الطريقة التيجانية	▪
100	جدول لأهم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي.	▪

الفصل الثاني

الزاوية في العمارة الإسلامية

102 1. تعريف الزاوية لغة واصطلاحا	
106 2. نشأة الزوايا وتطورها	
109 3. أقسام الزاوية	
119 4. أنواع الزوايا ومهامها	
123 5. الهيكل التنظيمي للزاوية	
124 6. الأوقاف	
124 تعريف الوقف لغة واصطلاحا	▪

الفصل الثالث

دراسة تاريخية للزوايا

- 134 1. زوايا مدينة الجزائر
- 134 ■ زاوية سيدي محمد شريف
- 136 ■ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي
- 144 ■ زاوية سيدي محمد " بوقبرين "
- 148 2. زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة
- 152 3. زاوية عبد الرحمن باش تارزي بقسنطينة
- 155 4. الزاوية العثمانية بطولقة
- 163 5. الزاوية المختارية بأولاد جلال
- 166 6. زاوية عين ماضي بالأغواط
- 169 7. زاوية تماسين بتقرت
- 172 8. زاوية قمار بوادي سوف
- 174 9. زاوية سيدي سالم بوادي سوف
- 179 10. زاوية بوسمغون بالببيض

- 180 ■ مواقع انتشار الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني.

الفصل الرابع

دراسة معمارية

- 185 أولاً. النظام التخطيطي للزوايا
- 185 1. النظام التخطيطي للزوايا العثمانية
- 202 2. مخططات زوايا الجزائر خلال العهد العثماني
- 205 1.2. مخططات زوايا المناطق الشمالية
- 205 ■ مخططات الزوايا المندثرة بمدينة الجزائر
- 216 ■ مخططات الزوايا القائمة
- 216 ■ مخطط زاوية سيدي محمد شريف
- 218 ■ مخطط زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي
- 220 ■ مخطط زاوية سيدي محمد بوقبرين
- 220 ■ مخطط زاوية سيدي أحمد بن يوسف
- 223 ■ مخطط زاوية عبد الرحمن باش تارزي
- 226 2.2. مخططات زوايا المناطق الجنوبية
- 226 ■ مخطط زاوية تماسين
- 230 ■ مخطط زاوية قمار

232	▪ مخطط الزاوية المختارية.
233	▪ مخطط زاوية بوسمغون.
234	▪ مخطط زاوية عين ماضي.
253	ثانيا. الوحدات والعناصر المعمارية.
253	1. المداخل.
262	2. الأروقة.
264	3. الصحن.
268	4. المحراب.
279	5. المئذنة.
290	6. وسائل الدعم.
291	▪ الدعامات.
294	▪ الأعمدة.
310	▪ العقود.
324	7. وسائل التسقيف.
324	▪ القباب.
336	▪ التسقيف المستوي.
338	▪ النوافذ والكوات.

الفصل الخامس

مواد البناء والزخرفة

343	أولاً. مواد وتقنيات البناء.....
344	1. مواد البناء.....
344	1.1. الحجارة.....
346	2.1. الطين.....
347	3.1. الملاط.....
348	4.1. الآجر.....
350	5.1. القرميد.....
352	6.1. جذوع النخيل.....
354	2. تقنيات البناء.....
354	▪ تقنيات بناء الأساسات.....
356	▪ تقنيات بناء الجدران.....
356	▪ تقنيات بناء الأعمدة والدعامات.....
357	▪ تقنيات بناء العمود.....
359	▪ تقنيات بناء الأسقف.....
361	▪ تقنيات بناء المئذنة.....

363 ثانيا. مواد وتقنيات الزخرفة والعناصر الزخرفية.
363 1. مواد الزخرفة وتقنيات تنفيذها.
363 1.1. الجص.
368 2.1. الرخام.
372 3.1. الخشب.
383 4.1. المعادن.
387 5.1. الخزف - البلاطات الخزفية.
428 2. دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية.
428 1.2. العناصر الزخرفية النباتية.
444 2.2. العناصر الزخرفية الهندسية.
449 3.2. العناصر الزخرفية الكتابية.
461 4.2. العناصر الزخرفية الرمزية.
465 ▪ الخاتمة.
491 ▪ ملحق الوثائق.
492 ▪ قائمة المصادر والمراجع.
518 ▪ الفهارس.
519 ▪ فهرس الخرائط.

- 521 فهرس المخططات والأشكال ■
- 529 فهرس الصور ■
- 538 فهرس اللّوحات ■
- 541 فهرس الوثائق ■
- 543 الفهرس العام ■